المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية التربية بمكة المكرمة

قسم التربية الإسلامية والمقارنة

٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٥٠٧٧

جامعة أم القرى بمكة المكرمة
عمادة شؤون المكتبات
المكتبة المركزية
قسم المخطوطات
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

القيم الخلقية المستنبطة من قصص النساء في القرآن الكريم

(ودور الأسرة في غرسها في نفوس الفتيات)

إعداد الطالبة :

كوثر بنت محمد رضا الحسيني الشريف

إشراف الدكتور :

صالح بن سليمان العمرو

الأستاذ المشارك بقسم التربية الإسلامية والمقارنة

بحث مكمل لمتطلبات نيل درجة الماجستير مقدم إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بكلية التربية في جامعة أم القرى

الفصل الدراسي الأول

١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله عز وجل:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي

الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن

تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ

شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)﴾

[يوسف: ١١١]

ملخص الرسالة :

عنوان الدراسة : القيم الخلقية المستنبطة من قصص النساء في القرآن الكريم .

أهـــداف الدراســـة : تهدف الدراسة إلى استنباط القيم الخلقية من قصص النساء في القرآن الكريم . وتقديم تصور مقترح يساعد الأسرة على تنشئة الفتاة على هذه القيم الخلقية .

منهج الدراسة : المنهج الإستقرائي ، والمنهج الاستنباطي، وأسلوب تحليل المحتوى.

فصول الدراسة : جاءت الدراسة في ستة فصول وفصل تمهيدي :

الفصل التمهيدي: خطة الدراسة :ويحتوي على المقدمة ،وموضوع الدراسة ، وأهميتها ، وأهدافها ، وتساؤلاتها، ومنهجها ، والدراسات السابقة .

الفصل الأول: مفهوم قصص النساء في القرآن الكريم وأقسامها ومزاياها : ويتضمن ثلاثة مباحث : الأول عن القصة في القرآن ، والثاني عن المنهج القصصي في القرآن الكريم ، والثالث عن مفهوم قصص النساء في القرآن .

الفصـــل الـــثاني: عـــرض قصص النساء في القرآن الكريم : وتم فيه عرض ثلاث عشرة قصة مختارة من قصص النساء في القرآن بتفسير آياتها وذكر الأحاديث الواردة فيها وعرض أحداثها ، وذكر دلالاتها التربوية .

الفصـــل الثالـــث: القيم الخلقية في الإسلام : واشتمل على خمسة مباحث :الأول عن مفهوم القيم الخلقية في الإسلام ، والثاني عن أهميتها ، والثالث عن أهدافها ، والرابع عن خصائصها ، والخامس عن أسسها.

الفصـــل الـــرابع : تحليل القيم الخلقية في قصص النساء في القرآن الكريم : وتم فيه استخراج القيم الخلقية من آيات قصص النساء في القرآن بصورة لفظية وضمنية ، وإيجابية وسلبية.

الفصـــل الخامس: دور الأسرة المسلمة في تربية الفتاة على القيم الخلقية المستنبطة من قصص النساء في القرآن الكريم : وتضمن مبحثين : الأول عن الأسرة المسلمة وأثرها في التربية الخلقية للفتاة ، والثاني عن أساليب الأسرة المسلمة المعاصرة في تربية الفتاة على القيم الخلقية السابقة.

الفصل السادس: الخاتمة : ويتضمن النتائج والتوصيات والمقترحات.

ومن أهم نتائج الدراسة :

١- أســـفر تحلـــيل قصـــص النســـاء في القرآن الكريم عن التنوع والتباين في القيم الخلقية الظاهرة والضمنية ، الإيجابية والسلبية، مع التنوع في الشخصيات التي ظهرت في السن والجنس والدين والعصر ، مما كان له أثر في ظهور مفهوم كل قيمة بصورة قوية وكاملة .

٢- ظهـــور اتفـــاق في مفهوم كل قيمة خلقية في جميع قصص النساء في القرآن الكريم ، مما يؤكد على ميزة الثبات التي تتصف بها قيم الإسلام الخلقية .

٣- حـــددت الدراسة أهم القيم الخلقية التي يجب على الأسرة الحرص على إكسابها الفتاة في ضوء قصص النساء في القرآن الكريم ، مع إعطاء تعريف شامل لكل منها وتحديد مواضعها في هذه القصص .

٤- كشـــفت الدراســـة عن وجود عوامل داخلية تتعلق بمراحل النمو الخلقي تؤثر في إكساب الأسرة للفتاة القيم الخلقية ، وجهل الأسرة بهذه المراحل يؤثر تأثيراً سلبياً على عملية غرسها في نفس الفتاة ، كما أن استغلالها يسهل من تعويد الفتاة على هذه القيم .

ومن أهم التوصيات :

١- إجـــراء دراســـات جادة تستكمل دراسة القصص القرآني، والقصص النبوي بالتجميع والاستنباط والتحليل لما فيها من مبادئ وقيم تربوية تسهم في تربية المجتمعات المسلمة .

٢- عـــلى الأسرة أن تحرص على منع الفتاة مما يؤثر على سلوكها وأخلاقها بشكل سلبي ، كوسائل الإعلام المختلفة والصديقات ، مع تجنيبها للأماكن الساقطة والرذيلة كدور السينما والمسارح.

٣- أن تهـــتم المؤسسات الاجتماعية والتربوية في المجتمعات المسلمة بدراسة أوضاع المرأة المسلمة ، ومعالجة قضاياها ، مع الحرص على مواجهة المخططات الرامية إلى إفسادها وزعزعة عقيدتها .

٤- أن تحـــرص مراكـــز البحوث في الجامعات والكليات والمؤسسات العلمية على إجراء مزيد من البحوث والدراسات والتي تعتني بالأسرة ، وذلـــك في محوريـــن : الأول يســـعى لتوجيه الأسرة لكيفية تربية وتوجيه الأبناء وفق مبادئ وقيم الشريعة الإسلامية .والثاني يسعى لدراسة المشكلات التي تواجهها الأسرة مع تقديم حلول لها.

كما أوردت الدراسة مجموعة من المقترحات.

إعداد الباحثة :	المشرف :	عميد كلية التربية :
كوثر الشريف	د. صالح العمرو	د. زهير الكاظمي

Thesis Abstract

Title: Moral Values Derived from Women's Tales in the Holy Qur'an.
Objectives: The study aims at deducing moral values from women's tales in the Holy Qur'an, and submitting a proposed vision to help the family in bringing up young women based on those moral values.
Method: The inductive method, the deductive method and the content analysis method.
Chapters: The study consists of a prefatory chapter, five main chapters and a conclusion as follows:
The Prefatory Chapter: The proposal.
The First Chapter: Moral values in Islam.
The Second Chapter: Tales in the Holy Qur'an.
The Third Chapter: Women's tales in the Holy Qur'an: their conception, characteristics and educational connotations.
The Fourth Chapter: Analysis of moral values in women's tales in the Holy Qur'an.
The Fifth Chapter: The Muslim family and its educational role in instilling moral values – derived from women's tales in the Holy Qur'an – in young women.
Conclusion: Includes the results, the recommendations and the proposals.

Results:

1- Analysis of women's tales in the Holy Qur'an disclosed variation and contrast in the explicit and implicit, as well as positive and negative moral values, together with variation in the characters, which appeared in age, gender, religion and era. This led to appearance of the concept of each value in a strong and complete form.
2- Appearance of harmony in the concept of each moral value in all women's tales in the Holy Qur'an, the fact that proves the consistency which characterizes the moral values of Islam.
3- The study determines the most important moral values that the family should be keen to instill in young women, in the light of women's tales in the Holy Qur'an, as well as, providing a comprehensive definition for each of those values and determining its position in those tales.
4- The study disclosed internal factors related to the stages of moral development that affect instilling those moral values in young women, as well as, the fact those unawareness of the family with those stages will have negative effect on the instilling process on young women; whereas utilizing those internal factors facilitates familiarizing young women with those values.

Recommendations:

1- To hold serious studies in order to complete studying the Qur'anic tales and the Prophet's tales through grouping, derivation and analysis because of their content of principles and moral values that contribute to bringing up Muslim communities.
2- To encourage the family to be keen on controlling all stuff that may negatively affect the moral and conduct of young women, such as discouraging visits to suspicious and evil showrooms and theatres.
3- To call upon social and educational institutions in Muslim communities to study the set ups of Muslim women and to try to solve their problems, together with monitoring plots that aim at corrupting them and shaking their beliefs.
4- To request research centers in colleges, universities and academic institutions to conduct more research and studies on family affairs, through two themes: the first one seeks to direct the family on how to bring up and offsprings according to the principles and values of Islamic Sharia, while the second seeks to study the problems that confront the Muslim family with a view to solving them.

The study has also submitted a number of proposals.

إهداء ...

إلى . . الذي رباني على الدين ونشأني

على الأخلاق ودعم مسيرتي العلمية بأقواله وأفعاله . . .

إلى أبي .

إلى . . من كان لسانها يلهج لي بالدعاء ، وبسمتها بلسم روحي . .

إلى أمي .

إلى . . من لم يدخرا وسعاً في تلبية إي حاجة علمية أو عملية تطرأ لي . .

إلى أخوي "نبيل وعبد العزيز . .

إلى . . من كن يتسابقن في مساعدتي في أي أمر بفرحة ومحبة

إلى أخواتي . .

إلى . . دار تعلمت فيها كتاب الله الكريم . . إلى تحفيظ الشهيدة أم ورقة . .

وإلى كل باحث وباحثة . . .

وإلى كل أسرة مسلمة . . .

إليكم جميعاً أهدي باكورة إنتاجي الفكري . .

شكر وتقدير

الحمـــد لله أولاً عـــلى فضله وإنعامه ، حيث يسر وأعان على إنجاز هذا البحث، والصلاة والسلام على رسولنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

وبعـــــــد :

فانطلاقاً من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ ؛ لا يَشْكُرُ اللَّهَ)[1].

فإني أتوجه بفائق الشكر والتقدير لسعادة المشرف على هذه الرسالة ، الدكتور : صالح بن سليمان العمرو . على صبره وحلمه ورحابة صدره لكل سؤال تطرحها الباحثة ، والتي لمست فيها غزارة علمه ودماثة خلقه ، كما أشكره على توجيهاته العلمية الدقيقة ، والتي كانت خير عون لإتمام هذا البحـــث ، وعلى جهده المتواصل رغم كثرة مشاغله وارتباطاته العلمية ، وعلى ما أمد به الباحثة من مراجع علمية أصيلة. فجزاه الله عني خير الجزاء.

والباحثة مدينة بالشكر لجامعة أم القرى التي مكنتني من إكمال دراستي بقبولها إياي في هذه الصـــرح العـــلمي الـــراقي، ممثلة في معالي مديرها الأستاذ الدكتور : ناصر بن عبدالله الصالح . والقـــائمين على كلية التربية ، وفي مقدمتهم سعادة عميدها الدكتور : زهير بن أحمد الكاظمي . ورئيس قسم التربية الإسلامية والمقارنة الدكتور: نايف بن حامد الشريف .

وأقدم الشكر الجزيل للأستاذين المناقشين : الأستاذ الدكتور : محمد جميل بن علي خياط ، والدكـــتور: عبدالله بن محمد حريري . لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة ، و على ما أثريا به الباحثة من توجيهات قيِّمة نافعة ، أعانت في إخراج هذا العمل .

وأوجـــه شـــكري وتقديـــري للأستاذين اللذين تفضلا بتحكيم الخطة وإسداء التوجيهات والتعلـــيقات المفيدة، والتي ساعدت الباحثة على بلورة هذا العمل وأدائه ، وهما: الدكتور : عبد الرحمن بن عبدالله الشميري . والدكتور : خليل بن عبدالله الحدري.

كما أتقدم بخالص الشكر والوفاء والعرفان للأستاذة الدكتورة : آمال بنت حمزة المرزوقي . والدكتورة : سمية بنت محمد حجازي. والدكتورة : عائشة بنت عبد الرحمن الجلال . والدكتورة : أميرة بنت طه بخش . على كل علم وتوجيه ورأي سديد قدمنه للباحثة ابان عملها في الرسالة .

١- الترمذي، محمد عيسى . سنن الترمذي . دار ابن حزم .بيروت. ١٤٢٢هـــ. كتاب البر والصلة . باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك . رقم الحديث : ١٩٥٤. وصححه محمد ناصر الدين الألباني ، في كتابه :صحيح سنن الترمذي. مكتبة المعارف . الرياض. ١٤٢٢هـــ . ٢/ ٣٦١.

وأســطر أطيب الشكر لوالدي الأستاذ محمد رضا مسعود الشريف وأخويَّ: نبيل محمد الشريف ، وعبد العزيز محمد الشريف. وعمي: أحمـــد رضا الشريف . وخالي : ثلاب سليمان الشريف ، وهاشم ســليمان الشريف . كما أشكر أقاربي: فيصل أحمد الشريف ، ومسعود عون الشريف ، ونايف طلال الشريف. الذين لم يدخروا وسعاً في مساعدة الباحثة في أي حاجة علمية ، منذ التحاقها بالبرنامج وحتى طور الإعداد والبحث للرسالة .

كما أشكر أخواتي الحبيبات طالبات دفعة ١٤٢١هـــ ، خاصة الأخت: أميرة باهميم ، والأخت : إكـــرام المصري ، على ما أفادتا به الباحثة من مراجع متعلقة بموضوع المرأة . ولا يفوتني هنا أن أسجل جمـــيل الشـــكر إلى أخـــتي الحبيبة : ثريا عبد الغني ، والتي ما فتئت تشد من عزمي بكلماتها وتساندني بفعالها.

كما أسجل عميق شكري وتقديري وامتناني إلى من دعمني بتشجيعهن الدائم وسؤالهن المتواصل ، إنهـــن أخـــواتي المعلمات والإداريات في المتوسطة الحادية عشرة بمكة المكرمة ، وأخص بالشكر مديرة المدرســـة الأســـتاذة : كامليا عفان ، والتي ذللت للباحثة الكثير من الصعوبات والعقبات والتي كانت تواجهها في التوفيق ما بين البحث والتدريس . كما أشكر المعلمات :مزنة القاسمي ، وناجية الصاعدي، وأم كلثوم الأشعري ، وآسيا البنيان.

وأخيراً أشكر القائمين على مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ومكتبة الملك فهد الوطنـــية ، ومكتبة الحرم بالمدينة المنورة ، فقد وجدت منهم الباحثة تجاوباً مشكوراً ، يسر لها الحصول على كثير من المراجع العلمية القيمة .

والشـــكر موصـــول لكل من أعارني كتاباً أو أسدى إلي توجيهاً أو نبهني على خطأ أو دلني على تقصير أو دعا لي بدعوة صادقة . فأسأل الله أن يجزي الجميع خير الجزاء.

البـــاحثـــة : كوثر الشريف .

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
الغلاف	أ
البسملة	ب
آية	ج
ملخص الرسالة (عربي)	د
ملخص الرسالة (انجليزي)	هـ
الإهداء	و
شكر وتقدير	ز
قائمة المحتويات	ط
قائمة الجداول	ن
الفصل التمهيدي : خطة الدراسة.	**١ - ٢٣**
أولاً :المقدمة	٢
ثانياً: موضوع الدراسة	٤
ثالثاً: أهمية الدراسة..	٦
رابعاً : أهداف الدراسة	٦
خامساً: أسئلة الدراسة..	٧
سادساً: منهج الدراسة	٧
سابعاً: حدود الدراسة	٩
ثامناً: مصطلحات الدراسة	١٠
تاسعاً: الدراسات السابقة	١١
خلاصة الدراسات السابقة	٢٣
الفصل الأول : القيم الخُلقية في الإسلام .	**٢٤-٥٦**
مـــدخـــل	٢٥
المبحث الأول : مفهوم القيم الخلقية الإسلامية	٢٦
أولاً : مفهوم القيم	٢٦
ثانياً: مفهوم الأخلاق	٢٩
ثالثاً: مفهوم القيم الخلقية	٣١
المبحث الثاني : أهمية القيم الخلقية الإسلامية.	٣٢
المبحث الثالث : أهداف القيم الخلقية الإسلامية	٣٦
المبحث الرابع: خصائص القيم الخلقية الإسلامية :	٣٩
أولاً :الشمول والتكامل	٣٩

ثانياً : الثبات ٤٠
ثالثاً: التوسط والتوازن ٤١
رابعاً: الواقعية ٤٢
المبحث الخامس : أسس القيم الخلقية في الإسلام ٤٤
أولاً :الأساس العقدي ٤٤
ثانياً :الأساس الفطري ٤٦
ثالثاً: الأساس العلمي ٤٨
رابعاً :الأساس الإلزامي ٤٩
خامساً: أساس المسئولية الأخلاقية ٥١
سادساً :الأساس الجزائي ٥٣
خلاصة الفصل ٥٦

الفصل الثاني :
القصة في القرآن الكريم ١٠٨-٥٧

مـــدخل ٥٨
المبحث الأول : مفهوم القصة القرآنية وأنواعها وخصائصها وعناصرها ٥٩
المطلب الأول: مفهوم القصة القرآنية ٥٩
المطلب الثاني : مزايا القصة القرآنية عن القصة الأدبية ٦٣
المطلب الثالث : مصدر المادة القصصية في القصة القرآنية ٦٦
المطلب الرابع : أنواع القصة القرآنية ٦٩
المطلب الخامس : أغراض القصة القرآنية ٧١
المطلب السادس :خصائص القصة القرآنية ٧٤
المطلب السابع :عناصر القصة القرآنية ٧٩
أولاً : الشخصية ٧٩
ثانياً : الحدث ٨٣
ثالثاً : الحوار ٨٤
رابعاً : البيئة الزمانية والمكانية ٨٦
المبحث الثاني : المنهج القصصي القرآني ٨٩
المطلب الأول : الهيكل العام ٨٩
المطلب الثاني :سمات المنهج القصصي القرآني ٩٣
المبحث الثالث : الدور التربوي للقصة القرآنية ٩٦
المطلب الأول : دور القصة القرآنية في التربية العقدية ٩٦
المطلب الثاني : دور القصة القرآنية في التربية التشريعية ٩٩
المطلب الثالث : دور القصة القرآنية في التربية الأخلاقية ١٠١
المطلب الرابع : دور القصة القرآنية في التربية العقلية ١٠٣
المطلب الخامس : دور القصة القرآنية في التربية الجسمية ١٠٦
خلاصة الفصل ١٠٨

الفصل الثالث : ١٠٩-٢٠٢
قصص النساء في القرآن الكريم مفهومها وأقسامها ومزاياها وعرضها .
مدخل ١١٠
المبحث الأول : مفهوم قصص النساء في القرآن الكريم ١١١
المطلب الأول : المرأة في القـــــــرآن الكريم ١١١
المطلب الثاني : مفهوم قصص النساء في القرآن الكريم ١١٤
المطلب الثالث : أقسام قصص النساء في القرآن الكريم ١١٥
المطلب الرابع : مزايا قصص النساء في القرآن الكريم ١١٨
المبحث الثاني :عرض قصص النساء في القرآن الكريم ١٢٤
المطلب الأول : قصة حواء عليها السلام في القرآن الكريم ١٢٨
المطلب الثاني: قصة امرأة نوح عليه السلام في القرآن الكريم ١٣٤
المطلب الثالث: قصة سارة زوجة إبراهيم عليهما السلام في القرآن الكريم ١٣٧
المطلب الرابع : قصة امرأة لوط عليه السلام وبناته في القرآن الكريم ١٤١
المطلب الخامس : قصة امرأة العزيز والنسوة مع يوسف عليه السلام في القرآن الكريم..... ١٤٨
المطلب السادس : قصة أم موسى وزوجه وأخته وآسية عليهم السلام في القرآن الكريم .. ١٥٧
المطلب السابع : قصة ملكة سبأ مع سليمان عليهما السلام في القرآن الكريم ١٦٦
المطلب الثامن : قصة مريم وأمها عليهما السلام في القرآن الكريم ١٧٢
المطلب التاسع : قصة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك في القرآن الكريم. ١٨١
المطلب العاشر : قصة أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها في القرآن الكريم..... ١٨٩
المطلب الحادي عشر : قصة عائشة وحفصة رضي الله عنهما في قضية التحريم في القرآن.. ١٩٣
المطلب الثاني عشر : قصة المجادلة رضي الله عنها في القرآن الكريم.................. ١٩٧
المطلب الثالث عشر: قصة امرأة أبي لهب في القرآن الكريم ١٩٩
خلاصة الفصل ٢٠٢
الفصل الرابع: ٢٠٣- ٢٧٧
تحليل القيم الخلقية في قصص النساء في القرآن الكريم.
مدخـــــل : منطلقات منهجية ٢٠٤
١) الطاعة ٢٠٩
٢) الصبر ٢١٤
٣) الأمانة ٢٢٠
٤) الصدق ٢٢٥
٥) الحكمة ٢٢٩
٦) الرحمة... ٢٣٥
٧) الحياء. ٢٤١
٨) العفة ٢٤٥
٩) الكرم ٢٤٩
١٠) الوفاء. ٢٥٣
١١) المحبة ٢٥٦

١٢) الشجاعة. ٢٦١

١٣) الغيرة. ٢٦٥

١٤) التعاون. ٢٦٩

١٥) الشورى ٢٧٣

خلاصة الفصل ٢٧٧

الفصل الخامس :
الأسرة المسلمة ودورها التربوي في تنشئة الفتاة على القيم الخلقية المستنبطة من قصص النساء في القرآن الكريم . ٢٧٨-٣٣٦

مــدخــل ٢٧٩

المبحث الأول: الأسرة المسلمة وأثرها في التربية الخلقية للفتاة ٢٨٠

المطلب الأول : الأسرة ومكانتها في التربية الإسلامية ٢٨٠

أولاً: تعريف الأسرة في التربية الإسلامية ٢٨٠

ثانياً: أهداف الأسرة في التربية الإسلامية ٢٨٢

ثالثاً: أهمية الأسرة في التربية الإسلامية ٢٨٣

رابعاً: البناء الأسري في الإسلام ٢٨٦

المطلب الثاني : أهمية التربية الخلقية للفتاة وآثارها.. ٢٩٠

المطلب الثالث :العوامل المؤثرة على التربية الخلقية للفتاة ٢٩٤

أولاً: العوامل الداخلية ٢٩٤

ثانياً: العوامل الخارجية ٢٩٩

١) جماعة الأقران ٢٩٩

٢) المدرسة ٣٠٠

٣) الإعلام ٣٠٢

المبحـث الـثاني : الأسرة المسلمة ووظيفتها في تنشئة الفتاة على القيم الخلقية المستنبطة من قصص النساء في القرآن الكريم ٣٠٥

المطلب الأول : أساليب الأسرة المسلمة المعاصرة في التربية الخلقية للفتاة ٣٠٥

أولاً :أسلوب القصة ٣٠٥

ثانياً :أسلوب القدوة ٣٠٧

ثالثاً :أسلوب الوعظ والنصح ٣٠٩

رابعاً :أسلوب الحوار والمناقشة ٣١١

خامساً :أسلوب الممارسة العملية ٣١٣

سادساً :أسلوب الترغيب والترهيب ٣١٥

سابعاً: أسلوب التربية بالأحداث ٣١٩

المطلب الثاني : الآلية التنفيذية لتنشئة الأسرة الفتاة على القيم الخلقية المستنبطة من قصص النساء في القرآن الكريم ٣٢١

١) تربية الأسرة الفتاة على قيمة الطاعة ٣٢٢

٢) تربية الأسرة الفتاة على قيمة الصبر ٣٢٣

٣) تربية الأسرة الفتاة على قيمة الأمانة ٣٢٤
٤) تربية الأسرة الفتاة على قيمة الصدق ٣٢٥
٥) تربية الأسرة الفتاة على قيمة الحكمة ٣٢٦
٦) تربية الأسرة الفتاة على قيمة الرحمة.. ٣٢٧
٧) تربية الأسرة الفتاة على قيمة الحياء ٣٢٨
٨) تربية الأسرة الفتاة على قيمة العفة ٣٢٩
٩) تربية الأسرة الفتاة على قيمة الكرم ٣٣٠
١٠)تربية الأسرة الفتاة على قيمة الوفاء ٣٣٠
١١)تربية الأسرة الفتاة على قيمة المحبة ٣٣١
١٢)تربية الأسرة الفتاة على قيمة الشجاعة ٣٣٢
١٣)تربية الأسرة الفتاة على قيمة الغيرة ٣٣٣
١٤)تربية الأسرة الفتاة على قيمة التعاون ٣٣٤
١٥)تربية الأسرة الفتاة على قيمة الشورى ٣٣٥
خلاصة الفصل ٣٣٦
الخاتمة : ٣٣٧
النتائج ٣٣٩
التوصيات.. ٣٣٩
المقترحات ٣٤٠
قائمة المصادر والمراجع ٣٤١

قائمة الجداول

قائمة الجداول

الرقم	موضوع الجدول	الصفحة
١-	سور وآيات قصص النساء والقرآن الكريم	١٢٧
٢-	تكرار ورود القيم الخلقية في قصص النساء في القرآن الكريم بصورة لفظية	٢٠٧
٣-	ورود القيم الخلقية في قصص النساء في القرآن الكريم بصورة ضمنية	٢٠٨

الفصل التمهيدي :

خطــة الــدراســة

المقدمـــة

إن الحمـــد لله ، نحمــده ونســتعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

أما بعـــد :

قـــال الله عز وجل ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [البقرة : ٢] . وقال ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٢] .

وعـــن سعد بن هشام قال: (أتيت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، فقلت: يا أم المؤمنين أخبريني بخلق رســـول الله ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن، أما تقرأ القرآن ، قول الله عزوجل ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم : ٤])[1]. وعن جندب رضي الله عنه قال: (كنا غلمانا حزاورة[2] مع رسول الله ﷺ فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً)[3].

لقد أُنزل هذا القرآن بشرى للمؤمنين ، ومحجة للعاملين ؛ فاتخذه نبينا محمد ﷺ واتباعه مناراً لطريقهم ومنهجاً لحياقم ، فكانوا قرآناً يسير على الأرض ، دأبهم التفكر فيه ، والاتعاظ بمواعظه ، والاحتكام لشرائعه . وكان معجزة خالدة على مر الدهور والأزمان ، طأطأت الرؤوس لجلاله ، وأذعنت الآذان لخطابه ، ولهجت الألسن بعظمته ، شهد بذلك أعداؤه قبل أهله . فقال الوليد بن المغيرة :" إن لـــه لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه ليعلو ولا يُعْلَى عليه ، ما يقول هذا بشر" [4] .

ويتجلى الإعجاز القرآني فيما حواه من علوم ومعارف ، وعقائد وأحكام ، في دقة وتنظيم ، وتنوع وشمول ، وتوازن وائتلاف ، تعجز عنه الصياغات البشرية ومستوياتها العقلية ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء : ٨٨].

وتُعَـــدُّ القصص في القرآن من أعظم أبواب الإعجاز القرآني ؛ لما تضمنته من العقائد والشرائع ، والأخلاق والأخبار ، والفنون والمعارف ، في قالب أدبي معجز ، وطابع ترويحي أخّاذ ، مع صدق العبارة ، ودقة القول وصحة الخبر ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر : ٢٣]

١- ابن حنبل ، أحمد. مسند الإمام أحمد بن حنبل . بيت الأفكار الدولية . الرياض . ١٤١٩هـ . مسند النساء . حديث السيدة عائشة رضي الله عنها. رقم الحديث:٢٥١٠٨. وصححه محمد ناصر الدين الألباني في : صحيح الجامع الصغير وزياداته . المكتب الإسلامي . بيروت .١٤٠٢هـ.

٢- حزاورة : هو الغلام إذا قارب البلوغ .

٣- الذهبي ،محمد بن أحمد عثمان . سير اعلام النبلاء .مؤسسة الرسالة . ١٤٠٢هـ . ٣ / ١٧٥

٤- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مؤسسة التاريخ العربي . دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان .١٤٠٥هـ . ١٩/ ٧٤

والقصة كأسلوب تربوي ، يقبل عليها الكبار والصغار ، بعقل واعٍ ، وأذن سامعة ، وقلب شغوف .

فحب الإنسان للقصة يترجم عن ميل فطري للعيش في جلباب الماضي ، وكأن القارئ والسامع أحد شخصيات القصة ، والإنسان تواق لمعرفة المجهول ، واكتشاف الأسرار ، واستنباط العلل ، وأخذ العبرة من أخبار من سبق ؛ وهذا ما تلبيه له القصة . وهي مع هذا تحمل في ثناياها قيماً تربوية واجتماعية وإنسانية جليلة ، تخاطب الإنسان فكراً وعاطفة ، ترسم له طريق الهداية ، وتحذره من سبل الغواية .

إن دراسة القصص القرآني ، والغوص في أسراره ، والبحث عن مكنوناته ؛ ليجلي لنا قيماً قرآنية عظيمة. "يمكن باستخلاص هذه القيم ، أن تحقق التربية الإسلامية أهدافها في بناء الإنسان المتكامل ، بكافة جوانب شخصيته ، والتي تهتم التربية المعاصرة ببعضها ، وتغفل البعض الآخر" (١) .

واستثمار القصة القرآنية في التربية يحقق فوائد عظيمة ؛ فيستطيع المربي عن طريقها أن يغرس في المتربي القيم والمبادئ التربوية بطريقة خفية وذكية ، ويُكسبه العادات والأخلاق المرادة بيسر وقناعة ، كما يمكنه أن يستثمر القصة في التربية الوقائية والعلاجية ، فهي وسيلة مهمة للتوجيه والتعليم .

ولتعدد أغراض القصص القرآني تعددت أنواعه بما يؤدي هدفها ، فجاءت قصص الأنبياء وقصص الأقوام وقصص المؤمنين وقصص الضالين وقصص المنافقين وغيرها من أنواع القصص القرآني.

"والقرآن يستخدم القصة لجميع أنواع التربية والتوجيه التي يشملها منهجه التربوي : تربية الروح ، تربية العقل ، تربية الجسم ؛ والتوقيع على الخطوط المتقابلة في النفس والتربية بالقدوة والتربية بالموعظة . فهي سجل حافل لجميع التوجيهات" (٢).

المساحة التي شغلتها القصة القرآنية من كتاب الله ، كانت مساحة واسعة ، ما نظن أن موضوعاً آخر كان له ما كان للقصة من نصيب . فهو لا يقل عن الربع ، إن لم يزد قليلاً ، فإذا كان القرآن الكريم ثلاثين جزءاً؛ فإن القصص يبلغ قرابة الثمانية أجزاء من هذا الكتاب الخالد ، وليس هذا بعجيب ؛ فالقصة القرآنية لم تأتِ لتقرر هدفاً واحداً ، بل كان لها أهدافها الكثيرة وغاياتها المتعددة (٣) .

ولذلك ، ليس من المستغرب أن تكون قصص القرآن من الموضوعات التي أثارت اهتمام عدد كبير من الباحثين والدارسين ، قديماً وحديثاً ، تفسيراً وتحليلاً ، وظهر ذلك جلياً في أمهات كتب التفسير والتاريخ ، ومن الكتّاب المعاصرين من أفرد لها كتاباً بعينه ، ومنهم من تناولها كمجموعة قصص ، يربط بينها جميعاً بطريقة واحدة في التناول ، وزاوية الرؤية (٤) .

إن مجيء القصة القرآنية بأسلوبها التربوي الرفيع في كتاب الله ؛ ليحفز كل باحث ويشد عزمه نحو استجلاء حل لمشكلات أمته وعصره ، بعرضها على قصص القرآن ، فيبحث في ثناياها وخطاباتها وأحكامها ، عن حل لهذه المشكلات .

١- الندوي ، أبو الحسن . نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية . المختار الإسلامي. القاهرة .١٩٧٦م . ص٣٣.

٢- قطب ، محمد. منهج التربية الإسلامية . دار الشروق . بيروت.١٤٠٠هـ . ١/ ١٩٤.

٣- عباس ،فضل حسن . القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته . دار الفرقان . الأردن . ١٤٠٧هـ . ص١٠.

٤- زكريا ،عبد المرضي . الحوار ورسم الشخصية في القصص القرآني . مكتبة زهراء الشرق . ١٩٩٧م . ص٥

والفوضى الأخلاقية وتدني المستوى القيمي الذي يجتاح عالم اليوم ، هو مما يشغل ذهن كاتبة هذه السطور، فبعد أن كانت الأمم والشعوب تتميز بأخلاقياتها وتفخر بها – ومع العصر الحديث ، وانتشار الفضائيات ، وبداية عصر العولمة – انقلبت الموازين الأخلاقية ؛ لتغدو كثير من الأمم تفاخر وتباهي بالانحطاط الأخلاقي ، ويصدرون القوانين والدساتير التي تحميه ، وتقره على الشعوب ، وتسمي أهل الانحطاط الخلقي بالفنانين والأبطال والمتقدمين والعصريين ، ومن عداهم بالمتخلفين الرجعيين . تلقَى لهذا الفنان العبارات التكريمية ، وتعقد معه اللقاءات الإذاعية ؛ لأنهم –كما يدعون – يبنون مجد الأمة ، ويرفعون قدرها ، ويسيرون بها نحو الحضارة والتقدم .

إن انتشار الأمراض ، وشيوع الفاحشة ، وتفكك الأسر، وضياع الأمن ؛ لنتائج لهذا الانحطاط الخلقي ، وهي مؤذنة بالهلاك الفردي والأممي . فإن لم تتدارك الأمم هذه الفوضى ، وتعيد البناء القيمي الخلقي لمجتمعاتها، فالدمار لها قادم . وإذا أرادت الأمم أن تعيد صياغة البناء الخلقي لشعوبها فلابد من اعتمادها على الكتب السماوية والتي نزلت من عند خالق البشر العالم بما يصلحهم ويفسدهم ، ولم يبقَ منها كتاب صحيح ، لم تطله يد التحريف ، إلا القرآن العظيم الذي تكفل الله بحفظه .

وأول لبنة تبدأ بها هي المرأة ، فهي اللبنة التي إذا صلحت أسرع الصلاح إلى باقي لبنات المجتمع ، وإذا فسدت هوت الأمم سريعاً وانتهت ، فهي مربية الأجيال وصانعة الرجال . لذلك توجهت الدراسة الحالية نحو أخلاقيات المرأة المسلمة لتستجليها وتستخرجها من نصوص القرآن العظيم ، إيماناً بأنها قد حوت هذه الأخلاقيات في نظام وكمال ، تمكننا من إقامة بناء خلقي متكامل تعد المرأة المسلمة على نسقه ومنهجه .

موضوع الدراسة

تواجه الأمة الإسلامية منذ قرون هجمة شرسة على عقيدتها وشريعتها ، خاصة في العصر الحديث .هذه الهجمة ترسل سهامها وسمومها نحو عدة جوانب . فاستخدمت الغزو المسلح أو المواجهة المباشرة مع الجيوش الإسلامية – الحروب الصليبية – ، ثم استخدمت الغزو الفكري ، بشقيه: العلمي والأخلاقي .

أما الغزو المسلح فقد كسب رهانه المسلمون ، والغزو العلمي كسب الغربيون فيه كأس التقدم و الحضارة، وقد كان أثره واضحاً على أبناء المسلمين خاصة الطبقات العلمية العالية ، حتى إذا أخذت أعينهم روعة هذه العلوم ، ومُلئت قلوبهم إعجاباً بها ، تفتحت عقولهم على حضارة مادية زائفة ؛ فعادوا سراعاً إلى أصولهم الإسلامية ليجلوا بريقها وينصروها .

وأما الغزو الأخلاقي فكان أقواها أثراً وأشدها فتكاً وتدميراً بالأمة الإسلامية ، والذي صُدر للمجتمعات الإسلامية عبر وسائل الإعلام المسموعة والمرئية. فتَحْت ركامه تهدمت البيوت ، وفقد الناس روابطهم الاجتماعية وأواصرهم العائلية ، والتي كانت مقدمة لزعزعة وحدة الأمة الإسلامية ، وانتشار الانحرافات الأخلاقية بين أهلها . ولقد نالت المرأة المسلمة من هذا المخطط لهدم أخلاق المسلمين نصيباً رئيسياً ، فاعتبر

الغـــزاة إفســـاد أخلاق المرأة مقدمة سهلة لإفساد أخلاق الرجل ، ومن ثم الأجيال ، ليُبنى على أساسها فساد المجتمع كله .

وإذا تأملـــنا أســـاس أخلاق المرأة المسلمة ، فإنه يلاحظ أن أساسها يبدأ من المترل ، فتعتبر الأسرة أقوى الوسائط أثراً على النمو الخلقي لدى الفتاة ، حيث تمثل الوسط التربوي الأول ، الذي يؤثر بصورة واضحة في تشكيل شخصية الفرد وبناء اتجاهاته ومعاييره .فإذا نجحت الأسرة ممثلة في الوالدين في غرس الأخلاق الفاضلة في نفس الفتاة ، وجعلها واقعاً معاشاً في الأسرة ، فإنها تكون بذلك قد نجحت في سد باب خطير للغزو.

وإدراك الأسرة لأهمية قيامها بمسئوليتها الأخلاقية تجاه تربية الفتاة ، قد يكون موجوداً عند كثير من الأسر، ولكـــن الكـــثير من هذه الأسر تفقد القدرة على إدراك ماهية هذه الأخلاق وحدودها وأسسها ، إضافة إلى جهلها بالأساليب التي ينبغي استخدامها في هذه التربية . وإذا تمكنت الأسرة من تجاوز هذه العقبات ، يراوحها سؤال مهم وهو : ما هي القيم الخلقية التي ينبغي غرسها في الفتاة ؟

إن الدراسة الحالية تريد أن تعين الأسرة في تجاوز هذه العقبات ، وخاصة عقبة معرفة أهم القيم الخلقية التي ينبغي الحرص على تأصيلها في نفس الفتاة منذ طفولتها ، ولا تريد الباحثة أن تلقي هذه الأخلاق مجردة ، وإنما تريد أن تجعل لها أساساً ومرتكزاً شرعياً تبنى عليه .

وهنا تستوقف الباحثة قصص النساء في القرآن الكريم ، فقد جاءت متميزة بخصائص وأهداف شرعية و أدبـــية وتربوية ونفسية ؛ جعلتها محط دراسة كثير من الباحثين والدارسين . فأفردت لها كتب وأبحاث علمية مســـتقلة ، تجمعها وتشرحها ؛ لتستنبط فوائدها وأحكامها. وعند التدبر في هذه القصص ، يلاحظ أن المجال الخُلقي للمرأة يتجلى فيها بشكل كبير ، بينما يقل ظهورها في مجالات أخرى كمجال الملك والسياسة وغيرها، بل قد يعدم في جانب مثل النبوة .

واهتمام قصص القرآن بالجانب الأخلاقي للمرأة ليس بالأمر المستغرب ، فقد عني الإسلام بالجانب الخلقي عناية كبيرة ، فقد صح عنه ﷺ أنه قال (إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَي الأَخْلاقِ) [1].

وبجوار ذلك ، فأسلوب القصة يؤثر بشكل قوي في أخلاق الناشئة ، وتظهر هنا الحاجة إلى استثمار القصة القرآنـــية في تقويم أخلاق الناشئة ، في ظل انتشار القصص الرخيصة ، غرامية وبوليسية واجتماعية و ثقافية ، والـــتي يشيع فيها التضليل والتشويش على عقول الأطفال والشباب ، مما يهون عليهم أساليب الحقد والجريمة ويهون عليهم ارتكاب كل محرم في سبيل تحقيق هدفهم [2].

ففي طيات قصص النساء في القرآن الكريم تأتي أخلاق النساء الصالحات ، داعية قارئيها للاقتداء بهديهن والتأســي بخلقهـــن ، فخلق العفة يظهر في مريم عليها السلام ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [آل عمـــران: ٤٢] .وخلق الحياء الذي هو جزء من شخص

١- البخاري ، محمد إسماعيل . الأدب المفرد . تخريجات وتعليقات : محمد ناصر الدين الألباني . دار الصديق . الجبيل . ١٤٢١هـ. باب حسن الخلق ، رقم الحديث: ٢٧٣. وصححه محمد ناصر الدين الألباني .

٢ – المرصفي ، محمد علي . قيم تربوية في القصص القرآني . مجلة كلية التربية ، جامعة أم القرى ، العدد العاشر ١٤٠٣هـ. ص ١٤٧.

المـــرأة يظهـــر بجـــلاء في قصة بنتي صالح مدين ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾ [القصص: ٢٥] . والمشاورة تؤكدها قصة ملكة سبأ ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النمل: ٣٢].

وكما تبرز الأخلاق الحسنة في قصص النساء في القرآن ، تظهر أيضاً الأخلاق السيئة محذرة من التخلق بها. فالخيانة تظهر في قصة امرأة نوح وامرأة لوط ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [التحريم: ١٠] . والبخل ، والتعاون على الإثم والعدوان، يأتي في قصة امرأة أبي لهب ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾ ﴾ [المسد ٤-٥].

وعند النظر في الدراسات التي خدمت هذه القصص ، تلاحظ الباحثة أن جميع الدراسات السابقة لقصص النســاء في القرآن الكريم كانت تركز الاهتمام على الجمع والتصنيف والشرح والتفسير لهذه القصص ، وقد تــتطرق لذكر الجوانب التربوية المتضمنة فيها ؛ ولكنه ذكر مبسط ومجمل ، يحتاج لمزيد من الدراسة والتفكر والتأمل في آيات الله العظيم ، حيث إن البحث في الجوانب التربوية المتضمنة في قصص النساء في القرآن ، يمثل الناحية التطبيقية والفائدة العملية لهذه القصص والتي وردت لأخذ العظة والعبرة منها .

لذلك تتجه الباحثة إلى إيضاح أهم القيم الخلقية التي ينبغي أن تتحلى بها الفتاة المسلمة ، وذلك عن طريق استنباطها من قصص النساء في القرآن الكريم ، إيماناً من الباحثة بأن ربط أخلاق الفتاة المسلمة بالقرآن الكريم، ليكون منبعها ، وشعورها بها واقعاً مطبقاً في تلك النماذج النسائية ؛ لــه بالغ الأثر في تلبسها بتلك الأخلاق الفاضلة عن قناعة ومحبة .

أهمية الدراسة

ترى الباحثة أن أهمية الدراسة تظهر فيما يلي :

١) سعت الدراسة لاستنباط أهم أخلاق المرأة المسلمة من قصص النساء في القرآن الكريم ؛ لتتعرف عليها المرأة المسلمة ومن ثم تتخلق بها اقتداء بالصالحات وحذراً من صفات الطالحات .

٢) تفيد الدراسة الأسرة المسلمة في التعرف على القيم الخلقية التي ينبغي غرسها في الفتاة منذ نعومة أظفارها .

٣) وتعمـــل الدراســـة على مساعدة الأسرة المسلمة على تربية الفتاة الخلقية ، بتقديم برنامج عملي لكيفية غرس القيم الخُلقية المستنبطة من قصص النساء في القرآن الكريم في الفتاة المسلمة ، حيث إن الأسرة هي البيئة الأولى التي تتلقى فيها الفتاة الأخلاق حسنها وسيئها .

أهداف الدراسة :

سعت الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية :

١) بيان مفهوم قصص النساء في القرآن ومميزاتها ودلالاتها التربوية .

٢) استنباط أبرز القيم الخُلقية المحتوى في قصص النساء في القرآن الكريم .

٣) تقديم تصور مقترح يساعد الأسرة في تنشئة الفتاة المسلمة على القيم الخُلقية المستنبطة من قصص النساء في القرآن الكريم.

أسئلة الدراسة :

البحث يجيب عن تساؤل رئيسي مؤداه:

ما القيم الخُلقية المستنبطة من قصص النساء في القرآن الكريم ، وما دور الأسرة في تربية الفتاة المسلمة عليها ؟

والإجابة عن هذا التساؤل يقود إلى طرح عدد من التساؤلات الفرعية تشكل إجابة للسؤال الرئيسي :

- ما مفهوم قصص النساء في القرآن الكريم وما مميزاتها وما دلالاتها التربوية ؟
- ما أبرز القيم الخُلقية المستنبطة من قصص النساء في القرآن الكريم ؟
- ما دور الأسرة المسلمة في تربية الفتاة على القيم الخلقية المستنبطة من قصص النساء في القرآن الكريم ؟

منهج الدراسة

اعتمدت الدراسة في دراسة القيم الخلقية في قصص النساء في القرآن على ثلاثة مناهج ، ترى الباحثة أنها تتناسب مع طبيعة هذا البحث ، وتسهم في تحقيق أهدافه . وفيما يلي توضيح إجرائي لكل منهج ، بتوضيح المقصود به ، وموقعه في الدراسة.

أولاً: المنهج الاستقرائي :

يعتبر المنهج الاستقرائي من المناهج الأساسية في التربية الإسلامية ، خاصة في الدراسات التأصيلية ؛ لأن "غياب منهج الاستقراء يعني غياب المنهج الصحيح في البحث" [1]. وهو منهج قائم على استقراء عدة حالات مختلفة ، بهدف الوصول إلى حكم كلي أو قاعدة عامة . ويعرف الإمام الغزالي الاستقراء بأنه: "تصفح أمور جزئية ليُحكَم بحكمِها على أمر يشمل تلك الجزئيات "[2]. ويعرف في مناهج البحث الحديثة على أنه : "كل استدلال يسير من الخاص إلى العام "[3] .

مما سبق يمكن القول إن المنهج الاستقرائي في التربية الإسلامية : هو تتبع واستقصاء نصوص الكتاب والسنة المتعلقة بموضوع الدراسة بهدف الوصول إلى قواعد وقيم تربوية إسلامية .

١- أحمد ، الطيب السنوسي . الاستقراء وأثره في القواعد الأصولية والفقهية . دار التدمرية . ١٤٢٤هـ . ص٣٤٧.

٢- الغزالي، أبو حامد محمد . المستصفى من علم الأصول . تحقيق: حمزة حافظ. شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر. جدة. (د.ت). ١/ ١٦١.

٣- بوحوش ، عمار . الذنيبات ، محمد. مناهج البحث العلمي أسس وأساليب . مكتبة المنار . الأردن . ١٤١٠هـ . ص١٣٤

وقد اعتمدت الباحثة على هذا المنهج في الدراسة الحالية ، حيث قامت بتتبع واستقراء جميع آيات قصص النساء الواردة في القرآن ، وما يتصل بها من آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية ، تعين الباحثة على فهم معاني القصة وأحداثها ومناسباتها ، لتكون تمهيداً وتأسيساً لاستنباط ما فيها من قيم تربوية .

ثانياً : المنهج الاستنباطي :

والمنهج الاستنباطي من المناهج الأصيلة في التربية الإسلامية ، وهو يلي المنهج الاستقرائي ويقوم عليه ، فبينما يقوم المنهج الاستقرائي بجمع النصوص المتعلقة بالبحث ، يأتي دور المنهج الاستنباطي ؛ لتحليل هذه النصوص واستخراج ما فيها من دلالات ومعانٍ ظاهرة وباطنة . ويعرف المنهج الاستنباطي في مناهج البحث العامة على أنه : "استخراج المعاني وإظهارها من خلال النصوص والمعاني المختلفة"[1]. بينما يعرف في مناهج التربية الإسلامية بأنه : "طريقة من طرق البحث لاستنتاج أفكار ومعلومات من النصوص وغيرها وفق ضوابط وقواعد محددة ومتعارف عليها" [2].

وقد استخدمت الباحثة هذا المنهج عند قراءة آيات قصص النساء في القرآن ، والأحاديث الواردة فيها ؛ لاستنباط ما بها من قيم خلقية ، ليستفاد منها في إبراز أساليب الأسرة في تربية الفتاة على هذه القيم .

ثالثا : أسلوب تحليل المحتوى :

كما استخدمت الدراسة أسلوب تحليل المحتوى في دراسة القيم الخلقية المتضمنة في قصص النساء في القرآن الكريم ، ويعرف هذا الأسلوب على أنه : أسلوب أو أداة للبحث العلمي يمكن أن يستخدمها الباحثون في مجالات بحثية متنوعة ، لوصف المحتوى الظاهر والمضمون الصريح للمادة المراد تحليلها من حيث الشكل والمضمون ، تلبية للاحتياجات البحثية المصاغة في تساؤلات البحث أو فروضه الأساسية ، وطبقا للتصنيفات التي يحددها الباحث[3].

وهناك نوعان أساسيان من تحليل المحتوى : أحدهما يعرف بالتحليل الكمي ، ويعرف الآخر بالتحليل الكيفي . ويختص التحليل الكمي بحصر عدد مرات تكرار الظاهرة ، بينما يختص التحليل الكيفي بوجود أو عدم وجود الظاهرة دون أهمية لعدد مرات تكرار ذكرها.

واستخدمت الدراسة منهج تحليل المحتوى ؛ لتحديد القيم الخُلقية الواردة في قصص النساء في القرآن ، ومعرفة مواضعها في هذه القصص . حيث قامت الباحثة بتحليل آيات قصص النساء في القرآن ، وتحديد ما احتوته من قيم خُلقية ، بشكل صريح أو ضمني ، ومن ثم تدرج ضمن الموضع الخاص بها في الدراسة . ووحدة التحليل التي استخدمتها الدراسة في هذا الأسلوب هي : وحدة الكلمة ووحدة الموقف ، وسيأتي تفصيل هذا الأسلوب وخطواته في الفصل الخاص بالتحليل [4] .

١- الدغيمي ،محمد راكان . أساليب البحث العلمي ومصادر الدراسات الإسلامية . مكتبة الرسالة عمان . الأردن . ١٤١٧هـ .ص٨٤.

٢- يالجن ، مقداد . مناهج البحث وتطبيقاتها في التربية الاسلامية. دار علم الكتب . للطباعة والنشر والتوزيع .١٤١٩هـ . ص٢٢.

٣ - حسين ، سمير محمد . تحليل المضمون. عالم الكتب . القاهرة. ١٩٨٣م. ص ٢٢.

٤- أنظر : منطلقات منهجية ص ٢٠٤ من الرسالة .

وفيما يلي عرض لخطوات تطبيق هذه المناهج في الدراسة الحالية :

١) التتبع والاستقراء لجميع آيات القرآن الكريم ، لجمع الآيات الواردة عن كل قصة من قصص النساء في القرآن الكريم .

٢) قراءة مستوعبة لتفسير الآيات الواردة في القصة المرادة من قصص النساء في القرآن الكريم ، بالرجوع لكتب التفسير ، لفهم معنى الآيات وشخصية القصة وأحداثها .

٣) جمع الأحاديث الصحيحة والحسنة الواردة في القصة ، من كتب السنة (١) ؛ لزيادة فهم معاني الآيات وأحداث القصة .

٤) الرجوع للدراسات العلمية التي تناولت قصص النساء في القرآن الكريم ؛ للاستفادة منها في تفسير آيات القصص ، وما تضمنته من معلومات وفوائد وأحكام ، تفيد الدراسة الحالية (٢) .

٥) تحديد مبدئي لمجموعة من القيم الخُلقية المحتوى في قصص النساء في القرآن الكريم ، وتخصيص بعض منها بالدراسة .

٦) تحديد مواضع ورود القيم الخُلقية صراحة ، بصورة إيجابية وسلبية ، في آيات كل قصة من قصص النساء في القرآن ، مع ذكر تكرارها.

٧) تحديد مواضع ورود القيم الخُلقية ضمناً ، بصورة إيجابية وسلبية ، في آيات كل قصة من قصص النساء في القرآن الكريم .

٨) التأكد من ثبات التحليل عن طريق قيام الباحثة بالتحليل أكثر من مرة لنفس المحتوى باستخدام نفس الإجراءات وفي فترات زمنية مختلفة.

٩) دراسة كل قيمة خُلقية مستنبطة من هذه القصص بشكل مفرد ، وإيضاح مفهومها وأهميتها وأقسامها.

١٠) استثمار ما تضمنته هذه القصص من قيم خلقية في تقديم برنامج عملياً يساعد الأسرة على تنشئة الفتاة على القيم الخلقية المستنبطة من قصص النساء في القرآن الكريم .

حدود الدراسة

إن الإطار الذي تعمل خلاله هذه الدراسة يظهر فيما يلي:

١- في دراسة قصص النساء في القرآن ، اقتصرت الباحثة على ثلاث عشرة قصة ، وهي : قصة حواء ، و قصة امرأة نوح ، و قصة سارة زوجة إبراهيم عليهما السلام ، و قصة امرأة لوط عليه السلام وبناته ، و قصة امرأة العزيز والنسوة مع يوسف عليه السلام ، و قصة أم موسى وزوجته وأخته وآسية عليهم السلام ، وقصة ملكة سبأ عليها السلام ، و قصة مريم وأمها عليهما السلام ، وقصة عائشة في حادثة الإفك ، وقصة زينب بنت

١- اقتصرت الدراسة على تسعة كتب من كتب السنة هي : صحيح البخاري ، صحيح مسلم ، سنن الترمذي ، وسنن أبي داود ، وسنن ابن ماجه ، وسنن النسائي ، مسند الإمام أحمد، وموطأ مالك ، الأدب المفرد للبخاري .

٢- أنظر : الدراسات السابقة ص ١١ من الرسالة .

جحـــش ، وقصة عائشة وحفصة رضي الله عنهن في آيات التحريم ، و قصة المجادِلة رضي الله عنها ، و قصة امرأة أبي لهب .

٢- كما تتناول الدراسة القيم الخُلقية في هذه القصص دون غيرها من القيم التي تضمنتها هذه القصص .

٣- واقتصرت الدراسة على خمس عشرة قيمة خُلقية ، من القيم الخُلقية الواردة في هذا القصص وهي: الطاعة، والصبر ، والأمانة، والصدق ، والحكمة ، والرحمة ، والحياء ، والعفة ، والكرم ، والوفاء ، والمحبة ، والشجاعة ، والغيرة ، والتعاون ، والشورى.

٤- اقتصرت الدراسة على دور الأسرة في تنشئة الفتاة على القيم الخلقية المستنبطة من قصص النساء في القرآن.

مصطلحات الدراسة

يتضـــمن هـــذا البحث العديد من المصطلحات التي سيتم مناقشتها وإيضاح مدلولاتها في مواضعها من البحث حين ورودها ، ويُكتفى هنا بإبراز مفاهيم بعض المصطلحات وفقاً لما اعتمدته الباحثة في الدراسة .

١) **القصة القرآنية** : كل خبر جاء في القرآن واحتوى على ذواتٍ وأحداثٍ .

٢) **قصص النساء في القرآن** : كل قصة قرآنية كانت المرأة إحدى شخصياتها.

٣) **القـــيم الخلقية** : معايير منظمة للسلوك الإنساني مصدرها القرآن الكريم والسنة النبوية ، ثابتة لحماية المقاصد الشرعية ، مؤثرة على اتجاهات ورغبات واهتمامات الفرد والمجتمع.

٤) **الدور** : " مجموعة من الممارسات التربوية الإسلامية يمكن أن يقوم بها فرد أو جماعة لإحداث تغيير أو آثار في بناء شخصية المسلم "(١).

٥) **الأسرة** : تنظيم اجتماعي شرعه الإسلام ، يتكون في أساسه من زوجين وأولاد ، وقد يزيد بدخول أفراد آخرين من أولي القربة أو الخدم أو من تكفلت الأسرة برعايتهم كالأيتام ، شريطة عيشهم في مسكن واحد ، وهو مكلف برعاية النشء وتربيتهم دينياً وأخلاقياً وعقلياً ونفسياً ، بما يمتلكونه من سلطة وقوة ، ولكل فرد فيه حقوق وعليه واجبات محددة شرعاً.

٦) **الفـــتاة** : في اللغـــة : الفتاء : الشباب ، والفَتى و الفَتِيَّة : الشاب والشابة ، والفعل فتو يفتو فتاء . والأنثى فَتاة والجمع فتيات ، وتصغير الفتاة فُتَيَّةٌ ، والفتى فُتَيٌّ (٢).

وفي الاصطلاح : هي الأنثى من الولد ، أو الأنثى من بني الإنسان .

ويقصد بالفتاة في هذه الدراسة : الأنثى من مرحلة الطفولة المبكرة وحتى مرحلة المراهقة المتأخرة ، أي ما بين سن سنتين إلى إحدى وعشرين سنة .

١- الغامدي ، عبد الرحمن حجر . دور الاسرة المسلمة في تربية أولادها في مرحلة البلوغ . دار الخريجي . الرياض . ١٤١٨هـ . ص ١٢.

٢- ابن منظور ، محمد بن مكرم. لسان العرب . دار احياء التراث العربي . مؤسسة التاريخ العربي . بيروت. ١٤١٦هـ . مادة فتا.

الدراسات السابقة :

حاولـت الباحثة التوصل إلى دراسات سابقة ذات صلة بموضوع الدراسة ، واستعانت في ذلك بدليل الرسائل الجامعية المناقشة والمسجلة في جامعة أم القرى ، وبمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ومكتـبة الملـك فهد الوطنية ، وبالبحث المباشر في بعض الرسائل الجامعية . فلم تعثر الباحثة على أي دراسة علمـية بـنفس العـنوان والمحتوى . كما اتضح للباحثة أن هناك بعض الرسائل الجامعية والتي تعد ذات صلة بموضوع الدراسة الحالية ، وسيتم استعراض الدراسات السابقة ، التي أمكن الحصول عليها ، وفق أربعة محاور ، تصـنف فيها الدراسات بحسب الموضوعات التي تناولتها ، والجانب الذي أفادت منه الدراسة، مرتبة بحسب الدرجة العلمية للرسالة ، وتاريخ المناقشة . وتجدر الإشارة إلى أن كل محور من المحاور التالية قد تناولته الكثير من الدراسات ، ولكن الباحثة قد اقتصرت في العرض على الدراسات التي كان لها أثر على الدراسة الحالية.

المحور الأول :
الدراسات التي تناولت قصص النساء في القرآن.

١) دراسـة بعنوان : **قصص النساء في القرآن** . للباحث محمد ناصر الحميد وهي رسالة دكتوراه منشورة ، مقدمـة إلى قسم التفسير بكلية القرآن والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلاميـة في المدينة المنـورة ، عام ١٤١٨هـ [١] .

وكـان الهدف من هذه الدراسة تحديد قصص النساء الواردة في القرآن ، وجمعها وتصنيفها وتفسيرها ، واسـتنباط الـدروس والعبر والأحكام المستفادة منها . وقد اعتمد الباحث في منهجه على التتبع والاستقراء لآيات القرآن المتعلقة بموضوع البحث ، مع تبيين غريب ألفاظ آيات القصة، وعرض القصة القرآنية مقتصراً في ذلـك على ما ورد في القرآن ، وإن كان في السنة ما هو تابع لتلك القصة القرآنية أو مبيناً لها ذكره ، وذكر الـروايات والأخـبار الواردة عن بعض السلف والمنقولة عن بني إسرائيل وغيرهم مع نقدها. وذكر الأحكام والدروس والعبر المستفادة من القصة.

وكان أبرز ما توصلت إليه الدراسة ، أنه قد ورد في القرآن ثمان وعشرون قصة من قصص النساء ، وهذا يدل على عناية القرآن بالمرأة.

وتتشابه الدراسة الحالية مع الدراسة السابقة في تناولهما لقصص النساء في القرآن واستخراج الفوائد والعبر منها . غير أن الدراسة السابقة تركز على جانب الجمع والتصنيف و التفسير والشرح لهذه القصص ، استناداً إلى الكتاب والسنة ، وما ورد عن هذه القصص من الإسرائيليات . بينما تعتني الدراسة الحالية بالجانب التربوي الأخلاقـي مـن حيث ما تضمنته هذه القصص من قيم خلقية ، أي أن الدراسة الحالية تهدف لإبراز الجانب التطبيقي لهذه القصص لتساعد الأسرة في تكوين تصور عن الأخلاقيات التي ينبغي غرسها في الفتاة .

١- الحميد ،محمد ناصر . قصص النساء في القرآن الكريم .دار الكتاب والسنة . ١٤٢٢هـ .

وهذه الرسالة قد جعلت الباحثة تشعر بأهمية الموضوع ، وأنه جدير بمزيد من الدراسة والبحث خاصة في الجانب التربوي ، وقد استفادت الدراسة الحالية من الدراسة السابقة في تحديد قصص النساء الواردة في القرآن، عددها ومواضعها وتفسيرها وأنواعها ، وما احتوته من استشهادات وفوائد و معلومات حول هذه القصص .

٢) دراســـة بعـــنوان : **المرأة في القصص القرآني** . للباحث أحمد محمد الشرقاوي . وهي رسالة دكتوراه منشورة مقدمة إلى جامعة الأزهر الشريف كلية أصول الدين والدعوة ، قسم التفسير وعلوم القرآن[١].

قامت هذه الدراسة باستنباط القصص القرآني الذي وردت المرأة فيه ، وإبراز دورها ومكانتها في القصص القرآني ، ومقارنتها بما جاء في العهدين القديم [٢] والجديد [٣] ، للرد على المفتريات الواردة فيها .

وقـــد ســـار الباحث في منهجه: بأن استعان بكثير من مراجع التفسير ، وعلوم القرآن ، وكتب السير ، والـــتاريخ ، والعقـــيدة ، والفقـــه ، واللغة ، وغير ذلك ، في إبراز معالم كل قصة وإيفائها حقها من التفسير والتحلـــيل والبيان ، مع التركيز على دور المرأة في القصة . وتناول الباحث في نهاية كل قصة أهم ما ورد فيها مـــن الأحكام والعبر ، خاصة ما يتعلق بالمرأة ، مع بيان معاني مفردات ألفاظ القرآن . كما رجع الباحث إلى العهديـــن القديم والجديد ؛ لبيان ما فيهما من التناقضات والأباطيل ، والمقارنة بينها وبين ما ورد في القرآن .

وكان من أبرز نتائج الدراسة :

- للمرأة في القصص القرآني مكانها ومكانتها ، فهي عنصر فعال وركن مهم في كثير من القصص القرآني.
- أن للقصـــص القرآني مقاصد سامية وأغراضاً حكيمة وفوائد عديدة ، تتواكب وتتناسب مع المقصد العام للقرآن الكريم .

وأبرز التوصيات :

- أن تهـــتم أجهـــزة الإعـــلام بمعالجة قضايا المرأة من منظور إسلامي وأن تركز على عرض النماذج الطيبة والأمثلة الحسنة للمرأة.
- إقامة مركز لدراسة قضايا المرأة المعاصرة من منظور إسلامي وإقامة المؤتمرات والمحاضرات في هذا الشأن.

وتتفق الدراستان في تناولهما لقصص المرأة في القرآن الكريم واستخراج ما تضمنته من دروس وعبر وفوائد وأحكـــام . وتخـــتلفان في هدف الدراسة ، فبينما تهدف الدراسة السابقة إلى تفسير الآيات الواردة في قصص النســـاء في القرآن بعد جمعها ، ومن ثم مقارنتها بما جاء في العهدين للرد على المفتريات الواردة فيها ، والتنبيه على كثير من الإسرائيليات التي تسربت إلى بعض كتب التفسير . فإن الدراسة الحالية تعمل على استنباط القيم الخلقـــية الـــواردة في قصص النساء في القرآن ، ووضع تصور لدور الأسرة في تربية الفتاة على القيم الخلقية المستنبطة من قصص النساء في القرآن .

١- الشرقاوي ،أحمد محمد . المرأة في القصص القرآني .دار السلام. القاهرة . ١٤٢١هـ.

٢- وهو التوراة ، ويشمل في الدراسة ٣٩ سفراً .

٣-وهو الإنجيل ، وهو بحسب الدراسة: مجموعة من الأناجيل والرسائل والرؤى التي يؤمن بها النصارى .

والباحثة قد استفادت من هذه الرسالة في خدمة الفصل الخاص بعرض قصص النساء في القرآن من حيث إدراك الجوانـــب المهمة في تفسير آيات كل قصة وما ورد فيها من أقوال واختلافات وترجيحات ، إضافة إلى تعليقات الباحث وما تضمنته من فوائد وشواهد حول هذه القصص.

٣) دراســـة بعـــنوان : **القصص القرآني بين الآباء والأبناء** . وهي رسالة ماجستير منشورة ، مقدمة من الباحـــث : عماد زهير حافظ ، إلى قسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى ، عام ١٤٠٨هـــ [1].

وتناولـــت هذه الدراسة جانباً من القصص القرآني ، وهو ما كان متعلقا بالآباء والأبناء ، وذلك بالجمع والتصنيف والتفسير واستخراج الفوائد والعبر منها. وسار الباحث وفق منهج يعتمد على قراءة مستوعبة لمعظم تفاسير القرآن في آيات القصة الواحدة ، مع البعد عن الإسرائيليات. واستخلاص الأقوال القوية في بيان النص القرآني ، وإبراز الأحكام الفقهية والفوائد البلاغية القرآنية في آيات القصص . ومن أهم نتائج الدراسة :

- ضرورة تحلي الفتيات بخلق الحياء لما فيه من إغلاق باب الفتن.
- إن بر الوالدين صفة أساسية دائمة من صفات المؤمن فينبغي أن لا ينشغل الابن عن بر أبويه في أي فترة من فترات حياته .

وتتفق الدراستان في الاهتمام بالقصص القرآني لاستنباط الدروس والفوائد منها ، كما أن هذه الدراسة قد احتوت على بعض قصص النساء في القرآن ، وذلك في قصة إبراهيم مع أبنائه، وقصة يعقوب مع أبنائه ،وقصة موسى مع أمه ، وقصة فتاتي مدين مع أبيهما ، وقصة مريم مع أمها وابنها .

ولكـــن الدراسة السابقة تناولت القصص القرآني المتعلق بالعلاقات بين الآباء والأبناء ، فقامت بجمع الآيـــات و تفسيرها والترجيح بين الأقوال عند اختلاف المفسرين وشرح القصص واستخراج الأحكام الفقهية والفوائد البلاغية والتربوية ، بينما اقتصرت الدراسة الحالية على قصص النساء في القرآن ، كما تحاول استنباط بعـــض القيم الخلقية منها ، لتقديم تصور مقترح لمساعدة الأسرة في غرس هذه القيم في شخصية الفتاة المسلمة المعاصرة .

وقـــد اســـتفادت الدراسة الحالية من الدراسة السابقة في الأبواب التي تضمنت قصص النساء في القرآن وهي: قصة إبراهيم مع أبنائه، وقصة يعقوب مع أبنائه ،وقصة موسى مع أمه ، وقصة فتاتي مدين مع أبيهما ، وقصة مريم مع أمها وابنها، وذلك فيما تضمنته من تفسير للآيات وتحليلات وأحكام وفوائد مستنبطة منها .

٤) دراســـة بعـــنوان : **قصص المرأة في القرآن الكريم** . وهي رسالة ماجستير منشورة للباحثة منى محمد هنداوي[2]. وكانت الباحثة تذكر قصص هؤلاء النسوة كما وردت في القرآن وكتب السنة والتفسير والسير مع الاستشهاد بالآيات القرآنية في ذلك ، وتقدمها بصورة أدبية مرتبة الأحداث والوقائع .

١- حافظ ،عماد زهير . القصص القرآني بين الآباء والأبناء .بحث لنيل درجة الماجستير في الكتاب والسنة .كلية الدعوة وأصول الدين .جامعة أم القرى .مكة المكرمة. ١٤٠٨هـــ .

٢- هنداوي ،منى محمد . قصص المرأة في القرآن الكريم .الناشر مكتبة وهبة . القاهرة . ١٤١٩هـــ .

وجاءت هذه الرسالة في ستة فصول تناولت المرأة في عصر آدم ، وعصر يوسف ، وعصر موسى ، وعصر سليمان ، وعصر محمد عليهم الصلاة والسلام .

وتلتقي الدراستان في أن كلاً منهما معنيٌّ بقصص المرأة في القرآن ، ولكن الدراسة السابقة تهدف إلى جمع مـا ورد فـيها من أقوال في الكتاب والسنة والسير والتاريخ ، ومن ثَم سرد قصص هؤلاء النسوة ، وعرضها بطريقة أدبية ، بينما تعمل الدراسة الحالية على استنباط القيم الأخلاقية المحتوى في هذه القصص لوضع تصور يساعد الأسرة على تنشئة الفتاة عليها .

وهـذه الدراسة جعلت الباحثة تتوجه نحو تخصيص هذه القصص بدراسة تربوية تكون مكملة لما سبقها مـن دراسـات ، ومسـاندة لما يليها ، وقد استفادت الدراسة الحالية من الدراسة السابقة فيما تضمنته تلك الدراسة من معلومات عن هؤلاء النسوة وما أوردته من استشهادات من كتب السنة والسير والتاريخ .

المحور الثاني :
الدراسات التي تناولت نواحي تربوية في القصص القرآني .

١) دراسـة بعـنوان : **القيم في القصص القرآني الكريم** . وهي رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة من الباحث : عبدالله محمد حريري ، إلى قسم أصول التربية بكلية التربية بجامعة طنطا ، عام ١٤٠٩هـ[1]

وكـان الهدف من هذه الدراسة إبراز القيم المتضمنة في ثلاث من القصص القرآني وهي : قصة إبراهيم ، ويوسف ، وموسى عليهم السلام .

وبـرزت أهمـية الدراسـة في السعي لتقديم معيار يصلح لتقويم النسق القيمي المعمول به في كل مجتمع إسلامي. واعتمدت الدراسة على أسلوب تحليل المحتوى للقصص القرآني ، وتضمن ست فئات حاكمة هي : القـيم الفردية ، والقيم الأسرية ، والقيم الاجتماعية ، والقيم الاقتصادية ، والقيم التربوية ، والقيم السياسية . وقد جعل الباحث وحدة التحليل هي: الموقف ، الذي ترسمه آية أو أكثر .وكانت أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة ما يلي :

- وفرت الدراسة أداة تحليل ذات حساسية عالية لرصد القيم المتضمنة في النصوص القرآنية
- أسفر تحليل قصص إبراهيم ويوسف وموسى عليهم السلام عن استنباط (٢١٠) قيم ، تتوزع بدرجات متفاوتة بين فئات التحليل الست المستخدمة في الدراسة.
- أظهـرت الدراسة انفراد كل قصة من القصص الثلاث بمجموعة من القيم مما يؤكد أهمية الاهتمام بتحليل القصص القرآني كله لاستجلاء ذخائر القيمية
- ميزت الدراسة في القيم المستنبطة بين الإيجابي منها (١٥٢) قيمة ، والسلبي (٥٨) قيمة

وجاءت التوصيات عديدة كان من أبرزها :

١- حريري ،عبدالله محمد أحمد . القيم في القصص القرآني الكريم .رسالة دكتوراه الفلسفة في التربية تخصص تربية إسلامية . قسم أصول التربية ، كلية التربية ، جامعة طنطا .مصر . ١٤٠٩هـ

- ضرورة قيام دراسات جادة تعكف على استكمال تحليل القصص القرآني كله وذلك لاستنباط ما يتضمنه من قيم ومثل عليا .

وتتشابه الدراستان في تناولهما للقيم في القصص القرآني ، وذلك من زاوية تربوية ، لاستنباط ما حوته من قيم جمة ، واستخدامهما لأسلوب تحليل المحتوى في دراسة القصص القرآني .

ولكـــن أوجـــه الاخـــتلاف بينهما يظهر في أمور ، فقد اقتصرت الدراسة السابقة على قصص إبراهيم ويوسف وموسى عليهم السلام الواردة في القرآن ، وعمدت إلى إبراز جميع القيم المتضمنة فيها ، كما ركزت الدراسة السابقة على الجانب التحليلي – الكمي والكيفي- في القيم المستنبطة من هذه القصص ، دون التطرق للنواحي التطبيقية لهذه القيم في المؤسسات التربوية. بينما اقتصرت الدراسة الحالية على تناول قصص النساء في القـــرآن وإلى إبراز القيم الأخلاقية في هذه القصص ، وبالإضافة لسعي الدراسة الحالية إلى تحليل القيم الخلقية المحـــتوى في هذه القصص من ناحية كمية وكيفية ؛ فإنها تعمل على إبراز دور الأسرة في تنشئة الفتاة المسلمة على هذه القيم الخلقية المستنبطة من قصص النساء في القرآن .

والباحثة قد استفادت من الدراسة السابقة في منهج الدراسة وأدواتها وفي القيم الخلقية التي استنبطتها.

٢) دراســـة بعنوان : **القيم التربوية في القصص القرآني** . وهي رسالة ماجستير منشورة ، للباحث : سيد أحمد السيد طهطاوي . مقدمة إلى كلية التربية بجامعة أسيوط عام ١٩٨٥م [١].

وتهـــدف الدراســـة إلى التعرف على أهم القيم التربوية في قصص القرآن ، التي يمكن أن تسهم في خلق وتنمـــية الشخصية المتكاملة الجوانب للإنسان المسلم . ودراسة وسائل التربية الإسلامية وأساليبها ، التي تؤدي دوراً مهماً في غرس وتنمية القيم السامية في نفوس النشء ، من خلال القصص القرآني.

واتـــبع الباحث منهج تحليل المحتويات ؛ لاستخراج بعض القيم التربوية التي وردت في القصص القرآني ، واســـتنباط الانعكاسات التربوية لهذه القيم .وقد اشتملت الدراسة على خمسة فصول ، جاء الفصل الثالث : القيم التربوية في القصص القرآني ، والفصل الرابع : وسائل التربية الإسلامية وأساليبها في غرس القيم التربوية من خلال القصص القرآني ؛ ليكونا من أبرز فصول الدراسة .

وكان من أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

- أن القيم الخلقية قيم متناسقة مع العقيدة الإسلامية وأهم القيم الخلقية في القصص القرآني هي الرحمة واللين والعدل والصدق والصبر والعفو والصفح والمحبة والخلق والنقاء والطهر والطاعة والتقوى .

وأبرز التوصيات :

- أنه ليس من مفهوم الإسلام أن يكون العلم للعلم منفصلاً عن العلم للمجتمع ، ومن ثم فإن التربية العلمية في المجتمع المسلم ينبغي أن تعبر عما يعنيه الاشتغال بالعلم من قيم خلقية لا تتعارض مع الدين.

١- طهطاوي ،سيد أحمد . القيم التربوية في القصص القرآني .دار الفكر العربي . ١٤١٦هـ.

- أن بعـــض القيم المستوردة من الغرب أو الشرق لا تتلاءم مع ديننا لذلك ينبغي تعديل مناهجنا بحيث تتجه إلى القيم الإسلامية .

وقد اقترح الباحث في خاتمة البحث مجموعة من الدراسات كان من أبرزها : عمل دراسة بعنوان : القيم الأخلاقية في ضوء القصص القرآني .

وتلـــتقي الدراستان في عنايتهما بالقيم التربوية المحتوى في القصص القرآني ، وفي استخدامهما لأسلوب تحلـــيل المحـــتوى لدراسة القصص القرآني . وتختلفان في أن الدراسة السابقة تناولت القصص القرآني ككل ، وشملت جميع القيم التربوية في القصص القرآني . بينما اقتصرت الدراسة الحالية على قصص النساء في القرآن ، والقـــيم الخلقية الموجودة فيها دون غيرها من القيم . إضافة إلى تطرقها لدور الأسرة في تنشئة الفتاة على القيم الخلقية المستنبطة من هذه القصص .

وقـــد اســـتفادت الباحـــثة من الدراسة السابقة فيما استنبطته من قيم تربوية معبرة عن النظرية التربوية الإســـلامية ، ومن فصل القيم والتربية ، وفصل وسائل التربية الإسلامية وأساليبها في غرس القيم التربوية من خلال القصص القرآني .

٣) الدراســـة بعنوان : **الأهداف التربوية في القصص القرآني** . وهي رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة مـــن الباحث :مدهش علي خالد أحمد ، إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، بكلية التربية بجامعة أم القرى ، عام ١٤٠٩هـــ [١].

وتهدف الدراسة إلى بيان طبيعة القصص القرآني وخصائصه وأنواعه ودوره في التربية الإسلامية ، ومدى تحقق الأهداف التربوية من خلال القصص القرآني .

واعتمدت الدراسة على المنهج الاستنباطي والاستدلالي وأسلوب تحليل المحتوى .

ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة :

- دراســـة الأهـــداف الـــتربوية في ضوء القصص القرآني تعمل على حل كثير من الصعوبات التي تعترض التلاميذ.
- القصة القرآنية هي الأسلوب الفاعل في تربية الإنسان وربط حاضره بماضيه.

ومن أبرز التوصيات :

- التركيز في معالجة القصة القرآنية على النماذج البشرية العامة التي تساعد التلميذ في التوجيه والمشاركة .

ووجه التشابه بين الدراسة الحالية والدراسة السابقة في أن كلاً منهما يتناول القصص القرآني ، كأسلوب من أساليب التربية القرآنية ، واعتمادهما – في المنهج – على أسلوب تحليل المحتوى .

وتخـــتلف الدراستان في أن الدراسة السابقة تناولت القصص القرآني ككل على تعدد أنواعه ، وقد عنيت بالأهداف التربوية في القصص القرآني ، أما الدراسة الحالية فستقتصر على دراسة قصص النساء في القرآن دون

١- أحمـــد ، مدهش علي خالد . الأهداف التربوية في القصص القرآني .بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة ، كلية التربية بمكة المكرمة جامعة أم القرى . ١٤٠٩هـــ

غيرها ، كما تهتم بالقيم الخلقية فيها ، وتتعرض الدراسة الحالية لدور الأسرة في الاستفادة من القيم الخلقية في قصص النساء في تربية الفتاة عليها ، وهذا ما لم تتعرض له الدراسة السابقة.

واستفادت الدراسة الحالية من الدراسة السابقة في ما احتوته من معلومات حول القصة القرآنية ودورها التربوي ، ومكانة القصة بين الأساليب التربوية المختلفة .

المحور الثالث :
الدراسات التي تناولت دور الأسرة في التربية الخلقية للأبناء.

١) دراسة بعنوان: **دور الأسرة في تربية أولادها في مرحلة البلوغ** . للباحث : عبد الرحمن عبد الخالق الغامدي . وهي رسالة دكتوراه تقدم بها الباحث إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية العلوم الاجتماعية ، عام ١٤١١هـ [1].

وتهدف الدراسة إلى الوقوف على الدور التربوي للأسرة المسلمة في التأثير على الشخصية المسلمة في مرحلة البلوغ ، وتبصير الآباء والأمهات بمسئولياتهم التربوية . مع تكوين وعي بخطورة إهمال الأسرة لهذا الدور. وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي ، والمنهج الاستنباطي ، والمنهج التاريخي. وقد توصلت الدراسة للعديد من النتائج كان من أبرزها :

- إن دور الأسرة التربوي في مرحلة البلوغ يتميز عن دورها في بقية مراحل النمو الأخرى .
- إن المنهج التربوي الإسلامي الذي تنشئ الأسرة المسلمة أولادها البالغين عليه منهج متميز عن غيره من المناهج التربوية .
- يوجد العديد من الأساليب والوسائل التربوية التي تعين الأسرة على تحقيق وظائفها التربوية .

أما أبرز التوصيات فكانت ما يلي:

- على الأسرة أن تتعلم كيف تربي أولادها تربية سليمة وشاملة لجميع جوانب الشخصية الجسمية والعقلية والأخلاقية وغيرها .
- ينبغي على الأسرة أن تبتعد عن الوسائل الخاطئة في تربية أولادها مثل استخدام القسوة والشدة والاستهزاء بالأبناء وغيرها .
- ينبغي على الأسرة أن تواجه الميوعة والتحلل والانحراف بين البالغين بكل حزم مع القضاء على أماكن الفساد ومنع الأبناء من التأثر بها ما أمكن .

ووجه التشابه بين هذه الدراسة والدراسة الحالية أن كلاً منهما يهدف إلى تبصير الأسرة بدورها التربوي الهام في مجال تربية الأبناء على القيم والمبادئ الإسلامية ، مع الحرص على الوقوف على أفضل الأساليب والوسائل التربوية التي يمكن للأسرة الاستعانة بها في تربية الأبناء .

١- الغامدي، عبد الرحمن بن عبد الخالق حجر. دور الأسرة المسلمة في تربية أولادها في مرحلة البلوغ . دار الخريجي . الرياض .١٤١٨هـ.

وتختلف الدراستان في أن دراسة الغامدي تتناول دور الأسرة في تربية الابن في مرحلة البلوغ فقط سواء كان ذكراً أو أنثى ، بينما تخصص الدراسة الحالية دور الأسرة في تربية الفتاة في مرحلتي الطفولة والمراهقة . كما أن دراسة الغامدي تشمل على دور الأسرة في تربية الابن من جوانب عدة : الإيمانية والروحية والعقلية والأخلاقية والاجتماعية والصحية . بينما تخصص الدراسة الحالية دراسة دور الأسرة في تربية الفتاة الأخلاقية فقط.

وقد استفادت الدراسة الحالية من الدراسة السابقة في فصل خصائص الأسرة المسلمة ، وفصل دور الأسرة المسلمة في التربية الأخلاقية والاجتماعية ، مع الاستفادة على وجه العموم مما تضمنته هذه الدراسة من أساليب ووسائل تعين الأسرة على تربية الأبناء.

٢) دراسة بعنوان :**التوجيه الإسلامي للتنشئة الخلقية بين الأسرة والمجتمع**. وهو بحث مقدم من الباحث : خالد حامد الحازمي ، لنيل درجة الدكتوراه من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، كلية الدعوة وأصول الدين قسم التربية ، عام ١٤١٣هـ [١].

وتهدف الدراسة إلى الوقوف على التوجيه الإسلامي للتنشئة الخلقية، وبيان وظيفة الأسرة في البناء الخلقي، وبيان أسس البناء الخلقي للمجتمع الإسلامي . وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي لوصف الأخلاق الإسلامية وما تتضمنه من فضائل وآداب وأسس . ومن أبرز نتائج الدراسة :

- أن هناك مصادر إسلامية متعددة ، تعتبر أساساً لانطلاق الدراسات الحديثة بدلاً من الاعتماد على المصادر الأجنبية .
- تلبي التوجيهات الإسلامية متطلبات كل مرحلة من مراحل النمو الإنساني بما يلائمها من التوجيهات الخلقية .
- تواجه الأسرة المسلمة الكثير من التيارات التي تعرقل سيرها في مسيرة التنمية الخلقية المتكاملة ومن أبرزها أجهزة الإعلام .

ومن أبرز توصيات الدراسة :

- العمل على نشر وإيضاح وسائل وقواعد التربية الخلقية وفق المنهج الإسلامي عبر وسائط التربية للآباء والمربين والمسؤولين.
- توجيه وسائل الإعلام التوجيه الصحيح الذي يخدم التنشئة الخلقية الإسلامية .

وتتشابه الدراستان في الاهتمام بالأخلاق الإسلامية ، والتأكيد على أهميتها في بناء الشخصية المسلمة ، مع بيان دور الأسرة في تربية الأبناء عليها . وتختلفان في أن دراسة الحازمي تهدف إلى دراسة التنشئة الخلقية ودور الأسرة والمجتمع فيها ، بينما تهدف الدراسة الحالية إلى دراسة القيم الخلقية الإسلامية ، كما أن دراسة الحازمي

١- الحازمي، خالد حامد. التوجيه الإسلامي للتنشئة الخلقية بين الأسرة والمجتمع .رسالة دكتوراه مقدمة للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . كلية الدعوة وأصول الدين ، قسم التربية . عام ١٤١٣هـ.

تتناول دور الأسرة والعديد من وسائط التربية في التنشئة الخلقية للأبناء ، بينما تقتصر الدراسة الحالية على دراسة الأسرة ودورها في تربية الفتاة على القيم الخلقية .

وقد استفادت الباحثة من الدراسة السابقة في إثراء الفصل الخاص بالأسرة ودورها التربوي في تنشئة الفتاة الخلقية ، مع الاستفادة من حديثه حول الأخلاق فيما يخدم فصل القيم الخلقية .

٣) دراسة بعنوان : **القيم الأخلاقية لدى الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة وعلاقتها ببعض المتغيرات الخاصة بالأم المتعلمة** . للباحثة : إبتسام محمد أبو خوات، وهي عبارة عن رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم أصول التربية بكلية التربية بجامعة الأسكندرية ، عام ١٩٩٥م [1].

تهدف الدراسة إلى الكشف عما لدى الأطفال من قيم أخلاقية في بداية طريق التعليم ، والتوصل إلى الصعوبات التي تعوق الأم عن أداء دورها في تربية أطفالها تربية أخلاقية سليمة من منظور إسلامي . وتظهر أهمية الدراسة في تأكيدها على الدور الكبير الذي تلعبه الأم في إرساء القيم الأخلاقية وتثبيتها في نفوس أطفالها. وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي ، في إحدى صوره وهي العلاقات المتبادلة . وجاءت الدراسة في ستة فصول ، كان أبرزها فصل القيم الأخلاقية في الإسلام وفصل الأسرة كمؤسسة تربوية ودور الأم فيها .

ومن أبرز النتائج التي توصلت لها :

- تأثير المستوى التعليمي للأم على القيم الأخلاقية لدى الطفل – بالنسبة لعينة البحث – فيرتفع كلما ارتفع المستوى التعليمي للأم ويستمر ذلك التأثير في الارتفاع حتى المؤهل المتوسط الذي يتساوى تقريباً تأثيره على قيم الطفل في تأثير مستويات الأم التعليمية الأعلى من المؤهل المتوسط .

وجاءت أبرز التوصيات على النحو التالي :

- ضرورة أن تعمل التربية على تعويض النقص الذي كثيراً ما يعانيه أطفالنا في منازلهم في مجال التربية الأخلاقية بالاعتماد على المنهج الإسلامي، والبحث عن أفضل الوسائل التربوية لتربية الناشئة.
- تبني منهج في التربية للوالديّة تتمثل فيه كافة الخبرات المربية للوالدين وبخاصة الأمهات والتي تساعدهن على القيام بدورهن الوظيفي في تربية الأطفال من وجهة نظر الإسلام على أن يدرس هذا المنهج للبنات في نهاية المرحلة الإعدادية أو بداية المرحلة الثانوية .

وتتشابه الدراستان في أن كلاً منهما معني بالقيم الأخلاقية الإسلامية ، وإبرازهما لدور الأم في تنشئة الأبناء على القيم الأخلاقية الإسلامية .

بينما تظهر أوجه الاختلاف بينهما في استخدم الدراسة السابقة للمنهج الوصفي في صورة العلاقات المتبادلة ، وهي دراسة ميدانية ، واقتصارها على الطفل – الذكر والأنثى – في مرحلة الطفولة المبكرة ، وإبراز دور الأم فقط في تربية الطفل على هذه القيم الأخلاقية، كما تناولت جانب الأخلاق في الإسلام بشكل عام، مع الاكتفاء بذكر القيم الأخلاقية الواجب توفرها لدى الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة . بينما تستخدم

١- أبو خوات ، ابتسام محمد محمد . القيم الأخلاقية لدى الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة وعلاقتها ببعض المتغيرات الخاصة بالأم المتعلمة .بحث مقدم للحصول على الماجستير في التربية (أصول التربية) . كلية التربية . جامعة الاسكندرية . ١٩٩٥م.

الدراســـة الحالـــية المنهج الاستنباطي والتحليلي في دراسة القيم الخلقية ، وهي دراسة نظرية، تعني بإبراز دور الأســـرة في تربية الفتاة في مرحلة الطفولة والمراهقة على القيم الأخلاقية المتضمنة في قصص النساء في القرآن الكـــريم ، واعـــتمدت على قصص النساء في القرآن الكريم لاستخراج ما تضمنته من قيم خلقية لتربى الفتاة عليها.

والباحثة قد استفادت من الدراسة السابقة من فصل القيم الأخلاقية في الإسلام ، وفصل الأسرة المسلمة كمؤسسة تربوية ودور الأم فيها ،وذلك في خدمة فصل القيم الخلقية في الإسلام، وفصل دور الأسرة المسلمة في تربية الفتاة.

٤) دراســـة بعـــنوان : **القـــيم الأخلاقـــية للأطفال وعلاقتها ببعض المتغيرات الأسرية الناجمة عن التغير الاجـــتماعي** . للباحثة : عواطف بنت إبراهيم الصقري . وهي رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم التربية وعلم النفس بكلية التربية للبنات للأقسام الأدبية بالقصيم ، عام ١٤٢١هـ[1].

وتهـــدف الدراسة إلى التعرف على بعض العوامل الأسرية التي تؤثر سلباً وإيجاباً على القيم الأخلاقية لدى الأطفـــال ، مـــن خلال الكشف على الفروق الفردية بين الأطفال وعلاقة ذلك بمتغيرات تعليم وعمل الأم ، ووجـــود خادمات أجنبيات . وهي دراسة ميدانية اعتمدت على المنهج الوصفي الارتباطي . وعن أبرز نتائج الدراسة :

- لا توجـــد فـــروق ذات دلالـــة إحصائية بين المتوسطات الحسابية لدرجات أطفال الأمهات ذوات المستويات التعليمية المختلفة على القيم الأخلاقية.
- لا توجـــد فـــروق ذات دلالة إحصائية بين المتوسطات الحسابية لدرجات أطفال الأمهات العاملات وأطفال الأمهات غير العاملات على القيم الأخلاقية .

وعن أبرز التوصيات:

- أن تهتم الأسرة بصقل القيم الأخلاقية في نفوس أطفالها ، من خلال الأساليب التربوية المناسبة.
- أن يحرص المجتمع بمختلف وسائله على تنمية ثقافة الأم التربوية بمختلف مستوياتها التعليمية.

وتتشـــابه الدراستان في عنايتهما بتربية الأبناء على القيم الخلقية الإسلامية ، من خلال إبراز دور مؤسسة الأســـرة في ذلك . وتختلفان في أن الدراسة السابقة هي دراسة ميدانية ، حددت مجالها في المتغيرات : المستوى التعلـــيمي للأم ، وعملها ، والخادمات الأجنبيات ؛ للتعرف على أثر هذه المتغيرات على القيم الأخلاقية لدى الأطفـــال ذكوراً وإناثاً . بينما الدراسة الحالية هي دراسة نظرية ، تهدف إلى إعطاء تصور عن أساليب الأسرة المعاصرة في تربية الفتاة على قيم الإسلام الخلقية ، والتي تم استنباطها من القصص القرآني.

وقـــد اســـتفادت الدراسة الحالية من الدراسة السابقة فيما احتوته من معلومات حول مؤسسة الأسرة ، خاصة في أساليب الأسرة التربوية في تربية الأبناء على هذه القيم ، وكذلك من فصل القيم الأخلاقية .

١- الصقري، عواطف إبراهيم . القيم الأخلاقية للأطفال وعلاقتها ببعض المتغيرات الأسرية الناجمة عن التغير الاجتماعي دراسة ميدانية بمنطقة القصيم . رسالة ماجستير . كلية التربية للبنات بالقصيم ، الأقسام الأدبية . قسم التربية وعلم النفس . ١٤٢١هـ .

المحور الرابع :
الدراسات التي تناولت التربية الخلقية للفتاة

١) دراسة بعنوان: **أسس تربية الفتاة في الإسلام** . وهي من إعداد الباحث : عدنان حسن باحارث . وهي دراسة دكتوراه ، مقدمة إلى قسم التربية في كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، عام ١٤٢٢هـ [١].

وتهدف الدراسة إلى التعرف على الأسس الإسلامية لتربية الفتاة في مرحلة الشباب من جوانب التربية الإسلامية ، ووضع معيار ليقاس به مدى تطبيق أهداف تربية الفتاة المسلمة المعاصرة .

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الاستنباطي ، والمنهج التاريخي ، والمنهج الوصفي التحليلي .

وأبرز النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث :

- يعتبر خلق الصدق والحياء والعفة والرحمة والأدب ونحوها من أهم الأخلاق الضرورية ؛ لتكوين شخصية الفتاة المسلمة ، وألصقها بطبيعتها الأنثوية . وهذا يتطلب تربية الفتاة على هذه الأخلاق وتدريبها عليها ، والترقي بها في درجات الكمال .
- تعتبر الأسرة أهم مؤسسات المجتمع لتربية الفتاة ، فعليها تتوقف مسئولية نقل معايير المجتمع الأخلاقية إلى الفتاة وتدريبها عليها ، ومراقبتها في تنفيذها ، وهذا يستلزم دعم دور الأسرة في القيام بدورها في ضبط سلوك الفتاة وبناء شخصيتها.

وتتفق الدراستان في سعيهما نحو تربية الفتاة وفق منهج تربوي إسلامي ، يبصر الفتاة بمسئولياتها الدينية والخلقية والاجتماعية ، ويبين للوالدين الوسائل الممكنة لذلك .

ولكن تختلف الدراستان في أن دراسة باحارث تهدف إلى دراسة أسس تربية الفتاة في الإسلام ، وذلك من الناحية العقدية والأخلاقية والعقلية والصحية والاقتصادية ، وإلى بناء معيار ليقاس به مدى تطبيق أهداف تربية الفتاة المسلمة المعاصرة ، بينما تركز الدراسة الحالية على دراسة دور الأسرة في تربية الفتاة على القيم الخلقية .

وقد استفادت الباحثة من الدراسة السابقة في فصل أسس التربية الأخلاقية للفتاة المسلمة ، ومن نتائج الدراسة المتعلقة بأهم خصائص الفتاة الأخلاقية.

٢) الدراسة بعنوان: **الأسرة ودورها التربوي في التوجيه الخلقي لفتيات المرحلة المتوسطة دراسة ميدانية في مدينة مكة المكرمة** . وهي من إعداد الباحثة : سعدية مبارك اللهيبي ، وهو بحث مقدم إلى جامعة أم القرى لكلية التربية قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، عام ١٤١٨هـ [٢] .

١- باحارث ، عدنان حسن. أسس تربية الفتاة في الإسلام . دراسة مقدمة إلى قسم التربية في كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية لنيل درجة الدكتوراه. ١٤٢٢هـ

٢- اللهيبي، سعدية مبارك. الأسرة ودورها التربوي في التوجيه الخلقي لفتيات المرحلة المتوسطة . رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة أم القرى كلية التربية قسم التربية الإسلامية والمقارنة . ١٤١٨هـ

وتهـدف الدراسـة إلى التعرف على دور الأسرة في توجيه وتربية الفتاة خلقياً في المرحلة المتوسطة ، مع الـتعرف على دورها في غرس وتثبيت القيم الإسلامية والصفات الأخلاقية الحميدة ، والوسائل التربوية التي تساعدها على القيام بهذا الدور ، ومع بيان العوامل المؤثرة على هذه التربية الخلقية .

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي المسحي ، والمنهج الاستنباطي ، واستخدمت الإستبانة كأداة لاستطلاع آراء الآباء والأمهات حول دور الأسرة التربوي . وكان من أبرز نتائج الدراسة :

- حزم الأسرة السعودية مع الفتاة المراهقة إزاء العديد من التصرفات والممارسات الخاطئة .
- هناك العديد من الوسائل والأساليب التربوية التي تمارسها الأسرة أثناء العملية التربوية الأخلاقية .
- هناك العديد من التحديات والعوامل التي تعيق أداء الأسرة في العملية التربوية الأخلاقية .
- للأسرة دور كبير ومهم في غرس وتأصيل الصفات والقيم الأخلاقية التي حث عليها الإسلام .

وأوصت الدراسة بعدة توصيات كان من أهمها :

- أن تحرص الأسرة على تقديم القدوة الحسنة والمثل الأعلى للفتاة .
- أن تحرص الأسرة على تنمية الضمير الذاتي الأخلاقي للفتاة .

وتتشـابه دراسة اللهيبي مع الدراسة الحالية في أن كلاً منهما معني بدراسة الدور الهام للأسرة المسلمة في تربـية الفتاة أخلاقياً ، مع بيان الأساليب والوسائل التي تساعد على ذلك ، وإبراز التحديات التي تواجه هذه التربية .

ولكن موضع اختلافهما يظهر في أن دراسة اللهيبي قد كانت دراسة ميدانية ، طبقت على عينة من الآباء والأمهات ؛ بغرض التعرف على آرائهم حول دور الأسرة في التوجيه الخلقي للفتاة ، بينما الدراسة الحالية هي دراسة نظرية تهدف إلى إعطاء تصور عن دور الأسرة في تربية الفتاة على قيم خلقية مستنبطة من قصص النساء في القرآن ، وكيفية قيام الأسرة بهذا الدور .

وقد أفادت الدراسة الحالية من الدراسة السابقة في فصل الدور التربوي للأسرة المسلمة في التربية الخلقية ، وفي النتائج التي توصلت إليها الدراسة .

خلاصة الدراسات السابقة :

ومن العرض السابق يظهر أن الدراسة الحالية تلتقي مع الدراسات السابقة في أمور وتختلف عنها في أخر ، فالدراسات التي ظهرت في محور قصص النساء في القرآن ، كان جل تركيزها على تفسير آيات القصص ، مع بيان مفهوم وخصائص ومزايا القصص القرآني ، وشيء من فوائدها وأحكامها ، لكنها لم تولِ النواحي التربوية فيها اهتماماً كبيراً ؛ نظراً لطبيعة الدراسة وأهدافها . بينما ظهر في الدراسات التي تناولت النواحي التربوية في القصص القرآني أنها كانت تتحدث عن هذه النواحي التربوية بشكل متباين ومختلف ؛ نظراً لطبيعة كل دراسة وأهدافها ، فبعضها تناول القيم المبثوثة في هذه القصص بصورة كمية ، والبعض بصورة نظرية كيفية ، وبعضها اكــتفى بالأهداف التربوية الموجودة فيها ، بينما الآخر توسع في ذكر ما تضمنته من جوانب تربوية أخلاقية وعقديــة ونفسية وغيرها . ولكن يلاحظ عليها جميعاً أنها تناولت العديد من القصص ، وأحياناً كل القصص القــرآني . أمــا الدراســات السابقة والتي وردت في المحور الثالث وهو دور الأسرة في تربية الأبناء الخلقية ، والدراسات التي تناولت تربية الفتاة الخلقية ، فيلاحظ أن بعضها تناول القيم الخلقية بصورة محددة لبعض القيم الخلقــية ، وأحــياناً بصورة غير محددة لهذه القيم ، وقسم تناولها بصورة نظرية تأصيلية ، مبنية على المصادر التشريعية ، دون تحديد لمصدر معين ، ودراسات أخرى تناولتها بصورة ميدانية . كما أن الدراسات تباينت في المــراحل العمــرية التي تخاطبها ، فبعض الدراسات اكتفى بمرحلة البلوغ أو المراهقة ، والبعض اكتفى بمرحلة الطفولة . وكل هذا يدل على اتساع مجال دراسة القيم الخلقية الإسلامية من الناحية التأصيلية والميدانية . ولكن الدراســة الحالــية تختلف عن الدراسات السابقة في أهدافها وأسئلتها ومنهجها وطريقة معالجة موضوع القيم الخلقية، ويظهر ذلك في النواحي التالية :

- أنها دراسة نظرية تربط القيم الخلقية بمصدر التشريع الإسلامي الأول والأساسي وهو القرآن العظيم ، مما يجعل لها أثراً قوياً في نفس المتلقي .
- أنها تدرس قصص النساء في القرآن من زاوية تأصيلية تربوية .
- أنها تتناول جانب القيم الخلقية فقط في هذه القصص.
- أنها قد خصصت دراسة دور الأسرة التربوي في تربية أبنائها على هذه القيم دون باقي وسائط التربية .
- أنها قد خصصت تربية الفتاة على هذه القيم .

وتــأمل الباحــثة أن تكون هذه الدراسة إضافة علمية جديدة في البنيان التربوي الإسلامي يستفيد منها القارئ والأسرة المسلمة بشكل خاص ، وتوجِّه إلى مجالات بحثية تربوية جديدة .

الفصل الأول :

القيم الخُلقية في الإسلام

مدخل

لكي تحقق أي دراسة علمية أهدافها لابد وأن تسير في خطوات محددة ومنظمة سلفاً، تحقق كل خطوة هدفـــاً من أهداف الدراسة ، وتكون مرتكزاً لتحقيق الهدف التالي ، حتى تصل الدراسة إلى غايتها ومبتغاها ، والخطوة الأولى التي لا تُغفل في أي دراسة ، والتي تمثل العماد ،هي خطوة البناء المفاهيمي للدراسة ، لهذا جاء الفصـــل الأول والـــثاني للدراسة ليكونا عماد الدراسة وأساسها الذي تنبثق منه ، وتقوم عليه فصول الدراسة التالية ومباحثها.

وفي هـــذا الفصل يتوجه الحديث إلى مفهوم القيم الخلقية في الإسلام ، وأهميتها وخصائصها وأسسها ، ليمهد لاستنباط القيم الخلقية المتضمنة في قصص النساء في القرآن الكريم .

وهـــنا لا بـــد من التنبيه على أن موضوع القيم الأخلاقية ، من الموضوعات العلمية الدقيقة والمتشعبة ، وتـــدور حولـــهـــا الكثير من الاختلافات ، في تعريفها وغاياتها ومعاييرها ، على مستوى الفلسفة الواحدة ، ويشتد الخلاف ويحتدم بين الفلسفات والديانات المتعددة الصحيح منها والباطل ، وحتى في داخل إطار فلسفة التربـــية الإسلامية ، نجد هذا الاختلاف والتباين ؛ إلا أنه يختلف عن غيره في أن الأخلاق الإسلامية تنطلق من قواعـــد ومعـــايير ثابتة ، تجعل الاختلاف مداره في الفروع والنواحي التطبيقية . وعلى كل حال ، فإن مجال الدراسة الحالية يضيق عن استيعاب دراسة القيم الخلقية بالتحليل والتفصيل ، فهو موضوع يحتاج بذاته لدراسة علمية متخصصة . لذلك يقتصر الحديث عن القيم الخلقية في الدراسة وفق ما ترى الباحثة أنه يساعد في تكوين صـــورة متكاملة وشاملة عن القيم الخلقية ، تصلح أن تكون أساساً ومنطلقاً لاستنباط القيم الخلقية من قصص النساء في القرآن الكريم ، ويساعد الأسرة المسلمة في إدراك قيم الإسلام الخلقية ، من حيث المفهوم والأهداف والخصائص والحدود والأهمية التربوية .

ويأتي هذا الفصل في عدة مباحث :

المبحث الأول: مفهوم القيم الخلقية الإسلامية .

المبحث الثاني : أهمية القيم الخلقية الإسلامية.

المبحث الثالث : أهداف القيم الخلقية الإسلامية .

المبحث الرابع : خصائص القيم الخلقية الإسلامية .

المبحث الخامس: أسس القيم الخلقية الإسلامية .

المبحث الأول :

مفهوم القيم الخلقية الإسلامية

لأجل الوصول إلى تعريف للقيم الخلقية لابد من ملاحظة أنها تقوم على لفظ " القيم " ولفظ : "الأخلاق".وقد حظي كِلا اللفظين بالكثير من الدراسات ، ووضعت له تعريفات متعددة ومتنوعة ، وفيما يلي يتم استعراضها .

أولاً : مفهوم القيم .

في اللغة :

أصل القيمة في اللغة مأخوذة من مادة قام ، وقيل قوم . والمعنى الأصلي لها الاستقامة ، وثمن الشيء ومثيله. قال الأزهري : القيم الإستقامة ، ديناً قيماً : مستقيماً ، وقوام كل شيء : ما استقام به . والقِيمة : ثمن الشيء بالتقويم [١]. وقال الفيروز آبادي : "والقيمة بالكسر واحدة القيم وماله قيمة إذا لم يدم على شيء ، وقومت السلعة واستقمته ثمنته واستقام اعتدل وقومته عدلته فهو قويم ومستقيم" [٢].

وقال ابن منظور : القيمة: واحدة القيم ، وأصله الواو ، لأنه يقوم مقام الشيء ، والقيمة ثمن الشيء بالتقويم ، تقول : تقاوموه فيما بينهم ، وإذا انقاد الشيء واستمرت طريقته فقد استقام لوجهه . ويقال :كم قامت ناقتك ، أي كم بلغت [٣]. وقال ابن فارس : "قوَّمت الشيء تقويماً . وأصل القِيمة الواو ، وأصله أنك تُقيم هذا مكان ذاك" [٤]. وجاء في المعجم الوسيط في مادة قام : القيمة قيمة الشيء قدره ، وقيمة المتاع ثمنه ، ومن الإنسان طوله ، وجمعه قيم ، ويقال : ما لفلان قيمه : ماله ثبات ودوام على الأمر [٥] .

في الاصطلاح :

لقد حظي موضوع القيم بكثير من الدراسات ، وتناولته جميع الفلسفات ، والتي كلما زادت ؛ زاد اختلافها فيه ، حتى وصل لحد التضارب والتناقض . فبينما تتناوله المدارس الفلسفية المختلفة كل وفق اتجاهه الفلسفي ، فتختلف في مفهوم القيم وواضعها وإلزاميتها وموضوعيتها ، تتناوله العلوم الإنسانية ، وفق أطرها المرجعية ، وبما يتفق مع طبيعة علمها . فيعرف علماء النفس القيم باعتبار الرغبات والدوافع والحاجات والعواطف والسلوك . ويُعرفها علماء الاجتماع باعتبار الاهتمامات والمعتقدات والحدود . وقد أدى ذلك بدوره إلى ظهور اختلافات جذرية بين الباحثين والدارسين للقيم ، في تعريفها وتصنيفها . وقد سارت الدراسات العلمية للقيم في خطين متوازيين :

١- الأزهري ، محمد بن أحمد . معجم تهذيب اللغة . تحقيق: رياض زكي قاسم . دار المعرفة. بيروت . لبنان ، ١٤٢٢هـ . مادة قام .

٢- الفيروز آبادي ، محمد يعقوب. القاموس المحيط . دار الفكر . بيروت . (د.ت) . مادة القوم .

٣- ابن منظور ، محمد بن مكرم. لسان العرب . مرجع سابق. مادة قوم.

٤- ابن فارس ، أحمد. معجم مقاييس اللغة . دار الكتب العلمية ، إيران . (د.ت) . مادة قوم .

٥- مصطفى ، إبراهيم وآخرون . المعجم الوسيط . مجمع اللغة العربية . الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث . دار الدعوة . (د.ت) . مادة قام .

الأول : يعتمد على المنظور الفلسفي للقيم ، والذي يركز اهتمامه على ضبط وتحديد الخصائص البنائية للقيم ، أي معناها العام وخصائصها. ويتضمن هذا المنظور الفلسفة المثالية ، والتي تقوم على أساس أن الإنسان الكامل يستمد قيمه من العالم المعنوي ، لا من العالم المادي ، وهي قيم موضوعية ، وليست ذاتية ، وأن هذه القيم مطلقة وخالدة وثابتة . أما الفلسفة الواقعية ، فهي ترى أن القيم مطلقة حقيقية ، وموجودة في عالمنا المادي ، لا خيال فيها أو تصور ، وأن كل شيء فيه قيمته ، وبالإمكان الكشف عن القيم باستخدام العقل . والفلسفة البراجماتية ، تؤكد على أن القيم نسبية ، وليست ثابتة ، فهي تتغير من جيل إلى آخر ، وتقاس بنتائجها ومردودها على الفرد والمجتمع [١]

والثاني : يتمثل في المنظور الإجرائي ، والذي يجعل نصب عينيه تحديد الخصائص الوظيفية ، أي وظائف القيم وكيفية قياسها [٢]. وفيما يلي عرض لأشهر التعريفات الاصطلاحية وفق هذا المنظور للقيم :

١- القيم كاتجاهات : فيعرفها ستانجر Stagner بأنها "مصطلح للدلالة على نوع معين من الاتجاهات ، ولكنها أكثر تعميماً من الاتجاهات ولا تختلف عنها إلا من حيث الشدة والعمق" [٣] .

٢- القيم كاهتمامات : ويرى آخرون أنها تشير إلى الاهتمامات ، ومنهم بيري Perry فيقول "انها عنصر الاهتمام بشيء مما يجعل منه شيئاً ذا قيمة ، فالشيء يكون محملاً بالقيم إذا كان موضع اهتمام" [٤] .

٣- القيم كتفضيلات : فيعرفها كولبرج Kohlberge بأنها "تحمل معنى الإحساس بالرغبة ، وتندرج تحت (أحب – أفضل) على اعتبار أنها شيء مرغوب ويجب على الأفراد التمسك به " [٥].

٤- القيم كمعتقدات : فيقول روكتش Rockeach إن القيمة " معتقد واحد ، ذو خط من الدوام ، يحمل في طياته تفضيلاً شخصياً كان ، أو اجتماعياً لغاية معينة من غايات الوجود ، أو لضرب معين من ضروب السلوك الموصلة إلى هذه الغاية" [٦] .

٥- القيم كمعايير: فيعرفها ضياء زاهر بأنها " مجموعة من الأحكام المعيارية المتصلة بمضامين واقعية ، يتشربها الفرد من خلال انفعاله وتفاعله مع المواقف والخبرات المختلفة ويشترط أن تنال هذه الأحكام قبولاً من جماعة اجتماعية معينة حتى تتجسد في سياقات الفرد السلوكية أو اللفظية أو اتجاهاته واهتماماته" [٧] .

٦- القيم كتقويمات : فيعرفها كانترل Cantril بقوله " إن القيم هي اتجاهات تقويمية " [٨] .

١- القيسي ، مروان إبراهيم . المنظومة القيمية الإسلامية كما تحددت في القرآن الكريم والسنة الشريفة . مجلة دراسات . تصدر عن عمادة البحث العلمي ، الجامعة الأردنية . عمان الأردان . المجلد الثاني والعشرون. العدد السادس . رجب ١٤١٦هـ . ص٣٢٢٢.

٢- زاهر ، ضياء . القيم في العملية التربوية . مؤسسة الخليج العربي. القاهرة . ١٩٨٤م . ص١١-١٢.

٣- طهطاوي ، سيد أحمد . القيم التربوية في القصص القرآني . مرجع سابق. ص٤٣.

٤- محمد ، إلهام فاروق علي. دور المدرسة الإبتدائية في دعم بعض القيم الخلقية لدى التلاميذ . رسالة مقدمة لجامعة حلوان ، إلى قسم أصول التربية، للحصول على درجة الماجستير في التربية . (د.ت). ص٣١.

٥- الصالح ، عطية بن محمد أحمد . تنمية القيم الأخلاقية لدى طلاب مرحلة التعليم الأساسي العليا من وجهة نظر معلمي التربية الإسلامية في المملكة الأردنية الهاشمية . رسالة دكتوراه في الأصول الإسلامية للتربية . جامعة أم القرى . كلية التربية . قسم التربية الإسلامية والمقارنة . ١٤٢٥هـ . ص٥٦.

٦- محمد ، إلهام فاروق علي. دور المدرسة الإبتدائية في دعم بعض القيم الخلقية لدى التلاميذ . رسالة مقدمة لجامعة حلوان ، إلى قسم أصول التربية، للحصول على درجة الماجستير في التربية . (د.ت).ص٣١.

٧- زاهر ، ضياء . القيم في العملية التربوية . مرجع سابق. ص٢٤.

٨- طهطاوي ، سيد أحمد . القيم التربوية في القصص القرآني .مرجع سابق . ص٤٣.

٧-القيم كمحددات للسلوك : فيعرفها محي الدين حسين بأنها" محددات سلوك عندما يؤدي المرء سلوكاً معيناً ، أو يختار مساراً مفضلاً على سلوك أو مسار آخر ، فإنه يفعل هذا وفي ذهنه أن السلوك الأول إنما يساعده على تحقيق بعض من قيمه من السلوك الآخر"(١) .

٨-القيم كحاجات : فيعرفها هورد بيكر H. Beaker بقوله " إن القيم موضوعات تعبر عن حاجات " (٢).

وباستعراض التعريفات السابقة يُرى أن التفاوت الكبير في مفهوم القيم . فيُرى أنها مرادفة للاتجاهات أو الاهتمامات أو التفضيلات أو المعتقدات أو المعايير أو الحاجات أو هي محددات للسلوك أو تقويمات . وعند التأمل في هذه التعريفات يلاحظ أنها في الواقع اعتمدت على أجزاء ونتائج للقيم ، فالقيمة في الحقيقة تتضمن كلاً من الاتجاهات والمعايير والمعتقدات ، وتؤثر في الاهتمامات والتفضيلات والسلوك والحاجات والتقويم . لذلك يرى بعض الباحثين أن مفهوم القيم يتميز بخاصية أساسية ، هي أنه يقوم على أساس قضية معيارية ، وليس على أساس قضية وجودية فحسب ، وعلى هذا الأساس يمكننا أن نميز القيمة عن الدافع أو الرغبة أو الاتجاه أو غير ذلك من المفاهيم الدالة على السلوك الإنساني . فالقيمة مفهوم ينطوي على تلك المفاهيم جميعاً ، ويزيد عليها بالعنصر أو الشرط المعياري ، فإذا تحقق هذا الشرط في الدافع ، أي أصبح الدافع نحو الأفضل والأصوب أو الأجمل ، التقى الدافع مع القيمة . وكذلك الحال بالنسبة للميل والاتجاه ، وبالمثل في حالة المقاييس الكمية للسلوك الإنساني ، فإنها تلتقي مع القيم ، عندما يتحقق فيها الشرط المعياري ، أي عندما توضع تلك الكميات على مقاييس الحق والخير والجمال (٣) .

ويلاحظ على هذه التعريفات ، أنها جاءت متأثرة بالنظرية التربوية الغربية حتى التي صاغها مسلمون ؛ والسبب في ذلك ، أن علماء الغرب قد أولوا دراسة القيم – من الناحية الفلسفية ومن ناحية العلوم الإنسانية – عناية كبيرة ، ومعلوم أن النظرية التربوية الغربية قد قامت وهي منفصلة عن الدين ، ومنكرة لتأثيره ، لذلك لا تتناسب هذه التعريفات مع النظرية التربوية الإسلامية للقيم ، لأن القيم في التربية الإسلامية مبنية في أساسها على الشريعة الإسلامية ، لذلك يُنظر إليها على أنها ثوابت ، وليست أحكاماً نسبية ، تتغير من جيل إلى جيل ، ومن زمن لزمن .

> "ومما لاشك فيه أن القيمة في نظر الإسلام لا يمكن أن تكون كل شيء مرغوب فيه من شخص ما في وقت ما . ولا يمكن أن تكون كل شيء له قيمة في نظر الفرد أو المجتمع . كما لا يمكن أن تكون كل ما يتلاءم مع العقل ويوافقه ، وإن البناء العضوي لا يمكن أن يكون مصدر القيم في الإسلام ، كما لا يمكن أن يقال أن القيمة في الإسلام لا تُعرف إلا من خلال الحس ، أو يمكن استخلاصها من الأنشطة الإنسانية والمطالب الاجتماعية" (٤) .

١- حسين ، محي الدين أحمد . القيم الخاصة لدى المبدعين . دار المعارف . القاهرة . ١٩٨١م . ص٣٨.

٢- أبو خوات ، ابتسام محمد محمد . القيم الأخلاقية لدى الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة وعلاقتها ببعض المتغيرات الخاصة بالأم المتعلمة . مرجع سابق .ص٢٢

٣- إسماعيل، محمد عماد الدين . وآخرون . كيف نربي أطفالنا . دار النهضة العربية . ١٩٨٢م. ص ٢٣٢

٤- القيسي . مروان إبراهيم . المنظومة القيمية الإسلامية كما تحددت في القرآن الكريم والسنة الشريفة . مرجع سابق. ص٣٢٢٣.

والملاحظ أن القيم الإسلامية هي أقرب للمعايير ، وذلك لوجود أصول وقواعد شرعية ، تعتمد عليها وهي الكتاب والسنة ، والتي تتحكم في القيم من حيث وضعها وإلزاميتها وموضوعيتها ، وتؤثر بشكل مباشر في الاتجاهات والتفضيلات والاهتمامات والحاجات والسلوكيات والتقويمات ، التي تُظهرها الشخصية.

وقد برزت كثير من المحاولات لتعريف القيم وفق النظرة الإسلامية ، ومن هذه التعريفات :

تعريف مروان القيسي : " هي عبارة عن مجموعة من المثل العليا والغايات والمعتقدات والتشريعات والوسائل والضوابط والمعايير لسلوك الفرد والجماعة مصدرها الله عز وجل ، وهذه القيم هي التي تُحدد علاقة الإنسان وتوجهه إجمالاً وتفصيلاً مع الله تعالى ومع نفسه ومع البشر ومع الكون ، وتتضمن هذه القيم غايات ووسائل "(١)

وتعريف وضحة السويدي: "معايير تعبر عن الإيمان بمعتقدات راسخة مشتقة من مصدر ديني إسلامي تملي على الإنسان بشكل ثابت اختياره أو نهجه السلوكي في المواقف المختلفة التي يعيشها أو يمر بها وهي إيجابية ، صريحة أو ضمنية يمكن استنباطها من السلوك اللفظي أو غير اللفظي" (٢).

ثانياً : مفهوم الأخلاق .

في اللغة :

قال الفيروز آبادي : " والخُلْقُ بالضم وبضمتين السجية والطبع والمروءة والدين" (٣). وقال ابن منظور : الخُلُق الخليقة أعني الطبيعة ، والجمع أخلاق لا يكسر على غير ذلك، والخُلْق والخُلُق السجية ، يقال :خالص المؤمن وخالق الفاجر ، الخُلُق بضم اللام وسكونها : وهو الدين والطبع والسجية ، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصفها ومعانيها ولهما أوصاف حسنة وقبيحة (٤) . وجاء في المعجم الوسيط : "الأخلاق: علم موضوعه أحكام قيمية تتعلق بالأعمال التي توصف بالحسن أو القبح"(٥) .

في الاصطلاح :

لقد تناول الكثير من العلماء والمفكرين المسلمين موضوع الأخلاق ، بالتعريف والدراسة ، وقد تعددت تعريفاتهم ، ومن هذه التعريفات :

تعريف الجاحظ حيث يقول: " إن الخلق هو حال النفس ، بها يفعل الإنسان أفعاله بلا روية ولا اختيار ، والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعاً ، وفي بعضهم لا يكون إلا بالرياضة والاجتهاد"(٦).

ويعرفها ابن مسكويه بأنه: حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا رويّة ، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين : منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج ، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو الغضب ويهيج من أقل

١- المرجع السابق. ص٣٢٢٣

٢- السويدي ، وضحة. تنمية القيم الخاصة بمادة التربية الإسلامية لدى تلميذات المرحلة الإعدادية بدولة قطر. دار الثقافة . الدوحة . ١٤٠٩هـ. ص٣٠.

٣- الفيروز آبادي ، محمد يعقوب. القاموس المحيط . مرجع سابق. مادة خلق .

٤- ابن منظور ، محمد بن مكرم. لسان العرب . مرجع سابق. مادة خلق .

٥- مصطفى ، إبراهيم وآخرون . المعجم الوسيط . مرجع سابق. مادة خلق .

٦- الجاحظ ، عمر بن بحر . تهذيب الأخلاق. دار الصحابة للتراث والنشر والتحقيق والتوزيع. (د.ت). ص ٤.

سـبب ، ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدريب وربما كان مبدؤه الروية والفكر ثم يستمر عليه أولاً حتى يصير ملكة وخلقاً (١).

وعـرفها الإمام أبو حامد الغزالي بأنها :"عبارة عن هيئة راسخة في النفس، تصدر عنها الأفعال ، بسهولة ويسـر، مـن غير حاجة إلى فكر وروية ، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً ، سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً ، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة ، سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً قبيحاً" (٢) .

وعرفها عبد الرحمن حبنكة الميداني : "صفة مستقرة في النفس ، فطرية أو مكتسبة ، ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة" (٣) .

ويعـرفها مقـداد يالجن بأنها :" عبارة عن المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه" (٤) .

ويعـرفها عطية الصالح بقوله: "مجموعة المبادئ والقواعد التي حددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقـته بربه وبنفسه وبالآخرين وسائر المخلوقات على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه" (٥) .

ويعرفها حمدي عبد العال بقوله: " الخلق هو السلوك الإرادي الذي يتضمن صفة وحكماً ، صفة للنفس بأنها خيّرة أو شريرة ، وحكماً على الفعل بأنه خير أو شر ، هذه الصفة وهذا الحكم تعطي للفعل قيمة جمالية تميزه عن أنماط السلوك الأخرى التي تصدر عن الإرادة" (٦) .

ويعـرفها عبد الله العمرو بقوله :" صفات سلوكية إرادية مستحسنة بالفطرة والعقل والشرع ، لما لها من آثار خيرة " (٧) .

ويلاحظ على التعريفات السابقة للقيم ، أن البعض يعرفها باعتبارها صفات ثابتة للنفس الإنسانية ، فطرية كانت أم مكتسبة ، تؤثر في سلوكياتها . بينما يعرفها البعض باعتبار أنها مبادئ وقواعد تنظم السلوك الإنساني. ويتناولها آخرون باعتبارها صفات للسلوك ذات آثار حسنة . ولكن الباحثة ترجح من هذه التعريفات تعريف كـل مـن عبد العال والعمرو ؛ لأن الفعل الخلقي يجب أن يتصف بصفتين أساسيتين هما : الإرادة ، والقيمة الجماليـة للفعـل ، فلا يوصف الفعل بأنه خلقي إلا إذا كان صادراً عن إرادة حرة ، ولابد من احتوائه على الحكـم بأنه خير أو شر (٨). ومما يدعم هذه التعريفات أن الأخلاق في الإسلام "تطلق لمجرد الأقوال والأفعال

١- ابن مسكويه ، أحمد محمد . تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق . مكتبة الثقافة الدينية . القاهرة .(د.ت). ص٣٩.

٢- الغزالي، أبو حامد محمد. إحياء علوم الدين . دار المعرفة للطباعة والنشر . بيروت. (د.ت) . ٣ /٥٣.

٣- الميداني ، عبد الرحمن حسن حبنكة . الأخلاق الإسلامية وأسسها . دار القلم . دمشق .١٤٢٠هـ . ١/ ١٠.

٤- يالجن، مقداد . التربية الأخلاقية الإسلامية . مكتبة الخانجي. مصر . ١٣٩٧هـ . ص٧٥.

٥- الصالح ، عطية بن محمد أحمد . تنمية القيم الأخلاقية لدى طلاب مرحلة التعليم الأساسي العليا. مرجع سابق . ص٨٠.

٦- عبد العال ، حمدي . الأخلاق ومعيارها بين الوضعية والدين .دار القلم . الكويت .(د.ت) . ص١٤- ١٥.

٧- العمرو، عبد الله محمد . الأخلاق عند مسكويه وابن القيم دراسة مقارنة . رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . كلية الشريعة ، بالرياض . قسم الثقافة الإسلامية . ١٤١٥هـ . ص١٠٤- ١٠٥.

٨- عزام ، محفوظ علي . الأخلاق في الإسلام بين النظرية والتطبيق . دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع . ١٤٠٧هـ . ص١٣.

الإرادية أو الحسنة أو القبيحة ولو لم تكن صادرة عن ملكة نفسية راسخة ، فيقال فلان كريم لما يظهر من كثرة بذله وعطائه ولو كان تكلفاً أو رياءً" (١) .

ثالثاً : مفهوم القيم الخلقية :

عرف القيم الخلقية من منظور إسلامي ، عدد من الباحثين ، فعرفها الشيشاني بأنها: " أسس معيارية أقرتها الشريعة ثابتة الاعتبار والاستمرار والدوام لحماية المقاصد التي جاءت لتحقيقها في الخلق ولها حكمها"(٢) .

وعـــرفها بطي الفلاحي بأنها : "مجموعة المعايير التي دعا الإسلام إلى الالتزام بها من خلال القرآن والسنة، وأصـــبحت محل اعتقاد المسلمين واتفاقهم واهتمامهم . والتزم بها المسلمون عن اختيار وطواعية لتوجيه أنماط السلوك الأخلاقي لديهم باعتبار تلك المعايير أهدافاً يسعى المسلمون لتحقيقها في سلوكهم ويمكن الحكم على السلوك في ضوئها" (٣) .

وعرفـــتها ابتسام أبو خوات بأنها " تلك المعايير التي دعا الإسلام إلى الإلتزام بها من خلال القرآن والسنة النبوية الشريفة ، والتي يجب أن يلتزم بها الطفل لتوجيه أنماط السلوك الأخلاقي لديه" (٤) .

وعرفـــتها عواطـــف الصـــقري بأنها "مجموعة المعايير والمثل والمبادئ التي وردت في القرآن والسنة ودعا الإسلام إلى الإلتزام بها وذلك لتنظيم علاقة الإنسان بغيره من المخلوقات ويتحدد سلوكه في ضوء تلك المعايير وتكون مرجعاً لأحكامه وأقواله وأفعاله" (٥) .

وعـــرفها عطية الصالح بأنها " مجموعة المعايير المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية والتي أمر الإسلام بالالتزام بها ، وأصبحت محل اعتقاد واتفاق لدى المسلمين لأحكامهم في كل ما يصدر عنهم من أقوال وأفعال تنظم علاقتهم بالله ، وبالكون وبالمجتمع وبالإنسانية جمعاء " (٦) .

ويلاحظ على التعريفات السابقة للقيم الخلقية في الإسلام ، إجماعها على أن القيم الخلقية الإسلامية هي مجموعـــة مـــن المعايير الثابتة المستنبطة من الشريعة الإسلامية ، فهي جزء من العقيدة الإسلامية لأن مصدرها الوحـــيين الكـــتاب والسنة ، لذلك كان لها درجة الإلزامية ، وتقصير المسلم فيها ومخالفة أمرها يستحق عليه العقوبة ، كما أن التزامه بها يستحق عليه الثواب . وتظهر في هذه الأخلاق أحكام الشريعة الخمسة : الواجب، والمســتحب ،والمــباح ،والمكــروه ، والمحرم . والهدف منها توجيه سلوك المسلم ليتفق مع أحكام الشريعة ومقاصدها ، وليبلغ بها درجة الكمال الإنساني. وعلى ضوء ما سبق يمكن تعريف القيم الخلقية الإسلامية بأنها: **معايير منظمة للسلوك الإنساني ، مصدرها القرآن الكريم والسنة النبوية ، ثابتة لحماية المقاصد الشرعية ، مؤثرة على اتجاهات ورغبات واهتمامات الفرد والمجتمع.**

١- العمرو ، عبد الله محمد . الأخلاق عند مسكويه وابن القيم . مرجع سابق. ص١٠٥

٢- الشيشاني ، عبد الوهاب عبد العزيز . القيم الأخلاقية في ضوء الثقافة العربية والإسلامية . بحث مقدم لندوة : القيم الأخلاقية المرتبطة بعمل رجل الأمن . دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية . ١٤٠٨هـ . ص٦٠.

٣- الفلاحي ، بطي محمد . دور التربية في غرس القيم الأخلاقية في نفوس النشئ . ندوة الثقافة والعلوم ، جائزة العويس للدراسات والابتكار العلمي . الدورة الثالثة ١٩٩٢م. مسابقة الشباب من أبناء الامارات .وزارة التربية والتعليم . ص١٧.

٤- أبو خوات ، ابتسام محمد محمد . القيم الأخلاقية لدى الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة وعلاقتها ببعض المتغيرات الخاصة بالأم المتعلمة . مرجع سابق. ص٣٦ .

٥- الصقري، عواطف إبراهيم . القيم الأخلاقية للأطفال وعلاقتها ببعض المتغيرات الأسرية الناجمة عن التغير الاجتماعي دراسة ميدانية بمنطقة القصيم . مرجع سابق . ص ١٨٧.

٦- الصالح ، عطية بن محمد أحمد . تنمية القيم الأخلاقية لدى طلاب مرحلة التعليم الأساسي العليا . مرجع سابق. ص٨٠.

المبحث الثاني :

أهمية القيم الخلقية الإسلامية

اهتمام المجتمعات البشرية بالأخلاق مسألة ليست بحديثة ، فهي قديمة قدم البشر ، بل هي قبل الوجود البشري ، قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة : ٣٠]. وقـال تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٢]. وسبب هذا الاهتمام ؛ الحاجة اللازمة والضرورية للأخلاق ، للعيش على وجه هذه الأرض . "ولنتصور حياة مجتمع ماذا يحدث فيها لو أهملت المبادئ الأخلاقية وسادت فيها الخيانة والفسق والكذب والغش والسرقة وسفك الدماء والتعدي على الحرمات والحقوق وزالت كل المعاني الإنسانية في علاقات الناس من المحبة والمودة والنزاهة والتعاون والتراحم والإخلاص فهل من الممكن أن تدوم الحياة الاجتماعية في هذه الحالة ؟!"(١) . كيف يمكن للإنسان أن يعيش في مجتمع تسوده الفوضى ، والانحلال الخلقي ، والجريمة ، فلا أمن لأفراده ، وحاجة الإنسان للأمن تساوي حاجته للطعام والشراب.

لذلـك كان الاهتمام بالأخلاق مسألة قديمة ، تناولتها جميع المدارس الفلسفية ، قديمها وحديثها ، وأخذ كل منها يرسم لها صورة ، ويحدد موضوعها ، ويصيغ معاييرها ، ويرسم غاياتها ، وفق اتجاهه الفلسفي . فأتت هذه الفلسفات متناقضة فيما بينها ، بشكل يصل إلى ذات الفلسفة الواحدة أحياناً .

> "كما أنه مما يثير الانتباه والتأمل ، تلك الظاهرة المتكررة في تاريخ الفكر الفلسفي ، فلا تكاد الفلسفة تقدم حلولا ، تقيم عليها من الأدلة والبراهين التي تأسر العقول لما فيها من أحكام واتقان حتى تعود هي نفسها بتحليل احكامها ونقد نتائجها ، ثم اسقاطها وبيان ما فيها من خداع وزيف ، فتعصف بكل شيء وتشك في كل شيء ، وتعلن إفلاسها ويأسها من وجود حق أو حقيقة ، ثم تعود مرة أخرى تبني من أنقاض ما هدمت بناءها الجديد . هكذا حلقة مفرغة يدور فيها الفكر الفلسفي لا يدري أين طرفاها" (٢) .

إن السبب الرئيسي في تناقضات هذه الفلسفات وتباينها في تعريف الأخلاق وتحديد خصائصها ومعاييرها، هـو اخـتلافها فيمن يضع القيم الأخلاقية ومن يحددها . فبينما يتجه فريق منهم إلى أن واضع القيم الخلقية ومعاييرها هو الإنسان ، يتجه الفريق الآخر إلى أن واضع القيم هي سلطة خارجية ، ولكن يعود الفريق الثاني لينقسـم على نفسه ، في من هي هذه السلطة الخارجية . فقسم يذهب إلى أنها هي سلطة عليا إلهية ، والقسم الثاني يذهب إلى أن الواضع هو المجتمع (٣) .

١- يالجن ، مقداد . الاتجاه الأخلاقي في الإسلام دراسة مقارنة . مكتبة الخانجي بمصر . ١٣٩٢هـ .ص١٠٤.

٢- عبد العال ، حمدي . الأخلاق ومعيارها بين الوضعية والدين . مرجع سابق . ص٩٠.

٣- بدوي ، عبد الرحمن . الأخلاق النظرية . وكالة المطبوعات . الكويت . ١٩٧٥م. ص٩٤.

وهـــنا تظهـــر أزمة الفلسفات الأخلاقية ، التي ترى أن واضع القيم الأخلاقية هي سلطة غير إلهية ، سواء كانت فردية أو اجتماعية . فالتطبيق العملي لهذه القيم يحتاج لسلطة إلزامية وجزائية ، تلزم الأفراد والمجتمعات بالعمل بهذه القيم ، وتضع الجزاءات والعقوبات لمن ترك التطبيق العملي ، أو تقاعس عن واجباته الأخلاقية . وقـــبل ذلك ، تحتاج القيم الأخلاقية إلى ضمير خلقي متيقظ ، يحاسب الإنسان ويعاقبه إذا قصر في العمل ، أو استطاع أن يخفي جريمته الخلقية عن السلطة . فبفقد هذين الأساسين في البناء القيمي الأخلاقي في الفلسفات الوضـــعية ، لم تـــزد النظريات الأخلاقية عن أن تكون حبراً على ورق عند الكثير ، وتستنفذ من الدولة عند الإلزام بها الكثير من الجهد والمال .

إن فلســـفة الأخـــلاق في التربية الإسلامية تفوق كل الفلسفات الوضعية الأخرى ، على مستوى النظرية والتطبـــيق . فـــإذا كانت دراسة الأخلاق ، بصفة عامة ضرورية ، فإن دراسة علم الأخلاق الإسلامي أكثر ضرورة ، لأن منبع الأخلاق الدين الإسلامي الحنيف ، الذي نزل لينظم حياتنا ومعاملاتنا وعلاقاتنـــا بأنفسنا وبالله وبغيرنا من الناس [١] . وتكتسب الأخلاق في الإسلام قوتها وفاعليتها ، من أمرين ، أولاً : كونها واجبة التطبيق لأنها أوامر من قبل الله تعالى بوصفه العالم بشئون خلقه . ثانياً :إنها أخلاق عملية قطعية لا تقبل الجدل والنقاش.

> " والإسلام وإن كان يقدم لأوامره ونواهيه مسوغات قبولها، فإنه لا يقدم لنا نظريات أخلاقية قابلة للجدل والمناقشة ، كما هو الحال في النظريات الوضعية، وإنما يقدم لكل سؤال أو مشكلة حلا و جواباً قاطعاً ومحكماً ، هذا الحل يفرض نفسه على الضمير الفردي والجماعي ، لصلاحيته للأدنى والأعلى بدرجة متساوية ، كما أنه إجابة فوقية، تهدي العقل ولا تستهدي به، وترشده ولا تسترشد به ، ومن هنا كانت واجبة التنفيذ دون جدل أو مناقشة" [٢] .

ولم تحـــظ الأخـــلاق في مجتمع برعاية وعناية ، مثلما حظيت بها في المجتمع الإسلامي ؛ وسبب ذلك أن الشـــريعة الإسلامية جاءت بعبادات ومعاملات ترتكز على أسس أخلاقية . فقيام الأحكام الشرعية مبني على قـــيم الإســـلام الخلقية ، فكان من ميزات القيم الخلقية الإسلامية أنها قيم شرعية ، لاعتمادها على الوحيين ، فلـــيس لمخلـــوق أن يقرر أن هذا الخلق فاضل أو أنه قبيح ، إلا بالرجوع للقواعد الشرعية في القرآن والسنة النـــبوية . "ويتمـــيز هذا النظام الإسلامي في الأخلاق بطابعين ، أما الأول فهو طابع إلهي ، أي أنه مراد الله ســـبحانه ، وأمـــا الـــثاني فهو طابع إنساني ، أي أن للإنسان مجهوداً ودخلاً في تحديد هذا النظام من الناحية العملية" [٣].

لقد حظي الجانب الخلقي في الإسلام بعناية كبيرة ، فقد بلغت الآيات القرآنية التي تحدثت عن الأخلاق ألف وخمسمائة وأربع آيات ، تتصل بالجانب النظري والعملي، وهذا المقدار يمثل ما يقرب من ربع عدد آيات

١- عزام ، محفوظ علي . الأخلاق في الإسلام بين النظرية والتطبيق . مرجع سابق. ص١٥.

٢- عبد العال ، حمدي . الأخلاق ومعيارها بين الوضعية والدين . مرجع سابق . ص١٠٢.

٣- عزام، محفوظ علي . الأخلاق في الإسلام بين النظرية والتطبيق . مرجع سابق . ص١٥.

القرآن الكريم [1] . تدعو إلى التخلق بالأخلاق الحسنة ،كما في قوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم :٤]. وقال ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١]. وتشير إلى فضائل خلقية ، ينبغي على المسلم التحلي بها، كقوله تعالى ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[النحل :٩٠]. وآيات تنهى المسلم عن التخلق برذائل الأخلاق ، كما في قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحديد: ٢٤].

كما زخرت كتب السنة بأحاديث نبوية ، تؤكد حرص الإسلام على القيم الخلقية ، فجاءت الأحاديث لتثبت أن الأخلاق هي الهدف الأساسي للبعثة المحمدية (إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَي الأَخْلاقِ)[2] . وتأمر المسلم بالتحلي بمكارم الأخلاق ، وترغبه في ذلك بالثواب الذي يناله في الدنيا والآخرة ، قال رسول الله ﷺ (إِنَّ مِنْ أَخْيَرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ خُلُقًا)[3]. وقال رسول الله ﷺ : (إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاقًا ، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ ، وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، الثَّرْثَارُونَ ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ ، وَالْمُتَفَيْهِقُونَ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ، فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ ؟ قَالَ: الْمُتَكَبِّرُونَ)[4]. وقال ﷺ (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا . وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا)[5] . كما تظهر السنة أن الأخلاق السيئة محط شقاء البشر في دنياهم وآخرتهم ، قال ﷺ : (مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ)[6]. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : (أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ. قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعَ. فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ)[7]. وكان عليه الصلاة والسلام يدعو الله بحسن الخلق ، عن علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال (وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ ، وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ . اللَّهُمَّ ! أَنْتَ الْمَلِكُ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ ، ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي ، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا ،

١- الشيباني ،عمر محمد التومي. فلسفة التربية الإسلامية.المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان. طرابلس. ١٩٧٥م. ص٢٢٢.

٢- سبق تخريجه ، ص٥.

٣- البخاري ،محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري . دار ابن حزم. بيروت. ١٤٢٤هـ . كتاب الأدب . باب لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا . رقم الحديث : ٦٠٢٩.

٤- الترمذي ،محمد عيسى . سنن الترمذي . مرجع سابق .كتاب البر والصلة. باب ما جاء في معالي الأخلاق .رقم الحديث: ٢٠٢٣. وصححه الألباني في صحيح الترمذي. ٢/ ٣٨٥.

٥- الترمذي ،محمد عيسى سنن الترمذي. مرجع سابق .كتاب الرضاع. باب ما جاء في حق المرأة على زوجها . رقم الحديث: ١١٦٤. وحسنه الألباني في صحيح الترمذي . ١/ ٥٩٤.

٦- الترمذي ،محمد عيسى . سنن الترمذي. مرجع سابق . كتاب البر والصلة . باب ما جاء في حسن الخلق. رقم الحديث : ٢٠٠٧. وصححه الألباني في صحيح الترمذي. ٢/ ٣٧٨

٧- القشيري ،مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم. دار ابن حزم . بيروت. ١٤٢٣هـ. كتاب البر والصلة والآداب. باب تحريم الظلم . رقم الحديث:٢٥٨١.

إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ ، وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاقِ ، لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلا أَنْتَ ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا ، لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلا أَنْتَ ...) [١] .

ومما سبق يلحظ عناية الإسلام بالأخلاق باعتبارها أساساً للشخصية المسلمة ، من أجل ذاتها ، ومن أجل الآخرين ، فالقيم الخلقية هي سياج ، يحمي منجزات المجتمع الحضارية والتنموية ، من الانهيار والتسيب والانحلال ، فهي ضابط لكل جهد مبذول [٢].

وأهمية القيم الخلقية الإسلامية في حياة الفرد والمجتمع ، تظهر في أن هذه القيم وضعت أساساً لتوجه الفرد نحو الخير والصلاح . وهي تسعى لتطهير النفس البشرية وحمايتها من الشرور والرذائل . كما أنها توفر للفرد معايير ومقاييس توجه اختياراته وقراراته ، وتعينه على تحديد السلوك الملائم في المواقف الطارئة . لذلك يلحظ على هذه القيم ، أنها تؤثر بشكل مباشر وعميق على شخصية الفرد وتوجهاته ، كما أنها تعمل على وقاية الفرد من التردد والاضطراب في تسيير ذاته ، وتقيه من الأمراض والصراعات النفسية .

> " والتزام قواعد الأخلاق الإسلامية كفيل بتحقيق أكبر نسبة من هذه السعادة للفرد الإنساني ، وللجماعة الإنسانية ثم لسائر الشركاء في الحياة على هذه الأرض وذلك بطريقة بارعة جداً يتم فيها التوفيق بالنسب المستطاعة بين حاجات ومطالب الفرد من جهة ، وحاجات ومطالب الجماعة من جهة أخرى ، ويتم فيها إعطاء كل ذي حق حقه ، أو قسطاً من حقه وفق نسبة عادلة اقتضاها التوزيع العام المحفوف بالحق والعدل" [٣] .

ومما سبق ، يظهر أن القيم الخلقية قد حازت مكانة مرموقة في الدين الإسلامي ، فقد تكفَّل بصياغتها وتحديدها الوحي الإلهي ، ولم تترك لأهواء البشر . كما حث الكتاب والسنة على الالتزام بها ، ورغب فيها بأنواع المرغبات الدنيوية والأخروية . كما حذرت من الاتصاف بالأخلاق السيئة ، ورتبت عليها الكثير من العقوبات والجزاءات . ومن هذه المنظومة القيمية الراقية ؛ جنت الشخصية الإنسانية بحد ذاتها ، والمجتمع البشري ككل ، ثمار يانعات ، لم توجد في غيرها من النظم الخلقية ، لقيامها على أسس ضمنت لها الدوام والفاعلية .

١- القشيري ،مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم. مرجع سابق. كتاب صلاة المسافرين وقصرها . باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه . رقم الحديث :٧٧١

٢- سعد الدين ، إيمان عبد المؤمن . الأخلاق في الإسلام النظرية والتطبيق . مكتبة الرشد . الرياض.١٤٢٤هـ . ص٣٥.

٣- الميداني ، عبد الرحمن حسن حبنكة . الأخلاق الإسلامية وأسسها . مرجع سابق . ١/ ٨٩.

المبحث الثالث :

أهداف القيم الخلقية الإسلامية

والمقصـــود بأهداف القيم الخلقية : المرامي والغايات ، التي تريد الوصول إليها وتحقيقها . فتتميز أهداف التربـــية الإسلامية بالشمول والتكامل ، فهي تقصد تنمية الكائن البشري بجميع أبعاده ، البعد الفكري والبعد الـــروحي والـــبعد الاخلاقي والبعد الجسمي . وتصوغ لكل منها أهدافاً ؛ لتحقق بمجموعها أهداف الرسالة الإســـلامية ، ويـــتم ذلك في توازن واتساق وعمق . وتحقق القيم الخلقية الإسلامية أهداف التربية الإسلامية وغاياتهـــا السامية ، وجاءت هذه الأهداف معبرة عن تميز النظرية الأخلاقية الإسلامية عن غيرها من النظريات البشرية ، فهي تخرج النظرية من حيز القول إلى حيز التنفيذ ، ومن نطاق التأثير الوقتي الجزئي ، إلى نطاق التأثير الدائم الشامل لجميع حياة الإنسان . ويمكن تلخيص هذه الأهداف فيما يلي :

١- **تحقيق العبودية لله عز وجل :**

فالهدف الأول للقيم الخلقية في الإسلام هو عبادة الله بما شرعه ، واتباع رسول الله ﷺ ،" وذلك هو غاية التربية الإسلامية ، تلك الغاية التي من أجلها خلق الإنسان وأكدها الحق تبارك وتعالى في أكثر من موضع بكـــتابه العزيز"[١].قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝﴾ [الذاريات :٥٦]. وتحديد الفضائل الأخلاقـــية ومعاييرهـــا جـــاء متزل من عند الله ، وليس هو اجتهاداً بشرياً ، لذلك كان الالتزام بها طاعة لله وواجباً ، يستحق فاعله دخول الجنة ، كما يستحق من خالفها وأخذ برذائل الأخلاق ؛ العقوبة والمقت ، كما مر في الأحاديث السابقة .

٢- **بناء شخصية إسلامية متكاملة متوازنة وخيِّرة :**

إن تحديـــد الإسلام لقيمه الخلقية وإلزام المسلم بالتمسك بها ، يهدف إلى تكوين المسلم الخير الصالح الواعـــي ، لذلك لم تترك هذه القيم جانباً من جوانب حياة المسلم ، إلا ودعمتها بقيمها ، وبينت ميزانها فيه ؛ ليسير على منهجها . " إن تلك القيم الشاملة لا تجعل المسلم صادقاً في معاملاته وممارساته الأسرية والاجتماعية والاقتصادية والتجارية متعاوناً فيها على البر والتقوى ، عفيفاً معتدلاً في تعامله معها وحسب ،ولكنها لتنفذ إلى أعماق نفسه فتغرس فيها رهافة في الحس وشفافية في الذوق والضمير" [٢]. والأخلاق الإسلامية هي وحدها التي تستطيع تمكين الإنسان من أن يتغلب على نوازع النفس المختلفة ، ويوجهها نحو طريق الخير ؛ للوصول إلى الكمـــال الإنســـاني . أمـــا الشخص غير الأخلاقي ؛ فتنتابه النوازع المختلفة ، وتتشتت ذاته بين الاتجاهات المختلفة، فيصبح بذلك عرضة للأمراض النفسية [٣] .

١- القاضي ، سعيد إسماعيل . أصول التربية الإسلامية . عالم الكتب . القاهرة . ١٤٢٢هـ . ص٧٩.

٢- مسعود، عبدالمجيد . القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر .كتاب الأمة الدوحة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية . ١٤١٩هـ . ص١٣٠.

٣- يالجن ،مقداد . الاتجاه الأخلاقي في الإسلام دراسة مقارنة . مرجع سابق . ص٣٢٤.

٣- ضبط وتقويم أخلاق الفرد والجماعة:

القيم الخلقية ترتقي بالفرد ، وتسمو به من المستوى الحيواني إلى المستوى اللائق بالكرامة الإنسانية ، وتؤدي إلى تقدمه ورقيه ، عن طريق قيامها بعملية ضبط وتوجيه وتهذيب سلوكيات الفرد . فهي الميزان الذي يقاس به ، وتقنن على أساسه القوانين والتشريعات المختلفة ؛ لتنظم المجتمع . ويصاغ في إطارها التنظيم الإداري وقواعده ونظرياته المختلفة . كما أن العقد المنتظم الذي تشكله هذه القيم الخلقية ، يعتبر المعيار الذي تتحدد على أساسه أهداف النُّظم الاجتماعية ، وأغراضها وغاياتها القصوى[١] . أي أنها توفر معايير وموازين، يُعرض عليها العمل والسلوك ، فيقاس به مدى قربه أو بعده عن الفضيلة والرذيلة ، وبذلك تكون مرجعاً للفرد والجماعة ؛ ليحكموا بها على أنماط سلوكياتهم .

٤- تحقيق السعادة للبشرية :

جاء اهتمام الإسلام بالأخلاق ؛ لأنها أمر لابد منه لدوام الحياة الاجتماعية وتقدمها ، فلتحقيق الإنسان للسعادة وشعوره بالسرور والطمأنينة ؛ لابد له من نظام خلقي ، يحقق له حاجاته النفسية والاجتماعية ، ويوجهه إلى استخدام قواه وميوله ونزعاته ، في مجالات يعود نفعها عليه وعلى غيره . إن هدف الأخلاق في الإسلام هو السعادة ، وهذه السعادة التي استهدفها أو أرادها ،لا تقتصر على جانب واحد ، بل تشمل الجانب الروحي والعقلي والنفسي والحسي جميعاً . وإذا كانت الغاية القريبة للتربية الأخلاقية هي تكوين الإنسان الخيّر ؛ فإن غايتها البعيدة هي الوصول بالإنسانية إلى سعادة الدارين ، وتكوين الإنسان الخيّر هو الوسيلة الوحيدة للوصول بالإنسانية إلى السعادة ، فإذا تحقق الهدف القريب للتربية ، في كل فرد من أفراد المجتمع ، تكون النتيجة ولابد ؛ تكوين مجتمع خيّر ، يسعى فيه كل فرد إلى خير الآخرين ، ويسعى أيضاً لسد أبواب الشرور والمفاسد . فيصبح كل فرد في المجتمع مغلاقاً للشر مفتاحاً للخير. وإذا أصبح المجتمع خيّراً لا تبقى فيه الشرور والمفاسد ، وإذا زالت الشرور والمفاسد عن المجتمع ؛ أصبح المجتمع سعيداً[٢] .

٥- توحيد الطاقات والتنسيق بينها وتوجيهها نحو الرقي بالمجتمع:

فالقيم الخلقية الإسلامية تحفظ نشاط المسلم من الاضطراب والتناقض ؛ لأنها ذات خصائص ومزايا ، تحقق في ذاتها عنصر الثبات والوحدة والقوة والدوام ، فيؤدي ذلك إلى حفظ نشاط الفرد ثابتاً ومتناسقاً ومتحداً ، وموجهاً نحو الرقي بالفرد والمجتمع ، فما هو فضيلة اليوم يظل كذلك دائماً ، وما هو رذيلة اليوم سيظل كذلك أبداً ، وبذلك يبتعد الفرد المسلم في سلوكياته عن التناقض والاضطراب ، ويوحّد المعيار الخلقي والميزان السلوكي على مستوى الفرد والجماعة ؛ فللسلوك الحسن والخلق الصحيح مفهوم ثابت عند جميع الأفراد ، وإن تغير المكان والزمان ، وهي نتيجة طبيعية لكمال البناء النظري والتطبيقي للأخلاق الإسلامية .

١- سلطان ، محمود السيد . الأهداف التربوية في إطار النظرية التربوية في الإسلام . الناشر دار الحسام . القاهرة . ١٤٠٠هـ . ص ٩٥.

٢- يالجن، مقداد . التربية الأخلاقية الإسلامية . مرجع سابق. ص ١٢٤.

٦- **بناء حضارة إنسانية خيرة :**

فـــتهدف القيم الخلقية الإسلامية إلى " بناء الحضارة الإسلامية الإنسانية الخيرة ، التي تعني بالتقدم والرقي المادي والمعنوي ، في جميع ميادين الحياة : الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والفنية وغيرها" [١]. فتوجيهات القـــيم الخلقية الإسلامية تحث على طلب العلم ، والاستزادة منه والعمل به . كما يظهر في هذه القيم الخلقية توجيهات اقتصادية ، بالنهي عن خلق البخل ، وخلق الإسراف والتبذير ، والأمر بالأمانة والصدق والعدل ، وهي أمور مهمة في التعاملات الاقتصادية . وتوجيهات عسكرية ، بالأمر بخلق الطاعة والشجاعة ، والنهي عن الخوف والجبن أمام الأعداء . وتوجيهات صحية بالأمر بالطهارة والنظافة ، والبعد عن الفواحش ، والاعتدال في أمور المعيشة والطعام . وغيرها من القيم الخلقية ، التي تعمل على بناء حضارة إنسانية إسلامية ، متميزة في الذات والمضمون ، تتجه نحو الصلاح ونشر الخير .

ومـــا ســـبق يبدو لنا أن القيم الخلقية الإسلامية تهدف إلى بناء شخصية مسلمة متكاملة متوازنة ، تمتلك قواعد تنظيمية تضبط بها سلوكياتها ، وتكون مرجعاً لاختياراتها الأخلاقية . كما تهدف إلى حفظ نشاط الفرد والجماعة متناسقاً ثابتاً وموجهاً نحو غاية سامية ومحددة . وهذه الأمور تثمر السعادة للبشرية ، وقيام حضارة إنسانية خيِّرة صالحة .

١- القاضي ،سعيد إسماعيل . أصول التربية الإسلامية . مرجع سابق . ص٨٧.

المبحث الرابع :

خصائص القيم الخلقية الإسلامية

القيم الأخلاقية الإسلامية هي في أساسها مجموعة من المبادئ والقيم ، المستمدة من مصادر التشريع الإسلامي ، وما سماتها وخصائصها إلا سمات وخصائص للتربية الإسلامية بذاتها ، وهذه الخصائص تحدد معالم القيم الأخلاقية الإسلامية ، وتبين أوجه الكمال والجلال فيها ، وتُميزها عن النظم الخلقية الوضعية ، وتؤكد أن الإسلام هو الدين الكامل الخالد . فلقد امتلكت بهذه الخصائص مقومات البناء ، ومقومات الدوام ، ومقومات التطبيق ، وبهذه الخصائص تفادت الأخطاء والانحرافات والتناقضات ، التي وقعت فيها النظم الأخلاقية الوضعية. فتلقاها المسلمون بالقبول والعمل ، وتلقاها غيرهم بالإعجاب والثناء على كمالها وقوتها . وجاءت هذه الخصائص متعددة ومتنوعة . وحيث إن مجال الدراسة الحالية يضيق عن استقصائها جميعاً ، فسيُقصر على أبرزها وأكثرها أثراً على القيم الخلقية الإسلامية :

أولاً : الشمول والتكامل :

دائرة الأخلاق في الإسلام واسعة جداً ، تشمل جميع مجالات الحياة الإنسانية ، وتغطي جميع أجزاء الكون الذي يعيش فيه ، بدءاً بعلاقة الإنسان بربه ثم بنفسه ، ثم تتسع لتشمل علاقاته بمجتمعه . كما تشمل التعامل مع غير المسلمين ، بل وحتى التعامل مع المخلوقات التي تعيش معه على وجه الأرض . لقد رسمت القيم الخلقية الإسلامية للمسلم كيفية التعامل مع مجتمعه البشري والكوني ، بشكل كامل ودقيق ، لا يوجد له نظير في الفلسفات الوضعية ، والمذاهب الاجتماعية البشرية . لذلك من أبرز خصائص القيم الخلقية الإسلامية خاصية الشمول والتكامل .

ويقصد بالشمول : إن القيم الأخلاقية تستوعب الإنسان كله ، جسمه وعقله وروحه ، وتراعي المجتمع البشري ، الذي يعيش فيه الإنسان ، وكما أنها تستوعب جميع جوانب الشخصية الإنسانية ، فهي أيضاً تستوعب جميع فئات المجتمع وجميع العلوم والمعارف . وأما التكامل: "فيكون في الاهتمام بالعناصر الثلاثة بدرجة واحدة ، وعدم التفضيل أو التركيز في التربية على أحدها على حساب الآخر ، بل يكون هناك تناسق وتوازن بينها" (١) .

وأهمية خاصية الشمول والتكامل في الأخلاق الإسلامية ، تظهر في استيعاب الفضيلة الخلقية في الإسلام لكافة القدرات الإنسانية ، وتوظيفها في المجالات التي تتناسب مع إمكاناتها وقدراتها ، وأيضاً في تعويد النفس على الفضيلة الخلقية ، وإقامتها على أساس النية الحسنة ، واحتساب الأجر ؛ وأخيراً شعور الفرد بالطمأنينة

١- خياط ، محمد جميل بن علي . المبادئ والقيم في التربية الإسلامية . جامعة أم القرى . معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي . مركز البحوث التربوية والنفسية . سلسلة البحوث التربوية . مكة المكرمة . مطابع جامعة أم القرى .١٤١٦هـ . ص٧٧.

والرضا ؛ لمساهمته في الخير وزيادة صلته بمجتمعه لتفاعله المثمر معه (١). وقد استخدمت في ذلك جميع وسائل الحث على الفضيلة الخلقية ، وكذلك جميع الوسائل الممكنة للإبعاد والتنفير عن الرذيلة الخلقية .

" القيم التربوية الإسلامية هي من الشمول بحيث يؤدي امتصاصها والتشبع بها إلى بناء الشخصية الفذة المتكاملة ، المؤهلة لأن تفهم الكون والحياة من حولها ، وتتخذ موقفاً إيجابياً يرتقي بالحياة ويرشد مسارها في الاتجاه السديد الذي يرتفع بالإنسان إلى مستوى التكريم الإلهي ، ذلك أن النسق القيمي الإسلامي لم يترك جانبا من جوانب الإنسان إلا أشبعه ، ودفع به ليعمل في تناغم وتكامل مع الجوانب الأخرى ، وصولاً إلى تحقيق الإبداع والابتكار أولاً ، والحفاظ على ثمراته من الإتلاف ثانياً" (٢) .

وتظهـر صفة الشمول في القيم الأخلاقية ، في إدراكها أن الحياة الإنسانية مبنية على قسمين : قسم ظاهر محسوس ، وقسم باطن غير محسوس ، وكلاهما مهم . فلم تُفرض القيم الخلقية الإسلامية على السلوك الظاهر للإنسان فقط ، بل فُرضت أيضاً على السلوك الباطني ، "بل إن مظاهر الأول ما هي إلا انعكاس للأخير ، ولهذا كانت الأخلاق الإسلامية مركزة على الحياة الباطنية في الدرجة الأولى ، لأنها إذا صلحت واستقامت صلحت الأخـرى واستقامت ، وصلاح هذه وتلك واستقامتها هما الطريق إلى السعادة الإنسانية"(٣). كما بين ذلك الحديـث : (أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ) (٤) .

ثانياً : الثبات :

يقصـد بالثـبات في الأخلاق : "استمرار الفضيلة الخلقية مستحسنة والتسليم بها. مثلاً السلوك المحمود فالصـدق في المعاملة وأداء الأمانة والوفاء بالعهد كلها فضائل خلقية ثابتة مستقرة ومحمودة في كل زمان ومع كل أحد لما لها من الآثار الخيرة والثمار الكريمة" (٥).

وإذا نظـرنا لرؤية المسالك الفلسفية والمذاهب الفكرية لمسألة ثبات القيم ، يلاحظ أن هناك مسلكين في ثبات القيم ، مسلك يرى أن القيم ثابتة ، لا تتغير ولا تتبدل ، ومسلك يرى أنها قيم نسبية ، لذلك فهي عرضة للتغيير والتبديل في نفس المجتمع ، نظراً لعوامل التغير الاجتماعي والتطور المعرفي والعامل الزمني .

"القيم الأخلاقية في نظر الإسلام ليست نسبية تتغير من فرد إلى فرد ومن مجتمع إلى مجتمع آخر . ثم من زمن إلى زمن بل هي قيم ثابتة تزداد ثباتا وضرورة كلما مرت الإنسانية بتجارب في حياتها الأرضية ، بل لا يمكن

١- العمرو، عبد الله محمد . الأخلاق عند مسكويه وابن القيم دراسة مقارنة . مرجع سابق. ص٢١٩.

٢- مسعود، عبدالمجيد . القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر .مرجع سابق . ص١٧٠

٣ - يالجن ، مقداد . الاتجاه الأخلاقي في الإسلام . مرجع سابق .ص٨٥.

٤- البخاري ،محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري . مرجع سابق . كتاب الإيمان . باب فضل من استبرأ لدينه .رقم الحديث :٥٢.

■ - العمرو، عبد الله محمد . الأخلاق عند مسكويه وابن القيم دراسة مقارنة . مرجع سابق . ص٢١١.

> بأي حال من الأحوال وجود حياة اجتماعية متزنة ومستقرة وسعيدة إذا لم تقم هذه الحياة على أسس هذه الأخلاق التي جاء بها الإسلام" [(١)].

وتظهر أهمية هذا الأساس ، في أنه يوجِد ميزاناً خلقياً معيارياً ثابتاً ، يرجع إليه المسلم ليقوِّم ما يعرض لــه مــن أخلاق ، فيزنها به ؛ ليرى قربها وبعدها عن الفضيلة الخلقية ، فيظل دائماً في ظل الفضيلة الخلقية ، مجتنباً الرذيلة ، ويؤدي هذا بدوره إلى طمأنينة الفرد على قيمه ومبادئه ، من التغيير والتبديل ، فما يعتبر خلقاً حسناً اليوم ؛ سيظل كذلك دائماً ، وما يعد خلقاً سيئاً ؛ يظل كذلك دائماً.

> "وخصيصة الثبات في الأخلاق من أبرز الخصائص وأهمها : لأن القول بثبات الأخلاق يجعل طريق الإنسان واضحاً لا لبس فيه ، مستقيماً لا عوج فيه . كما أنه يعني أن هناك مثلاً علياً وأخلاقاً رفيعة ينبغي أن ينطلق إليها الفرد ويسمو إليها المجتمع ، وهو بعد هذا يضمن وجود مبادئ مستقرة يحكم بها على سلوك الأفراد ومواقف المجتمعات فيعرف بها بين المخطئ والمصيب والمحق والمبطل ، وبغياب هذه الخصيصة يرتد المعيار للحكم على الأفعال بالحسن والقبح إلى اللذة والمنفعة ، وإلى الأهواء والرغبات والمصالح العاجلة مما يعني عدم استقرار الفضيلة الخلقية فما هو خير اليوم قد يكون شراً في الغد ، وما هو حسن عند فرد قد يكون سيئاً عند آخر .. وبفقد المعايير الخلقية الثابتة يفقد الناس كل باعث على الارتقاء بأخلاقهم والسمو بأنفسهم وتسود المجتمعات الفوضى ويتسلط الأقوياء على الضعفاء" [(٢)].

ولكن قد توجد حالات تستوجب على الإنسان الإتيان بخلق سيئ ضرورة ، وحيث إن الأخلاق الإسلامية عالمــية فطرية ، فقد أطّرت هذه الحالات وحددتها ، ووضعت لها شروطاً ، ولم تجعلها موضع اجتهاد البشر ، ومن أمثلة ذلك ، الإذن بالكذب في بعض الحالات ، وجاء ذلك الحديث ،قال رسول الله ﷺ (لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّــذِي يُصْــلِحُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَيَقُولُ خَيْرًا وَيَنْمِي خَيْرًا) [(٣)]. وهذا الحديث " لا يقدح بالقول بثبات الفضائل الخلقــية في الإسلام ، لأن هذه المواضع التي يسوغ فيها الكذب مواضع مضبوطة حيث المصلحة فيها راجحة وظاهرة ، من اليسير إدراكها بالعقول السليمة والفطر المستقيمة وهذا شرط مهم فيها" [(٤)].

ثالثاً :التوسط والتوازن :

ومــن خصائص القيم الخلقية الإسلامية خاصية التوسط والاعتدال ، والتي يطلق عليها البعض التوازن . ويقصــد بها " اتخاذ الوسط الذي ينأى عن جانبي الإفراط والتفريط فليس فيها من التشدد ما يجعلها قواعد لا تطــاق كما أنها ليست قواعد فيها السائب والعبث من الأمر" [(٥)]. وسمة التوسط والتوازن والاعتدال تعد من

---

١ – يالجن، مقداد . التربية الأخلاقية الإسلامية . مرجع سابق . ص٨٨.

٢ – العمرو، عبد الله محمد . الأخلاق عند مسكويه وابن القيم دراسة مقارنة . مرجع سابق . ص٢١١.

٣– القشيري ،مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم. مرجع سابق . كتاب البر والصلة والآداب . باب تحريم الكذب وبيان المباح منه . رقم الحديث : ٢٦٠٥

٤ – العمرو، عبد الله محمد . الأخلاق عند مسكويه وابن القيم دراسة مقارنة . مرجع سابق . ص٢١٢.

٥ – المليجي ، يعقوب. الأخلاق في الإسلام . مؤسسة الثقافة الجامعية . الاسكندرية. ١٤٠٥هـ . ص ١٤٨.

المعايير التي يتوصل بها إلى معرفة القدر المحمود من الفضيلة الخلقية [١]. وتظهر أهمية هذه الخاصية في أنها صانت القيم الإسلامية عن إفراط أصحاب الفلسفات المثالية ، الذين صوروا المقاييس والقيم الأخلاقية نجوماً عالية. كما نأى به عن تفريط أصحاب الفلسفات الواقعية ، الذين أرادوا للإنسان قيماً خلقية لا تليق به . فجاءت وسطية الإسلام لتعتدل بهذه التصورات والمقاييس ، فتوافق فطرة البشر وقدراتهم [٢] .

والقيم الخلقية الإسلامية تتسم بصفة التوسط والتوازن ، بين النظرية والتطبيق ، وبين الروح والجسد ، وبين حاجات الفرد ومتطلبات الجماعة . لقد أعطى الإسلام قيمة للفرد ، وأعطاه حرية لممارسة حقوقه الطبيعية كفرد إنساني ، وفي إطار الأخلاق الإسلامية . كذلك أعطى قيمة للمجتمع ، وقرر له حقوقاً ، بناء على تلك القيمة ، ثم أقام تنسيقاً متوازناً بين حقوق الفرد وحقوق المجتمع ، بحيث لا يطغى حق أحدهما على الآخر [٣] . وجاءت الآيات القرآنية آمرة بالتوازن والتوسط ، ومن ذلك ما جاء في الإنفاق ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان : ٦٧] . وفي طلب المعيشة ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص :٧٧] .

رابعاً : الواقعية :

يقصد بالواقعية: "معرفة حقيقة ومقدرة الإنسان ومراعاتها عند تكليفه أو محاسبته"[٤] . فراعى الإسلام في قيمه الخلقية الفطرة البشرية وقدراتها، كما أنه راعى في أحكامه وتنظيماته خصائص الإنسان والظروف المحيطة به.

فيلاحظ " مواءمة القواعد الأخلاقية لحالات الأفراد ودرجاتهم ومستوياتهم ، فالضعيف يجد فيها ما يوائمه وكذلك المتوسط والقوي ، كما أنها تتدرج في الفعل الواحد بحسب درجة الإيمان وكل يأخذ منها ما تطيق نفسه"[٥]. فليس في القيم الأخلاقية الإسلامية ما يجعلها تتصف بالتعجيز ، أو استحالة التطبيق ، فقد جاءت بحيث يستطيع الفرد العادي الأخذ بها ، ولكن ذلك لا يعني أن تكون هذه القيم الأخلاقية بعيدة عن أي نوع من المشقة ، أو لا تتطلب أي جهد في العمل بها ، فإن ذلك ليس هو الواقع . فهي قيم واقعية ، ومناسبة لطاقة البشر ، وليست قيماً مثالية ، يتطلع إليها الإنسان ، دون أن يتمكن من تطبيقها وبلوغها ، وهي مع واقعيتها كفيلة إذ طبقت أن تربي الإنسان الصالح المستقيم في خلقه وسلوكه وشخصيته [٦]. وتتجلى هذه الواقعية في مظاهر متعددة منها [٧] :

١- العمرو، عبد الله محمد . الأخلاق عند مسكويه وابن القيم دراسة مقارنة . مرجع سابق . ص٢٠١.

٢- الشيشاني ، عبد الوهاب عبد العزيز . القيم الأخلاقية في ضوء الثقافة العربية والإسلامية . مرجع سابق . ص ٧٢.

٣- يالجن ،مقداد . الاتجاه الأخلاقي في الإسلام . مرجع سابق . ص٣٦١.

٤ – خياط ،محمد جميل بن علي . المبادئ والقيم في التربية الإسلامية . مرجع سابق . ص٧٠.

٥- المليجي ، يعقوب. الأخلاق في الإسلام . مرجع سابق . ص١٤٧.

٦- المرجع السابق . ص١٤٦.

٧- علي ، سعيد . التصور النبوي للشخصية السوية . دار الثقافة للطباعة والنشر . القاهرة . ١٣٧٩هـ. ص ٧٥.

١) التكليف ضمن حدود الطاقة الإنسانية .

٢) رفع المسئولية عن الإنسان في أحوال الخطأ والنسيان والإكراه .

٣) مراعاة مطالب الفكر والنفس والجسد ، وعدم إهمالها وذلك في إطار محدد.

٤) مراعاة واقع حال المجتمعات الإنسانية التي يتفاوت أفرادها في استعداداتهم وخصائصهم.

٥) مراعاة واقع حال الضعف البشري ، وواقع حال النفس الإنسانية.

ومما سبق يظهر أن خصائص القيم الخلقية في الإسلام ، ضمنت للحياة الإسلامية خاصية الحركة حول محور ثابت ، فتوفر للنفس البشرية الأمن والطمأنينة والثقة في قيمها ، كما ضمنت للمجتمع مزية القوة والثبات ، وعلى هذا الأساس تبنى حضارة قوية الأسس ، تصعد في درج الرقي والتطور ، بخطوات ثابتة ، دون تردد أو تراجع.

المبحث الخامس :

أسس القيم الخلقية الإسلامية

المقصـــود بأســـس القيم الخلقية هي : " المبادئ والأصول التي تنبع منها الأخلاق ، والقواعد التي تقـــوم علـــيها " (١). والقيم الخلقية الإسلامية تتميز عن غيرها من المنظومات القيمية الخلقية ، في كثير من الجوانب العلمـــية والعملية . واستمدت هذا التميز والقوة من أسسٍ ارتكزت عليها ، في نظمها ومعالجاتها وتطبيقاتها الأخلاقية ؛ فأخرجت بها النظريات والقواعد الخلقية من عالم الكتابة النظرية ، إلى واقع عملي تطبيقي في حياة المسلم ؛ فكان لها أبلغ الأثر في توجيه حياة الفرد والجماعة ، نحو إقامة بناء خلقي إسلامي ، متفرد على جميع المســتويات ، وصالح لجميع الفئات ، على اختلاف الأمكنة والأزمنة . ويمكن إجمال الأسس التي قامت عليها مبادئ وقواعد القيم الخلقية في الإسلام فيما يلي :

أولاً : الأساس العقدي :

إن القيم الخلقية الإسلامية ربانية المصدر ، تنبع من عقيدة الإسلام الخالدة ، فالوحي الإلهي هو الذي وضع أصـــولها ، ورسم حدودها ، وحدد غايتها ؛ لبناء معالم شخصية الخليفة الصالح ، على وجه الأرض . وعلى الأســـاس الاعـــتقادي ترتكز جميع الأسس الأخلاقية الأخرى . وتظهر أهمية هذا الأساس ، في أن كل إنسان يحـــتاج إلى فلسفة خلقية ، تضبط سلوكه وتقننه ، وترشده نحو ما هو خير أو شر ، وما هو حسن أو قبيح ، وتحـــدد لـــه أنماط علاقاته مع ربه والبشر والمخلوقات من غير البشر ومع نفسه أيضاً . وهذه الفلسفة الخلقية يجب أن تكون منطلقة من العقيدة التي يعتنقها الشخص ، حتى تؤتي ثمراً طيباً ، وتتحول إلى منهج عملي .

"وضـــرورة ارتباط الأخلاق بالدين قائمة على أساسين : الأساس الأول يتعلق بصحة ومصداقية الأخلاق الصـــادرة مـــن الدين وملاءمتها للفطرة ، والأساس الثاني يتعلق بالشحنة القوية التي تتحرك بها الأخلاق عبر النفوس ، والتي تُستمد من مبادئ الدين " (٢) .

ومما يؤكد على أهمية هذا الأساس في ميدان الأخلاق ، ما خلص به تقرير لجنة المؤتمر الانجليزي ، للتحقيق الـــدولي في التربـــية الأدبية ، الذي عقد في إنجلترا سنة ١٩٠٧م ، واشترك فيه أكثر من سبعمائة من مشاهير العـــلماء والفلاســـفة ورجال الأدب والسياسة ، وذلك في صدد البحث عن الوازع الأساسي ، الذي يجب الرجوع إليه دائماً ، في مجال التربية الأخلاقية ، وبعد دراسة التقارير المقدمة من الدول المختلفة ، أجمع المؤتمر على أنه لا يمكن الإحاطة بمواضيع التربية الأخلاقية ، دون الرجوع إلى الوازع الديني (٣) .

" فالعقيدة السليمة متى رسخت في الفرد استقام سلوكه في حياته ، والعقيدة متى أظلت مجتمعاً إنسانياً ، انضبط ذلك المجتمع وارتقى إلى ذروة الكمال

١- العمرو، عبد الله محمد . الأخلاق عند مسكويه وابن القيم دراسة مقارنة . مرجع سابق . ص١٦٤.

٢- مسعود ، عبد المجيد . القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر . مرجع سابق. ص٨٤

٣- يالجن ، مقداد . التربية الأخلاقية الإسلامية . مرجع سابق. ص١٨٢-١٨٣.

الإنساني وقد دلت التجارب أن صلاح سلوك الفرد يتناسب طرداً مع مدى سلامة أفكار، ومعتقداته وأن فساد سلوك الفرد يتناسب عكساً مع مدى تضاؤل العقائد السليمة في كيانه الفكري واحتلال العقائد الفاسدة في محالها"[1]

وكما أن الأخلاق لا تقوم في مجتمع بصورة تطبيقية إلا في وجود عقيدة آمرة بها ، كذلك تستند العقيدة في قيامها على الأخلاق . فالعقيدة الإسلامية هي في حقيقة ذاتها حقائق علمية ، وهذه الحقائق العلمية منها ما هـو متصل بوجود الخالق وبصفاته ، أو متصل بالرسل والأنبياء ، أو متصل بالكتب الإلهية ، أو متصل بحقائق مـن المغيبات أخبر الله عنها ، والإذعان للحقائق العلمية فضيلة خلقية ، يدفع إليها أحد الأسس الأخلاقية الجذرية ، ألا وهو حب الحق وإيثاره . كما أن جحودها وإنكارها ، رذيلة خلقية ، يدفع إليها كراهية الحق ، تحت تأثير دافع من دوافع النفس الجانحة المستكبرة . كما أن العبادة في الشريعة الإسلامية لا تكون إلا لله تبارك وتعالى ، وموجب العبادة لله طاعة أمره ، وشكر، على نعمه بإعلان الخضوع لـه والتقرب إليه ، فطاعة من تجب طاعته هي ظاهرة خلقية يدفع إليها خلق حب الحق وإيثاره [2] .

ومظاهـر ارتـباط العقيدة الإسلامية بالأخلاق متعددة ومتنوعة ، فهي تشمل كافة المجالات ، ومختلف الحالات ، فهي الأساس الذي ترتكز عليه جميع الأسس التالية ، كالأساس الإلزامي والأساس الجزائي.

ولذلك نجد كثيراً من نصوص الكتاب والسنة والتي تقرن بين العقيدة الإسلامية وبين القيم الخلقية ، وتجعل مدار قبول العمل ما فيه من قيم خلقية . قال الله عز وجل ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣- ١٣٥] . وقال رسول الله ﷺ (لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) [3] .

ومن مميزات الأساس العقائدي في التربية الأخلاقية الإسلامية [4] :

١- الشعور بقدسية القوانين الأخلاقية ويؤدي ذلك إلى أمرين ، أولهما : تعظيم هذه القوانين وإجلالها ، ومن ثم تكـون لها سلطة ، تتحكم بها في حياة الإنسان وتصرفاته ، في السر والعلن . وثانيهما : إن هذه القوانين الأخلاقـية تؤثـر عملـياً ، من ناحية إيجابية وسلبية ؛ نتيجة تطبيقها أو عدم تطبيقها ، فيكون أثر التطبيق الإحسـاس بالسرور والانشراح في أعماق النفس الإنسانية ، ويكون أثر عدم تطبيقها الإحساس بالوخز في الضمير ، والضيق في الصدر ، والكآبة في النفس .

١- خفاجي، محمود أحمد. في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة. ١٣٩٩هـ دون مطبعة. ص١٣.

٢- الميداني ،عبد الرحمن حسن حبنكة . الأخلاق الإسلامية وأسسها . مرجع سابق . ١/ ٢٨-٢٩.

٣- البخاري ،محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري . مرجع سابق . كتاب الإيمان . باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه. رقم الحديث : ١٣.

٤- يالجن، مقداد . التربية الأخلاقية الإسلامية . مرجع سابق . ص ١٩٢-١٩٣.

٢- إنها تحقق للإنسان السعادة من الناحية الشعورية ومن الناحية الواقعية أيضاً ، فتضفي على حياة المرء الاستقرار والثبات الدائم . لأنها صادرة من عند الله عز وجل ، فهي إذن ثابتة ، لا تتغير ولا تتبدل ، من حين إلى حين آخر .

ثانياً : الأساس الفطري :

من حكمة الله سبحانه في خلق الإنسان ، أن خلق في هذا الكائن الاستعداد الفطري لاكتساب الأخلاق ، والقدرة على تغيير سلوكياته . ولولا وجود هذا الاستعداد لما كان هناك معنى لعمليات التربية والتهذيب ، مع مخلوقات فاقدة للإرادة والاستطاعة.

والفطرة هي: " الخلقة التي يخلق عليها المولود في بطن أمه. قال تعالى ﴿ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾ [الزخرف :٢٧] أي خلقني" [1] . وقال عز وجل ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم : ٣٠]. وهي الخصائص الجبلية ، والطبائع الأصلية في النفس ، من قبل أن ترد إليها التربية والتقويم .

وقد اعترفت المدارس الفلسفية بوجود الفطرة الإنسانية ، والتي يُعتمد عليها في البناء الخلقي للإنسان ، ولكنهم اختلفوا في نظرهم لخيرية هذه الفطرة ، على مذاهب شتى ، واتجاهات متباينة[2] :

الاتجاه الأول : يرى أن الطبيعة الإنسانية طبيعة خيّرة في أصل الخلقة ، والشر عند وقوعه منها فإنما هو خارج عن طبيعتها ، ويقع منها على وجه الجهل والخطأ ، أو لتأثير البيئة .

والاتجاه الثاني : يرى أن الإنسان شرير في طبيعته الأساسية ، فجذور الشر متأصلة في طبيعته .

والاتجاه الثالث : يرى أن بعض الناس أخياراً ، وبعضهم أشراراً بالطبع ، وفيهم من هو متوسط بين الأمرين ، ويرى هذا الاتجاه أن من كان شريراً بطبعه ، لا يمكن أن ينتقل بالتربية إلى الأخيار .

والاتجاه الرابع : يرى أن في طبيعة الإنسان جانباً خيِّراً وآخر شريراً ، ويرجع الخير إلى العنصر الروحي في الطبيعة الإنسانية ، كما يرجع الشر إلى طبيعة النفس الحيوانية الوحشية فيها .

والاتجاه الخامس : يرى أن الطبيعة الإنسانية محايدة ، ليست خيِّرة ولا شريرة ، في ذاتها وفي أصلها الخلقي، بل هي محايدة ، وفيها استعداد ، لأن تكون خيِّرة أو شريرة.

هذه هي نظرة الفلسفات المختلفة للطبيعة الإنسانية ، وهي في حقيقتها اجتهادات بشرية ، تحاول فهم هذا الكائن الحي ، معتمدة على العقل والتجربة . ولكن ما هو رأي الإسلام في الطبيعة الإنسانية ؟.

الطبيعة الإنسانية في نظر الإسلام – في تكوينها المبدئي – طبيعة مزدوجة ، مكونة من صفتين مختلفتين ، إحداهما : روحية سماوية ، والأخرى : مادية أرضية ، وقد نتج عن طبيعة هذا التركيب العجيب ؛ غرائز وصفات ، يرجع بعضها إلى الطبيعة الروحية ، ويرجع بعضها الآخر إلى الطبيعة المادية ، ويرجع بعضها إلى

١- ابن منظور ، محمد بن مكرم. لسان العرب . مرجع سابق . مادة فطر.

٢- يالجن، مقداد . التربية الأخلاقية الإسلامية . مرجع سابق . ص٢٨٤-٢٨٧.

خاصية هذا التركيب ، ومن ثم فإننا نجد هنا صفات أكثر من حجم التركيب بكثير . ولهذا نجد فيها دوافع فطرية ، بعضها مادية حسية ، وبعضها روحية معنوية ، وبعضها مختلطة من هذه وتلك ، وهي خاصة بالإنسان، ناتجة عن ذلك التركيب الخاص ، وبها يمتاز الإنسان عن الكائنات الحية الروحية الصِّرفة ، وعن تلك الكائنات الحية المادية الفسيولوجية (١) .

وينظر الإسلام إلى الفطرة البشرية على أنها تقبل التوجيه والتعديل ، كما ذكر ذلك القرآن العظيم ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝ ﴾ [الشمس : ٧-١٠]. قال الله عز وجل في الحديث القدسي : (وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا)(٢) . وأعطى الله الإنسان القدرة على تزكية نفسه وتهذيبها وتوجيهها نحو الخير والصلاح . وأكد الإسلام على حقيقة خلق الناس من أصل واحد ، هو آدم عليه السلام ، خلقه الله عز وجل بيديه الكريمتين من عنصر مادي، هو الطين ، وعنصر روحي ، هو نفخة من روح الله عز وجل " وإذا كان الأمر كذلك فإن بعض الناس لم يخلقوا أخياراً أو البعض الآخر أشراراً ، كما ادعى بعض الفلاسفة ومن ثم فإن الناس فيما يتعلق بقبول طبيعتهم التوجيه والتربية سواسية فلم يخلق الله طبائع قابلة للتربية وطبائع أخرى غير قابلة للتربية كما يدعي بعض الفلاسفة أيضاً" (٣) .

إن اتجاه الإسلام ونظرته حول العلاقة القائمة بين الطبيعة البشرية والقيم الخلقية ، تعد نظرة معتدلة متوازنة، تؤكد على وسطية هذا الدين . فإذا كان الإسلام ينظر إلى الطبيعة الإنسانية ، على أنها خيِّرة في الأصل ، لولا الذي يكتنفها من فتن الدنيا والشيطان ؛ فإنه يدعو إلى تربيتها وتزكيتها ، وعدم الاستسلام لهواها وشهواتها . ويرى الإسلام أن لهذه الفطرة قوانين وسنن ، يجب أن تؤخذ في الاعتبار ، عند وضع النظام الخلقي ، وإهمال الفطرة الإنسانية عند وضع النظام الأخلاقي ، يؤدي دائماً إلى نظام أخلاقي لا واقعي ، هو في السماء لا يمكن إنزاله إلى الأرض ليكون واقعاً تطبيقياً .

وتظهر مراعاة الشريعة الإسلامية للفطرة البشرية ، في وضع نظامها الخلقي ، في أمرين :

أولاً : إن الأخلاق الإسلامية لا تخرج عن بشرية الإنسان ولا تفوق قدراته وطاقاته .

ثانياً: إن الإنسان مطالب من هذه الأخلاق بما هو في حدود طاقاته وإمكاناته .

لقد بنت التربية الإسلامية نظامها القيمي الأخلاقي لتحقق السعادة والحضارة للبشرية، فهي لا تجرد الفرد من غرائزه ، ولكنها تسعى لتنظيمها وتوجيهها ، وفق منهج خلقي قويم ، عن طريق توجيه طاقاته الفطرية نحو الرقي بالفرد والمجتمع ، وتربيتهما على الخير والصلاح . وعملت بهذا المنهج على حماية المجتمع من المجرمين والمفسدين ، وحماية الإنسان من نفسه . ولذلك لم تفرض الشريعة الإسلامية على المسلم التقتير والرهبانية

١- المرجع السابق . ص ٢٥٨-٢٥٩.

٢- القشيري ،مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم .مرجع سابق . كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها . باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار. رقم الحديث : ٢٨٦٥.

٣- يالجن، مقداد . التربية الأخلاقية الإسلامية . مرجع سابق . ص.٣٠٠.

والتبتل ، إنما دعته للأخذ من الطيبات ، والاستمتاع بزينة الدنيا المباحة ، من غير أن تشغله عن مهماته الأساسية .

ثالثاً : الأساس العلمي :

القيم الأخلاقية تقوم على أساس علمي ، يتفق مع سنن الله الكونية ؛ ويحقق معها الوحدة والاتساق . فالقيم الأخلاقية " لا تقوم على فراغ وإنما على أساس رؤية شمولية للكون ، وبقدر ما تكون الرؤية كاملة في بنائها ، منبثقة من العلم الشامل بحقيقة الإنسان والكون والحياة ، بقدر ما يكون نسق القيم القائم عليها مستجيباً لأشواق الإنسان ولحبه العميق للحق والفضيلة" [١]. لذلك يجب عند وضع القيم الخلقية ومعاييرها وجزاءاتها ، أن يؤخذ الأساس العلمي في الاعتبار ، وذلك في أمرين :

الأول : إن النظام الأخلاقي هو جزء من النظام الكوني ، يطبق قوانينها ، ويحقق معها الوحدة والانسجام ، بدون تعارض ولا تناقض .

الثاني : إن تحديد الأخلاق المرغوبة وغير المرغوبة ، ووضع مقاديرها ومعاييرها ، مع تحديد الجزاءات عليها، يجب أن يعتمد على خلفية علمية حكيمة خبيرة مدركة ومحيطة بقوانين الطبيعة .

لقد أدركت المجتمعات منذ القديم أن قيام الأخلاق لابد وأن يعتمد على أساس علمي ، فأسندوا مهمة وضع قوانينهم الخلقية إلى الفلاسفة والحكماء والرؤساء ، فاجتهد هؤلاء في وضع منظومات أخلاقية ، ووضعوا لها أسساً وحدوداً وجزاءات ، بناء على خلفياتهم العلمية والاجتماعية والعقدية ؛ نتيجة لذلك ظهرت الكثير من المنظومات الأخلاقية ، تتناسب مع الخلفيات الاجتماعية والعقدية والعلمية لواضعيها . وبسبب ذلك تناقضت واتسعت هوة الاختلاف بينها ، وكانت هذه المنظومات تتعرض للتغيير والتبديل بشكل دائم ، لمواكبة التغييرات العلمية والاجتماعية ، ولتغير الأزمنة والأشخاص ، فما يصلح اليوم ، قد لا يصلح غداً ، وما هو ممكن في بلد ، قد يكون غير ممكن في آخر.

ولكن على الرغم من ذلك ،فإن جميع تلك المنظومات باءت بالفشل ، وعجزت عن مسايرة سنن الله الكونية ، في جميع مراحل حياة البشرية . لفقدها شرطاً مهماً وأساسياً ، هو أن وضع نظام خلقي ، مراعياً للسنن الكونية ؛ يستلزم أن يكون واضعه محيطاً بالكون وأنظمته والطبيعة ومكوناتها إحاطة كاملة ، من جميع الاتجاهات ، وعلى كافات المستويات ، طولاً وعرضاً ، قديماً ومستقبلاً وحالاً ، وأي قصور أو خلل في هذه الإحاطة ، تُنتج نظاماً خلقياً قاصراً قابلاً للنقض والخطأ .

المنظومة الأخلاقية الإسلامية تمتاز عن غيرها من المنظومات بأنها قامت على أساس علمي سماوي ، فواضع هذه المنظومة هو الله عز وجل ، خالق الكون والحياة والإنسان ، والله عز وجل هو واضع نظام وسنن الكون ، وما الأخلاق إلا جزء من هذا النظام المحكم ؛ لذلك تبرأ المنظومة القيمية الإسلامية من التناقض والتفاوت

١- مسعود، عبدالمجيد . القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر . مرجع سابق . ص ١٦٧- ١٦٨.

والاصطدام مع السنن الكونية ؛ لأن واضعها قد أحاط بالكون ، وسننه وقوانينه ، على اختلاف البقاع وتباين الأشخاص ، فهي منظومة صالحة لكل الأزمنة والأمكنة .

لقد اعتمد الإسلام في التربية الأخلاقية على القوانين العلمية ، فمثلاً فيما يتعلق بقوانين الحياة فهناك ثلاثة قوانين عامة ، هي : قانون المحافظة على الحياة ، وقانون تكاثر النوع ، وقانون الارتقاء الروحي والعقلي . فمراعاة للقانون الأول ، حرم الإسلام كل سلوك يؤدي إلى هدم الحياة ، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، كالقتل والانتحار . ومراعاة لقانون استمرار النوع وتكاثره ، شرع الإسلام الزواج ، وحض عليه ، وحرم الاختصاء ، وكره الزواج من العقيم . ومراعاة لقانون الارتقاء العقلي والروحي ، حرم الإسلام الخمر والمسكرات لضررها على العقل ، وأعطى الحياة الروحية اهتماماً كبيراً . وفيما يتعلق بقوانين علم النفس فيظهر ذلك في أمور كثيرة منها تقسيم مراحل التربية الخلقية ، وفق سيكولوجية الطفولة ، والمراهقة ، وما بعد المراهقة . وكذلك مراعاة الفروق الفردية بين الأطفال من الناحية النفسية والعقلية . وفيما يتعلق بعلم الاجتماع ، فإن المربي يجب أن يعرف قوانين التأثير والتأثر الاجتماعيين ، وكيف يعد بيئة اجتماعية للتربية الأخلاقية . وفيما يتعلق بالقوانين الطبية ، فإن الإنسان يجد في الإسلام المبادئ والقوانين الوقائية ، التي تمثلت في قيمه الخلقية ، كنصح الأصحاء بالابتعاد عن أماكن المرض وأهله ، والتوسط في المطعم [1] .

ويتبين لنا مما سبق مدى صلة علم الأخلاق وقوانينه بعلوم الحياة المختلفة وقوانينها ، وكيف أنها مبنية عليها بحيث إن الذي يسير في حياته في ضوء القوانين الأخلاقية ؛ لا يصطدم بتلك السنن الكونية ، المتعلقة بجوانب حياة الإنسان المختلفة . ومن ناحية أخرى فإن نتيجة الاصطدام بالقوانين الأخلاقية ، كنتيجة الاصطدام بالقوانين الكونية ، من حيث إنه لابد من أن ينتج عنه ضرر مباشر أو غير مباشر . قد لا يشعر المصطدم بالضرر الناتج عن ذلك إلا بعد مدة طويلة ، وبناء على هذا كله نشأ الاتجاه العلمي الطبيعي في التربية الأخلاقية ، لدى المفكرين ، من هؤلاء الفيلسوف جان جاك روسو ، الذي يرى أن تكون التربية الأخلاقية طبيعية ، وبإشعار الطفل عند العقاب أنه نتيجة خروجه عن سنن الله الكونية [2] .

رابعاً : الأساس الإلزامي :

الإلزام الخلقي هو : " أمر بالفضيلة الخلقية بمعنى وضع تشريع خلقي ، وتكليف الإنسان الأخذ به والعمل بمقتضاه مع مسؤوليته عن هذا التكليف ، وجزاء متوافق مع موقفه منه" [3]. والإلزام هو القاعدة الأساسية ، والعنصر النووي الذي يدور حوله كل النظام الأخلاقي ، ويؤدي فقده إلى ضعف هذا النظام الأخلاقي ، فبدون الإلزام لن تكون هناك مسئولية ، ولا توجد عندئذ العدالة وحينئذ تتفشى الفوضى ، ويفسد النظام ، وتعم الهمجية ، لا في مجال الواقع فحسب ، بل في مجال القانون أيضاً ، وطبقاً لما يسمى بالمبدأ الأخلاقي [4] .

١- يالجن ،مقداد . التربية الأخلاقية الإسلامية . مرجع سابق . ص ٢٢٩

٢- المرجع السابق . ص٢٤٨.

٣- العمرو، عبد الله محمد . الأخلاق عند مسكويه وابن القيم دراسة مقارنة . مرجع سابق . ص٢٤٩.

٤- دراز، محمد عبد الله . دستور الأخلاق في القرآن . مؤسسة الرسالة . دار البحوث العلمية . ١٤١٦هـ تعريب وتحقيق وتعليق : عبد الصبور شاهين . ص٢١.

ومصـــدر الإلـــزام بالفضيلة الخلقية في الاتجاهات الفلسفية متعددة ومختلفة ، يمكن تقسيمها إلى اتجاهين رئيســيين : الأول : يــرجع ســلطة الإلزام إلى مصادر خارجية ، ويختلف أنصار هذا الاتجاه في مصدر هذه السلطة، فمنهم من يرى أنه الجماعة أو المجتمع ، ومنهم من يرى أنه الدين . والاتجاه الثاني: يعيدها إلى مصادر داخلية ، أي من الذات الإنسانية ، وهم يختلفون أيضاً في تحديد هذا المصدر(1) . فذهب الاتجاه العقلي إلى أن العقل هو القوة الموجهة للناس إلى الخير ، والملزمة لهم بالفضيلة ، وأما الحدسيون فقد جعلوا الضمير منبع الإلزام بالفضيلة الخلقية (٢) .

المصــدر الأول والأساسي في الإلزام الخلقي في الإسلام هو الله عز وجل ، لأن الإلزام تشريع يتضمن أمراً بالفضــيلة ، وتحديداً لها ، ونهياً عن الرذيلة ، ووضع جزاءات وعقوبات عليها . فمصدرها يجب أن يكون هو الوحـــي ، لذلك فإن الله عز وجل هو مصدر الإلزام الأول والأساسي والمرجع للمصادر التالية . وقد هيأ الله الإنســان ، في أساسه الخلقي والفطري ، للالتزام بالأخلاق بما وهبه من عقل ، وحاسة خلقية — الضمير — ، وحرص على الانتماء للجماعة .

والمـــنهج الإســـلامي الخلقي يضع مصادر فرعية ، تعتمد في تكوين الإلزام الخلقي على المصدر الأساسي الأول ، وقد جاءت هذه المصادر الفرعية متنوعة ، وهي: العقل والجماعة والضمير والعقوبة والسلطة .

فجعل الإسلام سلطة الجماعة ملزمة ، في الدرجة الثانية ، وبناء على ذلك اعتبر المجتمع مسئولاً عن انحراف الأفراد ؛ لأن فساد بعض الأفراد قد يؤدي إلى فساد المجتمع كله يوماً ما ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنفال :٢٥]. ولهذا أمر الجماعة بعقاب المنحرفين ، وقرر فيهم مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإعطاء سلطة الإلزام للجماعة من الأهمية بمكان (٣) .

ومن مصادر الإلزام في نظرة الإسلام : العقل والإدراك ؛ لأن الإنسان عندما يدرك أن عاقبة فعله ستكون أليمة ؛ فإنه يتجنبه ، وإذا كانت سارة ؛ فإنه يفعله . ومن مصادر الإلزام في رأي الإسلام : الضمير الخلقي ؛ لأن الإنسان فيه حاسة أخلاقية ، يميز بها ما هو حسن وجميل من سلوك ، مما هو قبيح وضار ، ومن ثم تطمئن النفس إلى السلوك الجميل ، وتقشعر من السلوك القبيح ، ومن ثم يدفعه إلى الالتزام بالأول والابتعاد عن الثاني، مصـــداق ذلـــك قول الرسول ﷺ (الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ)(٤) . والمصدر الأخير من مصادر الالزام الخلقي في الإسلام : الدوافع النفعية ؛ لأن الإنسان بطبيعته يحب الخير والنفع لنفسه ، ولابد منه لحاجته الأساسية إليه ، ومن هنا يشوّق الإسلام الناس إلى الأعمال الصالحات ، ويعدهم بالمكافآت الجزيلة عليها ، في الدنيا والآخرة ، وينذر المسيئين من عاقبة سيئاتهم (٥) .

---

١ – يالجن ، مقداد . الاتجاه الأخلاقي في الإسلام دراسة مقارنة . مرجع سابق . ص ٢١٩.

٢- العمرو، عبد الله محمد . الأخلاق عند مسكويه وابن القيم دراسة مقارنة . مرجع سابق . ص٢٥١.

٣ – يالجن ، مقداد . الاتجاه الأخلاقي في الإسلام دراسة مقارنة . مرجع سابق . ص٢٢٠-٢٢١.

٤- القشيري ،مسلم بن الحجاج . صحيح مسلم. مرجع سابق. كتاب البر والصلة والآداب. باب تفسير البر والإثم . رقم الحديث :2553.

٥ – يالجن ، مقداد . الاتجاه الأخلاقي في الإسلام دراسة مقارنة . مرجع سابق . ص ٢٢١-٢٢٢.

ومن هذا يتضح ، أن الإسلام لا يكتفي بعامل واحد للإلزام ، بل يستخدم عوامل متعددة ، وهذا أمر يناسب اختلاف الطبائع البشرية ، ومواطن التأثير فيها ، كما يراعي سيكولوجية الفروق الفردية بين الناس ، فالناس عادة يختلفون في الالتزام بعناصر الإلزام المختلفة [1] ، فمنهم من يلتزم بالعنصر الديني أكثر من العنصر الاجتماعي ، والآخر بالعكس ، ومن الناس من يردعه عقله عن فعل القبائح ، ومنهم من يعذبه ضميره إذا فعل القبيح ، ومنهم من لا يمنعه من فعل المساوئ إلا خوف العقوبة . ويتأكد من تنوع مصادر الإلزام الخلقي في الإسلام ، مدى حرص الإسلام على إلزام الناس بفضائل الأخلاق ، وبث الكره والبغض في قلوبهم من مساوئها ، مستخدماً في ذلك الأساليب المتنوعة ، والتي ظهرت في أساليب اقناعية ترغيبية ، تستخدم الثواب الإلهي والعقل والضمير ورضا الجماعة للحض على الفضائل الأخلاقية . وأساليب تخويفية ترهيبية ؛ لمن أصر على مخالفة النظام الأخلاقي ، وذلك بالعقوبة الإلهية ورفض العقل وسخط الجماعة ووخز الضمير للتنفير من هذه المساوئ.

ويأتي الأساس الإلزامي الخلقي في الإسلام على مستويين : الأول المستوى الفردي ، فيوجه للفرد ويؤمر بالتقيد بأنظمة المجتمع الإسلامي ، والإتيان بالأوامر الشرعية ، ويحاسب ويجازى على ذلك . والمستوى الثاني الجماعي : ويكون الالتزام بالنظام الأخلاقي الإسلامي مطلوب من المجتمع والسلطة بشكل خاص ، وذلك بأن تطبق الأحكام الشرعية ، وتلتزم بالأوامر الإلهية – والتي تكفُل إقامة النظام الخلقي الإسلامي على أتم وجه – والسعي في نشر الأخلاق المحمودة ، ومنع الأخلاق الرذيلة في أفراد المجتمع ، عن طريق التربية وجميع الوسائل الممكنة ، وتقرير مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن مميزات الإلزام الخلقي الإسلامي ؛ أن المسلم يلتزم بهذا النظام الخلقي ؛ برضا ومحبة واقتناع واحترام ، وحرص على بلوغ درجة الكمال والمثالية . وإن وقع في مخالفة لهذه القيم الخلقية ؛ فإنه يتقبل ما يقع عليه من عقوبات وجزاءات .كما تميز الإلزام الخلقي في الإسلام بخصائص مهمة ، لا نجدها في أي فلسفة أخلاقية أخرى ، وذلك في مراعاته الطاقة البشرية عند الإلزام ، ويسر تطبيقه ، وتدرجه في تحديد الواجبات ، ومراعاته للحالات الطارئة ، كما في الكذب عند الحرب [2] .

خامساً : أساس المسئولية الأخلاقية :

على الأساس الإلزامي الخلقي ينتج بالضرورة أساسان خلقيان : الأول : هو أن هناك مسئولية أخلاقية . والثاني : أن هناك جزاء يترتب على هذه المسئولية [3] .

والمسئولية الأخلاقية تعني : "تحمل الشخص نتيجة التزاماته وقراراته واختياراته العملية من الناحية الإيجابية والسلبية أمام الله في الدرجة الأولى وأمام ضميره في الدرجة الثانية وأمام المجتمع في الدرجة الثالثة" [4] .

١- المرجع السابق . ص ٢٣٥.

٢- عزام ،محفوظ علي . الأخلاق في الإسلام بين النظرية والتطبيق . مرجع سابق . ص٣٤- ٣٦ .

٣- المرجع السابق . ص ٣٦.

٤- يالجن ، مقداد . الاتجاه الأخلاقي في الإسلام . مرجع سابق . ص ٢٣٧

وتحمل المسئولية الأخلاقية أمر ضروري للحياة البشرية الفردية والاجتماعية والأخلاقية ، على حد سواء . فهو من أكبر الزواجر عن فعل الشر والسعي بالفساد في الأرض ، فإذا علم الإنسان أنه مسئول عن أعماله بين يـدي الله سبحانه ، وأيضاً من قِبل السلطان والمجتمع ،كفَّ عن الشر ، واجتنب مواطن الانحراف ، ومهاوي الشـيطان ؛حتى لا يقع في الخطيئة . وإذا أدرك الإنسان أنه سيثاب على فعل الطاعات والحسنات ، ويعاقب على فعل السيئات ، بقدر ما لها من تأثير حسن أو سيئ على الفرد والمجتمع إلى قيام الساعة ؛ اجتهد في كسب المزيد من الحسنات ، وفعل الخيرات والطاعات ، واجتناب السيئات .

وقـد خلـق الله عز وجل الإنسان ، وأعده إعداداً ، يؤهله لتحمل هذه المسئولية ، فأرسل لـه الرسل ، وأنزل عليه الكتب السماوية ، وأعطاه نعمة العقل ، وحرية الإرادة . فيرجع إلى الدين ليتعلم منه ما يتخلق به من الصفات ، وما يجتنب ، ويميز بالعقل الخير من الشر ، والحسن من القبيح . وبالحرية يملك القدرة على تنفيذ اختـياراته الأخلاقـية ، كمـا يملك الخروج عن القوانين الأخلاقية ، وبقدر الحرية الممنوحة للإنسان تكون المسئولية .

وتنقسم المسئولية الأخلاقية في الإسلام عموماً إلى قسمين :

أولاً : المسـئولية الفـردية : ولهـا مجـالان : المجال الداخلي أو الباطني : وهي مسئولية الإرادة والقصد والتصـميم، فالعزم على فعل شيء ، قد يكون كافياً لتحمل مسئوليته ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، كما جاء في الحديث القدسي (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِحَسَنَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبْتُهَا لَهُ حَسَنَةً ، فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبْـتُهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ . وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ أَكْتُبْهَا عَلَيْهِ ، فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبْتُهَا سَـيِّئَةً وَاحِدَةً)[1]. والثاني المجال الخارجي أو الظاهري : وهو السلوك المادي المحسوس ، سواء أكان قولاً أو فعلاً، بشرط أن يكون ناتجاً عن قصد واختيار، أما ما كان ناتجاً عن إكراه أو اضطرار أو خطأ أو نسيان ؛ فلا يدخـل في مجـال المسئولية[2]، قال رسول الله ﷺ (إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَـانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ)[3] .

ثانياً : المسئولية الغيرية أو الاجتماعية : فيقرر الإسلام مسئولية الفرد عن سلوك غيره في نصوص كثيرة ، قال تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنفال : ٢٥] . فالإنسان ليس مسئولاً فقط عن فعل الشر ، بل هو مسئول أيضاً عن دفع الشر ؛ لأن هدف الأخلاق تحقيق الخير، والخير يتحقق بطريقتين : طريق إحداث الخير وتنميته ، وطريق إزالة الشر ، ووقاية الخير من طغيان الشر عليه . ولكن لا يتحمل الإنسان وزر عمل الآخرين ، الذين لم يكن سبباً لأعمالهم ، و لم يمكن له

١- القشيري ،مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم. مرجع سابق . كتاب الإيمان . باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب . رقم الحديث :١٢٨.

٢ - يالجن ،مقداد . الاتجاه الأخلاقي في الإسلام . مرجع سابق .ص ٢٤١.

٣- ابن ماجه ، محمد بن يزيد . سنن ابن ماجة . بيت الأفكار الدولية. عمان . (د.ت) . كتاب الطلاق . باب طلاق المكروه والناسي . رقم الحديث :٢٠٤٣ . وحسنه محمد ناصر الدين الألباني ، في كتابه: صحيح ابن ماجة . مكتبة المعارف . ١٤١٧هـ . ٣٤/١.

أن يحول بينهم وبين هذه الأعمال . كما أنه إذا دعا الضال إلى الهدى و لم يستجب فلا مسئولية عليه بعد ذلك [١] .

وللمسئولية الأخلاقية شروط في الإسلام هي :

أولاً : أهلية التصرف : وهي القدرة على التمييز بين الخير والشر ، تمييزاً واضحاً ، ولهذا جعل الشرع العقل والبلوغ أساساً للتكليف ؛ لأن العقل معيار التمييز بين الخير والشر ، والشعور بالواجب ، ومناط التكليف ، والمساءلة ، وتحمل النتائج والجزاء .

ثانياً : العلم : وهو ثمرة العقل ، الذي نميز به بين الصواب والخطأ في الأقوال ، وبين الحق والباطل في الاعتقاد ، وبين الحسن والقبيح في الأفعال ، والعلم هو المحرك للإرادة في الاختيار بين الأخذ والترك ، لأن الإسلام لا يؤاخذ الإنسان بما لا يعلم .

ثالثاً : الإرادة : والإرادة والنية والقصد بمعنى واحد ، وهي محور المسئولية الأخلاقية ، فمتى وجدت الإرادة وجدت المسئولية ، فإذا أكره إنسان على عمل ، خيراً كان أو شراً ، تسقط مسئوليته الأخلاقية عن الفعل الصادر منه ، فلا يستحق ثواباً أو عقاباً ، فالجزاء الأخلاقي لا يعنيه سوى نية الفاعل وقصده . والنية المعتبرة في الفعل هي المصحوبة بالعزم والتصميم على إنفاذها . أما النية القاصرة ، التي لا تخرج عن أن تكون حديث نفس ، وليس لها قوة العزم والتحول إلى التطبيق والنفاذ ، مع خلو المانع من إنفاذها ، فلا اعتبار لها ، ولا يستحق صاحبها مدحاً أو ذماً [٢] .

رابعاً: الاستطاعة : كما أنه لا مسئولية بدون حرية الاختيار ؛ كذلك لا مسئولية بدون الاستطاعة ، لتنفيذ المختار. فبالاستطاعة على تنفيذ المختار ؛ أصبح الإنسان أهلاً لتحمل المسئولية ، وتميز بذلك عن باقي المخلوقات ، فهي لا تستطيع تنفيذ المختار ؛ فقد قضي عليها بسلوك معين [٣] .

سادساً : الأساس الجزائي :

المقصود بالجزاء الأخلاقي : "هو ما يجب أن يناله الإنسان بحكم عمله الحر الناتج عن إرادة واختيار ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر وسواء أكان ذلك الجزاء مادياً أو معنوياً مباشراً أو غير مباشر عاجلاً أو آجلاً في هذه الحياة الدنيا أو في الحياة الآخرة" [٤] .

وأهمية الجزاء الأخلاقي كأساس من أسس الأخلاق ، تظهر في الارتباط العضوي بينه وبين الأساس الإلزامي ، وأساس المسئولية . فالإلزام يستدعي وجود شخصية قادرة على القيام بالفعل ، كما يستدعي وجود محاسبة ومساءلة ، ومن ثم وجود جزاء على الفعل ، حسناً كان أو سيئاً . وفَقْد هذا الجزاء يؤدي إلى ضعف الالتزام بالأخلاق القويمة ، والمساواة بين من يلتزم بالقيم الأخلاقية ؛ فيكون أداة بناء لمجتمعه ، وبين من يخالف

---

١ – يالجن، مقداد . التربية الأخلاقية الإسلامية . مرجع سابق . ص ٣٤٤-٣٤٨.

٢- عبد العال ، حمدي . الأخلاق ومعيارها بين الوضعية والدين .مرجع سابق . ٣٢-٣٣.

٣ – يالجن، مقداد . التربية الأخلاقية الإسلامية . مرجع سابق . ص٣٣٢.

٤ – المرجع السابق . ص٣٥٦.

هذه القيم ؛ ليكون معول هدم للمجتمع . وبذلك يكون الجزاء الأخلاقي حافزاً للمحسن أن يزيد في إحسانه، ويثبــت عليه ، ورادعاً للمنحرفين والمجرمين بالكفِّ عن غيِّهم ، حتى لا ينالهم الجزاء القاسي . ويتنوع الجزاء الأخلاقــي ما بين جزاء دنيوي وأخروي ، وجزاء مباشر وغير مباشر ، وعاجل وآجل ، وجزاء إلهي وجزاء وجداني وجزاء اجتماعي ، فهذا التنوع يراعي الفروق الفردية بين البشر ، فإذا كان بعض الناس يكفيه الجزاء الإلهــي ؛ فيكون دافعاً لــه نحو الخير وحاجزاً عن الشر ، فإن آخرين لا يستجيبون إلا للجزاء الاجتماعي ، والمتمــثل في العقوبة البدنية أو الثناء والمدح . كما أن هذا التنوع يعمل على تعزيز القيم الأخلاقية الحسنة في نفــس المحسن ، فعندما يرى المحسن ما أعده الله لــه من ثواب في الآخرة ، ورضا الناس عنه وثناءهم عليه ، ورضاه عن نفسه ؛ فإنه يثبِّت هذا الخلق في حياته ، ويوفر لــه دافعاً للتمسك بالقيم الأخلاقية . كما أن هذا التنوع يعمل على التنفير من الأخلاق السيئة ، فعندما يرى المسيء سخط الله عليه ، وما أعده لــه من عقوبة؛ بسبب هذا الخلق السيئ ، وما حازه من سخط الناس وبغضهم ، ومع ذلك نفوره من نفسه وكرهه لها ؛ يوفِّر كل ذلك دافعاً نفسياً للكفِّ عن هذا الخلق السيئ واستبداله بخلق قويم .

وتظهر منطقية الجزاء كأساس لبناء الأخلاق من النواحي التالية [1] :

أولاً : إن العدالة تقتضي الجزاء ؛ لأنه يفرق بين الذي يبني بعمله ، والذي يهدم به ، أو بين المصلح و المفسد ، والخيّر والشرير ، وإلا استوى الطيب والخبيث ، قال تعالى ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [المائدة:١٠٠].

ثانــياً : إن الجـــزاء عامل مشوق ، ودافع إلى التمسك بالقيم الأخلاقية ؛ لأن الإنسان يحب أن يرى ثمرة أعمالــه وكفاحــه ، سواء كانت هذه الثمرة مادية أو معنوية ، بل إن سنن الله الكونية لا تسوي بين الصالح والمفسد ؛ فتعطي العامل الصالح الباني ، وتحرم الذي يهدم ويهمل .

ثالــثاً : إن التمســك بالقيم الأخلاقية ، عمل مقدس ؛ لأنه يمثل أوامر الله وإرادته ، فمن يقدس الخالق ، ويحترم أوامره ، يلتزم بهذه القيم ؛ والتزامه بها يضفي على حياته قوة معنوية وبهجة روحية .

وفي الجــزاء الأخلاقي في الإسلام تظهر خصائص تميز البناء القيمي الأخلاقي الإسلامي عن الأخلاق الوضــعية ؛ فبيــنما يربط المذهب النفعي الأخلاق بالمنافع المادية والدنيوية الناتج عنها ، فهي عندهم وسيلة فحســب . وتــرفض الأخلاق الكانطية الجزاء الأخلاقي إطلاقاً ، معللة بأن الأخلاق تطبق لذاتها لا للجزاء والمكافــأة ، يقف الإسلام موقفه الوسط المعتدل ، فيظهر مراعاته للطبيعة الإنسانية ، فللإنسان جانب مادي وجانب معنوي ، وقد راعى الإسلام الجانبين معاً ، عندما قرر للسلوك الأخلاقي الجزاء المادي والمعنوي أيضاً . "ثم انه كلما كان شعور الإنسان بأنواع الجزاء المختلفة الناجمة عن العمل الأخلاقي أو المترتبة عليه أقوى كان ذلــك أكثر دفعاً إلى القيام بأعمال أخلاقية خلاقة وكان رادعاً في الوقت نفسه عن الانحراف ومخالفة القوانين

---

١ - المرجع السابق . ص٣٥٧-٣٥٨.

الأخلاقية وخاصة إذا كانت هذه الجزاءات متنوعة حسب المسئوليات التي تحملها هذه الأخلاق على الإنسان وتلقيها على كاهله" [١] .

وأنواع الجزاءات في الأخلاق الإسلامية أربعة هي :

أولاً : الجـــزاء الإلهي : وهو أقوى الجزاءات وأكثرها أثراً في النفس البشرية ، وهو جزاء دائم ممتد ، يشمل الدنيا والآخرة ، وهذا الجزاء هو أساس الجزاءات الأخرى ؛ لذلك كان لـــه أثر بالغ في النفس البشرية. وينقســـم إلى قسمين : الجزاء الإلهي الدنيوي : فيكافِئ الله عز وجل المحسن الملتزم بالأخلاق الحسنة في الدنيا بـــأنواع من المكافآت المادية والمعنوية ، كما يعاقب ذا الأخلاق السيئة بعقوبات دنيوية. وأما الجزاء الإلهي في الآخرة :فيكافئ الله تعالى المؤمن صاحب الخلق الحسن بالجنة ، وبثقل ميزانه وقربه من رسول الله ﷺ . أما ذو الخلق السيئ فينال نصيباً من العذاب بحسب درجة معصيته .

ثانـــياً : الجـــزاء الوجداني : وهو تلك الحركة الشعورية التي نحس بها في أعماق قلوبنا ، بالفرح أو التأنيـــب ، مباشـــرة بعـــد كل فعل ، نعتقد أنه فعل حسن أو قبيح ، والجزاء الوجداني أكثر تأثيراً من الجزاء المادي[٢] .

ثالـــثاً : الجزاء الطبيعي : وهذا الجزاء مبني على أساس ارتباط القوانين الأخلاقية بسنن الله الكونية ، كمـــا سبق توضيحه في الأساس العلمي ، ويمكن أن يعد هذا الجزاء جزاء إلهياً ، من حيث إن الله عندما وضع القوانين الأخلاقية بناها على أساس سننه الكونية ، كما جاء في الحديث (لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلافِهِمِ الَّذِينَ مَضَوْا) [٣]. ومن الغريب أن هـــناك أطـــباء يقررون أن مجرد الأفكار والنيات السيئة ؛ تؤدي إلى اختلال العقل والأعصاب ، ثم اعتلال الجسم [٤].

رابعاً : الجزاء الاجتماعي : وهو ما يقرره المجتمع من عقاب للمنحرف ، ومكافأة للمستقيم الصالح ، والجزاء الجماعي أشد وقعاً على النفوس ، ثم إنه يكشف الفاسقين والفاجرين .

وفي ضوء ما سبق يمكن القول: إن القيم الخلقية الإسلامية تقوم على عدة أسس ، أبرزها الأساس العقدي والأساس الفطري والأساس العلمي والأساس الإلزامي والأساس الجزائي وأساس المسئولية الخلقية. وقد راعت هـــذه الأســـس تكون الإنسان من جانبين ، جانب مادي وآخر روحي ، مع وجود فروق فردية بين الناس . وكـــان لهذه الأسس أثر قوي على ثبات وواقعية وفاعلية هذه المنظومة القيمية وبناء شخصية مسلمة متمسكة بقيمها الإسلامية.

---

١ - المرجع السابق . ص٣٥٨.

٢- المرجع السابق. ص٣٥٨.

٣- ابن ماجه ،محمد بن يزيد. سنن ابن ماجه . مرجع سابق . كتاب الفتن . باب العقوبات . رقم الحديث : ٤٠١٩. وحسنه الألباني ، في صحيح ابن ماجه. ٣١٦/٣.

٤ - يالجن، مقداد . التربية الأخلاقية الإسلامية . مرجع سابق . ص٣٦٧-٣٦٩.

خلاصة الفصل

لقـــد كـــان مدار الحديث في هذا الفصل عن القيم الخلقية الإسلامية ، واتضح للقارئ أن اعتماد الدين الإسلامي على الوحي الإلهي ، كان سبباً في قوة ومتانة وكمال التربية الصادرة عنها ، فهي بعيدة عن التناقض والتضـــارب ، الـــذي يؤثر في ثبات التربية ومصداقيتها وفاعليتها ، قبل أن يؤثر في بناء الشخصية الإنسانية . فالتربية الصادرة عن الدين الإسلامي هي تربية ثابتة الأسس ، قوية الدعائم ، كاملة الجوانب ، واقعية التطبيق . وكان لذلك انعكاس بيّن على قيمها الخلقية .

فأبرزت الدراسة في هذا الفصل مدى تأثر المنظومة القيمية الخلقية الإسلامية ، بصدورها من عقيدة الدين الإسلامي . فقيم الإسلام الخلقية ليست اتجاهات أو اهتمامات أو رغبات أو سلوكيات ، وإنما هي أعمق من ذلك وأدق ، لذلك حرص الفصل على تقديم تعريف لهذه القيم الخلقية الإسلامية ، فعرفها بأنها: معايير منظمة للسلوك الإنساني مصدرها القرآن الكريم والسنة النبوية ، ثابتة لحماية المقاصد الشرعية ، مؤثرة على اتجاهات ورغبات واهتمامات الفرد والمجتمع.

وبين الفصل أهمية القيم الخلقية في الإسلام ، بذكر الآيات والأحاديث التي حثت على مكارم الأخلاق ، ونهت عن رذائلها ، مع بيان أثرها على الفرد والمجتمع . كما وضح الفصل أن للقيم الخلقية في الإسلام أهدافاً عـــدة ، أبـــرزها : تحقيق العبودية لله ، وبناء شخصية إسلامية متكاملة متوازنة ، وضبط وتقويم أخلاق الفرد والجماعـــة وتحقيق السعادة للبشرية ، وتوحيد الطاقات وتنسيق الجهود وتوجيهها نحو الرقي بالمجتمع ، وأخيراً بناء حضارة إنسانية خيرة .

وقـــد كشف الفصل عن تميز هذه القيم الخلقية بخصائص ، تكتسبها من مصادرها الشرعية ، ومن هذه الخصـــائص الشمول والتكامل ، والثبات ، والتوسط والاعتدال ، والواقعية . وعدد مجموعة من الأسس التي تقـــوم عليها وهي : الأساس العقدي ، والأساس الفطري ، والأساس العلمي ، والأساس الالزامي ، وأساس المسئولية ، والأساس الجزائي . وقد أكسبت هذه الأسس القيم الخلقية الإسلامية فاعلية وقوة وإمكانية للتطبيق في الواقع البشري ، تفتقدها جميع النظم الخلقية الوضعية.

الفصل الثاني :

القصة في القرآن الكريم

مدخل

ويتناول هذا الفصل ، الحديث عن القصة القرآنية ، من عدة محاور ، وبصورة تهتم بتكوين تصور متكامل، تستعين به الدراسة في بناء الفصول التالية . فسعت الدراسة في هذا الفصل إلى إبراز مفهوم القصة القرآنية ، وبيان أغراضها وخصائصها ومنهجها وعناصرها .

وهنا تجدر الإشارة ، إلى أن هذا الفصل لم يستطع أن يوفي القصة القرآنية كامل حقها ، في صفحاته القليلة، فكثيراً ما اشتط القلم ، وأخذ الفكر روعة القصة القرآنية ، وإعجاز بيانها ، وبديع نظامها ؛ فيكتب حتى إذا كثرت الصفحات ؛ عاد ليختزلها في بضع صفحات ، وأحياناً في بضع أسطر وكلمات ، وهو يعلم أن هذا لتقصير واضح في حق القصة القرآنية ؛ ولكن عذره أن مجال الدراسة يضيق عن استيعاب هذا الإعجاز والبلاغة القرآنية ، كما ضاقت من قبلها الكتب التي خصصت لدراستها ، والتي جاءت في جزء واحد ، أو مجلدات وهي مع ذلك متباينة في الأهداف والمحتوى ، عاجزة عن استقصاء بيانها وإبداعها.

فلعل القارئ هنا ، يعذر الباحثة في تركيز الدراسة على بعض الأجزاء والجوانب ، دون أخر ، حيث إن هذا التركيز تحكمه الفائدة التي تجنيها الدراسة ، فالباحثة تهدف من هذا الفصل ، إلى وضع أساس ومنطلق ؛ يفيد الدراسة فيما تهدف إليه ، من استنباط واستقراء لهذه القصص .

والمباحث التي يتناولها هذا الفصل هي :

المبحث الأول : مفهوم القصة القرآنية وأنواعها وخصائصها وعناصرها .

المبحث الثاني : المنهج القصصي القرآني.

المبحث الثالث : الدور التربوي للقصة القرآنية .

المبحث الأول :

مفهوم القصة القرآنية وأنواعها وخصائصها وعناصرها .

مدار الحديث في هذا المبحث عن القصة القرآنية من حيث مفهومها وخصائصها وعناصرها وبيان أغراضها. ويتكون هذا المبحث من عدة مطالب :

المطلب الأول: مفهوم القصة القرآنية

المطلب الثاني : مزايا القصة القرآنية عن القصة الأدبية

المطلب الثالث : مصدر المادة القصصية في القصة القرآنية

المطلب الرابع : أنواع القصة القرآنية

المطلب الخامس: أغراض القصة القرآنية

المطلب السادس: خصائص القصة القرآنية

المطلب السابع: عناصر القصة القرآنية

ويتركز الحديث عن بعض جوانب وخصائص القصص القرآني ، بما يمكّن من تكوين تصور عن القصة القرآنية ، يساعد على معرفة أهدافها ، ومنهجها ؛ ليمهد لاستنباط ذخائرها التربوية . وفيما يلي عرض لهذه المطالب.

المطلب الأول:

مفهوم القصة القرآنية

قبل الوصول إلى مفهوم القصة القرآنية ؛ لابد أن نعرج إلى معنى القصة في اللغة العربية . وعند الرجوع إلى معاجم اللغة العربية يلاحظ أن كلمة قصة ترجع لمادة (قصّ — قصص) ،وهي تأتي على ستة معان :

أولاً : المتابعة :

قال الأزهري: " والقاصُّ: الذي يأتي بالقصة، من قصها. يقال: قصصتُ الشيء : إذا تتبعت أثره شيئاً بعد شيء . ومنه قوله ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾ . [القصص : ١١]. أي تتبعي أثره ، وقوله ﴿ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [الكهف : ٦٤] . أي : رجعا من الطريق الذي سلكاه فيقصّان الأثر . قلت أصل القَصِّ: اتباع الأثر ، يقال : فلان خرج قَصَصاً في أثر فلان وقصًّا. وذلك : إذا اقتَصّ أثره . وقيل للقاصِّ يَقُصّ القَصص : لاتباعه خبراً بعد خبر وسوقه الكلام سَوْقاً " (١) .

وذكر الجوهري في الصحاح ما نصه :" قَصَّ أثره أي تتبعه ، قال الله تعالى : ﴿ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [الكهف :٦٤]. وكذلك اقتص أثره وتَقَصَّص أثره " (٢) .

١– الأزهري ، محمد بن أحمد . معجم تهذيب اللغة . مرجع سابق. مادة قص .

٢– الجوهري ،إسماعيل بن حماد. الصحاح . مرجع سابق. مادة قص .

وقال ابن منظور : " وقصَّ آثارهم يَقُصُّها قصّاً وقَصَصاً وتَقَصَّصها : تتبعها بالليل ، وقيل هو تتبع الأثر أي وقت كان" (١)

وقـــال ابـــن فـــارس : "قص: القاف والصاد أصل صحيح يدل على تتبع الشيء ، من ذلك قولهم : اقتَصَصْت الأثر ، إذا تتبعه . ومن ذلك اشتقاق القِصاص في الجراح ، وذلك أنه يفعل به مثل فعله بالأول فكأنه اقتصَّ أثره ، ومن الباب القِصَّة والقصص ، كل ذلك يتتبع فيذكر "(٢) .

ثانياً : الخبر والحديث :

قال الجوهري : "والقِصَّة الأمر والحديث وقد اقْتَصَصْتُ الحديث رويتُه على وجهه وقد قَصَّ عليه الخبر قَصَصـــاً والاسم أيضا القَصَصُ بالفتح وضِع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه والقِصص بكسر القاف جمع القِصة التي تُكتب" (٣)

وقـــال ابن منظور "والقِصَّة الخبر وهو القَصَص وقَصَّ علي خبره يَقُصُّه قَصّاً وقَصَصاً أورده ، والقَصَص الخـــبر المقصوص بالفتح وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه ، والقِصص بكسر القاف جمع القِصة التي تكتب" (٤)

ثالثاً : البيان :

قال الأزهري : "ويقال في رأسه قِصَّةٌ ، يعني : الجملة من الكلام ونحوه قول الله ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف :٣] ، قوله أحسن القصص ، أي أحسن البيان " (٥) . قال ابن منظور" القَصّ: البيان " (٦) .

رابعاً : الحفظ :

قـــال الأزهـــري : " وقال أبو زيد تقصَّصْت كلام فلان ، أي :حفظته "(٧). وقال الفيروز آبادي : " وتقَصَّصَ كلامه حفظه"(٨)

خامساً : القطع :

قال الأزهري : "قال الليث : القَصُّ : أخذ الشعر بالمِقَصّ، قلت : أصل القصِّ : القطع ، وقال أبو زيد : قصَصْت ما بينهما ، أي قطعت"(٩)

١- ابن منظور ، محمد مكرم. لسان العرب . مرجع سابق. مادة : قصص .

٢- ابن فارس ، أحمد. معجم مقاييس اللغة . مرجع سابق. مادة قص .

٣- الجوهري ، إسماعيل بن حماد. الصحاح. مرجع سابق . مادة قص .

٤- ابن منظور ، محمد مكرم. لسان العرب . مرجع سابق . مادة قصص.

٥- الأزهري، محمد بن أحمد. معجم تهذيب اللغة. مرجع سابق . مادة قص.

٦- ابن منظور، محمد بن مكرم .لسان العرب. مرجع سابق . مادة قصص

٧- الأزهري ، محمد بن أحمد. معجم تهذيب اللغة. مرجع سابق . مادة قص.

٨- الفيروز آبادي ، محمد يعقوب. القاموس المحيط. مرجع سابق. مادة قص.

٩- الأزهري ، محمد بن أحمد. معجم تهذيب اللغة. مرجع سابق . مادة قص .

قال ابن منظور : قصَّ الشعر والصوف والظفر يقُصُّه قصّاً وقَصّصَه وقصّاه على التحويل : قَطعَه. والقصُّ: أخذ الشعر بالمِقَصّ ، وأصل القصِّ: القطع . يقال : قصَصْت ما بينهما أي قطعت[1].

سادساً : الصدر من كل شيء :

وقال الجوهري :"القَصُّ : رأس الصدر "[2]. قال ابن منظور : "والقَصُّ والقَصَصَ والقَصْقَص: الصدر من كل شيء ، وقيل : هو وسطه ، وقيل : هو عظمه"[3]. وقال الفيروز آبادي :" والقَصُّ والقَصَص الصدر أو رأسه أو وسطه أو عظمه "[4]

ونستخلص من الدلالات اللغوية السابقة حول مادة (قص)؛ أنها تأتي في اللغة العربية على ستة معانٍ ، هي : المتابعة ، و الخبر والحديث ، والبيان ، والحفظ ، والقطع ، والصدر من كل شيء . وجاءت مادة قص ومشتقاتها في القرآن أربعاً وعشرين مرة [5] . وقد وردت بأربعة معانٍ ، فهي إما أن تفيد المتابعة ، كقوله تعالى ﴿ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ ﴾ . [القصص : ١١]. أوالخبر والحديث ، كقوله تعالى ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ ﴾ [يوسف : ٥]. أو البيان ، كقوله تعالى ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ ﴾[يوسف:٣]. أو القطع ، كقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ﴾ [البقرة : ١٧٨].

أما من الناحية الاصطلاحية ، فقد تطرق الكثير من الكتّاب والباحثين لتعريف القصة القرآنية . فعرفها مناع القطان بأنها :"إخباره عن أحوال الأمم الماضية والنبوات السابقة ، والحوادث الواقعة "[6]. وعرفها محمد عدوي بأنها :"كل خبر أخبر به الله تعالى ورسوله محمد ﷺ بحوادث الماضي وموجود بين دفتي المصحف بقصد العبرة والهداية سواء كان بين الرسل وأقوامهم أو بين الأمم السابقة أفراد وجماعات"[7]. وعرفتها مريم السباعي بأنها: "تتبع آثار وأخبار الأمم الماضية ، وإيراد مواقفهم وأعمالهم وبخاصة مع رسل الله إليهم مع إظهار آثار الدعوات فيهم ، وذلك بأسلوب حسن جميل مع التركيز على مواطن العبرة والعظة "[8]. وعرفتها رفقيه صباغ بقولها : "القصة القرآنية هي الكلام الحسن المنزل في القرآن بلفظه ومعناه المتضمن لأحداث الأمم السابقة للعبرة والعظة"[9]

ولكن يلاحظ على التعريفات السابقة ، أنها قد اعتمدت في تعريف القصة في القرآن على أهدافها وأنواعها . فخصصت من أنواع القصة القرآنية قصص الأمم السابقة ، وقصص الحوادث الواقعة في عهد النبوة

١- ابن منظور ، محمد مكرم . لسان العرب. مرجع سابق . مادة قصص.

٢- الجوهري ، إسماعيل بن حماد. الصحاح. مرجع سابق . مادة قص .

٣- ابن منظور ، محمد مكرم . لسان العرب . مرجع سابق . مادة قصص.

٤- الفيروز آبادي ،محمد يعقوب. القاموس المحيط. مرجع سابق. مادة قص .

٥- السباعي ، مريم عبدالقادر . القصة في القرآن . مكتبة مكة .١٤٠٧هـ .ص ٢٨.

٦- القطان ، مناع خليل. مباحث في علوم القرآن . مكتبة المعارف . الرياض. ١٤٠١هـ . ص٣٠٦ .

٧- عدوي ، محمد خير . العبرة في قصة موسى في القرآن . رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الشريعة ،جامعة أم القرى . ١٤٠٠هـ . ص١٠

٨- السباعي ، مريم عبدالقادر . القصة في القرآن . مرجع سابق . ص ٣٠

٩- صباغ ، رفقيه عمر بكر. العبرة في قصة يوسف عليه السلام . رسالة ماجستير غير منشورة . جامعة أم القرى .بمكة المكرمة . ١٤٠٥هـ . ص٣٨.

المحمدية ، أو قصص البشر . ولم تشمل هذه التعريفات قصص غير البشر في القرآن كالملائكة والجماد . والهدف من القصة القرآنية هو أخذ العظة والعبرة والهداية ، ولكن هذا الهدف لا يقتصر على قصص الأمم . وإيراد القصة القرآنية بأسلوب حسن جميل لا تختص به القصة القرآنية ، بل يشترك فيه أيضاً كل آي القرآن . وإذا طبقنا هذه التعريفات على الآيات التالية ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ [فصلت : ١١-١٢] ، فهذه الآية تتحدث عن قصة خلق السماوات والأرض ، والحوار الذي كان بين الله عز وجل والسماوات والأرض ، ولكن باعتبار التعريفات السابقة لا تعد قصة ؛ حيث إن السماوات والأرض ليستا من الأمم .

والـتعريف الذي ترى الباحثة أنه معبر عن القصة القرآنية هو : **كل خبر جاء في القرآن واحتوى على ذوات وأحداث** .

وهذا التعريف يعتمد على عناصر القصة ، واقتصر على عنصري الذات والحدث ؛ لأن أقل ما تحتوي عليه أي قصة قرآنية من العناصر القصصية هي الذات والحدث ، وقد تزيد عليها عناصر أخرى . واشتراط وجود الذات والحدث في الخبر القرآني ؛ لأنه قد يأتي الخبر في القرآن ولكن لا يكـون قصة كما في قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [البقرة : ٢]. ولفظ الذات يتضمن الذات الإلهية الخالقة ، والذوات المخلوقة من إنس وجن وملائكة وطير وجمادات . ويشترط أن ترافق هذه الذوات أحداث ، فقد تظهر الذات في الآيات القرآنية ، ولكن لا يكون هناك قصة ، كما في قوله تعالى ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾ [النساء : ١٦٣] . فهو إخبار بالكتاب المنـزل على داود عليه السلام . والمقصود بالأحداث الوقائع التي حدثت ،كما في قصص الأنبياء مع أقوامها ، وأحداث عهد النبوة المحمدية ، أو ستحدث كقصة محاكمة عيسى يوم القيامة في سورة المائدة .

المطلب الثاني :

مزايا القصة القرآنية عن القصة الأدبية

في هـــذا المطلـــب توضح الباحثة مميزات القصة القرآنية عن القصة الأدبية من باب بيان عظمة القصة القرآنـــية ورقيها عن القصة البشرية . والذي يدفع الباحثة لإيراد هذا المطلب ، أن بعض الناس قد زلوا في هذا الباب ، وأخذوا يحكمون على القصة القرآنية بقواعد القصة الأدبية البشرية ، والتي ظهرت بعد أكثر من ثمانية عشر قرناً من نزول القرآن العظيـــم ، وكان منهم محمد بن أحمد خلف الله [١] ، والسبب الرئيسي وراء خطأ خلـــف الله ؛ هـــو أنه بنى آراءه على اجتهادات شخصية ، وتعامل مع النص القرآني كما يتعامل مع أي نص آخـــر، دون مراعاة للضوابط والأصول التي تحكم مسألة الاجتهاد في النصوص القرآنية ، فخلف الله " ساق القرآن سوقاً إلى ساحة الفن وحكم فيه بمقاييس الفن ، وأخذه بمعاييره ، كأي كلام أدبي يصدر من كاتب أو خطيب أو شاعر ! وذلك فيما قص القرآن من قصص ، وصوّر من أخبار وأحداث "[٢]. ومن أراد الاجتهاد في غايات وأصول القصص القرآني ، يجب أن يكون عالماً بالتفسير ، وأسباب الترول ، وعلوم القرآن المتعددة ، واللغة العربية ، والسيرة النبوية والتاريخ ، وسيأتي فيما بعد ذكر لبعض من أخطاء هذا الكاتب ونقدها .

أي أن الحديث عن مزايا القصة القرآنية ، أمر يستوجبه إظهار خصوصية هذا القرآن العظيم وآياته ، في عرض أحداثه وقصصه . وحتى يظهر هذا التميز ، لابد من أن نعرج إلى مفهوم القصة الأدبية ، والتي ظهرت بمفهومها الحديث في أواخر القرن الثامن عشر ، وأوائل القرن التاسع عشر ؛ ليتسنى إدراك الفروق الجوهرية ، ما بين هذه القصص .

لقـــد وضـــعت كثير من التعريفات للقصة الأدبية الحديثة منها : يرى نجم أنها: " مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب ، وهي تتناول حادثة واحدة أو حوادث عدة، تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة ، تتباين أساليب عيشها وتصرفها في الحياة ، على غرار ما تتباين حياة الناس على وجه الأرض ويكون نصيبها في القصة متفاوتاً مـــن حيـــث التأثر والتأثير "[٣]. ويعرفها شكري عياد بأنها: " تعبير موضوعي ، يعتمد على دراسة الشخصية والحدث "[٤] . وتعرفها عزيزة مريدن : "بأنها قالب من قوالب التعبير ، يعتمد فيه الكاتب على سرد أحداث معيـــنة ، تجري بين شخصية وأخرى ، أو شخصيات متعددة ، يستند في قصها وسردها على عنصر التشويق حتى يصل بالقارئ أو السامع إلى نقطة معينة ، تتأزم فيها الأحـــداث ، وتسمى العقدة ، ويتطلع المرء معها إلى الحـــل حتى يأتي في النهاية"[٥].

والكاتب في القصة الأدبية يلتزم بعدة قواعد مقررة عند علمائها منها [٦] :

١- وكان ذلك في كتابه الفن القصصي في القرآن الكريم ، والذي تقدم به للحصول على درجة الدكتوراه

٢- الخطيب ، عبد الكريم. القصص القرآني في منطوقه ومفهومه. دار المعرفة . بيروت لبنان . (د.ت) . ص٢٨٢ .

٣- نجم ، محمد يوسف. فن القصة . دار الثقافة بيروت ، لبنان . ١٩٨٩م. ص٩ .

٤- عياد ، شكري . القصة القصيرة في مصر . مكتبة النهضة المصرية . ١٩٦٨م . ص ٤٧ .

٥- مريدن ، عزيزة. القصة والرواية . دار الفكر بدمشق . ١٤٠٠هـــ . ص ١٢.

٦- أمين ، بكري شيخ . التعبير الفني في القرآن . دار الشروق . ١٣٩٦هـ . ص٢١٦.

١- أن تكون للقصة وحدة فنية .

٢- أن يراعى في عرضها جانب التلميح ما أمكن .

٣- أن يعني كاتبها برسم شخوصه.

٤- أن يكون للقصة هدف ومغزى.

٥- ألا تظهر فيها الموعظة أو الحكمة ظهوراً مباشراً.

٦- ألا تخلو من عنصر التشويق .

٧- أن يكون أسلوبها طبيعياً لا هو بالمتهافت ولا بالبالغ الصعوبة.

وهنا يأتي السؤال: هل تنطبق هذه القواعد والقوانين على القصة القرآنية ؟ .

للإجابـــة عـــلى مثل هذا السؤال ، لابد أن يدرك القارئ أن القصة القرآنية ، هي سابقة للقصة الأدبية الحديثة بقرون .كما أن مصدر هذه القصص وأهدافها ، ترقى بها عن القصص الأدبية الحديثة . أي أن القصة القرآنـــية مصطلح خاص ، لا تنطبق عليه الحدود التي وضعها النقاد للقصة البشرية الفنية ، ولا يجب أن تكون فـــيها حتى نسميها قصصاً ، بالمعنى المصطلح عليه عند النقاد ؛ فهي متميزة في موضوعها ، وطريقة عرضها ، وتســيير حوادثهـــا ، وشخصـــياتها . نعم قد تتفق بعض القصص في جملتها ، أو في بعض أجزائها وما قرره العـــلماء، لكـــن لا يعني أن هذه القصة ،أو هذا الجزء هو القسم الناجح وما عداه يقع دونه مرتبة وفنية [١]. فالقصة القرآنية جاءت لتبين أخبار من سبق ، وتقرر أحكاماً شرعية ، أي أنها وسيلة استخدمها القرآن الكريم للتربـــية والتقويم " فليس القرآن كتاب قصص في أصله ، وإنما هو كتاب تربية روحية وتوجيه ، وإنشاء حياة إنسانية كاملة . ولكن الدقة في الأداء وبروز القواعد الفنية فيه تجعل القصة — مع خضوعها للغرض الديني — طليقة الوجهة الفنية "[٢].

وهنا تذكر الباحثة بعض الاختلافات بين القصة القرآنية والقصة الأدبية على وجه الإجمال [٣] :

أولاً : المصدر : فالقصة القرآنية ربانية المصدر فهي من عند الله . والأدبية بشرية المصدر ؛ لأنها من عند البشر .

ثانـــياً : الهـــدف : فالهدف من إيراد القصة القرآنية ؛ هو لأخذ العظة والعبرة ، وتسلية الرسول ﷺ ، وغيرهـــا مـــن الأهداف . أما القصة الأدبية فتختلف باختلاف الكتّاب ، ولا يشترط فيها حدوث الفائدة ، حيث إن من أهدافها الأساسية جذب القارئ وإمتاعه مع الكسب المادي .

ثالـــثاً : الصـــدق : فالقصص القرآني صادق في كل ما تسوقه من أخبار وأحداث وشخصيات ، ولا يشترط ذلك في القصص الأدبي .

رابعـــاً : الســـرد التاريخي : القصة القرآنية تكتفي عند سرد القصص التاريخية بمواطن العبرة منها ، ولا تستقصي جميع أحداثها وأخبارها وشخصياتها . أما القصص الأدبية فهي معنية بالاستقصاء و السرد التاريخي .

١- المرجع السابق . ص ٢١٦.

٢- قطب ، محمد. منهج الفن الإسلامي . دار الشروق . (د.ت) . ص ٢٣٢.

٣- مشرح ، محمد ناجي. الآفاق الفنية في القصة القرآنية . دراسات في تأصيل الإعلام الإسلامي. ١٤٠٦هـ. ص٢٤- ٢٥ .

خامساً : عناصر القصة : العناصر في القصة القرآنية تابعة لهدف القصة ، فالقصة القرآنية لا تعرض جميع العناصـــر في كـــل قصة ، وإنما تنتخب من العناصر ما يؤدي هدفها . ولكن القصة الأدبية يجب أن يلتزم فيها الكاتب بعناصر القصة وإلا اختلت قصته.

سادســـاً : الأســـلوب : فأسلوب القصة القرآنية معجز ، تحدى الله به الثقلين ، يفوق القصة الأدبية في بلاغة التركيب وفصاحة الألفاظ .

ســـابعاً : من حيث الخيال والرمزية والأسطورة : فإنه لا يجوز على القصة القرآنية ، لما فيه من الباطل ، وعدم الواقعية .

ثامـــناً : اتساع المدى والعمق : تتناول القصة القرآنية النفس البشرية ، والأحداث الكونية ، من جميع الجهات ،وكافة الأبعاد طولاً وعرضاً ، وتتغلغل في عمقها ؛ لتظهر أسرارها ومكنوناتها ، بصدق وواقعية . أما القصة الأدبية فهي تعجز عن ذلك .

وممـــا ســـبق ، يتضح أن القصة القرآنية تتميز عن القصص الأدبية من حيث الذات والموضوع وطريقة العـــرض والصدق . فهي لا تتفق مع قواعد وقوانين القصة الأدبية بصورة كاملة ؛ وسبب ذلك اختلافهما في المصدر والهدف ، ونتج عنهما تفوق القصة القرآنية بشكل كامل وكبير على القصة البشرية الأدبية.

المطلب الثالث :

مصدر المادة القصصية في القصة القرآنية

تعـتمد القصة في صدقها وجودها وواقعيتها ، على المصدر الذي جاءت منه ، وهذا المصدر يؤثر تأثيراً مباشـراً في الحكم عليها ، ومدى انتشارها وشهرتها ، حتى إن كثيراً من القراء ، يعتمد في اختياره للقصص ، على اسم المؤلف -المصدر - .

وعندما يأخذ الكاتب قلمه ليصوغ قصته ، تواجهه هنا أول عقبة في هذا السبيل ، وهي : ما هو مصدر مادتـه القصصـية الـتي يكتـبها ؟. إن مصدر القصة الأدبية الحديثة ، هم الكتّاب على اختلاف عقائدهم وأفكـارهم، ومصـدر المـادة القصصية في القصة الحديثة ، يعتمد على خصوبة خيال الكاتب ، وملاحظته الشخصـية وتجاربـه ومحـيطه الاجتماعي ، وما فيه من أحداث ومشكلات . كما أن الأحداث التاريخية ، والقصص الشعبية ، والأساطير ؛ احتلت مكانة مرموقة في الآداب العالمية ، ووفرت مادة غزيرة شيقة للكتّاب العالميين . وبعد تحديد الكاتب لمادته القصصية ، يقوم برسم شخصيات قصته ، تاركاً خياله يؤلف هذه القصة، ويصوغ أحداثها ، لا يشترط في عمله صدقاً ولا واقعية.

ولكـن ما يحدث للقصة الأدبية البشرية ، يختلف تماماً عن القصة الإلهية القرآنية . فالقصة القرآنية هي جـزء مـن القرآن الكريم ، فمصدرها القرآن الذي هو :" الكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ ، المكتوب في المصاحف ، المنقول بالتواتر ، المتعبد بتلاوته "[1]. فالقصة القرآنية ربانية المصدر ، تكلم بها الله سبحانه وتعالى، مـن فـوق سبع سماوات ، لا يتخللها نقص ولا باطل . وحيث إنها جزء من كتاب الله العظيم ؛ فهي تنتهج نهجه، وتهدي هديه ، ملتزمة في ذلك بأسلوب القرآن المعجز البيّن ، لا يتخللها شيء من الخيال ولا الأسطورة، فهـي قصـص واقعية صادقة ، تكلم بها الله العليم الخبير ، في سياق كتابه العظيم ؛ لنأخذ منها عظة وعبرة وهداية.

وأمـا مصـدر المادة القصصية القرآنية ، فهي أخبار الأمم السابقة ، وحالهم مع أنبيائهم عليهم الصلاة والسلام ، قدوات البشر في الصلاح والإصلاح ؛ لتكون عبرة للمؤمنين المصدقين ، وبشرى لهم لما ينتظرهم من ثـواب في الدنيا والآخرة ، وفيها إنذار ورادعٌ قوي لمن كذّب وكفر بالرسل ، بما هو قادم عليه من العذاب والنكال في الدنيا قبل الآخرة . ومصدر المادة القصصية القرآنية أيضاً ، الأحداث الواقعة في عهد النبوة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، كما أن فيها إخباراً عن أمور غيبية لا سبيل للإنسان لمعرفتها ، وأخبار غير البشر من الملائكة و الجن والطير والحيوان والجماد .

وهـنا يظهر تميز القصة القرآنية – في مصدرها ومادتها – عن القصة الأدبية ؛ فصدق المصدر يؤثر تأثيراً قويـاً ، على مدى قبول القصة ، وقوة أثرها على النفس ، فالنفس تميل لمعرفة أخبار الأمم السابقة وأنبائهم ،

١- الزرقاني ، محمد عبد العظيم ، مناهل العرفان في علوم القرآن . دار احياء الكتاب العربية . القاهر . (د.ت). ١ / ١٩ .

وأيضاً الأخبار الحادثة ، ويلاحظ دائماً أن القصص الأدبية الواقعية تجد من الاهتمام ، ما لا تجده القصص الخيالية .

ومن العجيب أن بعض الباحثين في القصة القرآنية ، وبعد أن تعلموا فنون القصة الحديثة وآدابها وامتلأت قلوبهم إعجاباً بها ، أرادوا تطبيق هذه القواعد على القصة القرآنية ، دون إدراك لخصائص القرآن الكريم ، فراحوا يبحثون عن مصادر القصة القرآنية ، ويفتشون عن منابعها ، فيعيدونها مرة إلى الأسطورة ، ومرة إلى التاريخ ، ومرة إلى البيئة ، ومرة إلى الكتب السماوية السابقة من توراة وإنجيل وزبور، ومرة إلى العقلية العربية ، وهكذا ، كأنهم يريدون أن يتحققوا من تلك القصص ، ويتعرفوا على مدى صدقها [1] .

وممن وقع في ذلك صاحب كتاب : الفن القصصي في القرآن . فاعتبر الأساطير من مصادر المادة القصصية في القرآن الكريم ، في مبحث خاص سماه : بالقصة الأسطورية . وساق فيه مجموعة من الآيات وأقوال العلماء ، مما يَظن أنها تؤيد قوله بوجود الأساطير في القرآن ، فكان مما قال: "ورابع ما يفهم من النظر في هذه الآيات التي هي كل ما تحدث به القرآن عن الاساطير ، أن القرآن نفسه لم يحرص على أن ينفي عن نفسه وجود الأساطير فيه وإنما حرص على أن ينكر أن تكون هذه الأساطير هي الدليل على أنه من عند محمد عليه السلام وليس من عند الله"[2].

وهنا نقول والله المستعان ، أولاً: إن قول خلف الله " لم يحرص على أن ينفي عن نفسه وجود الأساطير فيه". إن كان مقصده من الأساطير قصص حقيقية واقعية عجيبة ؛ فصحيح أن القرآن لا ينفي عن آياته احتواءها . وإن كان مقصده من الأساطير القصص الكاذبة المختلقة ؛ فإن القرآن نفاها عن آياته في كثير من المواضع ، منها قوله تعالى ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٢]. وقال جل ثناؤه ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَـٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الاسراء: ١٠٥] ، وقال عز وجل ﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [الجاثـية:٦].

ثانياً : ونسأل هنا ، ما حاجة القرآن - وهو كلام الله عز وجل - أن يحقق أهدافه وأغراضه بقصص كاذب ؟ هل لم يجد قصصاً حقيقية واقعية تحقق أغراضه ، نتيجة جهله بها أو عدم وجودها ؟. أم رغبة في الكذب ؟!

لقد أثبت القرآن الكريم ، وهو كلام الله ، أن من صفات الله الصدق ، قال عز وجل ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [النساء:٨٧] . وقال ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴾ [النساء:١٢٢]. وقال ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾

١- امين ، بكري شيخ. التعبير الفني في القرآن. مرجع سابق .ص ٢١٦-٢١٧ .

٢- خلف الله، محمد أحمد. الفن القصصي في القرآن الكريم . مكتبة الانجلو المصرية . ١٩٧٢م . ص١٧٧.

[آل عمران: ٩٥] . إذن القرآن لا يريد أن يكذب بآياته . ثم إن الله عز ثناؤه ، أحاط علمه السر وأخفى ، القديم والحديث ، فجميع القصص عجيبها وبديعها وجميلها ، يعلمها . فهل لم يجد فيها قصصاً واقعية يحقق بها أغراضه ؛ فلجأ إلى الأساطير الكاذبة ؟!. أليس الذي أمره بين الكاف والنون ، قادر أن يقول للقصة كن ، فتكون! . وعندما جادل الله عز وجل الكفار في نسبة القرآن للأساطير ، نبه على مسألة كمال علمه عز وجل للسر وأخفى ، فقال جل ثناؤه ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝ ﴾ [الفرقان: ٥-٦]. يقول الإمام ابن كثير: " أنزل القرآن مشتمل على أخبار الأولين والآخرين إخباراً حقاً صدقاً مطابقاً للواقع في الخارج ماضياً ومستقبلاً" (١). ويقول عبد الكريم الخطيب:

> "إن القرآن هو كلمات الله ، وماكان لكلمات الله أن تحمل باطلا ، وتتلبس به ، أو تقيمه إلى جوارها ، بل أنها تلقي الباطل دائماً بما يطمس وجهه ويسود وجه المتعاملين به ولو اتسعت كلمات القرآن لأية شبهة من شبهات الباطل لانسحب ذلك على كل ما يحمل من مقررات العقيدة والشريعة جميعاً ، ولما كان هناك مفهوم صحيح لتلك الصفات التي وصف بها القرآن في القرآن نفسه. في مثل قوله ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝ ﴾ [البقرة : ٢]. وقوله سبحانه ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ۝ ﴾ [فصلت : ٤١-٤٢] ... وكيف يقع في فهم أن يصف الله القرآن بما وصفه به ، وأن يقسم به في مقام التشريف والتكريم ، وهو يحمل في كيانه أساطير وأباطيل ؟ وهل الأساطير إلا باطل الأباطيل ووهمّ الأوهام وخرافات المخرفين ؟ فكيف يحمل القرآن هذا الباطل وذلك الضلال على أنه بضعة منه، وآي من آياته ، بنصبها في مقام العبرة والعظة "(٢).

وخلاصة القول : فإن مصدر القصة القرآنية هو الله عز وجل ، الذي أنزل الكتاب على رسوله ﷺ، وأما مصدر مادة القصص القرآني ، فهي تتنوع ما بين قصص الأمم السابقة ، وقصص الأنبياء مع أقوامهم ، وقصص لحوادث وقعت في العهد النبوي ، وأخيراً قصص عن أمور غيبية لا يعلمها إلا الله . وهذا التنوع في المادة القصصية في القرآن له أثر في تنوع القيم والتوجيهات المتضمنة فيها ، وقد أدى إلى قوة تأثيرها على القارئ ، وشد انتباهه للقصة ، وإثارة مشاعره وعواطفه ؛ مما يسهل تربية العواطف الربانية ، وتوجيهها نحو الخير ، ومن ثم حصول العظة والعبرة.

١ - ابن كثير ،إسماعيل. تفسير القرآن العظيم. المكتبة التجارية . مكة المكرمة. ١٤١٠هـ . ٣/ ٣٤٠.

٢- الخطيب ، عبد الكريم. القصص القرآني في منطوقه ومفهومه. مرجع سابق . ص٣٠٦-٣٠٧.

المطلب الرابع :

أنواع القصة القرآنية

جاءت القصة القرآنية متعددة الأشكال والأنواع ، بحسب الغرض الذي تهدف إليه ، والقضية المعالجة ، وهـذا التنوع جاء ليزيد من إعجاز القصص القرآني ، وليثبت أنه من عند حكيم خبير . ويمكن تقسيم القصة القرآنـية إلى أنـواع عدة ، تختلف من حيث زمن الوقوع ، وحجم القصة ، وشخصيات القصة . وفيما يلي عرض مبسط لأنواع القصة القرآنية :

أولاً : أنواع القصة القرآنية من حيث زمن الوقوع :

يتنوع القصص القرآني من حيث زمن ووقت وقوع القصة ، وكان لهذا التنوع أغراض دعوية قرآنية ، وهـو وجه من أوجه الأسلوب القرآني البديع في عرض قصصه ، وتشويق القارئ إليها ، ويمكن إجمال أنواع القصة القرآنية من حيث زمن الوقوع إلى ما يلي:

١) **القصة التاريخية** : وهي التي تخبر عن قصص الأمم السابقة ، عن وقائعهم وأشخاصهم وأماكنهم ، وما كان من فعلهم مع أنبيائهم ، يورِد القرآن منها أحداثاً منتخبة ، بالقدر الذي يفي بتحقيق هدف القصة ، ومن الـزاوية التي تتفق مع ذلك الهدف ، فليس قصد القصة القرآنية السرد التاريخي . ومن أمثلة القصص التاريخي قصة قوم نوح ، وقوم عاد ، وقوم ثمود .

٢) **القصة الواقعية** : وهي التي تتحدث عن وقائع حدثت في عصر التنـزيل ، كمعركة خاضها المسلمون ، أو قول للكفار والمنافقين ، ومن أمثلة هذا القصص ، قصة الإسراء ، ومعركة بدر ، وحادثة الإفك. "فيصور تلك الأحداث في صور تبرز مواطن القوة والضعف"(١). والغرض من هذا التسجيل التاريخي ؛ إرشاد الجماعة المؤمنة وتوجيهها نحو ما يصلح شأنها ويقوي شوكتها .

٣) **القصـة الغيبـية** : ويقصد بها القصص القرآني ، الذي لا يمكن أن يصل إليها علم بشري ، "وهي التي تتناول أحداثاً ووقائع من صميم الغيب ، مستمدة من مشاهد الآخرة "(٢). كقصة محاكمة عيسى عليه السلام في الآخرة والتي جاءت في سورة المائدة . وقصة خلق السموات الأرض .

٤) **القصـة المضروبة للتمثيل** : " وهي كل قصة بدئت بما ينبئ أنها مثل مضروب لمشابهة حال المخاطبين لأحداثهـا ، أو كانت غير منسوبة إلى أشخاص معينين ودلت أحداثها على إمكان وقوعها من بعد أكثر من مرة . ومن أبرز ما يدخل فيها قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف ، وأصحاب الجنة في سورة القلم"(٣).

١- شديد ، محمد . منهج القصة في القرآن . شركة عكاظ للنشر والتوزيع . ١٤٠٤هـ ، ص ٣٧.

٢- المرجع السابق . ص٤٠.

٣- جرار ، مأمون فريز . خصائص القصة الإسلامية .دار المنارة ، جدة . ١٤٠٨هـ . ص٧٥.

ثانياً : أنواع القصة من حيث الحجم :

وكما تتنوع القصة القرآنية من حيث زمن الوقوع ، فهي كذلك تتنوع من حيث حجم القصة ، والمساحة ، التي تشغلها من آيات القرآن وصفحاته ، وعدد السور التي تعرضها ، وسبب هذا التباين في الحجم ؛ الاختلاف في الأهداف المراد تحقيقها من كل قصة ، ويمكن إبراز هذا التنوع في الحجم في ثلاثة أشكال:

١) **القصة الطويلة** :وهذه القصص تحتوي على عدة جوانب من حياة الشخصية ، من حيث ولادتها ونشأتها، والأحداث التي جرت في حياتها ، والمحن التي تعرضت لها ، على اختلاف في مقدار الأخذ بكل عنصر من العناصر السابقة ، أو تركها بحسب غاية القصة [١]. ولكن الشرط الأساسي لهذه القصص ، هو كثرة آياتها. وقد تكون القصة واردة في سورة واحدة ، كقصة يوسف عليه السلام ، أو منثورة في عدة سور ولكنها تشكل بمجموعها قصة طويلة ، كقصة موسى عليه السلام .

٢) **القصة القصيرة** : وهي بعكس القصة الطويلة ، فتتميز بقلة عدد آياتها ، وقلة أحداثها ، فهي تتناول جزءاً صغيراً من حياة صاحبها ، أو حادثاً كبيراً وقع له ، "فتعرض في صورة سريعة قوية في تعبيرات مركزة مشعة ، ومهمتها الايحاء السريع والتأثير القوي ، لتبلغ غايتها في أقصر وقت ومن أقرب طريق ، ومن ثم كانت لا تتناول وقائع متصلة مترابطة، ولا تعني برسم شخصيات ولا بتفاصيل أحداث"[٢]. كقصة أصحاب السبت.

٣) **القصة المتوسطة** : وتكون ما بين القصة القصيرة والقصة الطويلة ، فهي تتناول "مواقف ومشاهد من جزء من حياة صاحبها بتفصيل ، لكن هذه المشاهد لم تبلغ ما بلغته في القصة الطويلة "[٣]. كقصة نوح وقصة داود عليهما السلام .

ثالثاً : أنواع القصة من حيث شخصيات القصة :

ويظهر التنوع في القصة القرآنية أيضاً ، من حيث الشخصيات الواردة في القصة ، وهذا التنوع يؤكد أن القصة القرآنية واقعية ، تنقل واقعاً لا خيالاً ، في حياة تتنوع فيها الشخصيات ، ما بين أفراد وجماعات ، من البشر وغير البشر ، ويمكن إبراز هذا التنوع كما يلي:

١) **قصص الأنبياء وأقوامهم** : وتتناول هذه القصص أخبار الأنبياء مع أقوامهم ، وما لاقوا منهم ، "وقد تضمنت مناهجهم في الدعوة إلى الله تعالى ومعجزاتهم التي أيدهم الله بها ، وأخلاقهم وموقف المعاندين منهم وجزاء المؤمنين وعاقبة الضالين "[٤].

٢) **قصص عن أفراد وطوائف** : وهذه القصص تأتي في صورة أفراد أو جماعة من البشر ، "جرى لهم ما فيه عبرة فنقله الله تعالى عنهم كقصة مريم ولقمان والذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها وذي القرنين وقارون وأصحاب الكهف والأخدود وغير ذلك "[٥].

٣) **قصص غير البشر** : كقصص الملائكة ، وقصص الجن ، وقصص الطير.

١- مشرح ، محمد ناجي. الآفاق الفنية في القصة القرآنية . مرجع سابق . ص٣٦.

٢- شديد ، محمد . منهج القصة في القرآن . مرجع سابق . ص٤٢.

٣- مشرح ، محمد ناجي . الآفاق الفنية في القصة القرآنية. مرجع سابق . ص ٤٤.

٤- الشرقاوي ، أحمد محمد. المرأة في القصص القرآني. مرجع سابق . ص ٢٥ .

٥- الحميد ، محمد ناصر . قصص النساء في القرآن .مرجع سابق . ص٢٢ .

المطلب الخامس :

أغراض القصة القرآنية

المتأمل في القصة القرآنية يجدها متعددة الأنواع والأشكال ؛ ولكنها جميعاً سيقت لتحقق أغراضاً محددة ، والملاحظ على هذه الأغراض أنها جاءت متنوعة ومتعددة ، وفيما يلي عرض لأبرزها :

١) إثبات أن القرآن منـــزل من عند الله :

إيراد القرآن الكريم للقصص ، يؤكد حقيقة مهمة وهي أن القرآن الكريم ليس من تأليف البشر ، وإنما هو كلام رب البشر . فالنبي ﷺ المنـــزل عليه القرآن ، هو رجل أمي ، لا علم عنده بالكتب السماوية السابقة ، ولـــيس هو ممن عنده علم بالأخبار والتاريخ ، ورغم ذلك يحدث هذا الأمي – البعيد عن مصادر العلم وبلاد الحضارة –بقصص وأخبار تاريخية ، في غاية الدقة والصدق ، وكأنه حاضر المشهد ؛ لذلك أنكر الله على من قال بأن القرآن كلام محمد ، لما فيه من الغيبيات التي لا يعلمها إلا الله ، فقال عز ثناؤه ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝ ﴾ [الفرقان : ٥-٦]. فقصص القرآن هي إخبار عن غيب ، لا يعلمه إلا الله علام الغيوب ، وموافقته للصحيح مـــن أخـــبار النبيين ، دليل على أن القرآن من عند الله ، وليس حديثاً مفترى ، وليس أساطير الأولين اكتتبها محمد ﷺ ، ولا يمكن أن تملى عليه ، ولا يوجد من يمليها عليه . ففي القرآن من صدق الأخبار ، ما لم يكن في كتب أهل الكتاب المسطورة (١) .

٢) أخذ العظة والعبرة :

الغـــرض الأساســـي لذكـــر القصص في القرآن ، هو لأخذ العظات والعبر ممن سبق ، والتربية بالموعظة والعـــبرة، أســـلوب تربوي قرآني ، استخدمه القرآن لتوجيه المجتمع المسلم ، ولتثبيت عقيدة التوحيد ، وتقرير أحكامـــه الشـــرعية . فالآيات القرآنية تعرض على العقل والوجدان قصصاً وأحداثاً ، بعيدة الزمن أو قريبة ، بطريقة تحدث تغييراً عقلياً ونفسياً وسلوكياً في المستمع ، ثم تستثمرها في غرس العبرة والعظة المرادة .

ومـــن أمثلة ذلك قوله عز وجل ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَثَمُودُ ۝ وَقَوۡمُ إِبۡرَٰهِيمَ وَقَوۡمُ لُوطٖ ۝ وَأَصۡحَٰبُ مَدۡيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمۡلَيۡتُ لِلۡكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ۝ فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ ۝ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ۝ ﴾ [الحـــج: ٤٢-٤٦]. فموضع العبرة هنا ما فعل الله بالأقوام السابقين ، لما كفروا برسلهم ، وما أنزل عليهم من العذاب . فيطلب القرآن من المدعوين إلى الإيمان ، أن يسيروا في الأرض ؛ فيتأملوا ما ترك هؤلاء من آبار معطلة ، وقرى خاوية ، وقصور

١– أبو زهرة ، محمد. القرآن المعجزة الكبرى . دار الفكر العربي .(د.ت) . ص ٣١٠.

مشـــيدة ؛ لمعرفة نتائج الخسران الذي لحق بهم ؛ بسبب كفرهم وعدولهم عن الحق[1] . ليحذروا أن يكونوا مثلهم ؛ فيصيبهم ما أصابهم.

٣) تقرير عقيدة الإسلام وشرائعه :

العبرة التي تأتي لأجلها القصة في القرآن ، تنطلق لتقرر الكثير من الحقائق الإسلامية ، والأغراض الدينية ، فأول حقيقة تؤكدها هذه القصص عقيدة التوحيد التي تشترك فيها جميع الأمم والأنبياء ، فالله واحد لا ندَّ لـــه ولا شبيه ولا مثيل . ففي سورة الأعراف تتابع فيها ذكر قوم نوح وعاد وثمود وقوم شعيب ، كل نبي يقول لقومه ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [الأعراف: ٥٩]. "ولقد كانت الجماعة المؤمنة في العهد المكي قلة مستضعفة ، تحس بالغربة والانقطاع في عالم يموج حولها بالشرك والفساد ، وينكر عقيدتها ودعوتها ، فقدم لها القرآن بهذا التصور تاريخاً ممتداً في الزمان حتى فجر البشرية ويمتد في المكان ليشمل مساحات هائلة من الأرض، فجعل من المؤمنين في كل زمان ومكان أمة واحدة هي أمة الإيمان "[2]. واستخدام القرآن الكريم القصة في التربية التشريعية ، بما أظهر فيها من أحكام تشريعية ، أوجبت على الإنسان العمل بها ، فجاءت قصة ابني آدم في سورة المائدة تمهيداً لحكم القصاص الذي شرعه الله بعد . وكذلك أوردت نماذج لمن عصوا شرع الله وعقوبتهم . كما عملت القصة القرآنية على هدم كثير من الشرائع الفاسدة ، والتي جاء بها أهل الكفر ، وتبيين وجه باطلها ، وإقرار الحق مكانها.

٤) تأييد النبي ﷺ وتثبيت فؤاده ومن معه :

قـــال تعالى ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝١٢٠ ﴾ [هـــود :١٢٠].قال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية " وكل أخبار نقصها عليك من أنباء الرســـل المـــتقدمين مـــن قبلك مع أممهم وكيف جرى لهم من المحاجات والخصومات وما احتمله الأنبياء من التكذيـــب والأذى وكـــيف نصر الله حزبه المؤمنين وخذل أعداءه الكافرين ، كل هذا مما نثبت به فؤادك أي قلـــبك يـــامحمد ليكون لك بمن مضى من إخوانك من المرسلين أسوة"[3]. أي أن القصة القرآنية " تهدف إلى تخفـــيف الضغط النفسي عن النبي ﷺ مما يلاقيه من تكذيب قومه ومطالبته بالمعجزات ، وطمأنة المؤمنين وبث الثقة والطمأنينة في قلوبهم وإشاعة الرعب والقلق في نفوس المشركين" [4] .

٥) بيان أوجه الإعجاز القرآني :

في هذه القصص بيان لفصاحة القرآن وبلاغته ؛ وذلك بدقته في اختيار كلمات القصة ، التي تصيب المعنى بدقة وجودة ، يعجز عنها بلغاء البشر ، وتنقله السريع من أسلوب إلى آخر ، بين أجزاء القصة الواحدة ، وبين القصـــص المتعددة ، " فمن التعبير المقرر ، إلى التصوير المؤثر ، ومن روعة العرض إلى تبين الأشخاص ، ومن تجســـيم الصـــراع ، إلى تجسيد الحوار ، ومن تعميق الأسباب إلى تطبيق الأهداف ، ومن صحة المقدمات إلى

١- النحلاوي، عبد الرحمن. التربية بالعبرة . دار الفكر . دمشق. ١٤١٨هـــ. ص١٣٦-١٣٧.

٢- شديد ، محمد . منهج القصة في القرآن . مرجع سابق . ص ١١٨ .

٣- ابن كثير ،إسماعيل. تفسير القرآن العظيم. مرجع سابق . ٢/ ٥١٠.

٤- شديد ، محمد. منهج القصة في القرآن . مرجع سابق . ص ١٠٨.

سـلامة النتائج والغايـات "[1]. وأيضاً بتكرار القصة الواحدة ، بألفاظ متنوعة ، وعبر جديدة ، في مواضع عـدة ، ولأهـداف مختلفة ؛ تدل على أنها من عند الله عز وجل . وقد تحدى الله فصحاء العرب وبلغاءهم ، على الإتيان بسورة من مثله ، وكان من قصار سوره سورة الفيل .

٦) إرساء الأخلاق الإسلامية وأصولها :

لا تخلـو قصـة من قصص القرآن من "التوجيه إلى رؤوس الأخلاق وأصولها وذروة سنامها ، من النظر الصادق والشجاعة المقتصدة والقصد في القول وغض الصوت وخفض الإشارة واللين في السلوك والدعوة إلى كل بر" [2]. فالقصة القرآنية عملت على تأصيل الأخلاق الإسلامية ، في نفس القارئ ، بما احتوته من أسس أخلاقية مرجعية ، وما تضمنته من أخلاق كثيرة . جاءت بها في نماذج بشرية ؛ ليسهل الاقتداء والاتباع . فقد أوردت نماذج بشرية حسنت أخلاقها ، خاصة من أئمة الهدى أنبياء الله الكرام ، تظهر فيها أخلاقهم وآدابهم ومخاطبتهم وتعاملهم مع أقوامهم ، فلئن بعد الزمان ، وغابت عن العين الأجساد ، إلا أن قصصهم وأخبارهم ثابـتة في القرآن ، يعود إليها أسلافهم ؛ لتكون لهم إماماً وقدوة في درب الدعوة والطاعة . قال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام لما بعثهما لفرعون ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه :٤٤]. وفي وصف يحيى قال الله عز وجل ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ ﴾ [مريم: ١٣-١٤]. كما جاءت بنماذج بشرية لمن ساءت أخلاقهم ، والعذاب الذي استحقوه في الدنيا والآخرة ، ليتحقق هـدف التربية الإسلامية المتمثل في تزكية النفس وتطهيرها . فأوردت القصة القرآنية خلق قوم لوط – وهو الفاحشة وقطع الطريق – وما أصابهم من عذاب بسببها ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [العنكبوت:٢٨-٢٩].

٧) تربية المسلم على قيم الإسلام الخالدة:

آيات القصة القرآنية تربي في نفس المؤمن مبادئ وقيماً إسلامية ، فلا تخلو قصة من قيمة تؤكدها ، وتعمل على تأصيلها في نفس المسلم ؛ ليعمل بها في حياته ، حتى جعل المولى عز وجل قيمة كقيمة التفكر والتأمل ؛ سبباً رئيسياً لإيراد هذه القصص ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٦]. وتأتي بقصة مُلك طالوت على بني إسرائيل ؛ لتؤكد على رفع قيمة العلم والقوة الجسمية على القيم المادية المالية ﴿ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ﴾ [البقرة : ٢٤٧]. كما يأتي طلب الدواء والعلاج في قصة أيوب عليه السلام ، قال تعالى ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ [ص:٤١- ٤٢].

١- لقمة ،محمد محمد محمد . الجوانب الأدبية والبلاغية في القصة القرآنية . رسالة دكتوراة مقدمة إلى كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر قسم الأدب والبلاغة . ١٣٨٨هـ . ص ٥٤٨

٢- عبدربه ، عبد الحافظ . بحوث في قصص القرآن . دار الكتاب اللبناني . بيروت . ١٩٧٢م. ص١٢١.

المطلب السادس :

خصائص القصة القرآنية

تفـــردت القصة القرآنية بخصائص جعلتها في الذروة العليا ، وفي المستوى الأسمى ، أعجزت أصحاب الـــتاريخ والأخبار ، وأرباب الفصاحة والبيان ، عن مجاراتها ومشابهتها . فقد جمعت من الخصائص والمزايا ما يستحيل اجتماعها لغير قصص موحى به من عند الله ، ومن أبرز هذه الخصائص :

١) **أنها ربانية المصدر:**

من أبرز خصائص القصة القرآنية أنها جاءت في القرآن الكريم ، فهي جزء من هذا الكتاب الجليل ، وهذه الخاصـــية أوجبـــت لها الكثير من الخصائص والميزات ، التي انفردت بها عن غيرها . فوجود القصة في القرآن الكـــريم أكســـبها الإعجاز والتحدي ، ففيها إيراد لأخبار وأسرار ، وأقوال وأفعال ، من سبق ومن سيأتي ، بطريقة عجز عن مجاراتها فصحاء العرب ، وعن تقليدها جهابذة الأدب الحديث وقصاصيه .

٢) **التزامها بالحق :**

من أبرز سمات القصة القرآنية أنها ملتزمة بالحق والأمانة والصدق ، في كل أخبارها وأحداثها ، فلا كذب فيها ، ولا خيال ، قال تعالى :﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [آل عمران : ٦٢]. وقال تعالى :﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾ [الكهف: ١٣]. فما تورده القصة القرآنية من أحداث ، وما تصف من شخصيات ، هي وقائع حقيقية، لا وهمـــية ولا خياليـــية . فمـــا حاجة القصة القرآنية للكذب ، وهي قد ضمنت الإحاطة الكاملة بكل دقائق الحـــدث، وما يدور في خلجات الصدر؟! . وما حاجتها لذلك ، وقد أمسكت بزمام البلاغة والبيان المتناهي الكمال؟! . " وإذا كان فيها أخبار أو شخصيات لم يرد عنها في التاريخ ما ورد في القرآن الكريم ، فإن القرآن حجـــة على التاريخ لأنه تنـــزيل من حكيم خبير ، ولأنه النص الديني الوحيد الذي سلم في تاريخ البشرية من التحريف والتزوير " (١) .

٣) **سمو أهداف القصة القرآنية :**

للقصص القرآني أهداف سامية ، ومقاصد عالية ، فلم ترد قصة في القرآن بغرض الترفيه ، ولم تسعَ لحشو مكوناتها بالأحداث والمواقف الغريبة والدقيقة ؛ لتشبع نهم القارئ في معرفة التاريخ السابق ، بل جاءت لتحقيق أهـــداف التربـــية الإسلامية ، العقدية والخلقية والوجدانية والعقلية ، قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف: ١١١]. فتأتي القصة للوصول إلى هدف محدد ، ولكنها تحقق معه مجموعة كبيرة من الأهداف التربوية الإسلامية .

١- جرار ، مأمون فريز . خصائص القصة الإسلامية .مرجع سابق . ص ٢٢٨.

٤) **أنها قصص واقعية :**

أنكـــر القرآن الكريم على من طلب أن يكون الرسول ملكاً من الملائكة ؛ لأن الرسول يجب أن يكون من جنس المدعوين ، حتى يمكنهم الاقتداء به ، قال تعالى ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [الإســـراء: ٩٤-٩٥]. وبهذه النظرة تتميز قصص القرآن ، فهي لا تأتي بقصص وهمية متخيلة ، لا يمكن أن تتمثل في الحياة البشرية ؛ وإنما تراعي الواقع البشري ، وإمكانياته الجسمية والعقلية . فلا تـــورد مـــثلاً وقيماً ليس بمقدور البشر الوصول إليها ، أو لا وجود لها في الواقع البشري ، أي أنها "لا تحلق بالإنســـان في عالم المثاليات التي لا وجود لها في عالم الواقع بل تخاطبه على أنه بشر لـــه طاقة محدودة لا يمكن أن يتجاوزها" [١]. ولذلك تختار قصصها من الواقع البشري ؛ لتحقق أهدافها ، فهي قصص واقعية ، "واقعية في صـــدقها لأنهـــا لا تستمد أحداثها من الأساطير الخرافية . واقعية في نقلها الأحداث كما هي. واقعية في معالجـــتها لمشاكل الحياة" [٢]. وواقعية القصة القرآنية كان لـــها أثر كبير في قوة أثرها التربوي ، حيث إن ما تقدمـــه من شخصيات وقيم وتوجيهات لها صلة بالواقع البشري ، ومن ثم تنفي حجة من قال إنها مثاليات لم يمارسها بشر.

٥) **تخيرها لمواطن العبرة في الحدث التاريخي :**

لا تحـــرص القصـــة القرآنية على تقديم الحدث التاريخي بكل تفاصيله وأبعاده ، وإنما تتخير منه ما يحتاجه الموطـــن الذي تقدم فيه القصة . وفي هذا الاختيار لا تبرز من عناصره إلا ما يتطلبه المقصد من تقديم القصة . فالقصـــة القرآنية بذلك تسلط الضوء على جانب من الحدث ، هو الذي يحقق هدفها ، دون تعرض للجوانب الأخرى ؛ إذ هي رؤية للحدث من زاوية خاصة ، هي ذات التأثير الفعّال فيما تقصد إليه [٣] . مثال ذلك قصة أصحاب الكهف ، لم يذكر القرآن زمن وقوع الحادثة ومكانها ، كما لم يذكر أسماء شخصيات القصة ، حتى إن عددهـــم رده الله لعـــلمه ، وقال للمؤمنين آمراً لهم بتركه والاشتغال بما يعود عليهم بالنفع ﴿ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الكهف : ٢٢]. وبهذه الخاصية نستطيع أن نعرف لماذا تقدم بعض الأحداث ، وتؤخر أخرى ، دون النظر للترتيب الزمني لها . وكذلك ذكر بعض المعلومات عن الحدث التاريخي في مواضع ، وتركها في مواضع أخرى .

٦) **أنها غير مقصودة لذاتها :**

القـــرآن الكـــريم كتاب هداية وإرشاد ، وإيراده للقصة القرآنية في آياته المقصد منه استخدامها كوسيلة تـــربوية، لتحقـــيق أهدافه وغاياته ، لذلك يكون اختيار القصة في مواضع دون أخرى "قائم على الدقة التامة

١- الرحيلي ، محمد بن رزيق قبل . بعض المبادئ التربوية المستنبطة من قصة يوسف عليه السلام . بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الاسلامية والمقارنة . جامعة أم القرى . كلية التربية . قسم التربية الاسلامية والمقارنة . ١٤٢٠هـــ . ص ٢٤ .

٢- باحاذق ، عمر محمد عمر . الجانب الفني في قصص القرآن الكريم . دار المأمون للتراث . دمشق .١٤١٣هـــ . ص ١٤٨.

٣- عوضين ، إبراهيم. البيان القصصي في القرآن الكريم. دار الأصالة للثقافة والنشر والاعلام . ١٤١٠هـــ . ص ١١٧ - ١١٨.

الكاملـــة ، بحيث تصبح القصة فيه مستدعاة يتطلبها المقام دون غيرها ، وبحيث يتطلبها من زاوية معينة ، فلا تسـلط الكـلمات الكاشفة على أبعد من تلك الحدود المطلوبة ، ولا تغفل لحظة واحدة ولا نقطة واحدة مما يتضـمنه المشـهد ويتطلبه المقام "[١]. وهذه الخاصية تؤكد على أن القصة صيغت لدعم الدعوة الإسلامية ، وتنمـية قـيمها في نفوس المسلمين ، وليس بقصد التسجيل التاريخي ، وعرض الشخصيات التاريخية . وهذه الخاصية توضح سبب اختلاف حجم القصة القرآنية ، خاصة عند تكررها في القرآن الكريم . كما تبين سبب عدم ورود أسماء غير الأنبياء في القصة القرآنية ، إلا من تعلق بذكر اسمه تحقق غرض من أغراض القصة .

٧) **تكرار القصة القرآنية :**

ويقصد بالتكرار في القصة القرآنية : أن ترد القصة الواحدة عدة مرات ، في مواضع متعددة [٢] . ويكون التكرار لبعض جزئيات القصة ، أي بوجود حذف أو إضافة ، مع تغيير في صياغة وقائع القصة . كتكرار قصة لـوط في سورة الأعراف وهود والحجر وغيرها ، مع تغيير في الصياغة وفي وقائع القصة . ويخدم هذا التكرار غرضـين ، في آن واحد الأول :"غرضاً فنياً يتمثل في تجدد أسلوبها ، إيراداً وتصويراً والتفنن في عرضها إيجازاً وإطـناباً والتـنوع في أدائها لفظاً ومعنى" [٣] . وغرضاً تربوياً ، حيث يمثل هذا التكرار أحد أساليب التربية الإسلامية ؛ لتهذيب الجماعة المؤمنة ، وتخليصها من رواسب الجاهلية ، وهذا التكرار يساعد على تثبيت القيم والمبادئ الإسلامية في هذه النفوس .

ويلاحـظ أن لهـذا التكرار ضوابط ، فلا يشمل التكرار جميع القصص القرآني . كما أنه ليس في نفس الدرجة من التكرار ، من حيث المواضع والأحداث . فبينما لم تكرر قصة أصحاب الكهف في موضع آخر ، إلا أن قصـة موسـى علـيه السلام مع بني إسرائيل ،كررت في كثير من السور القرآنية ، ولكنها رغم هذا التكرار، تختلف في حجمها في السور، ولا يشمل التكرار جميع الوقائع ، كعدم تكرار قصة البقرة ، والضابط الـذي يحكـم كل ذلك ، هو مدى تحقيقها لأهداف الدعوة الإسلامية ، ومقاصد التربية القرآنية للجماعة المسلمة ، "فيكرر منها ما هو مفيد للتأثير على هذه النفوس ، وتحريكها نحو تبني الخير والتزامه ، والتحول عن الشر والابتعاد عنه . لذا نجد أن النوع الذي يخدم هذا الغرض كثير التكرر في قصص القرآن ، بينما نجد البعض الآخر لا يذكر إلا مرة واحدة لأنه وفّى بالغرض الذي سيق لأجله واكتملت العبرة منه "[٤] .

٨) **أن القصص القرآني يلتزم الطهارة والأدب:**

القــرآن الكـريم تُذكـر فــيه مكـارم الأخلاق والطهارة والعفة ، دعوة قولية ؛ بما سنه من الأحكام والتشـريعات. ودعـوة فعلية ؛ بما أبرزه من القدوات . وكتاب هذه دعوته ؛ حري به أن يبلغ من الطهارة والأدب السـنا الأعلى . وهذا ما يرى وجهه في القصص القرآني ، فعندما تساق الأحداث القصصية المختارة لتحقيق أهداف سامية ، ويظهر في طياتها حالات الضعف البشري ، فيصيب شخصية القصة المعصية ، أو يَهم

١- المرجع السابق . ص١٤٤.

٢- السباعي ، مريم عبد القادر. القصة في القرآن . مرجع سابق . ص ٦٣.

٣- نقرة ، التهامي . سيكولوجية القصة في القرآن . الشركة التونسية للتوزيع. تونس. ١٩٧١م . ص١١٦ .

٤- عدوي ، محمد خير . العبرة في قصة موسى في القرآن . مرجع سابق . ص٧٨-٧٩.

بفاحشة ، هنا يبدو منهج القصص القرآني الرفيع الراقي في التعامل مع هذه الأحداث ، فهي تعرض بسرعة ، دون الوقوف عند أطلالها كثيراً ، وبعبارات عفيفة ، وكنايات بديعة ، في بضع كلمات ، ثم " يسرع ليسلط الأنوار على لحظة الإفاقة ، لحظة التغلب على الضعف البشري ، لأنها الجديرة بتسليط الأنوار عليها "[١]. فتأمل أيها القارئ حادثة المراودة في قصة يوسف عليه السلام : فذكرت دعوة امرأة العزيز إلى الفاحشة بكلمتين هي ﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾. وذكر رد يوسف عليه السلام عليها بكلمات ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [يوسف : ٢٣]. وهذه الخاصية تؤكد على أن القرآن الكريم كان في عرضه للقصص واختياره يهدف إلى تهذيب النفس البشرية وتزكيتها ، وليس لإثارتها وجذبها لقراءته . وقد تلمس هذه الميزة للقصة القرآنية ، أحد أدباء القصة فقال :" إن القصة في القرآن هي أول قصة في لغتنا العربية عرفت الالتزام وجددت رسالة الأدب بمعناه الإنساني الذي يفهم الأدب على أساس وظيفته الاجتماعية التي تدعو الناس كلهم إلى الخير ، وتبعدهم عما ألفوه من خلق وعادات وآراء زائفة ، وعقائد وعبادات باطلة "[٢]. فحري بأهل الأدب وفنونه أن يأخذوا بهذه الميزة في كتاباتهم القصصية.

٩) الإقناع الفكري :

القصص القرآني يوجه القوة العقلية إلى التأمل والتدبر في ما أورده من قصص الأمم الغابرة والنبوات السابقة ؛ ليرى فيها مجموعة من الأحداث والحوارات والمواقف ، التي تحمل في طيّاتها البراهين والمعجزات على وحدانية الله ، ليكون إيمانه نابعاً عن قناعة فكرية ، لا عن تقليد لما وجد عليه الآباء . فعندما يقرأ المسلم سورة كسورة هود عليه السلام ، فتأتيه قصة قوم نوح عليه السلام وعاد وثمود وقوم شعيب عليه السلام مع أنبيائهم، وما ساقوه لهم من أدلة ومعجزات للإيمان بالله وتوحيده ، فكان من أمرهم أن كفروا بآيات ربهم ؛ فأنزل عليهم العقاب الأليم . يخرج بعد هذا السرد القصصي الجميل بقناعة فكرية على أهمية العقيدة وعظمتها ، والعقوبة التي تنتظر من كفر وجحد بالله . فإذا أضيف إلى ذلك تكرار هذه القصص في عدة سور ، ازداد الإعجاب من طريقة القرآن المعجزة في الإقناع الفكري .

١٠) القصص القرآني هو قصص تربوي :

القرآن الكريم هو كتاب التربية الأول للمسلم ، وقد جاءت قصصه قصصاً تربوية في ذاتها وهدفها . جاءت لتربي العواطف والمشاعر والأبدان ، على عبادة الله وطاعته ، وتثير القصة القرآنية انفعالات القارئ الوجدانية والفكرية ؛ ليعيش في جو هذه القصة ، ومن ثم تغرس فيه القيم والمبادئ الدينية المرادة . فتعلمه الكثير عن العقيدة الإسلامية الصحيحة والأحكام الشرعية ، وتحتوي هذه القصص على قيم ومبادئ خلقية ووجدانية وعقلية ؛ تحث على التمسك بها . كما تنبه على قيم ومبادئ منحرفة عن الصواب ؛ فتوجه القصة القرآنية إلى اجتنابها . " إن استخدام القصة القرآنية في التربية يساعد المربي على تذليل ما يصادفه من عقبات وصعوبات ،

١- قطب ، محمد . منهج الفن الإسلامي . مرجع سابق . ص٢٣٣.

٢- أبوسعد ، أحمد. فن القصة . دار الشرق الجديد. بيروت . ١٩٥٩م ، ص٦٨.

في الحقائق العلمية والمعلومات والمبادئ والقيم ، والمثل العليا المراد غرسها في نفوس الأفراد والجماعات ، كما أن القصة في القرآن تربي الإنسان تربية خلقية واجتماعية ووجدانية وجسمية وعقلية وجمالية " (١) .

لذلك فالقصص القرآني والقصص النبوي هي القصص الوحيدة التي يمكن للمعلم والمربي ، أن يعتمد عليها في تربيـــية الناشئة ، وهو آمن من تضمنها على دعوة ظاهرة أو خفية ، إلى قيم ومبادئ سلبية . أما غيرها من القصص البشري ، سواء ما يذكرها أهل الكتاب في كتبهم المحرفة ، أو ما يصيغه القصاصون والأدباء ؛ فلا بد من أن يقف عندها المربي طويلاً ، وقفة ناقدة وممحصة ؛ ليتأكد من خلوها من دعوة إلى مبادئ وقيم سلبية ، تؤثر على تربية الناشئة .

وهكــــذا يظهر أن القصة القرآنية تميزت بمجموعة من الخصائص ، التي يستحيل اجتماعها لغير قصص رباني المصدر ، فهي صادقة المحتوى ، راقية الأهداف ، واقعية الأحداث ، منتخبة الوقائع ، تربوية المضمون ، سامية الآداب .

١- طهطاوي ، سيد أحمد . القيم التربوية في القصص القرآني .مرجع سابق . ص ١٠٣.

المطلب السابع:

عناصر القصة القرآنية.

القصة القرآنية جاءت متضمنة لمجموعة من العناصر القصصية ، وهي كثيرة منها : الأحداث والشخصية والحوار والسرد والبيئة الزمانية والمكانية والصراع والأسلوب والعقدة والتصميم والموضوع والهدف والمفاجأة والحبكة وغيرها من العناصر . ولكن أهداف كل قصة قرآنية تتحكم في العناصر التي تظهر فيها ، ولذلك " لا نجدهـــا مجتمعة في القصة القرآنية ، ولا موزعة توزيعاً يجعل لكل منها دوراً يختل بانعدامه توازن القصة ، لأن المقاصد التي يوحي بها السياق هي التي توجه أسلوب العرض ، وتتحكم في ترتيب الأحداث ، وتسلط الأضواء على العنصر المراد إبرازه" [١] .

ولأهمـــية هـــذه العناصر ، حيث توضح المنهج القصصي القرآني ، وتبين أوجه البلاغة القرآنية وتفردها بخصـــائص ومـمـــيزات لا تبلغها أي قصة ، تتحدث الباحثة عن أبرز هذه العناصر ، موضحة كيف جاءت في القصص القرآني وهدفها ، وهي : الشخصية ، و الأحداث ، والحوار ، والبيئة الزمانية والمكانية .

أولاً : الشخصية

الشخصـــية هـــي أول عنصر من عناصر القصة القرآنية ، وأساس أحداثها ، فلا وجود للحدث بدون شخصـــية ، فهي تشكل الوعاء الأساسي للقصة ؛ فعليها تعتمد في توصيل المعاني والأفكار ، التي تسعى إلى تحقـيقها ، بمـــا تعرضـــه من نماذج بشرية ، فيها الخير والشر ، والحب والكره ، والقوة والضعف ، والإيمان والكفر[٢] .

وتعـــرف الشخصية على أنها : "جملة الصفات الجسمية والعقلية والمزاجية والاجتماعية والخلقية التي تميز الشـــخص عن غيره تمييزاً واضحاً " [٣]. ولكل شخصية قصة ، عناصر أساسية يتكون منها ، كمولده وبيئته وهيئـــته ونفسيته وسلوكه وفكره ، وتتفاوت هذه العناصر في الظهور في القصة القرآنية ، فالقرآن في عرضه لحياة الشخصية ، لا يحكي منها إلا القدر الذي يخدم الهدف والغرض الذي سيقت لأجله .

وتسجل الشخصية في القصة القرآنية ملاحظة هامة ، وهي أنها جاءت متفقة مع أهداف وأغراض القصة القرآنية ، وتقدم تصوراً متكاملاً عن الذات البشرية ، من حيث خصائصها ونواحي القوة والضعف فيها . كما تقدم أنموذجاً للاحتذاء به في الخير والصلاح ، كما في الرسل والصالحين ، وأنموذجاً منفراً لأهل الشر والفساد للابـــتعاد عنه . والمواقف الحية والتفاعلات المستمرة التي تعيش فيها الشخصية القرآنية ، والتي تعبر عن القيم الإســـلامية ؛ تترك أثراً تربوياً عميقاً في نفس المتلقي ، مما يساعد على غرس الكثير من قيم الإسلام ومبادئه في نفوس الأفراد والجماعات .

١- نفرة ، التهامي. سيكولوجية القصة في القرآن . مرجع سابق . ص٩٣.

٢- السباعي ، مريم . القصة في القرآن. مرجع سابق . ص١١٨.

٣- راجح ، أحمد عزت. أصول علم النفس . دار المعارف بمصر . ١٩٧٧م . ص ٣٧٩.

ومما يلحظ في القصة القرآنية ، هذا التنوع الواضح في الشخصيات ، التي يمكن اعتبار كل واحدة منها نموذجاً في مجالها الفردي أو الجماعي . ففي المجال السياسي نجد ذي القرنين وسليمان عليهما السلام نموذجاً للحاكم الصالح المصلح ، ونجد في شخصية فرعون نموذجا للحاكم المتسلط المستبد لشعبه ، وفي مجال الدعوة، نجد نوحاً نموذجاً للداعية الصابر ، وإبراهيم نموذجاً للداعية الحكيم (١) .

وحتى يتضح رسم الشخصية في القصة القرآنية فسوف أناقشها من ثلاث زوايا :

أ- من حيث ذاتها وطبيعتها .

ب- من حيث نموها وتسطيحها (البساطة والوضوح) .

ج- من حيث اختلافها عن القصة الأدبية .

أولاً : من حيث ذاتها وطبيعتها :

لقد حفلت القصة القرآنية بعدة أنواع من الشخصيات ، حيث تُرسم الشخصية في القصة القرآنية ، بحسب الهدف الذي وردت له ، فلم يأتِ عرض هذه الشخصيات لأجل إطالة القصة ، أو بيان القدرات العلمية و الإبداعية أو لتسجيل تاريخها ، إنما تورد القصة القرآنية الشخصيات بحسب الفائدة والعبرة المترتبة عليها . وتنقسم الشخصيات في القصة القرآنية ، من حيث الذات إلى قسمين :

١- الشخصية البشرية : " ويقصد بالشخصية البشرية في إطار القصة القرآنية أن تكون الذات التي يدور حولها القصص القرآني من البشر رجلاً كان أو امرأة ، صالحاً أو طالحاً ، رسولاً كان أو غير رسول"(٢). وهي أنواع منها : شخصية الأنبياء ، وشخصية الصالحين ، وشخصية الفاسقين ، وشخصية المرأة ، والجماعات والجماهير .

٢- شخصيات غير بشرية : فتكون الذات التي جاءت في القصة القرآنية ذاتاً غير بشرية ، ويمكن حصر هذه الذوات في شخصية الملائكة ، وشخصية الجن ، وشخصية إبليس ، وشخصية الحيوان ، وشخص الجماد.

ثانياً : من حيث نموها وتسطيحها (البساطة والوضوح) :

يقصد بنمو شخصية القصة : هو أن يحدث للشخصية تغير في الاتجاهات أو السلوك أو المعتقدات ، أو تغير في المراحل العمرية من الطفولة إلى الشباب إلى الشيخوخة . بينما يكون بعكس ذلك التسطيح أو الوضوح، فتكون شخصية القصة محتفظة باتجاهاتها وعقائدها وسلوكياتها ، فتكون ثابتة دون أن يطرأ عليها تغير ملحوظ .

وأكثر شخصيات القصة القرآنية تعد شخصيات بسيطة ؛ لأنها تتسم بالوضوح الشديد والبساطة ، فهي خالية من التعقيد الذي نراه في القصة الفنية ، التي يمكن أن تكون فيه الشخصية متخيلة وهمّية ، لا وجود لها في الواقع ، أو العالم الخارجي . فسلوك الشخصية في القصة القرآنية ثابت واحد لا يتغير ، وهو في الوقت نفسه

١- جرار ، مأمون فريز . خصائص القصة الإسلامية . مرجع سابق . ص٧٦.

٢- السباعي ، مريم . القصة في القرآن. مرجع سابق . ص ١٠٢.

سلوك معروف للقارئ ، بحيث لا يمكن للقارئ أن يتوقع تغيراً جوهرياً ، في مواقف الشخصية وسلوكها إزاء الأحداث(١). وفي حالات نادرة ، نجد في شخصيات القصة القرآنية شخصيات نامية ، كما في شخصية موسى عليه السلام ، وشخصية ملكة سبأ عليها السلام . حيث يلاحظ النمو والتطور واضح من الطفولة إلى الشباب إلى الرسالة ، في موسى عليه السلام . وتغير الاتجاهات والتصرفات من الكفر إلى الإيمان ، في قصة ملكة سبأ عليها السلام . ويجب أن لا يفهم من بساطة الشخصية القرآنية ووضوحها ، أنها شخصيات جامدة ، غير متفاعلة مع ما حولها من أحداث وشخصيات ، فكل شخصية من شخصيات القصة القرآنية " لها دورها البارز في القصة وهي تتفاعل تفاعلاً تاماً مع سائر الشخصيات الأخرى" (٢). إنما المقصود أن حدوث التغير يقتصر على علاقاتها مع الشخصيات الأخرى، أما من حيث تصرفاتها واتجاهاتها فتكون دائماً ذات طابع واحد.

ثالثاً : من حيث اختلافها عن القصة الأدبية :

من خلال استقراء شخصيات القصص القرآني ، نجد أن هناك اختلافاً كبيراً بينها وبين شخصيات القصص الأدبية ، وهو اختلاف يؤكد على عظمة هذا الكتاب ، وسمو أهدافه ، ويظهر الاختلاف فيما يلي :

١- الأبعاد : عند تصوير الشخصية في القصة الأدبية ، يجب على الكاتب أن يراعي عدة أبعاد ، وقدرة القاص في إبراز هذه الأبعاد ، يعد ميزاناً لجودة رسمه لشخصيته القصصية ، وهي(٣) :

أ- البعد الجسمي : فيرسم أوصاف الشخصية من الخارج ، طولاً أو قصراً ، بدانة أو نحافة .

ب- البعد الاجتماعي : فيصورها من حيث ثقافتها وعقيدتها وهواياتها وبيئتها والمجتمع الخارجي المحيط بها .

ج- البعد النفسي : الذي قد يكون حصيلة البعدين السالفين ، يعني الكاتب فيه بتصوير عواطف الشخصية وطباعها وطريقة تفكيرها وتصرفاتها وردود فعلها تجاه المواقف المتعددة .

وإذا استعرضنا القصص القرآني ، وجدنا أن القصة القرآنية ، لم تهتم بإبراز البعد الجسمي ؛ لأنه " لا يخدم أي غرض ديني من أغراض القصة القرآنية " (٤) . أما إذا تعلق به فائدة للقصة ، فإنه يعرض بصورة سريعة وبسيطة لا تتعدى بضع كلمات ، كما في قصة موسى عليه السلام وقصة طالوت ، وكذلك الأمر في اسم الشخصية ، الذي لم يهمله القرآن عن جهل ، وإنما مراعاة للفائدة منها .

> "إن ذكر اسم الشخصية أو عدم ذكر اسمها يرتبط ارتباطاً وثيقاً بهدف القصة القرآنية ، فإذا كان للاسم غرض خاص يتعلق به ويؤدي الذكر إلى هذا الغرض ذُكر ، وإذا لم تكن للاسم هذه المهمة اكتفى القرآن باللمحة أو الإشارة فمكان الشخصية وغرضها هو المقياس وخير شاهد اسم مريم عليها السلام، ففي ذكر اسمها فوائد جليلة لم تتحقق مع عدم ذكر اسمها"(٥)

١- زكريا ، عبد المرضي . الحوار ورسم الشخصية في القصص القرآني . مكتبة زهراء الشرق . ١٩٩٧م . ص١٥٧.

٢- باحاذق ، عمر محمد. الجانب الفني في قصص القرآن الكريم . مرجع سابق . ص١٢٨.

٣- مريدن ،عزيزة. القصة والرواية . مرجع سابق . ص٢٩.

٤- نقرة ، التهامي . سيكولوجية القصة في القرآن . مرجع سابق . ص ٣٦٠.

٥- زكريا ، عبد المرضي . الحوار ورسم الشخصية في القصص القرآني . مرجع سابق . ص ٢٠٣.

أمـــا عن البعدين الآخرين للشخصية – أعني البعد النفسي والاجتماعي – فهما واضحان في قصص القـــرآن الكريم ، أشد الوضوح ، فالقصة القرآنية تتجه دائماً نحو الكشف عن مزاج هذه الشخصية ودوافعها وانفعالاتهـــا وسلوكياتها ، من خلال الوصف أو حكاية الأقوال ، فتدلل على مراكز القوة في الشخصية وعلى أماكن الأهمية والقدوة فيها (١) .

٢- القصدية : عند إمعان النظر في شخصيات القصص القرآني نلمح أنهم ليسوا مقصودين لذاتهم من حيث هـــم أشـــخاص تاريخيون يراد إبراز معالمهم ، وكشف أحوالهم ، والتمجيد أو التنديد بأعمالهم ، وإنما يعرض القرآن ما يعرض من شخصيات كنماذج بشرية في مجال الحياة وفي صراعها مع الخير والشر ، تؤدي فيه دورها كشـــاهد من شواهد الإنسانية في قوتها أو ضعفها ، وفي استقامتها أو انحرافها ، وفي هداها أو ضلالها ، وفي رشـــدها أو غـــيِّها ، وفي حكمـــتها أو سفاهتها(٢). بخلاف القصة الأدبية ، فكثيراً ما تكون الشخصية فيها مقصودة لذاتها ، للتسجيل التاريخي أو لتمجيدها أو التنديد بأفعالها ، كما تتعاطى هذه القصص ما يسمى بـــ" الشخصية الثانوية التي تكون عاملاً لتزيين الرواية دون أن يكون لها دور فعال "(٣) .

٣- الواقـــعية : الشخصيات في القصص الأدبي يلتقطها القاص من ملاحظاته المباشرة في الحياة المحيطة به . وقد يسمع عنها في أحد مجالسه أو من أحد أصدقائه ، أو يقرأ عنها في صحيفة من الصحف أو في كتاب من الكتب ، وقد تكون أخيراً وليدة الخيال المحض (٤) . فلا يشترط في شخصيات القصة الأدبية أن تكون واقعية ، فقد تكون وهّمية أو خيالية .

أمـــا شخصـــيات القصة القرآنية فهي واقعية ، لها وجودها الحقيقي ، وليست وليدة الخيال ، أو محض الأوهام ، فهي جاءت من مسرح الحياة ، تعبر بقوة في منطقها وسلوكها عن الكيان الإنساني ، وليس وراءها في أي مشهد أو موقف يد تحركها ، لتؤدي ما تمليه عليها من الحركات والسكنات .

> "ولابد أن نشير إلى أن الشخصية الواقعية سواء كانت منتجة من الواقع المعاصر أو الواقع الـــتاريخي تكون لها جاذبيتها ، أما الشخصيات التي صنعت من الوهم أو الخيال المحض ، واتسمت بسمات وهّمية تبدو عادة غير مقنعة وغير مقبولة ، حتى على مستوى الأطفال ، الذيـــن أصـــبحوا أكـــثر مـــيلاً للواقع في هذا العصر نتيجة للتطورات ووسائل الإعلام المذهلة"(٥)

ويتمـــيز التصـــوير القـــرآني للشخصـــية ، بأمانة النقل في حكاية أقوالها ، ودقة التعبير عن مشاعرها وخواطرها، فرغم تعدد مواقفها وتنوعها في مواطن متفرقة من القرآن ؛ إلا أنها ترى منسجمة مؤتلفة الصفات، مع تفاعل السمات المزاجية والخلقية على الخصوص ، بصورة تلقي الأضواء على جوانبها النفسية (٦) .

١- عدوي ، محمد خير. العبرة في قصة موسى في القرآن . مرجع سابق . ص٢٥.

٢- الخطيب ، عبد الكريم. القصص القرآني في منطوقه ومفهومه. مرجع سابق . ص٤١ .

٣- معتوق ، محبة حاج. أثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية. دار الفكر اللبناني . ١٩٩٤م. ص٣٥.

٤- نجم ، محمد يوسف. فن القصة . مرجع سابق . ص ٩٠ –٩١ .

٥- الكيلاني ، نجيب. مدخل إلى الأدب الإسلامي . كتاب الأمة قطر. جماد الآخر . ١٤٠٧هـــ. ص٦١.

٦- نفرة ، التهامي. سيكولوجية القصة في القرآن . مرجع سابق . ص ٣٦١.

ومما سبق يمكن القول ، إن شخصية القصة القرآنية تقدم لتكون عبرة للقارئ في مجالات متنوعة ، الديني والاجتماعي والسياسي والأخلاقي . وهي تتنوع ما بين شخصيات بشرية ، وغير بشرية . وإن كانت القصة القرآنية في رسمها لهذه الشخصية يغلب عليها صفة الوضوح ، إلا أنها تبدو أحياناً ذات نمو ، وتغير في الاتجاهات ، والمراحل العمرية . وتختلف الشخصية في القصة القرآنية عنها في القصة الأدبية ، من حيث طريقة إبراز الأبعاد ، خاصة في البعد الجسمي ، الذي لم ترعه القصة القرآنية اهتماماً إلا أن تتعلق به أغراضاً للقصة ، وهو نادرٌ ، وكذلك الحال في اسم الشخصية .

ثانياً : الحدث

الحدث هو العنصر الثاني الهام في القصة القرآنية ، فيستحيل أن توجد قصة بدون وجود أحداث ، ويعرف الحدث في العمل القصصي على أنه: "مجموعة من الوقائع الجزئية مرتبطة ومنظمة على نحو خاص"[١] .

وذكر القرآن الكريم للأحداث في آيات قصصه يراد منه تحقيق أهداف معينة ، فإذا كان هدف القصة هو التهديد أو الوعيد أو الرغبة ، جاء الحدث القصصي مثيراً لانفعالات نفسية ، تحرك عواطفها ومشاعرها تجاه تحقيق هذه الأهداف [٢] .

وتحرص القصة القرآنية على التأثير على النفس البشرية بالقصة المساقة للعبرة ؛ فتستخدم شتى الوسائل للتأثير بالقصة ، فتعرض أحداث القصة بإحدى طريقتين ، أولاهما : ذكر الحوادث مرتبة ، بحسب زمن وقوعها، كما في ترتيب قصص الأنبياء في سورة الأعراف ، وأكثر القصص القرآني من هذا النوع . وثانيهما : تقديم بعض الحوادث المتأخرة في الزمان على حوادث سابقة ، وذلك لغاية بلاغية ، هي لفت النظر إلى المقدم[٣] ، ولإثارة الانفعالات النفسية .

وينصرف الاهتمام في القصة القرآنية إلى الأحداث دون الشخصيات . فالشخصية في القصة القرآنية لا تأتي لإبراز ذاتها وتمجيدها ؛ وإنما تكون العناية في ذكر الشخصية في القصة القرآنية ، متجهة نحو الحدث الناتج عنها ، والمواقف التي أدتها في الوقائع ؛ لأخذ العظة والعبرة منها . وأكبر دليل على ذلك هو الإبهام الذي منيت به أكثر شخصيات غير المرسلين ، كقوله تعالى ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ ﴾ [القصص :٢٠]. وأيضاً في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤۡمِنٌ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ ﴾ [غافر: ٢٨]. بل إن الإبهام قد يشمل شخصيات المرسلين أحياناً ، كقوله عز وجل ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢٤٦].

وفي القصص القرآني نرى تدبيراً عجيباً معجزاً في توزيع المشاهد القصصية ، توزيعاً محكماً متوازناً بين الحدث والشخصية ، فلا تستأثر الشخصية وحدها بموقف ، أو الحادثة وحدها ، وإنما تلتقي الشخصية مع الحادثة ، أو الحادثة مع الشخصية . ويتخلق من اجتماعهما مضمون ، هو الذي يصبح بطل الموقف ، فتكون

١- اسماعيل ، عز الدين . الأدب وفنونه . دار الفكر العربي. (د.ت). ص١١٢.

٢- زكريا ، عبد المرضي. الحوار ورسم الشخصية في القصص القرآني . مرجع سابق . ص١١٧.

٣- جرار ، مأمون فريز . خصائص القصة الإسلامية .مرجع سابق . ص ٨٢.

شخصيته أبرز شخوص القصة ، ويكون صوته أندى الأصوات فيها ، وأقواها سلطاناً على المشاهدين أو المستمعين [١] .

وتتنوع الأحداث في القصة القرآنية ، ما بين أحداث تاريخية ؛ سيقت لأخذ العظة والعبرة ممن سبق ، وأحداث واقعة في عصر التنزيل ؛ جاءت لتوجيه الجماعة المسلمة للصواب ، وأحداث غيبية مستقبلية . "ونرى الحدث في القصص القرآني تختلف طبيعته ، فهناك الأحداث العادية البسيطة ، وهناك الأحداث الطويلة المركبة ، مثل قصة بني إسرائيل فهي قصة طويلة مركبة من عدة أحداث مختلفة ومتعددة" [٢]. والقصص القرآني لا يذكر جميع الأحداث الواقعة في الحياة ، وإنما يمسك منها ما يراه مجلياً عن عبرة ، وكاشفاً عن عظة ، ولا يعنيه أن يكون الحدث مدوياً صارخاً ، أو مزلزلاً عاتياً بقدر ما تعنيه الدلالة والعظة التي ينطوي عليها [٣] . لذلك يلاحظ أن طبيعة الأحداث في القصة القرآنية تجيء على ثلاث صور :

أولاً : أحداث مألوفة عادية : وتحتشد القصة القرآنية بقدر كبير من مثل هذه الأحداث ، مثل الأحداث التي وقعت لأنبياء الله تعالى مع أقوامهم [٤] .

ثانياً : أحداث غير مألوفة وغير عادية : وهي من المعجزات ، "ويراد فيها التحدي بالخوارق فتأتي نتائجها سريعة لا تقبل التريث ولا الإمهال ، وأحداثها خارجة عن الطبيعي المألوف توجهها قوة غيبية" [٥] ، مثل المعجزات الواقعة على أيدي رسل الله الكرام عليهم جميعاً السلام ، كما في قصة ضرب موسى عليه السلام للبحر وانفلاقه .

ثالثاً : أحداث تدخلت فيها قدرة الله تعالى وإرادته لحكمة خاصة : ومن ذلك الأحداث الواقعة في قصة موسى عليه السلام ، من مولده ورعايته وتحديه لفرعون ، وليست معجزات .

وخلاصة القول فإن الحدث في القصة القرآنية يذكر بمقدار تحقيق أغراض القصة ، لذلك تنتخب من الوقائع مواطن العبرة فقط ، فتأتي الأحداث أحياناً مرتبة زمنياً وأحياناً لا تلتزم بهذا الترتيب ، ويظهر فيها التنوع ما بين أحداث تاريخية وواقعية ومستقبلية.

ثالثاً : الحوار

من عناصر القصة القرآنية ، عنصر الحوار بين شخصيات القصة ، والحوار هو " أن يتناول الحديث طرفان أو أكثر ، عن طريق السؤال والجواب ، بشرط وحدة الموضوع أو الهدف ، فيتبادلان النقاش حول أمر معين" [٦] .

١- الخطيب ، عبد الكريم . القصص القرآني في منطوقه ومفهومه. مرجع سابق . ص ٤١.

٢- السباعي ، مريم. القصة في القرآن. مرجع سابق . ص ١١٩.

٣- الخطيب ، عبد الكريم . القصص القرآني في منطوقه ومفهومه. مرجع سابق . ص٦٨.

٤- زكريا ، عبد المرضي . الحوار ورسم الشخصية في القصص القرآني . مرجع سابق . ١٣٤-١٣٦.

٥- نفرة ، التهامي . سيكولوجية القصة في القرآن . مرجع سابق . ص ٤٥٣.

٦- النحلاوي ،عبد الرحمن . أصول التربية الإسلامية وأساليبها . دار الفكر. دمشق. ١٤١٧هـ . ص ٢٠٦.

وهـــذا العنصر ليس دائم الظهور في كل قصة ، فأحياناً تعتمد القصة على السرد والوصف القصصي ، دون ذكـــر أي حوار ، وأحياناً تعتمد بالدرجة الأولى على الحوار ، وقد تجمع بينهما أحياناً ، والأمر محكوم بتحقيق أهداف القصة والتأثير بها .

وكـــان لاستخدم القصة القرآنية الحوار في حكاية قصصها أثر كبير في رسم صورة قوية وواضحة عن أحـــداث القصـــة وشخصياتها ، وتطوير موضوع القصة للوصول بها إلى النهاية المنشودة ، وبعث روح الحياة والحـــركة في القصـــة ، كما ساعد على تصوير المواقف تصويراً قوياً يتناول جميع أجزائها ، خاصة في مجال الصـــراع العاطفي ، أو تصوير الحالة النفسية . كما ظهر في الحوار مختلف الحجج والبراهين العقلية والمنطقية ، الـــتي تدعم القضية الدينية التي يعالجها وتبرز فيها وجه الحق . ولنأخذ مثلاً ، الحوار الذي دار بين مريم والملك علـــيهما السلام حيث ﴿ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ ﴾ [مريم: ١٨]. فإيراد قول مريم عليها السلام لـــه دلالة قوية على حالتها النفسية ومدى عفتها والتجائها لربها ، وفي رد الملك ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾ ﴾ [مريم :١٩] . توضيح لشخصه بأنه رسول من عند ربها ، ثم ذكر لمهمته التي جاء لأجلها . ثم قولها ﴿ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾ ﴾ [مـــريم:٢٠-٢١] بـــيان لتعجـــبها من حـــدوث هذا الأمر ، ولمقدار عفتها ، وطاعة الملك لأمر الله عز وجل. فذكر هذا الحوار البسيط السريع لـــه من الفوائد والمغازي الدينية مالا يتضح لو استخدم أسلوب الحكاية خالياً من الحوار.

"للحوار في القصص القرآني سمة خاصة ، لا نجد لها أثراً في القصص الأدبي على الإطلاق، وهي تلك الذاتية التي يحتفظ بها هذا الحوار لشخصيات المتحاورين ، ذلك أننا في القصص القـــرآني لا نجـــد فرصة أبداً نتفلت فيها من هذا الشعور الذي يستولي علينا من أننا إزاء شخصيات واقعية ، لها وجودها الذاتي ، ولها منطقها وتفكيرها ، ولها منـــزعها وإرادتها في المواقـــف الـــذي تقفه في الحدث ، وفي الأسلوب الذي تعبر به عن موقفها ، دون أن نستشـــعر بأن ملقّناً من ورائها يلقنها الكلمات التي تلقيها في المشهد ، أو يحركها الحركة الـــتي تؤديها فيه ، على حين أننا نجد ذلك الشعور غامراً فياضاً في أكثر مواقف القصص الأدبي ، حيـــث نرى الأشخاص يتحدثون ويتحركون بما يضعه المؤلف على ألسنتهم من كلام ، وما يشير إليهم به من حركة" (١) .

وممـــا يـــلحظ في أطراف المحاورة في القصة القرآنية ، أنها جاءت متنوعة في الشخصيات ، فقد يكون الحـــوار بين الفرد ونفسه ، كما في قصة إبراهيم مع الكواكب . وقد يكون بين شخصين ، كما في حديث يوســـف وأبيه في أمر الرؤيا . وقد يكون بين فرد وجماعة ، كما في قصص الأنبياء مع أقوامهم . وقد يكون بـــين جماعتين كما في قصة أصحاب النار وأصحاب الجنة في سورة الأعراف . وقد يكون بين البشر وغير البشر ، كما في حديث سليمان مع الهدهد ، وحديث الملائكة مع أهل النار .

١- الخطيب ، عبد الكريم . القصص القرآني في منطوقه ومفهومه. مرجع سابق . ص١٢٩.

ولم يلتزم القرآن نهجاً واحداً في البناء الحواري لقصصه ، وإنما ينوع أساليب الحوار وحجمه ، بحسب الغــرض الديــني ، الذي يهدف إليه . فيتلون حسب الموقف ، "فهو يقصر حتى يأتي في كلمات معدودات ولكن مع إيجازها تعبر عن الموقف وتستوعبه تماماً ، وهو تارة يطول ويوغل في التفاصيل حتى لا يترك جزئية إلا وصــفها كي يبرز كل ما في الموقف من عبر وهي الهدف والغاية للقصص القرآني " (١) .كما أن ألفاظ الحوار في قصص القرآن لا تمضي على وتيرة واحدة ، بل يلحظ فيها تلوناً ، يتمثل في الالتفات من الغيبة إلى الحضور في نقلة منبهة للذهن مجسدة للموقف (٢) .

وإن كــان الحــوار في القصــص القــرآني ذا صبغة دينية دائماً ، إلا أنه لم يقتصر على نوع معين من الموضــوعات كالعقيدة مثلاً ، بل إنه تنوع حتى شمل جوانب الحياة المختلفة ، من دينية وسياسية واجتماعية وفكــرية ، فالإســلام دين شامل ، ومنهجه القرآني متكامل مع جميع متطلبات الحياة البشرية ، من روحية واجتماعية وفكرية ، وقد عبر عن ذلك في قصصه بكل وضوح .

وممــا سبق يلاحظ أن عنصر الحوار في القصة ، لا يلتزم القرآن بإيراده في جميع قصصه ، وإنما يكون تابعــاً لأغــراض القصــة ، كما يلاحظ أن الشخصيات المتحاورة جاءت متنوعة ، ما بين البشر وغير البشر والجماعــات ، ممــا يزيد من أثر الحوار في القصة . ويتحكم في حجم الحوار غرض القصة ، مع ملاحظة أن ألفــاظ الحــوار لا تمضــي على وتيرة واحدة ، وإنما تتشكل لتزيد من التأثير النفسي على القارئ . وكذلك الموضوعات تتنوع ما بين موضوعات عقدية وسياسية وفكرية واجتماعية.

رابعاً : البيئة الزمانية والمكانية

ومــن عناصــر القصة القرآنية البيئة الزمانية والمكانية ، وهي من العناصر التي تتمتع بخاصية الجذب ، وخلــق جــو مــلئ بالحركة . فلظهور البيئة الزمانية والمكانية والتي تدور فيها الأحداث ، وتتحرك داخلها الشخصيات ؛ تأثير على وحدة القصة وجمالها الفني . كما أنها باعثة على تفاعل القارئ واندماجه مع القصة . ولا أدلَّ عــلى ذلك من القصص التاريخية ، فأول ما يشد القارئ إليها بعد زمانها ، فهو يريد أن يعرف كيف كان الناس في ذلك الزمن ، وماذا حصل فيه.

ويرجع ظهور البيئة الزمانية والمكانية في القصة القرآنية لغاية القصة القرآنية . فحينما يكون له أهمية في رسم الصورة المرادة ، وتحقيق أغراضها ؛ فالقصص يجيء به ، وحينما لا يكون هناك ثمة أهمية من ذكره ، أو أن ذكره وعدمه سواء ، فلا يذكر في القصص القرآني ؛ لأن مجرد التسجيل التاريخي ليس هدفاً للقرآن في آيه وقصصه . كما في قصة الإسراء والمعراج في سورة الإسراء ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١ ﴾ [الإسراء: ١]. فهنا ذكر زمن الإسراء وهو الليل ، ومكانه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وظهور الزمان والمكان في هذه الحادثة تساوي أهمية ذكر الحادثة ؛ لما فيها من المعجزات.

١- حريري ، عبد الله محمد . القيم في القصص القرآني الكريم . مرجع سابق . ص ١٢٠.

٢- جرار ، مأمون فريز. خصائص القصة الإسلامية . مرجع سابق . ص٨٦.

"والواقـــع أن هناك وظيفة غير مباشرة لعنصري الزمان والمكان من الناحية الفنية ، فهما يعمقـــان لدى القارئ أو السامع الإحساس بالحدث والشخصيات ، بحيث يأتي العرض القصصـــي أكثر تأثيراً وفاعلية ، فالشخصية التي تمارس الحدث في مكان كالجنة مثلاً أو الـــنار كمكانين لهما دلالات معينة ، تختلف في تأثيرها عن الشخصية التي تتحرك وتعمل من غير ارتباط بمكان ما . وكذلك الأمر بالنسبة للزمن ، فربط الحدث والشخصية بزمن قـــيام الســـاعة والبعث ، أو زمن الحشر ، أو نحو ذلك لـــه آثاره الفنية في نفس المتلقي ووجدانه" (١) .

ويقـــع الـــزمان في القصة القرآنية ما بين الماضي القديم وما بين زمن الدعوة ، باعتبار أن زمن الدعوة يســـتلهم العظـــة والعبرة من البعد الزمني القديم (٢). وهذا الزمن ، زمن مطلق من كل قيد إلا قيد الماضي ، فليســـت لهـــذا الزمن ولا لجزئياته حدود تحده بالنسبة للزمن الذي يظلنا ، بحيث يمكن أن نعرف كم بيننا من الســـنين أو القـــرون ، وبين هذا الحدث القصصي أو ذاك ، فذلك أمر لم يكن لـــه أثر في الحدث القصصي القرآني (٣). ولكن وإن كنا لا نجد في القصة القرآنية تحديداً لموقعها في مسار التاريخ ، إلا أننا نرى فيها أحياناً صـــورة أخرى للزمن ، وهو ما يسمى بالزمن الداخلي ، الدال على المدة التي استغرقها وقوع الحدث ، وذلك لارتباطه بالغاية من القصة ، وكشفه عن موطن من مواطن العبرة فيها (٤) .

وقد يذكر الزمن صراحة في القصة القرآنية ، وذلك حسب العبرة المقصودة من الأحداث التي يذكر فيها . كذكر عدد السنين الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ ﴾ [البقرة :٢٥٩]. وقد يذكر وقته كقوله تعالى ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴾ [يوسف: ١٦] . وقد تورد القصص القرآنية مرتبة بحسب زمن وقوعها ، كما في قصص الأنبياء في سورة هود ، وقد يلغي القصص القرآني هذا الترتيب الزمني في عرض قصصه ، كتقديم قوم ثمود على قوم عاد في سورة الحاقة .

والمكان في القصة القرآنية متعدد ومتنوع ، يشمل كل أرجاء الأرض وما وقع عليها من أحداث ، ذلك أن الدين واحد والإنسان واحد، والغاية من وجوده واحدة (٥) . كما أنه مكان مطلق ، لا تحدد فيه الأماكن الجغرافـــية ، إلا إذا تعلق بذلك التحديد تحقيق هدف معين ، وهو قليل الوقوع ، ومن أمثلة ذلك ذكر مصر والطور ومدين والأحقاف .

إن إيراد المكان في القصة القرآنية يختلف من مكان لآخر، طولاً وقصراً ،مجملاً ومفصلاً ، ولذلك يأتي في القرآن الكريم على صور (٦) :

أولاها: قد يذكر اسم صاحب القصة مضافاً إلى المكان دون عرض القصة ، كأصحاب الرس .

ثانيها : قد يذكر المكان بصفته ، مثل ﴿ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [المؤمنون : ٥٠].

١- الزبر ، محمد حسن . القصص في الحديث النبوي . القصص في الحديث النبوي . المطبعة السلفية ومكتبتها . ١٣٩٨هـ . ص ٢٦٣.

٢- أحمد ، مدهش علي خالد . الأهداف التربوية في القصص القرآني . مرجع سابق . ص ٧٨.

٣- الخطيب ، عبد الكريم . القصص القرآني في منطوقه ومفهومه. مرجع سابق . ص ٩١.

٤- جرار ، مأمون فريز . خصائص القصة الإسلامية . مرجع سابق . ص ٨٦.

٥- أحمد ، مدهش علي خالد. الأهداف التربوية في القصص القرآني . مرجع سابق . ص ٧٨.

٦- السباعي ، مريم. القصة في القرآن. مرجع سابق . ص ١٣٦ –١٣٧.

ثالثها : قد تذكر القصة دون إشارة إلى المكان مثل قصة إدريس .

رابعها : قد يذكر المكان باسمه الصريح كالمسجد الحرام والمسجد الأقصى .

خامسها : وقد يذكر الاسم العلم ولكن يختلف في تحديد موقعه ، كالجودي : جبل نوح.

وعلى العموم فإن عنصر البيئة الزمنية والمكانية قليل الظهور في القصة القرآنية ، ويحدد ظهوره مقدار تحقيقه لأغراض القصة.

المبحث الثاني :
المنهج القصصي القرآني

عند تتبع آيات القصص في القرآن الكريم ، نجد أنها اتبعت منهجية معينة ، وهذه المنهجية قد سارت جنباً إلى جنب ، مع أهداف القصة وأغراضها ، وتظهر هذه المنهجية في اختيارها للقصص ، وتحديد نقطة بدايتها ، ونهايتها ، وطريقة عرضها ، وتحريك شخصياتها.

" فالقرآن في قصصه يبدأ بالعام ثم يخصصه ، أو يبدأ بالخاص ثم يعممه وهو – في هذا وذاك – حكيم خبير بصير ، يمهد للقصة بحكمة ، ويقدم للشخصية بوعي ، ويرهص للحادثة بمعرفة ، ويومئ إلى الفكر بمقدار . ثم يأخذ من الشخصية الجانب الذي له دخل في الفكرة ، كما يتناول من الحدث أو الأحداث الركن الذي يغذي التيار الخاص ، أو العام بحيث لا يزيد فيه بما لا ينبغي ، وبحيث لا ينقص منه ما لا يجوز ، ثم يعقب على كل لمحة بما يناسبها ، ويعلق على كل شخصية بما يلائمها . ويقرع من الجزئية جزئيات ، وينوع من الحادثة حوادث ، ويخرج باللحظة أو الفكرة اليسيرة إلى زمن متجدد ، وإلى فكر مستمر " (١) .

وفي هذا المبحث سوف يكون الحديث عن منهجية القصص القرآني في العرض ، من ناحيتين :

المطلب الأول : الهيكل العام .

المطلب الثاني : سمات المنهج القصصي القرآني .

المطلب الأول :
الهيكل العام

يمكن تقسيم الهيكل العام للقصة القرآنية إلى ثلاثة أجزاء هي : البداية والوسط والنهاية . ولا يعني هذا التقسيم أنها منفصلة بخطوط أو علامات وإنما " هذه التركيبة الهيكلية قائمة على أساس من الترابط العضوي الذي يشد بعضها إلى بعض "(٢) ، والغرض من هذا التقسيم هو دراسة هذه الأجزاء ، بشكل يبرز خصائص كل منها .

أولاً : البداية .

تأتي في مقدمة القصة القرآنية بداية تمهيدية ، تسبق عرض القصة ، ويتلوها عرضٌ للأحداث القصصية ، فهي ليست بداية حقيقية للقصة . وميزة هذه المقدمة ؛ أنها تجتذب القارئ والسامع لها من كلماتها الأولى ، فتجعله يتابع أحداثها ، بشغف وشوق ، حتى تحقق غايتها . وتتكون البداية من كلمات سريعة ، تشكل جملة أو عدة جمل قصيرة ، تسبق عرض القصة ، وسرد حوادثها ، بحيث تعطي للسامع فرصة يتهيأ فيها ذهنه ،

١- لقمة ، محمد محمد محمد . الجوانب الأدبية والبلاغية في القصة القرآنية . مرجع سابق . ص ٥٤٦.

٢- الزير ، محمد حسن. القصص في الحديث النبوي . مرجع سابق . ص٧٦.

لتلقي أحداث القصة ، وهي بذلك تمهد الأرضية التي تعرض عليها مشاهد الأحداث ، بما تثيره من جو معين في نفس المتلقي مستمعاً أو قارئاً [(١)] .

وقـــد جاءت مقدمات القصة القرآنية متنوعة ، ولكنها لا تخرج عن هدفها الديني ، حتى في تقديمها للقصة ، وعند استقراء القصص القرآني ، نلاحظ أن بداية قصصه تكون بأحد الطرق التالية :

١- البدء بنهاية القصة أو بذكر العاقبة : فتبدأ آيات القصة بذكر نهاية القصة ، أو العاقبة التي سيقت من أجلها القصة ، ثم تسير القصة مفصلة من البدء إلى الختام ، بمشاهدها ودقائقها ومفاجآتها ؛ لتصل في النهاية إلى الغرض الذي ذكر في أول القصة نفسها [(٢)] . في مثل سورة فصلت في قوله تعالى ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾ [فصلت :١٣]. ثم تشرع الآيات في ذكر قصتهم.

٢- تقديم ملخص للقصة : وقد يمهد للقصة القرآنية بذكر ملخصها ، مما يؤدي إلى التشويق ، وينبه إلى ما ينطوي عليه من مقاصد ، ويعالج ما قد يثار حول أحداثها من تشكيك ، أو أفكارها من آراء ، كما في قصة أصحاب الكهف[(٣)]. فقد مُهد لأحداث القصة بالآية ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الكهف :٩-١٢]. ثم بعد ذلك بدأ في عرض القصة ، مفصلة الأحداث.

٣- البدء بكلمات فيها إثارة لانتباه القارئ :وقد تقدم القصة القرآنية بما فيه لفت لانتباه القارئ ، وذلك بعدة صور : فقد تأتي أحياناً في صورة استفهام أو سؤال ، سواء كان موجهاً من الذات الإلهية كما في قصة ملك طالوت ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ ﴾ [البقرة : ٢٤٦]. أو بإثارة لسؤال كما في قصة أصحاب السبت ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ﴾ [الأعراف: ١٦٣]. أو الإشعار بأن القصة جاءت للإجابة على سؤال طُرح على الرسول ﷺ كما في قصة ذي القرنين ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾ [الكهف :٨٣]. وقد يكون باستخدام أسلوب التقرير كما في قصة قارون ﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ [القصص: ٧٦]. وقد يكون بالتوجيه لأمر كما في قصة إبراهيم ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [مريم :٤١].

٤- البدء بالحدث مباشرة : أحياناً لا يكون هناك تمهيد للقصة ، وإنما تبدو للقارئ الأحداث من أول كلمات القصة ، وأسلوب الدخول في التفصيلات مباشرة ، دون ذكر تمهيد للقصة "يتأتى في القصة القرآنية حين يتخللها في أثناء عرضها مفاجآت تغني عن ذكر المقدمة أو النتيجة ، فهي كافية بأن تلفت انتباه المشاهدين والسامعين بمفاجآتها ، وتجعلهم يتابعون مشاهدها من البدء إلى النهاية ، فقد أغنت المفاجآت عن النتيجة

١- المرجع السابق . ص٧٧.

٢- مشرح ، محمد ناجي .الآفاق الفنية في القصة القرآنية . مرجع سابق . ص ٥٨-٥٩.

٣- عوضين ، إبراهيم . البيان القصصي في القرآن الكريم . مرجع سابق . ص١٢٦.

والمقدمة"[1] .كما في قصة الخلق في سورة البقرة ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة :٣٠].

هـــذا وقد تعتمد المقدمة التمهيدية على أكثر من طريقة ،كأن تحتوي على استفهام وتلخيص للقصة ، كما في مقدمة قصة أصحاب الكهف السابقة . وعلى كل حال فإن بداية القصة ، تتأثر بشكل كبير بالغرض من إيراد القصة في ذلك الموضع ، كما في سورة فصلت في قوله تعالى ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾ [فصلت :١٣]. فكان الهدف هو المبالغة في التخويف والتهديد .

ثانياً : الوسط :

وبعد بداية القصة تأتي منطقة الوسط ، وتعد منطقة الثقل والمركز في القصة القرآنية ، فتبدو فيها أحداث القصـــة وشخصـــياتها ، وتظهـــر عناصر القصة متفاعلة متشابكة ؛ لتقودنا إلى مختلف الصراعات والمفاجآت والمشـــاهد ، والتي تُحدث عقدة أو عدة عقد ، والتي ما تلبث أن تتطور إلى مشكلات ، ذات عمق يستهوي القـــارئ متابعـــتها ، وما تزال تتطور هذه المشكلات ، حتى تصل إلى نقطة الذروة ، ومرحلة التأزيم ، حيث تـــتوقف هـــنا مـــرحلة الوسط ممهدة لمرحلة النهاية . وتُظهر القصة القرآنية في هذه المنطقة ، مختلف العقائد والقوانين والقيم ، والتي تتفاعل مع أحداث القصة وصراعاتها ؛ لتبرز الأغراض التي لأجلها صيغت القصة.

وفي مـــنطقة الوسط يكون ظهور أوجه البلاغة القرآنية البيانية أعمق من باقي الأجزاء ، حيث يكون فيها ربط العناصر بعضها ببعض ، بصورة دقيقة ، وصنع حلقات من الأحداث المتسلسلة المتماسكة ، وإجلاء أوجه التفاعل بين الشخصيات ، وإنشاء الصراعات والأزمات ، وظهور المفاجآت .

مثال ذلك : قصة مُلك طالوت على بني إسرائيل ، فتظهر فيها عدة شخصيات ، شخصية النبي وطالوت علـــيهما السلام ، وجماعة بني إسرائيل . وعدة حوادث ، حادثة طلب المِلك ، وحادثة تنصيب طالوت ملكاً عـــلى بـــني إسرائيل ، وحادثة النهر ، وحادثة مقاتلة جيش جالوت . وتظهر فيها عدة حوارات ، حوار بني إسرائيل مع نبيهم ، وحوار طالوت مع جنده ، ومناجاة الجيش المؤمن لله تعالى . وتظهر فيها عدة مفاجآت . مفاجأة ملك طالوت على بني إسرائيل ، ومفاجأة التابوت ، ومفاجأة النهر . ويظهر فيها صراع جيش طالوت مع جيش جالوت . وتظهر عقدة الشرب من النهر ، وملاقاة الجيش المؤمن القليل لجيش جالوت الكبير . وهنا تظهر مرحلة التأزيم ، حيث يقابله الجيش بمناجاة ربهم ، وتكون أول الخطوات التي تمهد لنهاية القصة .

ثالثاً : النهاية

الجزء الأخير من أجزاء القصة القرآنية ، هو جزء النهاية ، وهو المشهد الأخير ، الذي يُسدل من بعده الستار على القصة ، وبه تتم العبرة والهدف المراد تحقيقه من القصة .

١- مشرح ، محمد ناجي .الآفاق الفنية في القصة القرآنية. مرجع سابق . ص٦٠.

"والـــنهاية جزء هام في كيان القصة ، لـــه قيمته الحاسمة في تقدير القصة والحكم عليها ، وعـــلى النهاية يتوقف الأثر النهائي في نفس القارئ أو السامع ، فإما أن تفسد النهاية ما سعت القصة منذ أول خطواتها في بنائه ، هذا إذا كانت نهاية فاشلة ، وإما أن تؤكد هذا البـــناء ، وتحمل ثمرته في المعنى الأخير الذي سيظل عالقاً في ذهن المتلقي وقتاً طويلاً حين تكون نهاية جيدة"[1]

وقد تنتهي القصة القرآنية بذكر عاقبة ما سبق من الأحداث ، كما في قصة قوم ثمود في سورة الشعراء حيث ختمت القصة بذكر عاقبتهم ، قال تعالى ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الشعراء:١٥٨] ، وقد تنتهي بمفاجأة لم تكن في الحساب ، كما في قصة ذبح إسماعيل ، حيث قال تعالى ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الصافات: ١٠٧]. وتأتي النهاية في القصة القرآنية ، على صورة تفسيرية ، لما كان في القصة ، كما قصة موسى والخضر ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الكهف: ٨٢] ، وتأتي أيضاً في صورة مناجاة ومواعظ وتوجيهات في آخر القصة ، كما في مناجاة يوسف عليه السلام ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف: ١٠١] ، وتوجيهات كما في قصة داود عليه السلام والخصم ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ص: ٢٦] ، وقد تظهر التوجيهات والمواعظ مع العاقبة أو المفاجأة أيضاً ، كما في قصة ملكة سبأ حيث ختمت بمناجاتها لربها مع مفاجأة إسلامها ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النمل :٤٤] . وفي قصة طالوت حيث تختتم بعاقبة ، ومفاجأة ، وتوجيهات ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥١]. وقد لا تبدو النهاية واضحة للقصة ، حيث تكون القصة وردت لهدف معين ؛ فبمجرد تحققه تتوقف القصة ، كما في قصة ذي القرنين ، حيث وردت لتذكر بعض أخباره .

١ – الزير ، محمد حسن. القصص في الحديث النبوي. مرجع سابق . ص١١٠.

المطلب الثاني :

سمات المنهج القصصي القرآني

وحتى يتضح المنهج القصصي القرآني ، فلابد من التعرض لسمات هذا المنهج ، والتي كانت دعائم وركائز في اختيار القصة وطريقة عرضها وبنائها الفني . وهذه السمات كثيرة ، منها ما سبق التعرض له في مبحث خصائص القصة القرآنية ، ولذلك تذكر الباحثة هنا بعضاً من السمات التي اعتمد عليها المنهج القصصي القرآني ، في اختياره وبنائه للقصة :

١) خضوع المنهج القصصي القرآني للغرض الديني :

خضعت القصة في القرآن للغرض الديني ، فترك هذا الخضوع آثاراً واضحة عليها ، فما نزل من القصص القرآني في أوائل الدعوة ، يختلف عما نزل بعد الهجرة النبوية إلى المدينة . فجلّ ما نزل في مكة ، يمتاز بمنتهى الإيجاز في عرض أحداث القصة ، والاقتصار على ذكر من نزل عليهم العذاب ، دون التعرض غالباً إلى التفاصيل الدقيقة ، كأسماء الأنبياء ، وحواراتهم مع أقوامهم ؛ لأن الغرض الأول في هذه المرحلة ، يتمثل في ترهيب وتخويف مشركي قريش . وحين تتطور الدعوة ، ويدخل الناس في دين الله ، ويحتدّ الخصام ، ويشتد الصراع ، تظهر أسماء الرسل ، وهم يحاورون أقوامهم ، فيبرز عنصر الحوار في موضوعات الدعوة ، وتمضي القصة في أناة ومهل ، وتأتي آياتها أكثر طولاً ، لأنها تتجه إلى إثارة التفكير والتأمل فيما جرى على الأمم من قبل [(١)] . كما أثر الغرض الديني في طريقة عرضها بل في مادتها ، ويتضح ذلك فيما يلي[(٢)]:

أ- أن ترد القصة الواحدة مكررة في مواضع شتى ، ولكن هذا التكرار لا يتناول القصة كلها ، إنما هو تكرار لبعض حلقاتها ، ومعظمه إشارات سريعة ، لموضع العبرة فيها ، أما جسم القصة كله فلا يكرر إلا نادراً .

ب-أن تُعرض بالقدر الذي يكفي لأداء هذا الغرض ، ومن الحلقة التي تناسبه وتتفق معه .

ج-أن تمزج التوجيهات الدينية بسياق القصة قبلها وبعدها وفي ثناياها كذلك .

٢) احتواء المشاهد على فجوات :

ومن أبرز سمات المنهج القصصي القرآني والتي يلاحظها دارس القصة القرآنية ، هو عدم استقصاء القصة القرآنية لجميع مشاهد القصة ، ارتفاعاً بالقصة من وهدة السرد المعتاد ، دون أن يترتب على ذلك إسقاط شيء من أحداثها أو مواقفها . فالمُشاهد مشدود بتتابع الحدث وتواليه ، وبعضها يُترك لخيال المتلقي يملأ ما بينها من فجوات [(٣)] . "ووظيفة هذه الفجوات أن تدع المُشاهد يسبح بخياله ويفكر ماذا كان بين المشهد والمشهد ، فيستمتع بإقامة القنطرة بين المشهد السابق والمشهد اللاحق ، وهذه الطريقة متبعة في جميع القصص القرآني على

١- نفرة ، التهامي. سيكولوجية القصة في القرآن . مرجع سابق . ص٩١-٩٢.

٢- قطب ، سيد . التصوير الفني في القرآن . دار الشروق . ١٤٠٨هـ . ص١٥٥-١٧٠ .

٣- عوضين ، إبراهيم . البيان القصصي في القرآن الكريم . مرجع سابق . ص ١٣٩.

وجه التقريب ، على نسق يبرز من خلاله قوة العرض وتخييل العواطف" [1] . ومن أمثلة ذلك ، مشاهد قصة يوسف ، فقد احتوت على كثير من الفجوات ، والتي تُرك فيها الخيال ليملأ ما بينها : ففي المشهد الأول ، يظهر حديث يوسف مع أبيه . ثم يأتي المشهد الثاني ، بمؤامرة الإخوة . ثم يتلوه مشهد مخاطبتهم لأبيه ؛ ليسمح لهم باصطحاب يوسف في رحلة ، فيسمح لهم الأب . ثم يظهر الإخوة وهم يجمعون على إلقاء يوسف في الجب . وهكذا تتابع المشاهد ، فتظهر فجوات فيها . هل فعلاً بقيت الرؤيا قيد السر ، فلم تصل إلى إخوة يوسف ، أم أنها بلغتهم ؟!. وهل عقد الأخوة جلسة أخرى ، اتفقوا فيها أن يذهبوا إلى أبيهم ؟!. ومتى نفذت؟[2] .

٣) تنوع طرق عرضه :

من الملاحظ على المنهج القصصي القرآني ، أنه لا يلتزم في عرضه لقصصه طريقة واحدة ، فيظهر التنوع في طريقة عرض القصص القرآني في عرض القصة الواحدة في عدة سور ، حيث تختلف في حجمها وما تحمله من أحداث وطريقة روايتها ، تبعاً للغرض الذي صيغت له . وكذلك في طريقة البداية والاستهلال للقصة ، فتكون البداية بمقدمة تمهيدية : بملخص للقصة ، أو بذكر العاقبة ، أو بالحدث مباشرة . وعرض القصة يعتمد أحياناً على الرواية والسرد ، وأحياناً على الحوار ، وأحياناً عليهما جميعاً . كما تتنوع مواقع المفاجأة ، تبعاً لأغراض القصة ."وذلك لأن البيان القرآني يحدد الغرض من القصة ويسلك له الطريق الذي يوصل إليه دون خلط أو تشويش أو اضطراب متوسلاً في طريقه إلى غرضه بالوسائل البيانية المناسبة أتم المناسبة ، ومن ثم تنوعت الطرائق تبعاً لتنوع الأغراض ، واختلفت الوسائل البيانية تبعاً لتنوع الطرائق"[3].

٤) اختلاف موقع المفاجأة :

ظهور المفاجأة في القصة القرآنية ، يختلف موقعه بحسب عرض القصة والهدف منها ، فهي لا تسير على نظام واحد في تقديم الحدث المفاجئ ، الذي يحرك القصة إلى حل عقدها الرئيسية ، ويصل بها إلى نهايتها ، ولكنها تراعي المكان والزمان المناسبين لإظهار المفاجأة فتقدمها فيهما ، محافظة بذلك على القيمة الفنية المعجزة التي يقوم عليها البيان القرآني في عمومه [4] . وتأتي المفاجأة في القصص القرآني على أربع صور[5] :

١- فمرة يكتم سر المفاجأة عن البطل وعن النظارة ، حتى يكتشف لهم معاً ، في آن واحد ، مثال ذلك : قصة موسى مع العبد الصالح العالم في سورة الكهف.

٢- ومرة يكشف السر للنظارة ، ويترك أبطال القصة عنه في عماية ، وهؤلاء يتصرفون وهم جاهلون بالسر ، وأولئك يشاهدون تصرفاتهم عالمين . وأغلب ما يكون ذلك في معرض السخرية ، ليشترك

١- مشرح ، محمد ناجي .الآفاق الفنية في القصة القرآنية. مرجع سابق . ص٦٦.

٢- المرجع السابق . ص ٦٧-٦٨.

٣- عوضين ، إبراهيم . البيان القصصي في القرآن الكريم . مرجع سابق . ص١٢٣.

٤- المرجع السابق . ص ١٣٦.

٥- قطب ، سيد . التصوير الفني في القرآن. مرجع سابق . ص ١٨٣- ١٨٧.

النظارة فيها منذ أول لحظة ، حيث تتاح لهم السخرية من تصرفات الممثلين ، وقد شاهدنا ذلك مثلاً في قصة أصحاب الجنة في سورة القلم .

٣- ومرة يكشف بعض السر للنظارة ، وهو خاف على البطل في موضع ، وخاف على النظارة وعن البطل في موضع آخر ، في القصة الواحدة . ومثال ذلك قصة عرش بلقيس ودخولها الصرح .

٤- ومـــرة لا يكون هناك سر ، بل تواجه المفاجأة البطل والنظارة في آن واحد ، ويعلمان سرها في الوقت ذاته ، وذلك كمفاجآت قصة مريم .

٥) اختلاف حجم قــصصه :

تأتي في القصص القرآني القصص الطويلة كقصة يوسف عليه السلام ، والقصة القصيرة كقصة أصحاب الســبت ، وتتحول القصة الطويلة في سورة إلى قصة قصيرة أو متوسطة في سورة أخرى ، فالقرآن الكريم "لم يلتزم حجماً معيناً في عرض قصصه ، بل روعيت في عرضها الأغراض الدينية"[١] .

٦) أنه لا يبرز دائماً جميع العناصر القصصية:

سبق في مبحث عناصر القصص القرآني أن القصة القرآنية لا تُظهر جميع العناصر في كل قصة ، وإنما تبرز مـــنها ما يؤدي إلى تحقق الغرض المراد، فقد تكتفي بالحدث والشخصية ،كما في قصة بلعم باعورا في سورة الأعراف. وقد تتسع لتشمل جميع العناصر ،كما في قصة يوسف عليه السلام.

ومما سبق ، يتضح أن القصة القرآنية قد سارت في عرض أحداثها ، على منهجية ظهرت في أمرين، الأول: في الهيكل العام للقصة : وذلك في ثلاثة أجزاء فيها وهي: البداية : حيث تتنوع بداياتها، بطريقة تجذب القارئ، وتحقـــق أغـــراض القصة. ثم منطقة الوسط: وتعالج أحداث القصة ، بصورة قوية متنوعة ، وتظهر فيها العقد والمشـــاهد المتتالـــية ، وتحتوي على الكثير من القيم والمبادئ الإسلامية والتي يراد تحقيقها من خلال القصة . والجزء الأخير من أجزاء القصة هو جزء النهاية : وفيه تختم القصة ، ويسدل الستار عليها بذكر عاقبة ما سبق من الأحداث ، وقد يكون بذكر مفاجآت أو مجموعة من التوجيهات. والأمر الثاني : في السمات المتعددة لهذا المنهج ، ومن حيث مناسبته للغرض الديني ، واحتواء مشاهده على فجوات ، واختلاف موقع المفاجأة فيها ، وتنوع طريقته في عرض مشاهده ، واختلاف حجمها ، وبروز عناصر القصة بحسب أغراض القصة .

١- مشرح ، محمد ناجي .الآفاق الفنية في القصة القرآنية. مرجع سابق . ص٥١.

المبحث الثالث :
الدور التربوي للقصة القرآنية

للقصة القرآنية دور فعال في غرس القيم الإسلامية في قلب المسلم ونفسه ، فهي وسيلة هامة لتربية الجماعة المؤمنة وتثبيتها ، وتعريفها بعقيدة الإسلام وشرائعه . وقد ظهر في القصة القرآنية منهج تربوي عقدي تشريعي أخلاقي متكامل ، عمل على غرس وتنمية القيم والاتجاهات الإسلامية في نفوس الأفراد من جميع الجوانب وفي شتى المجالات ، بناء يشمل روحه وعقله وسلوكه وعواطفه وجسده ، يتناوله فرداً وجماعة ، يغطي دقيق حياته وكبيرها ، ويتسع ليشمل الكون وما فيه من مخلوقات الله عز وجل .

وفي هذا المبحث تتحدث الباحثة بشكل موجز عن الدور الذي أدته القصة القرآنية في التربية الإسلامية ، وذلك من خلال دور القصة القرآنية في التربية العقدية والتشريعية والأخلاقية والعقلية والجسمية.

المطلب الأول:
دور القصة القرآنية في التربية العقدية

التربية العقدية هي أحد جوانب التربية الإسلامية ، ولكنها أهم هذه الجوانب فعليها تعتمد التربية في تحديد أهدافها وغاياتها وأساليبها وتحريك الإنسان وتوجيهه. والقصة القرآنية تهدف أول ما تهدف إلى تربية العقيدة الإسلامية في نفس المؤمن ، فجلّ القصص القرآني أنزل ليؤصل العقيدة الصحيحة في نفوس المسلمين ، ولتأييد النبي ﷺ وتصديقه فيما جاء به ، والتنديد بالشرك وأهله ، وبيان باطلهم ، ومقارعتهم بالحجة والبرهان . وقد ترد القصة القرآنية لهدف أساسي وهو تقرير أمر عقدي وتوضيحه ، وقد ترد القصة لهدف آخر ولكن يظهر فيها الكثير من الأمور العقدية المهمة .

وتتناول القصة القرآنية الكثير من الموضوعات المتعلقة بالعقيدة الإسلامية ، والتي كانت تهدف إلى تأصيلها في نفس المؤمن . فمن القصص القرآني ما جاء ليقرر أموراً أصيلة في العقيدة الإسلامية ، وأهم هذه الأمور توحيد الله عز وجل وإثبات صفات الجلال والكمال له ، ففي سورة الأعراف توالى ذكر عدد من قصص الأنبياء كل نبي يدعو قومه لتوحيد الله بقوله ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ [الاعراف : ٥٩]. وتقرير أن الله هو الخالق المالك لهذا الكون ، كما في قوله تعالى ﴿ ۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ۝١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝١٢ ﴾ [فصلت ٩-١٢]

ومن الأصول التي تقررها القصة القرآنية إثبات وجود الملائكة وأنهم خلق لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، كما في قصة الخلق قال تعالى ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ

عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ » [الكهف : ٥٠]. والدعوة إلى الإيمان بالرسل وتصديقهم وبيان معجزاهم وبعض كتبهم ، كما في قصة عيسى قال تعالى « وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ » [الصف :٦].

كما يظهر في القصة القرآنية بيان أن ما قدره الله وقضاه فلا راد لـــه ، في مثل قصة أم موسى قال تعالى « فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ » [القصص :١٣]. وفي القصص القرآني تأكيد على وجود اليوم الآخر وما فيه من أهوال وبعث وحساب ، في مثل سورة الزمر في قوله تعالى « وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ » [الزمر: ٦٧-٧١].

وقد عملت القصة القرآنية على دحض الشبهات الموجهة للعقيدة وصدها ، كما في قصة محاكمة عيسى عليه السلام في سورة المائدة « وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ » [المائدة:١١٦-١١٧].

كما يأتي في القصص القرآني بيان عاقبة أهل العقيدة الصحيحة وجزاؤهم عند الله كما في قصة مؤمن يس، قال تعالى « وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ » [يس : ٢٠- ٢٧] . كما تورد القصة القرآنية عاقبة أهل الكفر والعصيان قال تعالى « وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ » [القمر: ٤١-٤٢].

وتظهر في القصة القرآنية بعض المعجزات والخوارق التي أيد الله ها أنبياءه ليحاجوا ها قومهم ، كما في عصا موسى ويده ، قال تعالى « قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ » [الشعراء: ٢٩- ٣٣].

وخلاصـــة القول ، إن القصة القرآنية تقوم بدور كبير في ترسيخ أصول العقيدة الإسلامية في نفس المسلم وتربيته عليها . فسعت إلى تقرير أصول العقيدة الصحيحة في نفس المسلم ، وإبعاده عن الاعتقادات الخاطئة ، وتكوين حصانة فكرية عن طريق توضيح بطلانها ودفع شبهها ، وإثبات وحدانية الله عز وجل ، ومقارعة أهل الشـــرك والكفر بالحجة والبرهان ، وإيراد سير بعض الرسل ودعوتهم لأقوامهم وما ساقوه لهم من معجزات وحجـــج عقلية لإثبات وحدانية الله وترك عبادة ما سواه . كما ساقت القصة القرآنية للقارئ نماذج تربوية ، تبين عاقبة أهل الإيمان وما ينتظرهم من الثواب والإحسان في الدنيا والآخرة ، وعاقبة أهل الكفر والطغيان وما نالوه وسينالونه من العذاب والنكال . وتقوم القصة القرآنية بدور كبير في بث الطمأنينة في قلب المؤمن وعقده عـــلى الإيمان بالله ، والاستعانة به ، والتوكل عليه ، واللجوء إليه عند السراء والضراء ، والصبر على البلاء ، ونصره لعباده المؤمنين.

المطلب الثاني :

دور القصة القرآنية في التربية التشريعية

ختم الله عز وجل الشرائع السماوية بالشريعة الخالدة الخاتمة المنزلة على رسول الله محمد ﷺ شريعة الإسلام ، وكانت شريعة متكاملة شاملة لجميع نواحي الحياة البشرية ، وصالحة لكل زمان ومكان . وتؤدي الشريعة الإسلامية دوراً مهماً في التربية الإسلامية ، حيث إنها تعمل على تنظيم العلاقات بين الأفراد والجماعات ، " وتكوين عادات سلوكية قويمة وانضباط خلقي عظيم في حياة الفرد والجماعة "(1) ، والمحافظة على الطاقة البشرية وتوجيهها نحو عمارة الكون .

والقرآن الكريم هو المصدر الرئيسي للتشريع الإسلامي ، والسنة النبوية جاءت شارحة ومبينة له . والملاحظ على عرض القرآن الكريم للأحكام الشرعية أنه اتخذ عدة طرق في عرضها ، فقد يأتي الحكم بصيغة الأمر ، أو بصورة الترغيب والترهيب ، وغير ذلك ، ولكن كانت أبرز طرق القرآن في عرض أحكامه طريقة القصة ، فقد جاءت القصة القرآنية مقررة لبعض شرائع الإسلام ، وموضحة لبعض شرائع الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام ، كما ذكرت بعض الشرائع الفاسدة والتي كانت من وضع البشر وبينت زيفها وخطأها . كما أوردت نماذج ممن أطاع الله وعمل بشرعه ، ونماذج ممن عصى الله وخالف شرعه .

لقد تعددت موضوعات التربية التشريعية في القصص القرآني ، فبينت القصة القرآنية وجوب الحكم بما شرع الله والعدل في هذا الحكم ، كما في قصة داود والخصم قال تعالى ﴿ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ۝ ﴾ [ص :٢١] . إلى قوله تعالى ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ۝ ﴾ [ص: ٢٦].

كما جاء في القصة القرآنية ذكر لشرائع الأمم السابقة ، مثل ما حرم الله على بني إسرائيل من الطعام ، قال تعالى ﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ ﴾ [آل عمران :٩٣]. وكما في صيام مريم عليها السلام حيث كان مخصوصاً بالصيام عن الكلام ، قال تعالى ﴿ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ۝ ﴾ [مريم: ٢٦].

وتأتي القصة القرآنية لتهدم كثيراً من شرائع الجاهلية الظالمة ، كما في الظهار في قصة المجادلة قال تعالى ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝ ﴾ [المجادلة: ١-٢] . وكما في قصة التبني ، قال تعالى﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ

١- النحلاوي ، عبد الرحمن. التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة . المكتب الإسلامي ، بيروت . مكتبة أسامة ، الرياض . ١٤٠٨هـ . ص ٤٩.

زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

ومن القصص القرآني ما جاء ليقرر أمراً شرعياً ، كقصة ابني آدم والتي كانت مبينة لحكم القصاص ، قال تعالى ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [المائدة:٢٧] . إلى قوله تعالى ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [المائدة: ٣٢].

كما تأتي القصة القرآنية لتبين عاقبة من عصى شرع الله ، كما في قصة أصحاب السبت . قال تعالى﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [البقرة :٦٥] . وعقوبة من حرم ما أحل الله ، كما في قصة النسيء ، قال تعالى﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [التوبة: ٣٧] .

كما نجد في القصة القرآنية أمراً بالعبادة كما في قصة مريم ، قال تعالى﴿ يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [آل عمران: ٤٣]. والثناء على أهل العبادة ، كما في قصة إسماعيل ، قال تعالى﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾ [مريم: ٥٤-٥٥].

ومما سبق ، يتضح استخدام القرآن الكريم للقصة في التربية التشريعية ، بما ظهر فيها من أحكام تشريعية أوجبت على الإنسان العمل بها ، وما أوردته من نماذج لمن عصوا شرع الله وكيف كانت عقوبتهم ، كما عملت القصة القرآنية على هدم كثير من الشرائع الفاسدة والتي جاء بها أهل الكفر ، وتبيين وجه باطلها ، وإقرار الحق مكانها.

المطلب الثالث :

دور القصة القرآنية في التربية الأخلاقية

التربـية الخلقـية هي من أهم الأهداف التي تسعى التربية الإسلامية لتحقيقها ، " فالتزام قواعد الأخلاق الإسلامية كفيل بتحقيق السعادة للفرد الإنساني في المجتمع الإنساني على نحو يتم فيها التوفيق بين مطالب الفرد وحاجته ، ومطالب الجماعة وحاجتها ، وبذا ترتقي معنويات الفرد والمجتمع "(١) . ولكن الأخلاق لا يمكن أن تفرض على الإنسان من الخارج ، ولا يكفي لتطبيقها أن يلقنها الفرد ويحفظها ، فلابد من تكوين قناعة فكرية ليؤمن بها الفرد ، وكذلك لا بد من تطبيقها في الواقع البشري ، لتظهر في سمات الشخصية ومعاملاتها.

في القصص القرآني تبدو أهداف التربية الخلقية في التربية الإسلامية ، فيما يلي (٢) :

١) تربية ضمير الإنسان المسلم .

٢) تربية الإنسان المسلم على ممارسة السلوك الذي يحقق الأخلاق الإسلامية .

٣) تنمية الجانب الفطري في الإنسان نحو الخير ، وذلك عن طريق الإيمان بالأخلاق الإسلامية.

٤) تربية الإنسان المسلم على الاقتداء بالأنبياء والرسل.

وللقصة القرآنية منهج تربوي فريد ، في تكوين قناعة فكرية وعملية للتخلق بالأخلاق الحسنة والتنفير من الأخلاق السيئة . فقد أكدت على أن الأخلاق جزء من العبادة ، التي يتوجه بها الإنسان نحو خالقه ، ورتبت عليها الأجر والثواب لمن حسن خلقه ، والعذاب والنكال لمن ساء خلقه . وقدمت القصة القرآنية نماذج إنسانية حـية لأفـراد وجماعات حسنت أخلاقهم فعظم عند الله ثوابهم ، وفي المقابل نماذج لمن فسد خلقه فنال من العذاب ما يستحق .

> " إن القرآن الكريم يؤكد على الناحية الأخلاقية في الوجود في كل صفحاته . فالقرآن يدعـو إلى تقوى الله وإلى الصدق وإلى العدل وإلى التعاون وإلى التسامح وإلى الصبر وإلى الصـفح وكظم الغيظ وإلى التواضع وإلى الرحمة والمحبة والبذل والتضحية والجهاد إلى ما هنالك من الفضائل الإسلامية المعروفة . كما ان القرآن يشجب الظلم والطغيان والكذب والـنفاق والعـدوان . كما يشجب البخل والإسراف والغيبة والنميمة . كما يشجب التجسـس وشهـادة الزور إلى غير ذلك من الرذائل التي ابتلي بها الكثيرون من المسلمين اليوم " (٣).

وأعظم ما يرد في القصة القرآنية من الأخلاق ، أخلاق المرسلين عليهم الصلاة والسلام ، قال تعالى آمراً باتباعهم ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٠]. وقد وصفت آيات القصة القرآنية أخلاق وصفات بعض من الرسل ، كما في وصف إبراهيم عليه

١- أحمد ، مدهش علي خالد . الأهداف التربوية في القصص القرآني. مرجع سابق . ص٥٤.

٢ - طهطاوي ، سيد أحمد. القيم التربوية في القصص القرآني . مرجع سابق . ص ١٢٠

٣- الجمالي ، محمد فاضل . نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي . الدار التونسية للتوزيع . تونس . ١٩٧٨م. ص ٨٥- ٨٦.

السلام بالحلم والإنابة ، قال تعالى ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ [هود: ٧٥]. ووصف إسماعيل عليه السلام بالصدق ، قال تعالى ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾ [مريم: ٥٤]. وقالت ابنة صالح مدين في وصف خلق موسى عليه السلام ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [القصص: ٢٦]. وببر الوالدين وصف يحيى ، قال الله عز وجل ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ ﴾ [مريم: ١٣-١٤]. وبالصبر وصف أيوب عليه السلام ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [ص: ٤٤].

وتظهر في القصة القرآنية قضية الإلزام الخلقي ، والتي صورتها قصة الأمانة ، قال تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وجاءت القصة القرآنية ناهية عن الأخلاق الذميمة ، متوعدة أهلها بالنكال وسوء العذاب في الدنيا والآخرة ، فأوردت القصة القرآنية خلق قوم لوط وهو الفاحشة وما أصابهم من عذاب بسببها ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [العنكبوت:٢٨-٢٩]. إلى قوله تعالى مبيناً عقوبتهم ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [العنكبوت: ٣٤]. وجاء في القصة القرآنية عقوبة من اتبع الباطل وترك الحق بعد أن علمه لأجل هواه ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦] . وعقوبة من امتنع عن دفع الزكاة وبخل بما آتاه الله ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا بِهِۦ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٧]. وجاء في القصة القرآنية ذكر لخلق الخيانة والغش ، والتي تمثلت في قوم شعيب وعقوبتهم ، قال تعالى ﴿ ۞ أَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [الشعراء: ١٨١-١٨٣]. إلى قوله تعالى ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ ﴾ [الشعراء: ١٨٩].

وخلاصة القول ، إن القصة القرآنية عملت على تأصيل الأخلاق الإسلامية في نفس القارئ ، بما احتوته من أسس أخلاقية مرجعية ، وما تضمنته من أخلاق كثيرة ، جاءت بها في نماذج بشرية ليسهل الاقتداء والاتباع ، فقد أوردت نماذج بشرية حسنت أخلاقها ، خاصة من الأئمة القدوات أنبياء الله الكرام ، وجاءت بنماذج بشرية ساءت أخلاقها والعذاب الذي استحقته في الدنيا والآخرة ؛ ليتحقق هدف التربية الإسلامية المتمثل في تزكية النفس وتطهيرها .

المطلب الرابع :

دور القصة القرآنية في التربية العقلية

من أهداف التربية الإسلامية " تدريب العقل على التفكير السليم ، وتزويده بالعلم ، الذي يعينه على فهم البيئة المحيطة والقدرة على حسن التصرف في المواقف ، وحل المشكلات التي تصادفه بطريقة منطقية واقعية"[١]. ومن الملاحظ أن تربية العقل كانت هدفاً أساسياً للقصص القرآني قال تعالى ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) ﴾ [الأعراف : ١٧٦] . فهذه الآية تدل دلالة واضحة على أن القصة القرآنية إنما جاءت لتربية العقل على التفكير والتأمل في الكون وفي أحوال من سبق . "والقرآن الكريم ينوه بالعقل ويعول عليه في أمر التبعية والتكليف ولا تأتي الإشارة إليه عارضة بل هي تأتي في كل موضع مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة ، ولا يأتي تكرار الإشارة إلى العقل بمعنى واحد من معانيه بل تشمل وظائف الإنسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها وتتعمد التفرقة بين هذه الوظائف والخصائص ومناسباتها "[٢]. لذلك كان من خصائص القصص القرآني أنه يتجه إلى عقل الإنسان ويقنعه بشكل لا مثيل لـــه ، فتدعو القصة القرآنية الإنسان للنظر والتأمل في أحداثها ؛ لكي يستدل على سنن الله في الكون ، ويهتدي إلى الإيمان بخالقه عن طريق هذه السنن ، فيكون إيمانه عن تأمل وتفكر واقتناع ، لا عن تقليد لما وجد عليه آباءه وأجداده من غير نظر ولا بحث [٣] . كما في قصة إبراهيم مع قومه في سورة الأنبياء ، قال تعالى ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ (٥٢) قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٥٤) ﴾ [الأنبياء: ٥٢- ٥٤] . وتستمر القصة حتى يحطم إبراهيم الأصنام إلا كبيراً لهم ، فيأتيه قومه ﴿ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧) ﴾ [الأنبياء: ٦٢-٦٣]. فهذه القصة ما هي إلا مجادلة عقلية لما كان عليه القوم من شرك بالله ، استخدمت العقل سلاحاً ؛ لإظهار زيف عبادتهم ، ولتحريرهم من الظنون والأوهام الفاسدة . وغير هذا كثير من القصص القرآني الذي استخدم فيه الأنبياء الحجج والبراهين العقلية لإثبات خطأ أقوامهم .

والتفكير التأملي يظهر في قصة إبراهيم والكواكب ، قال تعالى ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (٧٩) ﴾ [الأنعام: ٧٦- ٧٩]. وتظهر

١- عبد الرحيم ، عبد المجيد. مبادئ التربية وطرق التدريس . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة . ١٩٧٨م . ص١٤ .

٢- العقاد ، عباس محمود. التفكير فريضة إسلامية . القاهرة ، دار الهلا . (د.ت) . ص٥ .

٣- السباعي ، مريم . القصة في القرآن. مرجع سابق . ص٢٨١.

في القصة القرآنية الملاحظة العلمية الهادفة ، في مثل قصة سليمان عليه السلام والنملة ، قال تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ [النمل: ١٨] . كما تأتي في القصة القرآنية قيمة الدقة والتثبت العلمي ، قال تعالى في قصة سليمان مع ملكة سبأ ﴿ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ۝ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ۝ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴾ [النمل: ٢٢-٢٤]. وهنا أراد سليمان عليه السلام أن يتثبت مما جاء به الهدهد ﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴾ [النمل: ٢٧-٢٨].

والقصة القرآنية تربي عقل المسلم على التصور والتخيل ، كما في وصف البحر لما ضربه موسى ، قال تعالى ﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الشعراء: ٦٣]. وتؤكد القصة القرآنية على وجود الفروق الفردية بين الشخصيات ، كما في قصة داود وسليمان عليهما السلام ، قال تعالى ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ۝ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٨-٧٩]. وتنقل لعقل القارئ الكثير من خبرات ومعارف من سبق ، قال تعالى ﴿ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ۝ وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ﴾ [الأنبياء:٧٩-٨٠].

وتظهر في ثنايا القصة القرآنية الكثير من المبادئ والتوجيهات التربوية العقلية ، فحب العلم وأهله ورفعهم ، والسعي في طلبه ، يتجلى في قصة موسى والخضر عليهما السلام ، قال تعالى ﴿ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ۝ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ۝ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ۝ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ۝ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ﴾ [الكهف:٦٥-٦٩] . والدعوة إلى سؤال أهل العلم يظهر في قصة يوسف عليه السلام ، قال تعالى ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٤٦]. ومثال من ضره علمه و لم ينفعه عمله يأتي في مثل قصة تعليم هاروت وماروت الناس السحر، قال تعالى ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وبذلــك فــإن القصة القرآنية كانت موجهة للعقل ، لأنه الأداة المحركة للإنسان والتي يقوم عليها مناط التكلــيف ومــدار التشريع ، وقد حثت القصة القرآنية على استخدام العقل واستثماره فيما ينفع ، ووضعت ضوابط تكفل حسن أداء هذا العقل ؛ بتحريره من الظنون الفاسدة والتقاليد البالية ، ودعوته للتثبت في كل أمر قــبل اعتقاده. وقامت بإثراء العقل البشري بالكثير من خبرات الأمم سابقة ومعارفهم ؛ ليبني عليها حضارته ويؤدي خلافته على الأوجه الأتم.

المطلب الخامس :

دور القصة القرآنية في التربية الجسمية

كما تهتم التربية الإسلامية بالجانب العقدي والأخلاقي والعقلي للنفس البشرية ، فإنها تولي الجانب الجسمي عناية خاصة ، فعملت على تهذيب دوافعه واستثمارها في تكوين وبناء الإنسان الكامل الصالح ، كما وضعت لـه من الأحكام والشرائع ما ينأى به عن إهدار طاقته الجسمية في الشر والفساد . إن " فلسفة التربية الإسلامية تؤكد على ضرورة إشباع مطالب الجانب الجسدي للإنسان ، وفق دوافع الطبيعة ، وأحكام الشريعة في المشرب والمأكل والملبس والمسكن والمنكح ، والأخذ بأسباب الصحة والعافية والاستطاعة والمقدرة والوقاية والعلاج ونحو ذلك"[1].

والملاحظ على القصص القرآني احتواءه على كثير من الجوانب التربوية الجسمية ، والتي كانت تهدف إلى المحافظة على الجسم قوياً نشيطاً ، وإبعاده عن ما يفسده ويضره ، واستثمار طاقته في عبادة الله وطاعته ، فظهر فيها بعض الحدود والشرائع الإسلامية ، والتي وضعت للحفاظ على الجسم . فحرمت الشريعة الإسلامية بعض من الأمور لضررها على الصحة البشرية ، ومن هذه الأمور ما كان مختصاً بالطعام والشراب ، وقد ورد في القصة القرآنية بعض هذه المحرمات وبينت علة هذا التحريم ، قال تعالى ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [الأنعام:١٤٥].

وحث بني آدم على الأكل من الطيبات جاء قصة أصحاب الكهف ، قال تعالى ﴿ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الكهف: ١٩]. وأنكرت القصة القرآنية أمر من حرم ما أحل الله لـه ، كما في قصة التحريم ، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ ﴾ [التحريم: ١].

وحرمت الشريعة الإسلامية الزنا واللواط لما فيهما من انتكاس للفطرة البشرية وانتشار لكثير من الأمراض، وقد نبهت القصة القرآنية على عقوبة من وقع في اللواط متمثلة في قصة قوم لوط ، قال تعالى﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [الشعراء:١٦٥- ١٦٦].

وتحث القصة القرآنية على استخدام القوة الجسمية في طاعة الله ، كما في قصة موسى لما أعان بنتي صالح مدين ووصفتها الفتاة بالقوة، قال تعالى ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [القصص:٢٦]. وقصة ذي القرنين ، قال تعالى﴿ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [الكهف: ٩٤-٩٥]. وتحذر من استخدامها في الفساد والمعصية ، كما في قصة قوم عاد ، قال تعالى ﴿ فَأَمَّا عَادٌ

---

١ – الزنتاني ، عبد الحميد. فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة . الدار العربية . ليبيا . ١٩٩٣م . ص٢٤٩.

فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [فصلت: ١٥-١٦]. كما يأتي طلب الدواء والعلاج في قصة أيوب ، قال تعالى ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَـٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ [ص: ٤١- ٤٢]. ومعالجة الناس في قصة عيسى عليه السلام ﴿ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٤٩].

ومما سبق ، يظهر أن القصة القرآنية كان لها دور قوي ومؤثر في التربية الإسلامية ، حيث أبرزت آياتها أهداف التربية الإسلامية ، وعملت على تأصيلها في النفوس وتحريكها نحو العمل بها ، في مجال التربية العقدية والتربية التشريعية، والتربية الأخلاقية ،والتربية العقلية ،والتربية الجسمية ، واستثارت المسلم إلى الالتزام بها بما أوردته من نماذج بشرية تمثل قدوة في مجالات عدة .

خلاصة الفصل

في هذا الفصل ، تم إلقاء الضوء على مجموعة من الموضوعات المتعلقة بالقصة القرآنية ، فمن حيث تعريف القصة القرآنية ، رأت الدراسة أن المفهوم الذي يتفق مع الدراسة الحالية هو: كل خبر جاء في القرآن واحتوى على ذوات وأحداث .

كما استبان من خلال الفصل أن القصة القرآنية تتميز عن القصة الأدبية بمزايا ، تؤكد على رقي وعظمة القصة القرآنية ، وهي تتركز في جانب المصدر والهدف والصدق والأسلوب . كما أوضح الفصل أن مصدر المادة القصصية في القصة القرآنية هو أخبار وأنباء الأمم السابقة وأخبار وأنباء عن أمور غيبية لا سبيل للإنسان لمعرفتها ، والأحداث الواقعة في عصر النبوة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

واستخلص الفصل أن القصة القرآنية ذات أنواع عديدة تختلف في التقسيم ، فمن حيث اعتبار زمن الوقوع تقسم إلى قصص تاريخية ، وواقعية ، وغيبية ، وقصص مضروبة للتمثيل . ومن حيث تقسيمها باعتبار حجم القصة تقسم إلى : قصص طويلة، وأخرى قصيرة ، وبينهما قصص متوسطة . ومن حيث اعتبار الشخصيات الواردة في القصة فإنها تقسم إلى : قصص الأنبياء ، وقصص الأفراد والطوائف ، وقصص غير البشر .

كما أظهر الفصل أن للقصة القرآنية العديد من الأغراض والأهداف ، والتي تؤكد أن إيراد هذه القصص كان نابعاً من أهداف التربية الإسلامية ومحققاً لها ، ولم يكن عبثاً . وأبرز تلك الأغراض أخذ العظة والعبرة ممن سبق ، وتأييد رسول الله ﷺ وتثبيت فؤاده ، وإرساء الأخلاق الإسلامية . وبيّن الفصل أن للقصة القرآنية الكثير من الخصائص والمميزات التي تميزها عن سواها من القصص ، كان من أبرز هذه المميزات : التزامها بالحق ، وأنها قصص واقعية ، وأنها تلتزم بالطهارة والأدب .

وقد ناقش الفصل المنهج القصصي في القرآن الكريم ، فأبان أن الهيكل العام للقصة القرآنية ينقسم إلى بداية: تتمثل في الكلمات الأولى التي تمهد للقصة ، وتهدف إلى جذب القارئ لتبث في نفسه توجيهاتها ، وتتنوع بداية القصة في القصص القرآني . ثم تأتي منطقة الوسط ، والتي تبدو فيها أحداث القصة مترابطة ومتتالية بقوة ، فتتفاعل فيها الشخصيات وتظهر الأزمات ، مما يمهد لآخر منطقة في القصة وهو نهايتها ، والتي تكون بمثابة الكلمات الأخيرة التي تتحقق معها الكثير من المبادئ والقيم الإسلامية .

وأخيراً تناول الفصل الدور التربوي المهم الذي تقوم به القصة القرآنية في التربية الإسلامية ، بتوضيح أهم القيم التربوية التي حققتها القصة القرآنية في جانب تربية الإنسان المسلم الصالح ، ومن كافة جوانبه العقدية والتشريعية والأخلاقية والجسمية والعقلية .

وعلى أساس هذا الفصل تنتقل الباحثة إلى الفصل الثالث ، والذي يتناول دراسة قصص النساء في القرآن الكريم ، بعرضها وبيان أهدافها ودلالاتها التربوية ، والذي يمثل إجابة على سؤال الدراسة الأول .

الفصل الثالث :

قصص النساء في القرآن الكريم مفهومها وأقسامها ومزاياها وعرضها

مدخل

بعد أن قامت الباحثة في الفصل السابق بعرض صورة شاملة عن القصة القرآنية ، وتبين فيها المقصود بها وخصائصها وأغراضها وعناصرها . كما تمت مناقشة منهجها ، ليؤصل للحديث عن قصص النساء في القرآن ويمكّن من استخراج مزاياها ، تثني بهذا الفصل ، والذي يمثل إجابة لسؤال الدراسة الأول : ما مفهوم قصص النساء في القرآن الكريم وما مميزاتها وما دلالاتها التربوية ؟ .

ويتركز الحديث في هذا الفصل على قصص النساء في القرآن ، في محورين أساسيين ، الأول يوضح مفهوم وخصائص قصص النساء في القرآن ، والذي يتأثر بشكل مباشر بالقصة القرآنية ، فلا يمكن فصل قصص النساء في القرآن في أسلوبها وخصائصها عن القصة القرآنية ، وإن كان يبدو فيها شيء من التميز عن باقي القصص . والمحور الثاني يبسط الحديث عن قصص النساء في القرآن الكريم ، ببيان مواضعها وتفسير آياتها ، وعرض أحداثها ، ودلالاتها التربوية ، وفق إطار المنهج القصصي القرآني والذي سبق بيانه في الفصل السابق .

ويحتوي هذا الفصل على مبحثين ، وتندرج تحتهما عدة مطالب :

المبحث الأول : مفهوم قصص النساء في القرآن وأقسامها ومزاياها. وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : المرأة في القرآن الكريم .

المطلب الثاني : مفهوم قصص النساء في القرآن.

المطلب الثالث : أقسام قصص النساء في القرآن .

المطلب الرابع : مزايا قصص النساء في القرآن .

المبحث الثاني : عرض قصص النساء في القرآن الكريم ودلالاتها التربوية . وفيه ثلاثة عشر مطلب :

المطلب الأول : قصة حواء زوج آدم عليهما السلام .

المطلب الثاني : قصة امرأة نوح عليه السلام .

المطلب الثالث : قصة سارة زوجة إبراهيم عليهما السلام .

المطلب الرابع : قصة امرأة لوط عليه السلام وبناته .

المطلب الخامس : قصة امرأة العزيز والنسوة مع يوسف عليه السلام .

المطلب السادس : قصة أم موسى وزوجه وأخته وآسية عليهم السلام .

المطلب السابع : قصة ملكة سبأ مع سليمان عليهما السلام .

المطلب الثامن : قصة مريم وأمها عليهما السلام .

المطلب التاسع : قصة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك .

المطلب العاشر : قصة أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها .

المطلب الحادي عشر : قصة عائشة وحفصة رضي الله عنهما في قضية التحريم .

المطلب الثاني عشر : قصة المجادلة رضي الله عنها .

المطلب الثالث عشر : قصة امرأة أبي لهب .

المبحث الأول:
مفهوم قصص النساء في القرآن الكريم وأقسامها ومزاياها

المطلب الأول : المرأة في القـــرآن الكريم

على مدار التاريخ وتقلب العصور ، تظهر قضية المرأة ، ما هي وما عليها ، وما مكانتها ؟!. لتكون مجالاً لاجتهاد العالم والجاهل ، والفرد والجماعة . كل منهم يعبر برأيه عن هذا المخلوق . فامتهنها البعض ؛ لتكون كالبهـــيمة تباع وتشترى ، لا حق لها في نفسها ، ولا رأي لها في أمرها ، وخرج آخرون ليقولوا بأنها كائن رجس ملعون فهي صاحبة الشيطان ، ومنعها آخرون حق الحياة ؛ لتقتل بمجرد خروجها للحياة ، خوف العار والفضيحة ، كما حرمت من المال والميراث لأنها أنثى .

> "وظلوا طوال قرون يسلكون المناهج المختلفة ، ويشرعون القوانين المتضاربة التي تتسم في أغلب الأحيان بعدم الاعتدال والتنطع فكان أكثرهم يستغل ضعفها الجسماني ليتنكر لحقوقها الطبيعية والمدنية ، وبلغ الأمر بالعديد منهم درجة الشك في قيمتها الإنسانية ، فدعاهم ذلك إلى فرض الانزواء عليها وإرهاقها بأعمال شاقة تحملتها قسراً بحكم التقاليد والعادات كما منعوها حق الحياة الاجتماعية وإبداء الرأي حتى فيما يهمها من أمر ويعينها من شؤون ، فتتخذ المقررات ولا يسعها إلا التطبيق وتصدر الأوامر ولا يسعها إلا التنفيذ" (١).

عن عمر رضي الله عنه قال "كنا في الجاهلية لا نعدُّ النساء شيئاً . فلما جاء الإسلام وذكرَهن الله رأينا لهن -بذلك- علينا حقاً ، من غير أن نُدخلَهنَّ في شيء من أمورنا "(٢). ويظهر بين أولئك القليل الذي أعطى المرأة شيئاً من حقها يعدها إنساناً ذا كرامة ، لأنها الأم والزوجة والبنت والأخت ، فهي العزيزة في قومها المطاعة في أهلها ، حتى نصبوها ملكة واستشاروها في حربهم وسلمهم .

وهكـــذا ظل حالها يتأرجح بين التحسن والإساءة ، إلى أن ظهر الإسلام في جزيرة العرب ، يقرر لها من الحقوق والواجبات ، ما كان مثار عجب ودهشة بين اتباع النبي ﷺ أنفسهم ، فضلاً عن غيرهم . فقد قرر لها أهليـــتها الاقتصـــادية والاجتماعية ، كما قرر أهليتها للعبادة والتكاليف الشرعية . وأبرز لها وجوداً اجتماعياً عاماً، إذ جعل لها دوراً في إصلاح المجتمع ، يقوم على حراسة قيمه ، وتقويم انحرافاته ، وتزكية عقائده ومبادئه؛ للسمو به إلى أفضل ما يستطاع ، لا تتخلف في ذلك عن الرجل ، ولا تقل عنه مسؤولية فيه (٣) .فساوى الدين الإســـلامي بـــين الرجل والمرأة ، وأعطى كلاً منهما من الحقوق والواجبات ، ما يتناسب وأهليته ودوره في الحياة، وبهذه النظرة ينظر القرآن الكريم إلى المرأة في أحكامه وتشريعاته.

---

١ - كركر ، عصمة الدين .المرأة من خلال الآيات القرآنية . نشر الشركة التونسية للتوزيع . (د.ت) . ص ١٩.

٢- البخاري ، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري . دار ابن حزم. بيروت. ١٤٢٤هـ . كتاب اللباس . باب ما كان النبي يتجوز من اللباس والبسط . رقم الحديث : ٥٨٤٣.

٣- الخولي ، البهي. تقدير الإسلام لإنسانية المرأة . مجلة الوعي الإسلامي . السنة الثالثة . العدد السابع والعشرون . غرة ربيع الأول ١٣٨٧هـ - ٩ يونيو ١٩٦٧م. ص١٦

"إن الرؤية الإسلامية الفلسفية للإنسان لا ترسم حدودا أو تمايزاً بين المرأة والرجل على مستوى الحقيقة الإنسانية ، فهما يجسدان حقيقة واحدة ، والتمايز الوحيد الذي يقر به الإسلام هو التمايز الخلقي الذي له علاقة بالجسد ، وهو كأي أمر واقعي له آثار في الحياة ، وبالتالي له مترتباته ومقتضياته التشريعية الخاصة. ومن الطبيعي أن يحدو لهذا التمايز تمايزاً آخراً له صلة بالوظيفة الاجتماعية والإنسانية لكل من المرأة والرجل" [1] .

فساوى القرآن بين المرأة والرجل في أصل الخلقة ، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء : ١]. وساوى بينهما في العقوبة والجزاء ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل :٩٧]. كما ساوى بينهما في التكاليف والشرائع ، إلا ما جاء خصوصاً لأحدهما وهو قليل . " وقد أثبت القرآن في صفحة المرأة أنها هاجرت وجاهدت وأنفقت الأموال ولقيت الأذى وتحملت الصعاب ، ويعلن القرآن أن الله يقدر في مضمار الخدمات والأعمال كل جنس من الناس دون تفضيل قبيل على قبيل" [2].

وحارب القرآن ما كانت تتعرض لــه المرأة ، من ظلم وإهانة ووأد في الجاهلية ، قال تعالى ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [النحل : ٥٨-٥٩].

لقد أمر كتاب الإسلام بالإحسان للمرأة ، أماً ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ ﴾ [الأحقاف :١٥] . وزوجة ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ [النساء : ١٩] . وبنتاً ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ ﴾ [النساء : ١١].

وتتنــزل آيات قرآنية بأحكام تشريعية ، لتتولى بذاتها حل مشكلات المرأة ، فيسمع شكواها من فوق سبع سماوات ؛ فتتنــزل آيات الظهار ، قال تعالى ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [المجادلة : ١]. وتدافع عن عرض المرأة ، وتقرر أحكام القذف ، كما في قصة الإفك ، قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النور : ٢٣]. ولتخرجها من ظلم الرجل في أمر الطلاق ، فيحدد الطلاق بثلاث ، بعد أن

١- كرماني ، طوبى . دور المرأة في تطور المجتمع ثقافياً واجتماعاً وسياسياً . المملكة المغربية . وزارة الأوقاف . جامعة الصحوة الإسلامية . الدورة الخامسة . حقوق المرأة وواجباتها في الإسلام . الرباط ٨-٩ رجب ١٤١٩هـ . ٣٧٢/١.

٢- الحنفي ، جلال. المرأة في القرآن الكريم . مطبعة دار التضامن للتجارة والطباعة والنشر . ١٣٨٠هـ . ص ٤.

كان الرجل في الجاهلية يطلق المرأة ألف مرة ، ويعود لها ، قال تعالى ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

كما أثبت القرآن بعضاً من صفات المرأة وخصائصها الأنثوية التي خلقت عليها ، والتي هي من طبيعتها التي تحيا بها . كحبها للزينة وبعدها عن الخصومة ، قال تعالى ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزخرف : ١٨]. وقوة العاطفة ، قال تعالى ﴿ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٍ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [القصص : ٩-١١]. وصفة الضعف ، قال تعالى ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٍ ﴾ [لقمان : ١٤].

وهكذا ينظر الإسلام للمرأة ، على أنها إنسان مكلف حر ، ذو شخصية مستقلة ، عليه واجبات كما أن لـه حقوق لا تهمل . لقد حـازت المرأة في الإسلام مكانة لم تحزها من قبل ، وحتى الحضارة الحديثة التي تدعـي أنهـا كرمت المرأة وأعلت من شأنها وأعطتها حقوقها المسلوبة ، فإنما منحتها الحرية الزائفة والمساواة المشوهة ، وهي في الحقيقة حرمت المرأة من كثير من المزايا التي منحها الإسلام ، ولم تراعِ فطرة المرأة وطبيعتها ودورها في الحياة ؛ مما أدى إلى فساد الأسرة ، وانحلال الأخلاق ؛ بسبب المساواة المشوهة والحرية الزائفة .

المطلب الثاني:

مفهوم قصص النساء في القرآن الكريم

في مبحث عناصر القصة القرآنية ، وعند الحديث عن الشخصية في القصة القرآنية ، تبين أن الشخصية في القصة تأتي على عدة أنواع ، بحسب أغراض القصة القرآنية ، وكان من أنواع الشخصية في القصة القرآنية، شخصية المرأة .

وظهور المرأة في القصة القرآنية ، يمثل وجهاً من أوجه تكريم ورفع هذا المخلوق ، الذي طالما أهينت كرامته ، وألغي كيانه ، وهضم حقه . وأثبتت القصة القرآنية للمرأة من الحقوق والواجبات ما يدل على أنها إنسان مكلف مخاطب بهذا الشرع مثل الرجل . كما أن لظهور المرأة في القصة القرآنية من الدلالات والإيحاءات والعبر الشيء الكثير .

وقد أطلق بعض الباحثين على هذه القصص مسمى : قصص المرأة في القرآن الكريم . وآخرون: قصص النساء في القرآن . وأياً كانت التسمية ، فإن كلاً منهم يقصد نفس المعنى ، فيقصد تلك القصص القرآنية التي ظهرت فيها المرأة . ولكن عند رجوع الباحثة للدراسات التي اختصت بدراسة قصص المرأة في القرآن الكريم ، لاحظت أن جميع هذه الدراسات قد أغفلت وضع تعريف لقصص المرأة في القرآن ، وكان البعض منها يكتفي بذكر تعريف القصة القرآنية ، والبعض لم يتعرض حتى لذلك . كما يلاحظ على هذه الدراسات – المختصة بقصص المرأة في القرآن – أنها لم تتعرض لذكر فروق ومزايا هذه القصص عن غيرها من القصص القرآني ، ولا إجلاء شيء من أوجه الإعجاز القرآني العظيم ، والذي ظهر في الطهارة اللفظية والارتقاء المعنوي ، والتي تحدث عنها الكثير من الكتّاب والدارسين لقصص القرآن الكريم.

والباحثة وإن لم تجد في الدراسات المختصة بقصص المرأة في القرآن على إفادة في جانب تعريف هذه القصص وذكر مزاياها ، إلا أن هناك من الكتب والدراسات السابقة ، والتي تحدثت عن قصص القرآن على وجه العموم ، ما تحدث في فصوله ومباحثه عن قصص المرأة ، وأبرز شيئاً من مزاياها وخصائصها ، ويأتي في مقدمتها كتاب " القصص القرآني مفهومه ومنطوقه " لعبد الكريم الخطيب ، و" بحوث في القصص القرآني " لعبد الحافظ عبد ربه ، و"العبرة في قصة موسى في القرآن الكريم " لمحمد خير عدوي .

وأول خطوة تقدم بها الباحثة في دراسة قصص النساء في القرآن الكريم ، هي خطوة تقديم تعريف لهذه القصص ؛ ليكون أساساً لما سيأتي ، من استخراج وتصنيف للقصص المختارة في الدراسة ، فترى الباحثة أن قصص النساء في القرآن هي : **كل قصة قرآنية كانت المرأة إحدى شخصياتها** .

فقول: " كل قصة قرآنية " ، خرج بها القصة في الحديث النبوي ، والقصة البشرية الأدبية . وقول: "كانت المرأة إحدى شخصياتها "، خرج بها القصة القرآنية التي لم تظهر المرأة في أحداثها ، كقصة طالوت وقصة ذي القرنين .

المطلب الثالث:

أقسام قصص النساء في القرآن الكريم

عند الرجوع للدراسات المختصة بدراسة قصص النساء في القرآن ، لاحظت الباحثة أنها اختلفت في تقسيم هـــذه القصـــص . فالباحث محمد ناصر الحميد ، قسم هذه القصص بحسب القرابة أو المكانة الاجتماعية مع مراعاة التسلسل التاريخي لتلك القصص ، وقصر حديثه على النساء اللاتي نزل القرآن قاصداً لذكر قصصهن ، وجاء تقسيمه لها على النحو التالي :

أولاً : قصص القريبات من النساء ، ويشمل :

١- قصص الأمهات .

٢- قصص الزوجات .

٣- قصص الأخوات والبنات .

ثانياً : قصص متفرقة في النساء ، وشمل :

١- قصص ذوات الجاه والسلطان .

٢- قصص المستضعفات .

٣- قصة المرأة الحمقاء .

ولكن الباحث محمد الحميد لم يوضح ما يعنيه بالقرابة ، ومقصده بالمكانة الاجتماعية ، هل هي قربة لنبي أم بحسب كنية المرأة في القصة أو بحسب دورها في القصة ! . ونتيجة لعدم وضوح معيار الباحث ، في تقسيم القصـــص وتصنيفها ، فإن تصنيف الباحث الحميد لهذه القصص يثير العديد من التساؤلات حول سبب وضع بعـــض القصص في قسم دون بعض ، فمثلاً : لماذا أدرج قصة المجادلة في قصص الزوجات ، و لم يدرج قصة امراة العزيز وامرأة فرعون وامرأة أبي لهب ضمنها .

أمـــا الباحثة منى هنداوي ، فلم توضح معيارها في التصنيف ، ولكن يبدو من خلال فصول الدراسة أنها قســـمت قصص المرأة في القرآن باعتبار العصر ، والذي كانت تحدده بحسب ما تراه ، فجاء تقسيمها لقصص المرأة في القرآن على النحو التالي :

أولاً : المرأة من عصر آدم إلى عصر يوسف عليهما السلام .

ثانياً : المرأة في قصة يوسف عليه السلام .

ثالثاً : المرأة في قصة موسى عليه السلام .

رابعاً : المرأة في قصة سليمان عليه السلام .

خامساً : المرأة في قصة عيسى عليه السلام .

سادساً : المرأة في عصر محمد صلى الله عليه وسلم .

ولكن يلاحظ أن الباحثة منى هنداوي ، لم تضع معياراً محدداً للعصر المقسم عليه ، فأحياناً تجعل هذا العصر يشـــمل عدة عصور كما في قصة المرأة من عصر آدم إلى عصر يوسف عليهما السلام . بينما يصبح محصوراً بزمن نبي معين كما في باقي القصص .

أما الباحث أحمد محمد الشرقاوي ، فهو لم يذكر المعيار الذي اعتمده في تقسيمه لقصص المرأة في القرآن ، ولكن من خلال الاطلاع على خطة الدراسة ، يمكن القول : إن الباحث اعتمد في تقسيم هذه القصص على الأنبياء الواردين في القصة ، وتسلسلهم الزمني . فجاء تقسيمه على النحو التالي :

أولاً : حواء عليها السلام .

ثانياً : المرأة في قصة نوح عليه السلام .

ثالثاً : سارة وهاجر زوجا الخليل عليهم السلام .

رابعاً : المرأة في قصة لوط عليه السلام (امرأة لوط وبناته).

خامساً : قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز .

سادساً : المرأة في قصة أيوب عليه السلام .

سابعاً : المرأة في قصة موسى عليه السلام .

ثامناً : قصة نبي الله سليمان عليه السلام مع بلقيس ملكة سبأ .

تاسعاً : حديث القرآن الكريم عن مريم عليها السلام .

عاشراً : نساء في العهد النبوي أنزل الله في شأنهن قرآناً .

ومما سبق ، ترى الباحثة أن تقسيم قصص النساء في القرآن في الدراسات السابقة ، جاء بحسب القرابة أو العصور أو بحسب النبي . وترى الباحثة أنه يمكن إضافة تقسيمات أخرى لقصص النساء في القرآن ، بالاعتماد على أنواع القصة القرآنية ، التي سبقت في مبحث القصة القرآنية ، فيضاف إلى هذه التقسيمات تقسيمان هما:

أولاً : أقسام قصص النساء في القرآن من حيث زمن الوقوع :

١-القصص التاريخية : كقصة حواء ، وقصة زوجة إبراهيم ، وقصة مريم عليهم السلام .

٢-القصـــص الواقعية : وهي قصص نساء من عهد النبي محمد ﷺ ، كقصة عائشة رضي الله عنها ، وقصة المجادلة رضي الله عنها ، وامرأة أبي لهب .

٣-القصص التمثيلية : كقصة المرأة الحمقاء ، وقصة امرأة نوح ، وامرأة لوط .

ثانياً : قصص النساء في القرآن من حيث حجم القصة :

١-القصـــة الطويلة : وتتمثل في قصة مريم عليها السلام فقط ، حيث يظهر في القصة العديد من المشاهد ، كمشـــهد ولادتهـــا وكفالتها وعبادتها ، وحملها بعيسى عليه السلام وولادته ومخاطبته ومخاطبة قومها ، ودعوى تأليهها وابنها من قبل المشركين من النصارى .

٢-القصة المتوسطة :وتظهر في قصة امرأة العزيز ، وزوجة موسى عليهما السلام ، وملكة سبأ عليها السلام .

٣-القصة القصيرة : وجميع قصص النساء في القرآن ، تعتبر قصصاً قصيرة ، كقصة امرأة إبراهيم ، وأم موسى وأخـــته وامرأة أبي لهب ، ما عدا قصة امرأة العزيز ، وقصة زوجة موسى عليهما السلام ، وقصة مريم عليها السلام ، وقصة ملكة سبأ عليها السلام .

المطلب الرابع:

مزايا قصص النساء في القرآن الكريم

في مبحث خصائص القصة القرآنية ، ظهر كيف أن القصة القرآنية تميزت بخصائص ومزايا ؛ جعلتها فوق كل قصة بشرية ، ودليلاً على أنها منـــزلة من عند الله عز وجل . وحيث إن قصص النساء في القرآن هي جـــزء من القصص القرآني ، فإن لها ما للقصص القرآني من خصائص ومزايا ، تعلو بها وتشرف على غيرها . وقـــد سبق بيان أن قصص المرأة في القرآن الكريم قد حظيت بعناية كثير من الكتّاب والباحثين ؛ ولعل السبب الرئيســـي في هـــذه الاهـــتمام ما ظهر فيها من ترجمة حقيقية لنظرة الإسلام حول المرأة ، وما ظهر فيها من خصائص انفردت بها عن غيرها من القصص القرآني ، وقبل ذلك القصص البشري . وسوف تتناول الباحثة في هذا المبحث الخاص بمزايا قصص النساء في القرآن ،ما ظهر فيها من خصائص تميزت بها عن غيرها من القصص الأدبي ، وأحياناً تختلف فيها عن غيرها من القصص القرآني ؛ لتكوين صورة متكاملة عن هذه القصص ، لنبلغ الغاية القصوى من الاستفادة والاعتبار بها ، وأهم هذه المزايا :

١) القصدية :

عند النظر في ورود المرأة في القصة القرآنية ، يلاحظ أمران ، أولهما: إن ظهورها يأتي دائماً ضمن قصص الأنبـــياء والرســـل صلوات الله وسلامه عليهم ، فهي لم تأخذ دوراً أولياً في أي قصة قرآنية . وثانيهما : إن ظهورها لم يكن في جميع القصص القرآني ، كما كان بنسب متفاوتة ، بل ويعد قليلاً إذا ما قورن بقصص مثل قصص الأنبياء وقصص الأقوام .

فالمـــرأة في القصـــة القرآنية ليست مقصودة لذاتها ، بحيث تكون محوراً تدور حولها أحداث القصة ، أو تســـتجلب استجلاباً لتؤدي دور التشويق والاستثارة ، وإنما تأتي في القصة القرآنية إن كان هناك ثمة فائدة من وجودهـــا ، وتحقـــق غرضاً من أغراضها ، ولهذا خلا كثير من القصص القرآني من المرأة ، كقصة أصحاب الكهـــف ، وقصة العبد الصالح وموسى ، وقصة ذي القرنين . ومع هذا فقد كانت القصص الثلاث وهي في سورة واحدة – سورة الكهف – في المستوى الذي جاءت عليه قصة يوسف إثارة وتشويقاً وروعة ، وذلك شأن القرآن كله [١] .

إن المرأة التي ينظر إليها القرآن الكريم على أنها إنسان مكرم محترم ، ينظر لها كثير من الأدباء والتجار على أنهـــا دمـــية ، تستجلب لهم الزبائن ، وتروج لبضاعتهم الخسيسة . فكثيراً ما تأتي في أعمالهم قصداً للإغراء ، وجذبـــاً لانتـــباه القارئ والمستمع . سواء اقتضتها طبيعة العمل الأدبي ، أم كانت دخيلة عليه . يقول نجيب الكيلاني واصفاً وضع المرأة في العمل الأدبي الحديث :

١- الخطيب ، عبد الكريم . القصص القرآني في منطوقه ومفهومه. مرجع سابق . ص ١١٤.

"إذا برزت المرأة في عمل أدبي ، انصرف الذهن مباشرة إلى غريزة الجنس وإلى الحب بمعناه المحدود ، وإلى العواطف المشتعلة والانغماس في اللذة البهيمية ، وما يتبع ذلك من تصورات وانفعالات . ولقد تمادت الآداب العالمية في إبراز هذا الجانب الجنسي وركزت عليه ، حتى أصبح أمراً يكاد يكون مألوفاً لا يثير الدهشة أو الغرابة أو الاشمئزاز ، وعزفت السينما أيضاً في هذا البحر الهائج من الإثارة والإغراء ، وأصبحت هناك سينما ومجلات ونجوم تخصصوا في هذا اللون من الفن الساقط ، ووجد ذلك قبولاً لدى المراهقين والمنحلين وتجار الرقيق الأبيض ، أصبح الجنس سلعة رائجة في سوق الفنون الحديثة ، وانتقل الوباء إلى أمم الشرق الإسلامي وفعل فعله في إتلاف القيم والأخلاق وسمم العواطف والأفكار ، ودفع الأدب – بالنسبة لعلماء الدين والأخلاقيين والمصلحين – بالفساد والرذيلة " [1] .

٢) التنوع في الشخصية والموضوع :

أخـــذت المرأة في القصص القرآني مكانتها كعنصر فعال وركن مهم في كثير من القصص القرآني ، وقد اشتمل هذا القصص على نماذج متعددة ومتنوعة للمرأة ، نماذج للمرأة في شتى أدوار حياتها ، وفي شتى أحوالها، وفي شتى العصور[2]. وهذا التنوع لأدوار المرأة في القصة القرآنية ، محكوم بالغرض والدور الذي جاءت لأجله في القصة.

ومن الملاحظ أنه قد ورد ذكر المرأة في قصص القرآن الكريم بمختلف الألفاظ والصفات ، التي تطلق على المـــرأة عادة ، كبنت وأخت وأم وزوجة وامرأة وأنثى وفتاة و مؤمنة ومسلمة [3] ، وقد كان لهذا التنوع أثر كبير في إبراز كثير من صفات المرأة وأخلاقياتها ، ووفرت للقارئ نماذج متعددة للنساء في شتى المجالات ، مع عرض صادق بناء وواف . ففي الأمومة ، نجد شخص أم موسى وأم مريم ، ماثلة أمام الأمهات ؛ للاقتداء بهما في الحـــرص على التربية الدينية للابن من صغره وطاعة الله في كل أمر . وتأتي بنتاً بارة في شخصية بنتي صالح مديـــن ﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [القصص :٢٣] . وفي مجال محافظة المرأة على عرضها تأتي القصة القرآنية بشخصيتين متناقضتين ، شخصية تمثل قمة العفاف والطهر ، وهي مريم عليها السلام ، والتي أثنى عليها القرآن بذلك ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران :٤٢] ، وشخصية المرأة التي تحكمها النـــزوات والأهواء ، تظهر في امرأة العزيـــز ، التي ذهبت تدعو النسوة ليشهدن طيشها ﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴾ [يوسف :٣٢]. كما تأتي زوجة وفيّة ناصرة لزوجها ، في قصة امرأة موسى ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾ [طـــه: ١٠]. وزوجـــة خائنة ، في قصة امرأة نوح وامرأة لوط ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا

١- الكيلاني ، نجيب . مدخل إلى الأدب الإسلامي . مرجع سابق . ص١٠٧.

٢- الشرقاوي ،أحمد محمد . المرأة في القصص القرآني . مرجع سابق. ص ٨٩٧.

٣- الحنفي ، جلال. المرأة في القرآن الكريم. مرجع سابق . ص٦.

لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٍ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٍۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [التحريم : ١٠].

وبجانب التنوع الكبير لشخصيات النساء في القرآن ، ظهر أيضاً في هذه القصص تنوع في الموضوعات . فرغم أن قصص النساء في القرآن يغلب عليها ظهور أخلاقيات المرأة وصفاتها الفطرية ، إلا أن هذا لم يؤد إلى خلوها من الموضوعات والمجالات الأخرى . فتظهر في قصص النساء العديد من الموضوعات المتعلقة بالنواحي العقدية ، كإثبات أن الله واحد أحد ، لا صاحبة لـه ولا ولد ، تظهر في قصة مريم وابنها . والنواحي الشرعية كما في قصة زينب بنت جحش . والنواحي السياسية في ملكة سبأ القائدة السياسية المحنكة . والنواحي الأسرية في مثل قصة التحريم . وغيرها من الجوانب .

٣) التعريف باسم المرأة صاحبة القصة :

ادعى صاحب الفن القصصي في القرآن ، أن القرآن قد أغفل ذكر اسم المرأة في قصصه اتباعاً لعادة أهل الجاهلية في كرههم لذكر أسماء نسائهم ،فقال في ذلك:

> "وثاني الأمور هو العدول عن التسمية وإن اختلفت العلة هنا عنها هناك فقد كنا نرى الأمر بالنسبة للرجال عدم الاهتمام بالشخصية كعنصر رئيسي في القصة ، ونرى العدول عنها إلى غيرها من العناصر كالأحداث والحوار . ولكنا هنا نجد للمسألة تعليلاً آخر هو سلطان البيئة ، والحرص على مراعاة التقاليد المعروفة في العربية إذ ذاك ، والذي يدفعنا إلى هذا التعليل هو ما نلاحظه من أن الشخصيات النسائية قصد إليها قصداً لتؤدي أدوارا بعينها في القصة ولم يجئ بها لتكون رموزاً أو كالرموز لتجري على لسانها الأفكار والآراء. قصد القرآن إلى هذه الشخصيات كما هو واضح من قصصه لكن البيئة كانت تحرص على تقليدين . الأول : أن تكون المرأة تابعة للرجل ، والثاني : ألا يذكر اسمها عاريا ، حين تتناول بالحديث في أي موقف وبين قوم كلهم من الرجال" (١).

ويلاحظ أن خلف الله في نصه السابق ، أكد على قضية عدول القرآن عن تسمية شخصيات الرجال والنساء في القرآن الكريم ، ثم قام وفرق بين علة عدم تسمية الرجال، وعلة عدم تسمية النساء في القرآن الكريم ، بغير سند صحيح من قول أو دليل ، ففرق بين مجتمعين ، بلا حجة صحيحة ، وإنما هو اجتهاد في غير محله ، وقد جانبه الصواب في هذا الأمر . فالقرآن الكريم قد سار في ذكر اسم المرأة على منهجه الذي ظهر في جميع القصص القرآني ، وقد سبق في مبحث الشخصية ، أن القرآن لا يذكر اسم الشخصية في القصة ، إلا إذا كان الذكر يفيد الموقف ويحقق غرضاً من أغراض القصة . وليس هذا وذاك في شأن المرأة وحدها ، بل إن هذا دأب القرآن في جميع الأسماء ، فالرجال الذين لهم خصيصة ذاتية ليست لغيرهم ، أو لأكثر جنسهم قد ذكرهم الله

١- خلف الله ، محمد أحمد. الفن القصصي في القرآن الكريم . مرجع سابق . ص ٢٨٤.

تعـــالى بأسمائهم . كأنبياء الله صلوات الله عليهم ، أما الذين هم مجرد رجال ، تتمثل فيهم خصائص الجنس ، فقد ترك ذكرهم القرآن [١].

أمـــا تعليل خلف الله بأن القرآن سار في ذلك على التقاليد العربية فقد جانبه الصواب في هذا الأمر أيضاً يقول عبد الكريم الخطيب رداً على خلف الله :

"لم يكن العرب — خاصة في الجاهلية — يتكرهون ذكر المرأة باسمها ، زوجاً كانــــت أو بنتاً أو أختاً . بل إن أسماء نسائهم كانت تجري على ألسنتهم في مجالسهم وأسمارهم ، كما كانت تذكر في أشعارهم وأخبارهم . وقد سمي كـــثير من الفرسان ، والمشهورين ، بل والملوك بأسماء أمهاتهم ، كما سميت كثير من القبائل باسم الأم دون الأب " [٢].

٤) بين قصص النساء والرجال في القرآن الكريم :

شخصـــيات الـــرجال والنساء في القرآن الكريم تتفق في أمور وتختلف في أخر . فمن حيث الاختلاف : يلاحظ أن المرأة في القصة القرآنية "لم تأخذ دوراً رئيسياً في أية قصة من قصص النساء في القرآن ، فأدوار المرأة دائماً أدوار ثانوية حتى مع مريم وحواء "[٣]. كما يظهر فرق كبير بين قصص الرجال وقصص النساء في القرآن الكـــريم ، في جانــــب بروز الشخصية والأدوار التي تمثلها . فبينما يغلب ظهور شخصيات الرجال في القصة القرآنية في جانب النبوة والرسالة ، والصراع بين الإيمان والكفر ، والجوانب الدنيوية . يغلب ظهور شخصية المـــرأة في الجوانب العاطفية وفي الانفعالات الأنثوية من حب وكيد وغيرة وحياء وغيرها [٤]. لذلك كان من الملاحظ أن شخصية المرأة وطباعها وخصائصها النفسية أكثر وضوحاً من شخصية الرجل .

وتتفق قصص الرجال والنساء فيما دون ذلك ، كالعدول عن التسمية ، إلا إذا كانت تحقق غرضاً معيناً ، فمن شخصيات غير المرسلين لم يسم رجل غير زيد رضي الله عنه ؛ لقطع بنوة النبي ﷺ لزيد بن حارثة ، ولم تأتِ تسمية امرأة غير مريم عليها السلام ؛ وذلك للتأكيد على أن عيسى عليه السلام ليس ولد الله عز وجل . كمـــا تتفق في تخير مواطن العبرة وإبرازها ، وإهمال إبراز الجانب الجسدي ، إلا إذا كان هناك ثمة فائدة منه ، حتى في ذكر سمات الشخصية ، يلاحظ أن القرآن الكريم قد نظر في قصصه إلى كل من الرجل والمرأة ، نظرة مســـاواة وعـــدل ، "فكما أن من الرجال من يتسم بالعقل والرشد ومعرفة الحق والخير ، فإن من النساء من تعـــرف الحق والخير والهداية والرشاد ، كما في الرجال غواة وضلال يتخبطون في ظلمات الجهل والضلال ، كذلك في النساء من تكابر وتجادل في الحق وتأبى الهداية" [٥].

١- الخطيب ، عبد الكريم . القصص القرآني في منطوقه ومفهومه. مرجع سابق . ص ١١٧ .

٢- المرجع السابق . ص١١٨.

٣- خلف الله ، محمد أحمد. الفن القصصي في القرآن الكريم . مرجع سابق . ص٢٨٥.

٤- الخطيب ، جار الله سليمان. قصص القرآن . بحث مقدم لنيل الشهادة العالية . كلية الشريعة .جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (د.ت) .ص١٣.

٥- زكريا ،عبد المرضي . الحوار ورسم الشخصية في القصص القرآني . مرجع سابق . ص ٢٠٠.

٥) ظهور خصائص الأنثى :

تفاعل المرأة مع أحداث القصة القرآنية قد أبرز الكثير من صفات المرأة الخلقية والنفسية والفطرية ، بجانب ما أبرزته من أحكام تخصها ، بشكل يسهم في تكوين صورة متكاملة عن هذا المخلوق . فعاطفة الأمومة تبرز "على أشد ما تكون حرصاً على الوليد في أم موسى عليه السلام ، إلا أنها طاعة لله ، تعالت على هذه العاطفة وألقته في اليم . كما نرى هذه العاطفة ، أيضاً على الوليد الملتقط ، عند امرأة فرعون حين طلبت الإبقاء عليه لتتخذه ولداً " [١]. وميلها للسلم والمصالحة على العدوان والحرب ، يظهر في قصة ملكة سبأ . وغيرتها الشديدة على زوجها ، تظهر في قصة التحريم ." وحرص الأنثى على عرضها ودفاعها عنه نراه في قصة البتول حين جاءها جبريل ليهب لها غلاماً زكياً " [٢]. كما تظهر هذه القصص ذكاء المرأة ودهاءها وكيدها ، في قصتي امرأة العزيز ، وفي ملكة سبأ . وسرعة الانفعال ، تظهر في قصة امرأة إبراهيم . وغيرها الكثير من صفات المرأة التي ظهرت من خلال القصص القرآني .

٦) تخير مواطن العبرة في قصص النساء في القرآن :

يلاحظ على ذكر القصة القرآنية لشخصية المرأة ، أنه يتميز بتخير موطن العبرة منها فقط ، فلا تستقصي القصة القرآنية أخبار وأنباء المرأة الواردة في القصة ، إنما يكتفى من أخبارها بما يحقق العظة والعبرة ، ويتوقف بعد ذلك . وهذا وإن كان دأب القرآن في قصصه كلها ؛ إلا أنه يظهر ميزة في جانب قصة المرأة في القرآن ، وهو مفسر لأمور قد تستوقف القارئ المتأمل ، خاصة وأن المرأة قد تظهر في القصة القرآنية في موضع ، وعندما يكرر القرآن القصة في موضع آخر يلحظ القارئ حجبها ، مع أن القصة هي القصة فلماذا ؟! . كما في قصة بشارة إبراهيم بولده إسحاق عليهما السلام في سورة هود والذاريات حيث ظهرت سارة فيهما ، بينما لم تظهر عند تكرار القصة في سورة الحجر والعنكبوت ؟! . فالجواب الذي يظهر – والله أعلم – أن ظهور المرأة في القصة القرآنية ؛ متعلق بهدف القصة وموضع العبرة ، وعدم ظهورها متعلق بذلك أيضاً . فلم يذكر القرآن الكريم المرأة في قصصه لغرض إغرائي أو لجذب القارئ ولترويج بضاعة ، كما هو حال القصص الأدبي . فمثلاً ظهور المرأة في قصة يوسف جاء ليبين مدى ما تعرض له من محن ، وسبب سجنه ، وكيف مكنه الله في الأرض . وظهور شخصية أم موسى وأخته في قصة موسى ؛ جاء ليبين تحدي الله عز وجل ذي القوة والسلطان لفرعون ، الذي كان يقتل أبناء بني إسرائيل في ذلك العام.

٧) من حيث النمو والتسطيح :

أكثر قصص النساء في القرآن تأتي ضمن أحداث قصص الأنبياء ، لذلك يلاحظ أن بروز شخصية المرأة في القصة محدود ، ويساير أحداث القصة ؛ ليتحقق الغرض العام والخاص المراد . فتتسم جميع قصص النساء في القرآن ، في رسمها لشخصية المرأة ، بالوضوح الشديد والبساطة والسطحية ، فزوجة موسى عليهما السلام

١- عدوي ، محمد خير . العبرة في قصة موسى في القرآن . مرجع سابق . ص ٣٤.

٢- المرجع السابق . ص ٣٤.

تبدو خلال قصتها ، وهي بنت ترعى الغنم مع أختها ، وحين تأتي تدعو موسى لزيارة أبيها ، ومن ثم زواجها بموسى ومسيرها معه ، تبدو في كل ذلك ، المرأة المؤمنة العاقلة الرشيدة المطيعة لولي أمرها . ويستثنى من سمة التسطيح لقصص النساء في القرآن قصة مريم وملكة سبأ عليهما السلام ، فظهر في مريم نمو الشخصية ، من حمل أمها بها إلى ولادتها ومن ثم كفالتها وعبادتها ثم حملها بعيسى بن مريم . كما ظهر نمو الشخصية في ملكة سبأ حيث ظهر في القصة تغير لاعتقادها من الكفر إلى الإيمان .

ومما سبق ، يلاحظ أن قصص النساء في القرآن الكريم قد اختصت بمزايا ، تدل على نظرة الإسلام للمرأة، كما تبين رقي وعظمة هذا الدين . فهي ليست مقصودة لذاتها بهدف الإغراء أو لترويج القصة ، إنما هي محددة بموضع العبرة فقط . كما تتنوع من حيث أدوار المرأة والموضوعات التي تتناولها . وقد أكد المبحث على أن ذكر اسم المرأة أو تركه مبني على منهج القرآن في ذكر أسماء الشخصيات والمراعي للفائدة من ذكرها . وكشف المبحث عن وجود اختلاف بين قصص النساء والرجال في القرآن الكريم ، خاصة في جانب عدم أخذ المرأة لأي دور أساسي في القصص ، وظهور خصائص الأنثى في هذه القصص .

المبحث الثاني :
عرض قصص النساء في القرآن

تحدثت المباحث السابقة في هذا الفصل عن مفهوم قصص النساء في القرآن وأقسامها ومزاياها ، واتضح منها كثرة هذه القصص وتنوعها ، فإن الباحثة تثني بهذا المبحث ، حيث تعرض فيه آيات قصص النساء في القرآن الكريم ، بما يوضح مواضع كل قصة في المصحف الجليل ، وتكرارها ، وتفسير آياتها ، وما ورد فيها من أحاديث نبوية وأقوال السلف ، وغير ذلك ، مما يساعد على فهم معاني وأحداث كل قصة ومناسباتها . ونظراً لكثرة قصص النساء الواردة في القرآن الكريم ، وحيث إن الهدف الأساسي من هذه الدراسة هو استنباط ما تضمنته من قيم خلقية ؛ فإن الباحثة ترى أن اختيار بعض هذه القصص ، وتخصيصه بالدراسة أمر ضروري ؛ لتوجيه الجهد وحصره في حدود معينة ، تفيد في تحقيق أهداف الدراسة الأساسية . لذلك فإن الدراسة سوف تكتفي في دراسة القيم الخلقية الواردة في قصص النساء في القرآن ، على ثلاث عشرة قصة مختارة ، وقد اعتمدت الدراسة في هذا الاختيار على الأسس التالية :

أولاً : طول القصة : فالدراسة تتناول جميع قصص النساء الطويلة والمتوسطة ، حيث يلحظ فيها ظهور الكثير من القيم الخلقية ، وبروز طبيعة المرأة أكثر من القصص القصيرة [1] .

ثانياً : أكثر هذه القصص أهمية وأقواها أثراً بالنسبة للدراسة في جانبها الخلقي : فالدَّارس لقصص النساء في القرآن الكريم ، يلمس في جميعها عنصر الأهمية والقوة ، ولكن تبرز بعض القيم في قصص أكثر من غيرها ، مما حدا بالدراسة لانتقاء هذه القصص .

ثالثاً : مراعاة تنوع شخصية المرأة الواردة في القصص بقدر الإمكان : ما بين نساء مؤمنات وكافرات ، أمهات وزوجات وبنات وأخوات ، وذوات الجاه والسلطان والمستضعفات . مع تنوع العصور التي ظهرت فيها المرأة . ويفيد هذا الأساس الدراسة في تنوع ظهور القيم الأخلاقية في حياة المرأة على اختلاف أدوارها في الحياة وامتداد العصور .

والقصص المختارة وفق هذه الأسس هي ما يلي :

١) قصة حواء زوج آدم عليهما السلام .
٢) قصة امرأة نوح عليه السلام .
٣) قصة سارة زوجة إبراهيم عليهما السلام .
٤) قصة امرأة لوط عليه السلام وبناته .
٥) قصة امرأة العزيز والنسوة مع يوسف عليه السلام .
٦) قصة أم موسى وزوجه وأخته وآسية عليهم السلام .
٧) قصة ملكة سبأ مع سليمان عليهما السلام .

١- أنظر جدول (٢) ص ٢٠٧ ، وجدول (٣) ص ٢٠٨ من الرسالة .

٨) قصة مريم وأمها عليهما السلام .

٩) قصة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك .

١٠) قصة أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها .

١١) قصة عائشة وحفصة رضي الله عنهما في قضية التحريم .

١٢) قصة المجادلة رضي الله عنها .

١٣) قصة امرأة أبي لهب .

ويمكن تحديد خطوات عرض كل قصة من القصص السابقة على النحو التالي :

أولاً : تحديد القصة المراد استعراضها كعنوان أساسي تندرج تحته فقرات متعددة .

ثانياً : تحديد مواضع ورود القصة في القرآن ، وتكرارها ، وذكر آياتها مرتبة السور ، مع الاقتصار على حدود ظهور المرأة في القصة ، وما يتعلق بها من أحداث سابقة أو لاحقة .

ثالثاً : تحديد الآيات ذات الصلة بالمرأة صاحبة القصة في القرآن الكريم ، والتي لا تعتبر قصة .

رابعاً : تفسير لبعض آيات القصة والتي حددت في الفقرة السابقة . وسوف تعتمد الباحثة في ذلك على أقوال علماء التفسير.

خامساً : ذكر الأحاديث النبوية الواردة في كل قصة ، والتي لها تعلق بالمرأة صاحبة القصة ، والتي تفيد في معرفة أحداث القصة وملابساتها ، مع الاقتصار على حديث واحد عند تشابه الأحاديث الواردة في القصة .

سادساً: عرض تفصيلي لأحداث كل قصة في حدود الآيات والأحاديث الواردة ، وما صح من أقوال العلماء فيها.

سابعاً : ذكر موجز لأهم الدلالات التربوية المستنبطة من كل قصة .ولن تستقصي الباحثة جميع الدلالات التربوية الواردة في القصة ، وإنما تكتفي بذكر أبرزها .

هذا وقد واجهت الباحثة في إعداد هذا الفصل عدداً من الصعوبات، أبرزها :

١) تحديد قصة المرأة في الآيات القرآنية : وكان السبب الأساسي في ذلك اختلاف الدراسات السابقة في تحديد ما هو قصة وما ليس بقصة ، واختلافها أيضاً في تحديد بداية كل قصة ونهايتها ، وما يتعلق بها من أحداث سابقة أو لاحقة ، كقصة امرأة العزيز مع يوسف ، حيث يكتفي الحميد بمشهد المراودة ودعوة النسوة ، ومشهد خروجه من السجن بعد شهادة النسوة ، ويلغي مشهد دخوله السجن والأحداث المصاحبة لذلك . أما هنداوي فتأخذ المشاهد الثلاثة وتتوقف عند إثبات براءته وخروجه من السجن . بينما يتجه الشرقاوي إلى ذكر قصة يوسف بكاملها ، من الرؤية وحتى اجتماع شمله بأهله .

٢) تكرار آيات القصة في القرآن ومواضعها : فمعظم الدراسات السابقة لم تستقص جميع آيات قصة المرأة الواردة في القرآن الكريم ، وتكتفي بذكر بعض منها أو أبرزها ، ويستثنى من ذلك دراسة الحميد ، فقد اختصت بسعيها لاستقصاء جميع آيات قصة المرأة في القرآن الكريم .

٣) وجـــود الكثير من الإسرائيليات في قصص النساء في القرآن : واختلاف المفسرين في الأخذ بها وردها ؛ ونتج عن ذلك الاختلاف في أحداث القصة ، وتفسير معاني آياتها ، كالاختلاف في همِّ يوسف عليه السلام .

٤) اختلاف المفسرين أحياناً في تفسير بعض آيات القصة ، اختلافاً كبيراً ، حتى في الترجيح ، والذي يكون لـــــه أثر في معرفة أحداث القصة وملابساتها . مثل ما كان النبي ﷺ يخفيه في قصة زينب بنت جحش رضي الله عنها .

٥) اخـــتلاف الأحاديـــث الواردة في القصة : بصورة تُشكل في فهم أحداث القصة وشخصية المرأة صاحبة القصة ، وكان ذلك في قصة التحريم .

٦) الاختلاف في الاسم الحقيقي للمرأة صاحبة القصة : خاصة في قصص النساء قبل البعثة النبوية ، حيث إن القرآن ، لم يصرح باسم امرأة غير مريم عليها السلام .

وقد بذلت الباحثة ما استطاعت من جهد في التغلب على هذه الصعوبات ، وذلك : بتحديد آيات القصة وتحديـــد ما يعتبر قصة وما لا يعتبر قصة ، بناء على تعريف القصة القرآنية وتعريف قصص النساء في القرآن ، والـــتي سبق ذكرها في الفصل السابق . والرجوع إلى القرآن الكريم ؛ لتحديد مواضع القصة وتكرارها ، مع الاستعانة بدراسة الحميد . والبعد عن الإسرائيليات ، إلا ما كان موافقاً للكتاب والسنة أو أخذ بها المفسرون ، والـــرجوع إلى ترجـــيح كبار المفسرين من أهل السنة والجماعة ، كالإمام الطبري والإمام ابن كثير . وعند اختلاف الأحاديث الواردة في القصة ، تأخذ الباحثة بأصحها ، وهو ما رواه الشيخان — البخاري ومسلم — ثم تـــنظر إلى درجة الحديث عند غيرهما . أما بالنسبة لاسم المرأة صاحبة القصة ؛ فنظراً لأنه لا يؤثر في معرفة أحـــداث القصة ، وليس منه مزيد فائدة ؛ فإن الباحثة تذكر أحياناً بشكل مبسط بعضاً من الأسماء الواردة لها دون ترجيح ولا استقصاء .

وقـــبل عرض القصص بصورة تفصيلية ، تعرض الباحثة جدولاً يوضح مواضع كل قصة في سور القرآن الكريم مع بيان آياتها .

جدول (١)

سور وآيات قصص النساء في القرآن الكريم

القصة / المواضع	الأول	الثاني	الثالث	الرابع	الخامس	السادس	السابع	الثامن	المجموع
١- قصة حواء عليها السلام	البقرة (٣٥-٣٨)	الأعراف (١٩-٢٥)	طه (١١٥-١٢٣)	-	-	-	-	-	٣
٢- قصة امرأة نوح عليه السلام	هود (٤٠)	المؤمنون (٢٧)	التحريم (١٠)	-	-	-	-	-	٣
٣- قصة سارة عليها السلام .	هود (٦٩-٧٣)	الذاريات (٢٤-٣٠)	-	-	-	-	-	-	٢
٤- قصة امرأة لوط عليه السلام وبناته	الأعراف (٨٠-٨٤)	هود (٧٧-٨٣)	الحجر (٥٨-٧٤)	الشعراء (١٦٠-١٧٣)	النمل (٥٤-٥٨)	العنكبوت (٢٨-٣٥)	الصافات (١٣٣-١٣٦)	التحريم (١٠)	٨
٥- قصة امرأة العزيز والنسوة .	يوسف (٢١-٥٤)	-	-	-	-	-	-	-	١
٦- قصة أم موسى وأخته وزوجه وآسية عليهم السلام	طه (٩-١٠)	طه (٣٧-٤١)	النمل (٧)	القصص (٧-١٣)	القصص (٢٣-٢٩)	التحريم (١١)	-	-	٦
٧- قصة ملكة سبأ عليها السلام	النمل (٢٠-٤٤)	-	-	-	-	-	-	-	١
٨- قصة مريم وأمها عليهما السلام	آل عمران (٣٥-٣٧)	آل عمران (٤٢-٤٩)	المائدة (٧٥)	مريم (١٦-٣٣)	الأنبياء (٩١)	المؤمنون (٥٠)	التحريم (١٢)	-	٧
٩- قصة عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك .	النور (١١-٢٠)	-	-	-	-	-	-	-	١
١٠- قصة زينب بنت جحش رضي الله عنها	الأحزاب (٣٦-٣٧)	-	-	-	-	-	-	-	١
١١- قصة عائشة وحفصة رضي الله عنهما في قضية التحريم	التحريم (١-٥)	-	-	-	-	-	-	-	١
١٢- قصة المجادلة رضي الله عنها	المجادلة (١)	-	-	-	-	-	-	-	١
١٣- قصة امرأة أبي لهب	المسد (٤-٥)	-	-	-	-	-	-	-	١

المطلب الأول :

قصة حواء عليها السلام في القرآن الكريم

الآيات الواردة في القصة :

ذكرت قصة حواء أم البشر وزوج آدم عليهما السلام ضمن قصة آدم عليه السلام ، وذلك في قصة خلقهما ، وأكلهما من الشجرة الممنوعين منها . وقد كان ذلك في ثلاثة مواضع متفق عليها ، وموضع واحد مختلف حوله . أما المواضع المتفق عليها فهي :

الموضع الأول : قال تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [البقرة : ٣٥- ٣٨].

الموضع الثاني : قال تعالى : ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأعراف : ١٩- ٢٥].

الموضع الثالث : قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [طه : ١١٥-١٢٣]

وأما الموضع المختلف حوله ، فهو في قوله تعالى : ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [الأعراف :١٨٩-١٩٠].

فاختلف العلماء فيه ، هل هذه القصة جاءت في شأن آدم عليه السلام وزوجه ، أما كانت لغيرهما ؟. وكان ذلك على قولين :

القول الأول : بأن القصة ليست في شأن آدم وحواء ، وممن قال به الحسن البصري رحمه الله ، حيث قال:" عني بهذا ذرية آدم من أشرك منهم بعده" (١) . وقال جماعة من المفسرين : "إن الجاعل شركاً فيما آتاهما جنس بني آدم كما وقع من المشركين و لم يكن من آدم وحواء" (٢) .

القول الثاني : أنها جاءت في شأن آدم وزوجه ، واعتمدوا في ذلك على الحديث : عَنْ سَمُرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ (لَمَّا حَمَلَتْ حَوَّاءُ ، طَافَ بِهَا إِبْلِيسُ ، وَكَانَ لا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ فَقَالَ: سَمِّيهِ عَبْدَ الْحَارِثِ ، فَسَمَّتْهُ عَبْدَ الْحَارِثِ ، فَعَاشَ ذَلِكَ ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ وَأَمْرِهِ) (٣) . وقد ضعف هذا الحديث بعض العلماء منهم ابن كثير والقرطبي رحمهما الله .

ورجح الإمام ابن كثير في تفسيره قول الحسن ، فقال : وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا ، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء ، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته ، ولهذا قال الله عز وجل ﴿ فَتَعَالَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ فذكر آدم وحواء أولاً كالتوطئة ،لما بعدهما من الوالدين ، وهو كالاستطراد من ذكر الشخص إلى الجنس (٤) .

وستقتصر الباحثة في هذه القصة على المواضع المتفق عليها ، دون الموضع المختلف حوله معتمدة على ترجيح الإمام ابن كثير السابق الذكر .

ومن الآيات المتصلة بشخصية القصة ، الآيات الواردة في خلق حواء ، فقد ورد ذكر خلق حواء من آدم عليهما السلام في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع في القرآن ، في الموضع المختلف حوله سابقاً ، وفي سورة النساء قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء : ١] . وفي سورة الزمر ، قال تعالى ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [الزمر : ٦].

تفسير آيات القصة :

{وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا} واسعاً كثيراً . {حَيْثُ شِئْتُمَا} كيف شئتما وأين شئتما(٥) . {وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ} اختلف العلماء في تحديد نوع الشجرة التي نهي آدم وزوجه عن الأكل منها ، فأورد الإمام ابن جرير الطبري عدة أقوال عن السلف في تحديد الشجرة ، فقيل :إنها السنبلة ، وقيل : التينة ، وقيل :الكرم ، إلى غير

١- الطبري ، محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن . المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة . (د.ت) . ٩/ ١٤٨.

٢- الشوكاني ،محمد بن علي محمد. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. عالم الكتب. (د.ت) . ٢٧٥/٢.

٣- الترمذي، محمد عيسى . سنن الترمذي . دار ابن حزم .بيروت. ١٤٢٢هـ. كتاب تفسير القرآن . باب من سورة الأعراف . رقم :٣٠٨٧ وضعفه محمد ناصر الدين الألباني ، في كتابه : ضعيف سنن الترمذي. مكتبة المعارف . الرياض. ١٤٢٢هـ . ص٣٥٠.

٤- ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم. مرجع سابق . ٢ /٣٠٦.

٥- البغوي ، الحسين بن مسعود. تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل . اعداد وتحقيق : خالد العك ، مروان سوار . دار المعرفة. .بيروت . لبنان . ١٤٠٧هـ . ٦٣/١.

ذلـــك من الأقوال ، وله في هذا المقام مقال جليل ، فقد قال : والصواب في ذلك ، أن يقال إن الله عز وجل نهى آدم وزوجته عن الأكل من شجرة بعينها من أشجار الجنة ، دون سائر أشجارها ، فخالفا إلى مانهاهما الله عنه ، فأكلا منها كما وصفهما الله جل ثناؤه به ، ولا علم عندنا بأي شجرة كانت على التعيين ؛ لأن الله لم يضع لعباده دليلاً على ذلك في القرآن ، ولا في السنة الصحيحة. فأنى يأتي ذلك من أتى؟. وذلك عِلْمٌ إذا عُلِمَ؛ لم ينفع العالم به علمه ، وإن جهله جاهل ؛ لم يضره جهله به [(١)] . ولعل الحكمة من ذلك ، أن في تلك الشجرة مـــا هو سبب لخروجهما من حال إلى حال ، وربما كان في الأكل منها ضرر ، أو كان النهي ابتلاء وامتحاناً مـــنه تعالى ليظهر به ما في استعداد الإنسان من الميل إلى الإشراف على كل شيء واختباره وإن كان في ذلك معصية يترتب عليها ضرر[(٢)] .

{فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا} "أبعدهما وحولهما من الجنة " [(٣)] . {فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ} " أي من اللباس والمـــترل الرحـــب والـــرزق الهنيء والراحة" [(٤)] . {وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ} موضع قرار { وَمَتَاعٌ} بلغة ومســـتمتع ، { إِلَـــى حِينٍ } إلى انقضاء آجالكم [(٥)] .{فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِـــيمُ} فلقى الله آدم كلمات توبة ، فتلقاها آدم من ربه وأخذها عنه تائباً فتاب الله عليه بقيله إياها وقبوله إياها من ربه [(٦)] .

{فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ} "أي :إليهما ، والوسوسة : حديث يلقيه الشيطان في قلب الإنسان {لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا} أي ليظهر لهما ما غطي وستر عنهما من عوراتهما ، قيل : اللام فيه لام العاقبة أن إبليس لم يوسوس لهذا ولكن كان عاقبة أمرهما ذلك ، وهو ظهور عوراتهما " [(٧)] .

{وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ} " عن قتادة : فحلف لهما بالله حتى خدعهما ، وقد يخدع المؤمن بـــالله ، فقال : إني خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما ، فاتبعاني أرشدكما " [(٨)] . {فَدَلاهُمَا} " فنـــزلهما على الأكل من الشجرة ، وفيه تنبيه على أنه اهبطهما بذلك من درجة عالية فإن التدلية والإدلاء إرسال الشيء من الأعـــلى إلى الأســـفل {بِغُرُورٍ } بما غرهما به من القسم فإنهما ظنا أن أحداً لا يقسم بالله كاذباً أو ملتبسين بغرور" [(٩)] .

{ وَلَقَـــدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ} أي لقد أمرناه ووصيناه ، وهو نهيه عن الأكل من الشجرة {مِنْ قَبْلُ} أي من قـــبل هـــذا الزمان {فَنَسِيَ} وأنه نسي ما عهد الله به إليه وينتهي عنه، وكان آدم مأخوذاً بالنسيان في ذلك

١- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق .١ /٢٣٣ .

٢- رضا ، محمد رشيد . تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار. دار المعرفة . بيروت . لبنان . (د. ت) . ٢٧٨/١.

٣- الزحيلي ، وهبة . التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج . دار الفكر المعاصر. بيروت.١٤١١هـــ . ١٣٨/١.

٤- ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم. مرجع سابق . ٨٥/١.

٥- البغوي ،الحسين بن مسعود الفراء . تفسير البغوي. مرجع سابق . ٦٤/١-٦٥.

٦- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ٢٤٣/١-٢٤٦.

٧- البغوي ،الحسين بن مسعود الفراء . تفسير البغوي. مرجع سابق . ١٥٢/٢.

٨- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ١٤١/٨.

٩- أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي. تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . دار إحياء التراث . بيروت . (د. ت) .٢٢١/٣.

الوقت [١] . {وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا} "حزماً وصبراً عما نهيناه عنه " [٢] .{إِلا إِبْلِيسَ أَبَى} أي امتنع من السجود لآدم [٣] . {مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى} "يقول فيكون عيشك من كد يدك ، فذلك شقاؤ الذي حذره ربه" [٤] ."و لم يقـل: فتشقيا رجوعاً به إلى آدم لأن تعبه أكثر فإن الرجل هو الساعي على زوجته" [٥] . {إِنَّ لَكَ أَلا تَجُوعَ فِـيهَا وَلا تَعْرَى}" تعليل للشقاء المترتب على الخروج من الجنة المنهي عنه ، لأنه لما كان ممتعاً في الجنة برفاهية العيش من مأكل وملبس ومشرب واعتدال جو مناسب للمزاج كان الخروج منها مقتضياً فقدان ذلك" [٦] . {وَأَنَّـكَ لا تَظْمَـأُ فِيهَا} "لاتعطش في الجنة ما دمت فيها {وَلا تَضْحَى} يقول : لا تظهر للشمس فيؤذيك حرها" [٧] .

{هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ} "أي على الشجرة التي إن أكلت منها بقيت مخلداً { وَمُلْكٍ لا يَبْلَى} أي لا يبيد ولا يفنى رغبة في دوام الراحة" [٨] .{فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا} أي فانكشفت لهما عوراتهما ، وكانت مستورة عن أعينهما .{وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ} "أي يجعلان خصفة وهي أوراق"[٩]. عن السدي قال: اقبلا يغطيان عليهما بورق التين.{وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى } أي وخالف آدم أمر ربه فتعدى إلى مـــا لم يكـــن له أن يتعدى إليه من الأكل من الشجرة التي نهاه عن الأكل منها {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى} أي اصطفاه ربه من بعد معصيته إياه فرزقه الرجوع إلى ما يرضى عنه والعمل بطاعته [١٠] .

الأحاديث الواردة في القصة :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ (لَوْلا بَنُو إِسْرَائِيلَ لَمْ يَخْنَزِ اللَّحْمُ ، وَلَوْلا حَوَّاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْثَى زَوْجَهَا) [١١] .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاهُ ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ) [١٢] .

١- الشوكاني ،محمد بن علي محمد .فتح القدير . مرجع سابق . ٣٨٩/٣.

٢- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. جلال ، محمد أحمد . تفسير الجلالين . مكتبة الجمهورية العربية مصر. (د. ت). ص ٢٦٧.

٣- السعدي، عبد الرحمن ناصر . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. دار المغني . الرياض. ١٤١٩هـ . ص٥٥١.

٤- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ٢٢٢/١٦.

٥- البغوي ،الحسين بن مسعود الفراء . تفسير البغوي. مرجع سابق . ٢٣٣/٣.

٦- ابن عاشور ، محمد الطاهر . تفسير التحرير والتنوير . الدار التونسية ، تونس. ١٩٨٤م .٣٢٢/١٦.

٧- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ٢٢٣/١٦.

٨- الخازن . تفسير الخازن . شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر . ١٣٧٥هـ . ٢٨٣/٤.

٩- الأصفهاني، الراغب. المفردات في غريب القرآن . تحقيق: محمد خليل عيتاني. دار المعرفة . بيروت. ١٤١٨هـ. ص١٥٥.

١٠- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ٢٢٤/١٦.

١١- البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري . مرجع سابق . كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قوله تعالى "وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة " . رقم الحديث : ٣٣٣٠ .

١٢- البخاري ، محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري . مرجع سابق .كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قوله تعالى "وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ". رقم الحديث: ٣٣٣١.

عرض القصة :

خلقت حواء من أحد أضلاع آدم عليه السلام ؛ ليسكن إليها . ذكر ابن جرير بسنده عن ناس من الصحابة ، أنه لما خرج إبليس من الجنة حين لُعن ، وأُسكن آدم الجنة ، كان يمشي فيها وحشاً ، ليس له زوج يسكن إليها ؛ فنام نومة ، فاستيقظ وإذ عند رأسه امرأة قاعدة ، خلقها الله من ضلعه ، فسألها من أنت ؟! . قالت : امرأة . قال: و لم خلقت ؟. قالت : تسكن إليّ . قالت لـــه الملائكة – ينظرون ما بلغ من علمه – : ما اسمها يا آدم ؟. قال : حواء . قالوا : و لم سميت حواء ؟. قال : لأنها خلقت من شيء حيّ [(1)] . وأسكن الله آدم وزوجه حواء الجنة ، وأحل لهما الأكل من جميع أشجارها رغداً حيث شاءا ، إلا شجرة واحدة ، نهاهما عن الأكل منها ، ابتلاء واختباراً . وحذر الله عز وجل الزوجين الكريمين من عداوة الشيطان الذي أبى أن يسجد لآدم ، ولكن مع هذا التحذير الإلهي للزوجين ، استطاع الشيطان الرجيم أن يفتنهما بهذه الشجرة . فمرة يحتال عليهما بالوسوسة ، بأحب الأشياء للبشر ، وهي الرغبة في الخلود والحياة بلا ممات ، والملك الذي لا ينقضي ؛ فيقول لهما : ما منعكما ربكما عن الأكل من ثمار هذه الشجرة إلا مخافة أن تصيبا الخلد والملك الأزلي . ومرة يحتال عليهما بحيلة أخرى ، وهي القسم الكاذب ، بأنه صادق فيما يقول . فغرَّت حيل إبليس الزوجين ، فأكلا من الشجرة ؛ فلما وجدا طعمها ، سقطت عنهما ثيابهما التي كساهما الله إياها ، وقد كانت من نور ، وقيل : كانت من أظفار . وعلى كلٍ فإنها كانت تستر عوراتهما عنهما وعن من حولهما . ولما رأى الزوجان انكشاف عوراتهما ؛ أقبلا على ورق شجر الجنة ، يلصقان بعضه ببعض ؛ ليسترا عوراتهما . وانطلقا هاربين في الجنة ، حياء من الله مما فعلا من معصية ، فنادى ذو العزة والجلال الزوجين معاتباً لهما ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف : ٢٢]

> " عن ابن عباس قال : كانت الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته السنبلة، فلما أكلا منها بدت لهما سوآتهما ، وكان الذي وارى عنهما سوآتهما أظفارهما ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، ورق التين يلصقان بعضها إلى بعض ، فانطلق آدم عليه السلام مولياً في الجنة ، فأخذت برأسه شجرة من الجنة ، فناداه: أي آدم أمني تفر ؟ قال : لا ، ولكني استحيتك يارب ، قال : أما كان لك فيما منحتك من الجنة وأبحتك منها مندوحة عما حرمت عليك ، قال : بلى يا رب ولكن وعزتك ما حسبت أن أحداً يحلف بك كاذباً ، قال : وهو قول الله عز وجل :﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾[الأعراف : ٢١] قال :فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض ثم لا تنال العيش إلا كداً" [(2)] .

فاعترف آدم وحواء بذنبهما وعادا لربهما نادمين تائبين يرددان ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ .فقبل الله توبتهما ، لما كانت من قلب خاشع ، معترف بالذنب ، ويرجو الرحمة . "وبعدما وقعا في تلك الخطيئة أمرهما الله تعالى بالهبوط إلى الأرض ، وأخرجا من الجنة إذ لم

١– الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ٢٢٩/١.

٢– الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ١٤٢/٨.

تكن دار إقامة ابتداءً ، فإنّ الله أمرهما بالسكنى ، والسكنى تكون إلى مدة ثم تنقطع ثم إن الله تعالى اهبطهما إلى الأرض ليتحقق الابتلاء لأن الله جعل الأرض دار ابتلاء والجنة والنار داري جزاء " (١) . وبعد هذا الهبوط للحياة الدنيا ؛ تبدأ رحلة آدم وحواء كداً وسعياً في هذه الأرض ، فعمروها بالعمل ، كما عمروها بالذرية المباركة . وإلى هنا تنتهي قصة حواء الواردة في القرآن الكريم ، حيث جاءت في حدود الأهداف التي قدمت لتحقيقها.

الدلالات التربوية :

١) إثبات الضعف البشري : "تظهر غريزة الإنسان وضعفه أمام المغريات ، وهاهو ذا قد ضعف أمام الشيطان فأزلهما وأوقعهما في المخالفة " (٢) .

٢) بيان مكانة الزواج في الإسلام : ففي هذه القصة إظهار لمنة الله على الناس بنعمة الزواج ، خاصة في جعله زوج بني آدم من نفسه ، "ولو أنه تعالى جعل بني آدم كلهم ذكوراً وجعل إناثهم من جنس آخر من غيرهم إما من جان أو حيوان ، لما حصل هذا الائتلاف بينهم وبين الأزواج ، بل كانت تحصل نفرة لو كانت الأزواج من غير الجنس" (٣) .

٣) التأكيد على مبدأ الكرامة الإنسانية : فقد خلق الله آدم بيديه ، وأمر الملائكة بالسجود له ، وأسكنه وزوجه الجنة ، وخص الجنس البشري بمناقب ، وفضلهم بفضائل ، ليست لغيرهم من المخلوقات .

٤) من أساليب التربية الإسلامية أسلوب الترغيب والترهيب : فقد رغب الله آدم وزوجه عليهما السلام في طاعته ، بسكنى الجنة والتمتع بما فيها من الخيرات ، ورهبهما من الأكل من الشجرة بما سينالهما من العقوبة .

٥) ستر العورة هي فطرة إنسانية : بينما العري هي فطرة بهيمية ، وظهر ذلك جلياً في محاولة آدم وحواء ستر عوراتهما لما بدت ، بورق الجنة .

٦) إثبات مبدأ الحساب والجزاء على الأعمال : فقد حاسب الله آدم وحواء على الأكل من الشجرة ، وجزاهما على هذه المعصية بإخراجهما من الجنة .

٧) المبادرة للتوبة عند الوقوع في الذنب : كما حدث من الأبوين آدم وحواء ، فبادرا للتوبة عقيب الذنب.

٨) من صفات الإنسان الفطرية النسيان : أخذاً من قوله تعالى ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥] . وكان الإنسان مؤاخذاً بالنسيان من قبل ، ثم عفا الله عنه ، فجاءت السنة النبوية بأن الإنسان لا يحاسب على النسيان ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ) (٤) .

١- الحميد ،محمد ناصر . قصص النساء في القرآن الكريم . مرجع سابق . ص ١٢١-١٢٢.

٢- حجازي ، محمد محمود . التفسير الواضح . دار الجيل . ١٣٨٩هـ . ٣٢/١.

٣- ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم. مرجع سابق . ٣ / ٤٧٣.

٤- سبق تخريجه ، ص٥٢ .

المطلب الثاني:

قصة امرأة نوح عليه السلام في القرآن الكريم.

الآيات الواردة في القصة :

ذكر القرآن الكريم قصة امرأة نوح عليه السلام ، في ثلاثة مواضع على النحو التالي :

الموضع الأول :قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ﴾ [هود: ٤٠].

الموضع الثاني : قال عز وجل ﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[المؤمنون : ٢٧].

الموضع الثالث :قال تعالى ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [التحريم : ١٠].

تفسير آيات القصة :

{حَــتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا} "فإذا جاء قضاؤنا في قومك بعذابهم وهلاكهم" [١] .{وَفَارَ التَّنُّورُ} "الفور شدة الغليان" [٢] . والتنور هو الذي يوقد فيه، والمراد بالتنور في الآية وجه الأرض ، أي صارت الأرض عيوناً تفور حتى فار الماء من التنانير التي هي مكان النار [٣] . { قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ} أي في الفلك من كـل نــوع من الحيوانات ، ينتفع به الذين ينجون من الغرق وذراريهم بعد[٤] . {وَأَهْلَكَ إِلا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَــوْلُ} " أي واحمل فيها أهلك وهم أهل بيته وقرابته إلا من سبق عليه القول منهم ممن لم يؤمن بالله فكان منهم ابنه يام الذي انعزل وحده وامرأة نوح وكانت كافرة بالله ورسوله"[٥] .

{فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ} "أي أرسلنا إليه رسلاً من السماء" [٦]. {أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ } "وهي السفينة"[٧]. {بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِــنَا} أي بحفظنا وكلئنا ،كأن معه من الله حافظاً ، يكلؤه بعينه ، لئلا يتعرض له ، ولا يفسد عليه مفسد عملــه. واختلفوا كيف صنع عليه السلام الفلك ؟ .فقيل: إنه كان نجاراً ، وكان عالماً بكيفية اتخاذها . وقيل: إن جــبريل عليه السلام علمه عمل السفينة ، ووصف لــه كيفية اتخاذها ، وهذا هو الأقرب . {فاسْلُكْ فِيهَا

١- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن مرجع سابق . ١٧/١٨.

٢- الأصفهاني، الراغب. المفردات في غريب القرآن . مرجع سابق. ص ٣٨٨.

٣- ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم. مرجع سابق . ٢/ ٤٨٨.

٤- الألوسي ، محمود . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . دار إحياء التراث العربي . بيروت . ١٤٠٥هـ . ١٢/٥٢-٥٣.

٥- ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم. مرجع سابق . ٤٨٨/٢.

٦- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ١١٩/١٢.

٧- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ١٧/١٨.

مِـــنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ} أي أدخل فيها يقال سلك فيه أي دخل فيه[1] . {وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا}" يقول ولا تسألني في الذين كفروا بالله أن أنجيهم " [2] .

{كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ}" أي نبيين رسولين عندهما في صحبتهما ليلاً ونهاراً يؤاكلانهما ويضـــاجعانهما ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط .{فَخَانَتَاهُمَا} أي في الإيمان لم يوافقاهما على الإيمان ولا صـــدقاهما في الرســـالة " [3] . عن ابن عباس رضي الله عنه قال :ما بغت امرأة نبي قط إنما كانت خيانتها في الدين. وفي رواية أخرى عنه : كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما ، فكانت امرأة نوح تطلع على سر نـــوح ، فـــإذا آمـــن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به ، فكان ذلك من أمرها ، وأما امرأة لوط فكانت إذا ضاف لوط أحداً خبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء [4] . {فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا } "أي لم يدفعا نوح ولوط مع كرامتهما على الله تعالى عن زوجتيهما ، لما عصتا، شيئاً من عذاب الله ، تنبيهاً بذلك على أن العذاب يدفع بالطاعة لا بالوسيلة" [5] .

الأحاديث الواردة في القصة :

لم تجد الباحثة أحاديث نبوية لها تعلق بقصة امرأة نوح عليه السلام .

عرض القصة :

بعد وفاة آدم عليه السلام تعاقبت العصور على بني آدم ، وهم على ملة أبيهم ، حتى وسوس لهم الشيطان بعمل تماثيل لصالحيهم ؛ ليتذكروهم ، ويقتدوا بهم في العبادة . فلما مرت السنون ، دَرَس أمر هذه التماثيل على الأبناء ، فوسوس إليهم إبليس أن هذه التماثيل آلهة كان يعبدها الآباء ، عند ذلك عبدها الأبناء . وانتشرت عبادة الأوثان في بني آدم ، انتشاراً كبيراً ؛ فبعث الله لأهل الأرض أول رسول وهو نوح عليه السلام؛ ليدعوهم إلى عبادة الله وتوحيده ، ويُنذرهم من عذاب أليم . فأقبل نوح يدعو قومه ليلاً ونهاراً ، سراً وجهاراً ، فبدلاً من أن يؤمنوا به ويتواصوا عليه ، تواصوا بالكفر والعناد ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [نوح : ٢٣]. وكان الأب يوصي ابنه بأن لا يؤمن بنوح ، وأصروا على الكفر ، واستكبروا عن الحق . واستمر نوح في دعوتهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، ولكن لم يؤمن بنوح إلا القليل ، وكان ممن كفر به أقرب الناس إليه زوجته وولده . وقد كذبت امرأة نوح بزوجها ، وهي القريبة منه ، العالمة بأحواله ، وآثرت ما عليه قومها من الكفر والضلال ، وسعت في إيذائه . فكانت تقول للناس إنه مجنون ، وكانت تطلع على سر نوح ، فإذا آمن معه أحد أخبرت الجبابرة من قومها ، فأخذوه وعذبوه ؛ ليرتد عن دينه ، فاستحقت أن توصف بالخيانة في القرآن الكريم . لقد نالت امرأة نوح جزاءها في

١- الرازي ،محمد بن عمر . التفسير الكبير . دار إحياء التراث العربي . بيروت. (د. ت) . ٩٤/٢٣.

٢- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ١٧/١٨.

٣- ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم. مرجع سابق . ٤١٥/٤.

٤- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ١٧٠/٢٨.

٥- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ٢٠٢/١٨.

الدنيا والآخرة ، فكما شاركت قومها في الكفر ، شاركتهم في دخول نار جهنم – والعياذ بالله – ، فلم يدفع عنها العذاب أنها زوج نبي ، " وقد ماتت قبل الطوفان وقيل انها غرقت مع من غرق ، وكانت ممن سبق عليه القول لكفرها" (١) .

الدلالات التربوية :

١) التأكـــيد على عقيدة الولاء والبراء : فلما كفرت امرأة نوح وولده ؛ نُهي عن حملهما في السفينة ، وكان عاقبة امرأة نوح النار ، ولم يمنعها أنها زوج نبي ، فالكفر يقطع الصلة والقرابة بين المسلم والكافر.

٢) المســـاواة بـــين الرجل والمرأة في التكليف والجزاء (٢): فقد ضُربت امرأة نوح مثلاً لأهل الكفر ، ذكوراً وإناثاً ؛ ليعلموا أن القريب المؤمن لا يشفع للكافر ، مهما كانت قرابته . وكما أن الرجل مأمور بالإيمان بالرســـل ، والقـــيام بالمـــأمورات ، واجتناب النواهي ، وأنه سيكافأ على حسنته ، ويحاسب على ذنبه ، فكذلك المرأة ، فقد جوزيت امرأة نوح على كفرها بعذاب الآخرة .

٣) إثـــبات المسـئولية الفردية : فكل إنسان مؤاخذ بما عمل ، فلا ينفع الكافر قرابته من المؤمن نسباً كان أو صهراً ، ولا تشفع لـــه هذه القرابة في النجاة من العذاب الدنيوي والأخروي . كما كان حال امرأة نوح الكافرة والتي أدخلت نار جهنم ، ولم ينفعها زواجها بنبي .

٤) "قوامة الرجل على المرأة ، لقوله تعالى ﴿ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ ﴾ [التحريم : ١٠]"(٣) .

٥) مـــن أساليب التربية الإسلامية ، التربية بضرب المثل : وظهر ذلك في ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ، في أن الكافر لا تنفعه قرابته من المؤمن .

١– ابن كثير، إسماعيل. قصص الأنبياء . تحقيق وتعليق : عبد القادر أحمد عطا . مؤسسة التاريخ العربي ، دار إحياء التراث العربي . (د.ت) . ١٢٩/١.

٢- الحميد ،محمد ناصر . قصص النساء في القرآن الكريم . مرجع سابق . ص ١٤٠.

٣– المرجع السابق . ص١٤٠.

المطلب الثالث:

قصة سارة زوجة إبراهيم عليهما السلام في القرآن الكريم.

الآيات الواردة في القصة :

ذكر الله عز وجل في كتابه الكريم قصة بشارة إبراهيم عليه السلام وزوجه سارة ، بولدهما إسحاق عليهم السلام ، والذي رزقاه على كبر ، وقصت آيات القرآن موقف سارة من هذه البشارة ، وكان ذلك في موضعين:

الموضع الأول : قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [هود : ٦٩-٧٣].

الموضع الثاني : قال تعالى ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الذاريات :٢٤-٣٠].

تفسير آيات القصة :

{وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ} لما أنزل الله الملائكة بعذاب قوم لوط مروا بإبراهيم ونزلوا عنده ، وقد أمروا ببشارة إبراهيم ، فظنهم أضيافاً ، وكان كل من نزل عنده يحسن ضيافته. {بِالْبُشْرَى} قيل : بالولد ، وقيل : بإهلاك قوم لوط ، وقيل بشروه بأنهم رسل الله عز وجل ، وأنه لا خوف عليه [1] . {قَالُوا سَلَامًا} فسلموا عليه سلاماً ، {قَالَ سَلَامٌ} قال إبراهيم لهم سلام فرفع سلام بمعنى عليكم السلام أو بمعنى سلام منكم[2]. {فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ} "والحنيذ المحنوذ وهو المشوي على الحجارة في خدٍّ من الأرض ، وكان سميناً يسيل دسماً "[3] . {فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ} فلما رأى إبراهيم أيديهم لا تصل إلى العجل ، الذي أتاهم به ، والطعام الذي قدم إليهم ؛ نكرهم ، فإمساكهم عن الأكل ، وهم ضيوف ، مستنكراً؛ ولم تكن بينهم معرفة ، وراعه أمرهم . عن قتادة : كانت العرب إذا نزل بهم ضيف فلم يطعم من

١- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ٦٢/٩.

٢- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ٦٨/١٢-٦٩.

٣- البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي. مرجع سابق . ٣٩٢/٢.

طعــامهم ، ظنوا أنه لم يجئ بخير ، وأنه يحدث نفسه بشر. {وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً} أحس في نفسه منهم خيفة وأضمرها [١] .

{وَامْــرَأَتُهُ قَائِمَــةٌ} " أي قائمة بحيث ترى الملائكة ، قيل : كانت من وراء الستر ، وقيل : كانت تخدم الملائكة وهو جالس ، وقال محمد ابن اسحق :قائمة تصلي " [٢]. {فَضَحِكَتْ} وقد اختلف المفسرون في معنى ضـــحكت وسبب الضحك ، على عدة أقوال رجح الإمام ابن جرير منها معنى " فعجبت من غفلة قوم لوط عما قد أحاط بهم من عذاب الله" [٣].{فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ} " فبشرت بولد يكون نبـــياً ويلـــد نبـــياً ، فكان بشارة لها بأن ترى ولد ولدها" [٤] . {قَالَتْ يَاوَيْلَتَا} نداء ندبة وهي كلمة يقولها الإنسان عند رؤية ما يتعجب منه ، أي يا عجباً .{وَهَذَا بَعْلِي} زوجي [٥] .

{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ} لأن إبراهيم عليه السلام وسارة خدماهم بأنفسهما ، وعن مجاهد قال : أكرمهم إبراهيم وأمر أهله لهم بالعجل حينئذ [٦] . {قَوْمٌ مُنكَرُونَ } "أي غرباء لا نعرفكم ، قال ابن عباس : قال في نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم . وقيل : إنما أنكر أمرهم لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان ، وقال أبو العالية : أنكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الأرض" [٧] . {فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ } أي انسل خفية في ســرعة . {فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ} أي أدناه منهم [٨] .{عَلِيمٍ} "كثير العلم بعد البلوغ وهو إسحاق " [٩] . {فَأَقْبَلَتْ امْــرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ } أي في صرخة عظيمة ورنة وهي قولها : يا ويلتا ،{فَصَكَّتْ وَجْهَهَا } أي ضربت بيدها على جبينها ، وقيل لطمت أي تعجباً كما تتعجب النساء من الأمر الغريب [١٠] .

الأحاديث الواردة في القصة :

لم تجد الباحثة أحاديث نبوية لها تعلق بقصة امرأة إبراهيم الواردة في القرآن الكريم .

عرض القصة :

تشرفت سارة زوج إبراهيم عليهما السلام بذكر القرآن لها ، في قصة البشرى ، التي جاءت لتلك المرأة المؤمـــنة وزوجهـــا علـــيهما السلام ، والدالة على مكانة هذه المرأة . وتكررت قصة الملائكة ضيف إبراهيم المكـــرمين عليهم السلام في القرآن أربع مرات ، مما يدل على أهمية هذه الحادثة . فجاء ملائكة كرام ضيوف على إبراهيم عليه السلام ، وكانوا في صورة البشر ، فحيوه بالسلام ، فردَّه عليهم . فأقبل إبراهيم يكرم ضيفه،

١- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ١٢/٧٠-٧١.
٢- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ٩/٦٦.
٣- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ١٢/٧٤.
٤- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ٩/٦٩.
٥- البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي. مرجع سابق . ٢/٣٩٣.
٦- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ٢٦/٢٠٧.
٧- البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي. مرجع سابق . ٤/٢٣٢
٨- ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم. مرجع سابق . ٤/٢٤٨.
٩- الزحيلي ،وهبة . التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج . مرجع سابق . ٢٧/٢٧.
١٠- ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم. مرجع سابق . ٤/٢٤٨.

بإعداد وليمة سريعة ، من أجود الطعام وأفخره ، وهو عجل سمين مشوي ؛ فقدَّم هذا الطعام لضيفه الكرام . ولكنه تعجب من رغبة ضيوفه عن طعامه وانصرافهم عنه كلية ، فخافهم ، وسبب خوفه ؛ أن الضيف لا يمتنع عـــن طعام مضيفه إلا أن يحدث نفسه بشر أو لريبة . ولكن الملائكة طمأنوه ؛ بأهم ملائكة ، لا يأكلون ولا يشربون ، وأهم جاءوا لهلاك قوم لوط الفاسقين.

وفي هـــذه الأثـــناء ، كانت سارة قائمة تخدم الضيوف ، وإبراهيم جالس معهم . فضحكت سارة وهي قائمـــة، فـــرحاً بهلاك قوم لوط ؛ لفحش عملهم ، وانتشار فسادهم في الأرض . وهذا يدل على قوة إيماها ، وحبها لأهل الإيمان وبغضها لأهل الكفر . فجوزيت على فرحها بهلاك الظالمين ؛ بالبشارة بالولد بعد الإياس والعقـــم ،كما بشرت أيضاً بولد ولدها إسحاق ، واسمه يعقوب عليهما السلام ، فتعجبت من هذه البشرى ولطمـــت وجهها من شدة التعجب من هذا الأمر ، ﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴿٧٢﴾ ﴾.[هود : ٧٢]

"فيولد لها ولد ويعيش وتعيش هي حتى يولد لابنها ولد ، وهذا أدخل في العجب وأبلغ في البشارة ، لأن شأن أبناء الشيوخ أن يكونوا مهزولين لا يعيشون غالبا إلا معلولين ولا يولد لهم في الأكثر وأيضا فإن شأن الشيوخ الذين يولد لهم أن لا يدركوا يفع أولادهم فضلا عن أولاد أولادهم وهذا ما دفعها إلى أن تؤكد عجبها وتصرح به في قولها ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴾ [هود : ٧٢]" [١]

وكان لها من العمر لما جاءتها البشرى تسعين سنة ، ولإبراهيم قرابة المائة . فرد الملائكة الكرام على هذا التعجب بقولهم: " أتعجبين من هذا الأمر الخارق وأنت في بيت النبوة ومهبط الوحي وموئل الرحمات ومعهد البركات ، والنفحات وخوارق العادات ؟ فكيف تعجبين من ذلك ؟" [٢]. وإلى هنا تنتهي قصة المرأة الصالحة سارة أم إسحاق بعد أن أدت أهدافها ومقاصدها المرادة .

الدلالات التربوية :

١) مشـــروعية الســـلام ، وأن الســـلام قبل الكلام ، ويكون الرد أبلغ من الابتداء [٣]: فقـــد بدأ الملائكة إبراهيـــم بالسلام قبل أن يخبروه بشخصهم ، وردَّ عليهم إبراهيم بأحسن منها .

٢) مشروعية الضيافة وأنها من سنن الأنبياء : فأول من أضاف الضيف إبراهيم عليه السلام [٤] .

٣) "ان الضيف يكرم بأنواع الإكرام ، بالقول والفعل ، لأن الله وصف أضياف إبراهيم بأهم مكرمون ، أي : أكرمهم إبراهيم ، ووصف الله ما صنع بهم من الضيافة قولاً وفعلاً، ومكرمون أيضاً عند الله" [٥] .

١- حافظ ،عماد زهير . القصص القرآني بين الاباء والأبناء. مرجع سابق .ص١٥.

٢- الشرقاوي ،أحمد محمد . المرأة في القصص القرآني . مرجع سابق . ص١٦٩

٣- السعدي ،عبد الرحمن ناصر . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. مرجع سابق . ص٤٠٥.

٤- المرجع السابق . ص٤٠٥.

٥- المرجع السابق .ص٨٨٩.

٤) استحباب تبشير المؤمن بما هو خير لـــه وإدخال السرور على قلبه : فقد جاءت الملائكة لإبراهيم وزوجه؛ لتبشرهما بالولد الصالح إسحاق ، وبولده يعقوب عليهم السلام .

٥) "الخوف الفطري عند وجود أسبابه لا يقدح في العقيدة ولا يعد شركاً" (١) : فقد خاف إبراهيم من ضيفه الملائكة ؛ فطمأنوه ، ولم يؤثر ذلك على كمال إيمانه وصدق يقينه بالله .

٦) أهمـــية عقيدة الحب والبغض في الله ، وأن المسلم يحاسب عليها ، فقد أثيبت سارة لفرحها بهلاك الظالمين بالبشارة بالولد بعد الإياس .

٧) إن صـــلاح الزوجين إيذان بصلاح الذرية : كما أن صلاح إبراهيم وزوجه عليهما السلام ؛كان سبباً في ثناء الله عليهما ، ورحمته بهما ، وصلاح ذريتهما إسحاق ويعقوب .

١- الجزائري ، أبي بكر جابر. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير . الإخراج الفني : راسم للدعاية والإعلان . ١٤٠٧هـ . ٣٢١/٤.

المطلب الرابع :

قصة امرأة لوط عليه السلام وبناته في القرآن الكريم .

الآيات الواردة في القصة :

وردت قصة امرأة لوط عليه السلام وبناته في القرآن الكريم في ثمانية مواضع :

الموضع الأول :قال تعالى ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأعراف : ٨٠-٨٤]

الموضع الثاني : قال تعالى ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾ [هود :٧٧-٨٣].

الموضع الثالث :قال تعالى ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الحجر : ٥٨-٧٤].

الموضع الرابع : قال تعالى ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الشعراء : ١٦٠- ١٧٣].

الموضع الخامس : قال تعالى ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [النمل : ٥٤- ٥٨].

الموضع السادس :قال تعالى ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [العنكبوت:٢٨-٣٥]

الموضع السابع : قال تعالى ﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [الصافات : ١٣٣-١٣٦].

الموضع الثامن : قال تعالى ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [التحريم : ١٠]

تفسير آيات القصة :

{وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ}وكانت فاحشتهم التي كانوا يأتونها وعاقبهم الله عليها : إتيان الذكور { مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ} يقول : ما سبقكم بفعل هذه الفاحشة أحد من العالمين (١). {إِلا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ} يعني الباقين في العذاب. {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا} يعني حجارة من سجيل ، قال وهب: الكبريت والنار (٢).

{وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا} يعني : هؤلاء الملائكة، {لُوطًا سِيءَ بِهِمْ}أي حزن لوط بمجيئهم سؤته فسيء ، {وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا} أي قلباً . {وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ} أي شديد كأنه عصب به الشر والبلاء (٣) . {وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ} عن السدي قال: يسرعون المشي إليه (٤). {وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ} أي ومن قبل مجيء الرسل ، كانت عادتهم إتيان الرجال . { قَالَ يَاقَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ} أي أزوجكموهن ،

---

١ – الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق ٢٣٤/٨.

٢ – البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي. مرجع سابق ١٨٠/٢.

٣ – المرجع السابق . ٣٩٤/٢.

٤ – الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ٨٣/١٢.

فهو أطهر لكم مما تريدون ، أي أحل [١]. واختلف العلماء في المراد بقول لوط عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام {هَؤُلَاءِ بَنَاتِي} في الموضعين على أقوال [٢]:

أحدها : أنه أراد المدافعة عن ضيفه فقط ، و لم يرد إمضاء ما قال .

الثاني : أن المراد بناته لصلبه ، وأن المعنى : دعوا فاحشة اللواط وأزوجكم بناتي ، وعلى هذا فتزويج الكافر المسلمة كان جائزاً في شرعه.

الثالث : أن المراد بالبنات ، جميع نساء قومه ، لأن نبي القوم أب ديني لهم .

ورجـح الشرقاوي " أنه عرض بناته على قومه عرضاً حقيقياً ، ومقصده من ذلك أن يرغبهم في الحلال الطيـب ويصـرفهم عن الفاحشة ، وأن يردهم إلى الفطرة السليمة والطبيعة المستقيمة ويبعدهم عن الشذوذ والانحراف" [٣] . {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي} أي خافوا الله ولا تسوؤوني ولا تفضحوني في أضيافي . {أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ} صالح سديد [٤] .

{قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ} أي إنك لتعلم أن نساءنا لا ارب لنا فيهن ولا نشتهيهن [٥] . {قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ} طاقة أو عشيرة تنصرني لبطشت بكم [٦]. {قَالُوا يَالُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ} "لن يصلوا إليك ، وإلى ضيفك بمكروه ، فهون عليك الأمر" [٧]. {وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ} " أي إذا سمعتم ما نزل هم لا تهولنكم تلك الأصوات المزعجة ولكن استمروا ذاهبين"[٨].

{إِلَّا امْـرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ} واختلف المفسرون في خروج امرأة لوط مع لوط أو عدمه ، بناء على اختلاف القراءات فيها ، قال الإمام الشاطبي [٩] :

فاسر أن أسر الوصل أصل دناوها   هنا حقٌّ إلا امرأتك ارفع وأبدلا

فقـرأ ابـن كثير وأبو عمرو { إلا امرأتك } هنا برفع التاء ، فتكون قراءة غيرهما — من القراء السبعة — بنصـبها. وقولـه وأبدلا ، إشارة إلى وجه قراءة الرفع ، وهو أنه مرفوع على البدل من لفظ أحد ، في قوله تعـالى { ولا يلتفت منكم أحد }، ووجه قراءة النصب ، هو أنه منصوب على الاستثناء ، من أهلك في قوله تعالى{ فأسر بأهلك} [١٠] .

فعـلى قـراءة النصب (إلا امرأتك) يكون المعنى " أي أسر بأهلك جميعاً إلا امرأتك فلا تسر بها فإنه { مصـيبها ما أصابهم } من العذاب ، وهو رميهم بالحجارة لكونها كانت كافرة " [١١] . وعلى قراءة الرفع ،

---

١ – القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق .٩/٧٥-٧٦.

٢ – الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني . أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن . عالم الكتب . بيروت . (د.ت) . ٣/٣٤.

٣– الشرقاوي ،أحمد محمد . المرأة في القصص القرآني . مرجع سابق .١/٢١٧.

٤ – البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي. مرجع سابق .٢/٣٩٥.

٥ – ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق .٢/٤٩٦-٤٩٧.

٦– السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. جلال ، محمد أحمد . تفسير الجلالين . مرجع سابق . ص١٨٩.

٧ – الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ١٢/٨٩.

٨ – ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ٢/٤٩٧.

٩– الشاطبي ، القاسم بن فيرة بن خلف . حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع . توزيع مكتبة دار الهدى . المدينة المنورة . ١٤١٧هـ . ص٦١.

١٠– القاضي ، عبد الفتاح عبد الغني . الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع . الناشر مكتبة السوادي للتوزيع . ١٤١٢هـ .ص٢٩٢.

١١– الشوكاني ،محمد بن علي محمد . فتح القدير . مرجع سابق . ٢ /٥١٥.

تكون ".بمعنى ولا يلتفت منكم أحدٌ إلا امرأتك فإن لوطاً قد أخرجها معه وأنه نهى لوط ومن أسري معه أن يلتفت سوى زوجته"[١] . قال قتادة : إنها كانت مع لوط حين خرج من القرية فلما سمعت هدة العذاب التفتت ، وقالت: واقوماه فأصابها حجر فأهلكها [٢] .

{إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ} "أي موعد هلاكهم وقت الصبح" [٣] . {جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا} "والمعنى أن القرية انقلبت عليهم انقلاب خسف حتى صار عالي البيوت سافلا أي وسافلها عالياً وذلك من انقلاب الأرض بهم"[٤]. {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ} أي حجارة من طين . {مَنْضُودٍ} أي معدة لذلك ، وقال آخرون : يتبع بعضها بعضاً في نزولها عليهم . {مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ} أي معلمة مختومة عليها أسماء أصحابها [٥].

{قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ} :أي ننكركم لا نعرفكم[٦]. {وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ} "أي بالصدق. وقيل : بالعذاب"[٧] . {فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ} " يذكر تعالى عن الملائكة أنهم أمروه أن يسري بأهله بعد مضي جانب من الليل ، وأن يكون لوط عليه السلام يمشي وراءهم ليكون أحفظ لهم" [٨]. {وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ} أي إلى الجهة التي أمركم الله سبحانه بالمضيّ إليها ، وهي جهة الشام ، وقيل مصر ، وقيل قرية من قرى لوط ، وقيل أرض الخليل . {وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ} أي أوحينا إلى لوط . {ذَلِكَ الأَمْرَ} وهو هلاك قومه"[٩] . {أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ} "ودابرهم آخرهم ، يعني يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد وقوله {مُصْبِحِينَ} أي حال ظهور الصبح" [١٠] . {وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ} مستبشرين بالأضياف طمعاً منهم في ركوب الفاحشة . {قَالَ إِنَّ هَؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ} أي تخجلون [١١]. {قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ}: أي ألم ننهك عن أن تضيف أحداً من العالمين ، وقيل : ألم ننهك أن تدخل الغرباء المدينة فإنا نركب منهم الفاحشة.{لَعَمْرُكَ} يا محمد أي وحياتك، {إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ} حيرتهم وضلالتهم . {يَعْمَهُونَ} يترددون، قال قتادة : يلعبون [١٢] . {فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ} العظيمة أو صيحة جبريل حال كونهم {مُشْرِقِينَ} أي داخلين في وقت الشروق، وقيل إن أول العذاب كان عند شروق الفجر ، وامتد إلى طلوع الشمس ، والصيحة العذاب .{وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ} من طين متحجر [١٣] .

١- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ١٢ /٨٩.

٢- الرازي ،محمد بن عمر . التفسير الكبير . مرجع سابق . ٣٦/١٨.

٣- البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي. مرجع سابق . ٣٩٦/٢.

٤- ابن عاشور ، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير . مرجع سابق ١٣٤/١٢.

٥ - ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ٤٩٨/٢-٤٩٩.

٦ - الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق .٤١/١٤.

٧ - القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ٣٨/١٠.

٨ - ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق .٦١٠/٢.

٩ - الشوكاني ،محمد بن علي محمد .فتح القدير . مرجع سابق . ١٣٦/٣.

١٠ - الرازي ،محمد بن عمر . التفسير الكبير . مرجع سابق . ٢٠١/١٩.

١١ - القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ٣٩/١٠.

١٢- البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي. مرجع سابق . ٥٤/٣-٥٥.

١٣- الشوكاني ،محمد بن علي محمد .فتح القدير . مرجع سابق . ١٣٨/٣.

{لَـتَكُونَنَّ مِنْ الْمُخْرَجِينَ} "أي من المنفيين من قريتنا المعهودين وكأهم كانوا يخرجون من غضبوا عليه بسبب من الأسباب" (١) . {قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنْ الْقَالِينَ} أي المبغضين (٢) .

{وَأَنْـتُمْ تُبْصِرُونَ} "أَهَا فاحشة ،وذلك أعظم لذنوبكم ، وقيل : يأتي بعضكم بعضاً وأنتم تنظرون إليه ، وكـانوا لا يسـتترون عتوا منهم وتمردا" (٣). {أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ} " وذلك أهم كانوا يفعلـون الفاحشة بمن يمرّ بهم من المسافرين، فترك الناس الممر بهم ، وقيل: تقطعون سبيل النسل بإيثار الرجال على النساء" (٤) .

الأحاديث الواردة في القصة :

لم تجد الباحثة أحاديث نبوية لها تعلق بقصة امرأة لوط الواردة في القرآن الكريم .

عرض القصة :

آمن بدعوة إبراهيم ابن أخيه لوط عليهما السلام ، وخرج معه مهاجراً من بابل إلى الشام ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنبياء :٧١] ، وبعث الله عز وجل لوطاً رسولاً إلى أهل سدوم ؛ ليدعوهم إلى الإيمان بالله واتباع شرعه . وكانوا قوماً يأتون الفواحش والمنكرات ، ومن أعظمها : إتيان الذكور، وقطع السبيل على المسافرين . فدعاهم نبي الله لوط عليه السلام إلى الإيمان بالله ، وترك الشرك ، وترك ما هم عليه من المنكرات ، فما كان منهم إلا أن كفروا برسول الله ، واستهزأوا به ، واستعجلوا عذابهم. وكان ممن كفر بلوط زوجته ، والتي وصفها القرآن بالخائنة لزوجها ؛ لأها لم تكن على دينه ، وكانت تعين قومها على إيذاء زوجها لوط عليه السلام ؛ فإذا نزل به ضيوف اجتهد في إسرار أمرهم عن قومه ؛ لكيلا ينالوهم بسوء ، وكانت تذهب فتخبر قومها بالأضياف ، وقد جعلت بينها وبينهم علامة على ذلك ، فكان " إذا نزل به ضيف بالليل أوقدت النار ، وإذا نزل بالنهار دخنت ليعلم قومه أنه نزل به ضيف " (٥) . وأما بنات لوط فكن نساء مؤمنات صالحات ، آمن بأبيهن وأطعنه في كل أمر .

ولما جاءت الرسل الكرام إبراهيم بالبشرى ، أخبروه بأهم جاءوا لهلاك قوم لوط ، ونجاة لوط وأهله ، إلا زوجته . ثم ساروا نحو قرية سدوم ، وقد كانوا في صورة شباب حسان .

> " قال السدي : خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط فبلغوا نهر سدوم نصف النهار ولقوا بنت لوط تستقي ، فقالوا : يا جارية هل من منـــزل؟ . فقالت : مكانكم حتى آتيكم . وفرقت عليهم من قومها ، فأتت أباها فقالت : يا أبتاه أدرك فتياناً على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم

١- الألوسي ،محمود . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . مرجع سابق . ١١٦/١٩.

٢- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق. ١٣٢/١٣-١٣٣

٣- المرجع السابق . ٢١٩/١٣.

٤- البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي. مرجع سابق ٤٦٥/٣-٤٦٦.

٥- المرجع السابق . ٨ /١٧٠.

> أحسن منهم لا يأخذهم قومك ، وكان قومه نهوه أن يضيف رجلاً فقالوا : خل عنا فلنضيف الرجال. فجاء بهم فلم يعلم بهم أحد إلا أهل بيته فخرجت امرأته فأخبرت قومها "(١) .

فأتـــت بمجلـــس قومها ، وقالت لهم: " إن لوطاً قد أضاف الليلة فتية ما رؤي مثلهم جمالاً وكذا وكذا ، فحينئذ جاءوا يهرعون إليه " (٢) . مسرعين ، يطلبون الفاحشة من ضيوف لوط . وهنا أخذ لوط عليه السلام يـــبذل كل جهده ؛ ليحمي ضيوفه ، ويمنعهم من قومه الفاسقين ، فعرض على قومه أن يتزوجوا بناته ، وأن يعودوا لما أحل الله لهم فهو أطهر لهم . ولما أبوا عرضه لبناته ؛ أخذ يدافع عن ضيوفه بيده .

> " قال ابن عباس وأهل التفسير : أغلق لوط بابه والملائكة معه في الدار ، وهو يناظر قومه ويناشدهم من وراء الباب ، وهم يعالجون تسوّر الجدار ، فلما رأت الملائكة ما لقي من الجهد والكرب والنصب بسببهم ، قالوا : يا لوط إن ركنك لشديد وإنهم آتيهم عذاب غير مردود ، وإنا رسل ربك ، فافتح الباب ودعنا وإياهم ، ففتح الباب فضربهم جبريل بجناحه . وقيل : أخذ جبريل قبضة من تراب فأذرها في وجوههم ،فأوصل الله إلى عين من بعد ومن قرب من ذلك التراب فطمس أعينهم ، فلم يعرفوا طريقا ، ولا اهتدوا إلى بيوتهم " (٣) .

وأمـــر الملائكـــة لوطاً أن يخرج بأهله من القرية ليلاً ، ولا يلتفت منهم أحد عند الخروج ، واستثنوا من النجاة امرأة لوط ، فإنها ستشارك قومها في العذاب . فخرج لوط ومن آمن معه وبناته من القرية . فلما كان الصباح حلَّ بقوم لوط عذاب الله الذي استعجلوه ، وكانت امرأة لوط ممن هلك بهذا العذاب ، وبهذا سجل القرآن جزاءها في الدنيا ، كما سجل ما ينتظرها من عذاب الآخرة حين يقال لها : أدخلي النار مع الداخلين .

الدلالات التربوية :

١) إن مـــن شعار المؤمنين إكرام الضيوف ، والدفاع عنهم بقدر المستطاع : أخذاً من دفاع لوط عن ضيفه ، وتفديتهم ببناته .

٢) إن الإسلام دين الطهارة والنظافة : فلما كانت فاحشة اللواط تنافي ذلك حرمتها جميع الشرائع السماوية ، قـــال الإمام ابن تيمية :" فإنه قد علم بالاضطرار من دين الإسلام ودين سائر الأمم بعد قوم لوط : تحريم الفاحشـــة اللوطـــية ، ولهذا بين الله في كتابه أنه لم يفعلها قبل قوم لوط أحد من العالمين وقد عذب الله المســـتحلين لهـــا بعذاب ما عذبه أحداً من الأمم ، حيث طمس أبصارهم وقلب مدائنهم فجعل عاليها سافلها واتبعهم بالحجارة من السماء " (٤) .

١- ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ٢ /٤٩٦.

٢- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ٧٥/٩.

٣- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ٧٨/٩-٧٩.

٤- ابن تيمية ، أحمد . مجموع الفتاوى . اعتنى به : عامر الجزار ، وأنور الباز. مكتبة العبيكان . الرياض . ١٤١٨هـ.١١/ ٢٩٥.

٣) الأمـــر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات الأنبياء و عباد الله الصالحين : فقد نهى لوط عليه السلام قومه عن الفاحشة ، ودلَّهم على ما أحل الله لهم .

٤) لم تظهر فاحشة في قوم إلا سلط الله عليهم أنواعاً من العذاب والأوبئة والأمراض ، كما جاء في الحديث: (لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلافِهِمِ الَّذِينَ مَضَوْا) [١] .

٥) "مـــن أعان على منكر فهو مشارك في الإثم داخل في العقوبة أخذاً من خيانة امرأة لوط ونزول العقاب بها مع الهالكين " [٢] .

٦) قبح خيانة المرأة لزوجها : فقد استحقت امرأة لوط العذاب بخيانتها زوجها ، بمخالفته في الدين ، والإخبار عن ضيفه .

١- سبق تخريجه ، ص ٥٥ .

٢- الحميد ،محمد ناصر . قصص النساء في القرآن الكريم . مرجع سابق . ص١٥١.

المطلب الخامس :

قصة امرأة العزيز والنسوة مع يوسف عليه السلام في القرآن الكريم .

الآيات الواردة في القصة :

جاء ذكر قصة امرأة العزيز والنسوة مع يوسف عليه السلام في القرآن في موضع واحد ، ضمن قصة يوسف في سورة يوسف عليه السلام :

قال تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِى مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ
مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ
أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ
هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَاىَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ
رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ
وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتۡنِى عَن نَّفۡسِىۚ
وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ
وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ
وَٱسۡتَغۡفِرِى لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِى ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا
حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ
ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴿٣١﴾ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى
لُمۡتُنَّنِى فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ
أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِىٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّى كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ
كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ
قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِى خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ
مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓۚ إِنِّى تَرَكۡتُ مِلَّةَ
قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ
مِن شَىۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ
خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ
ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا
فَيَسۡقِى رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِىَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ
مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ
سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِى فِى رُءۡيَٰىَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴿٤٣﴾

قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ ﴾ [يوسف: ٢١-٥٤]

تفسير آيات القصة :

{وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ} "أي مترلته ومقامه ، والمثوى : موضع الإقامة . وقيل : أكرميه في المطعم والملبس والمقام" (١) . {عَسَى أَنْ يَنفَعَنَا} " أي يكفينا بعض المهمات إذا بلغ " (٢). {وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ} "أي كما أنعمنا عليه بالسلامة من الجب مكناه بأن عطفنا عليه قلب العزيز ، حتى توصل بذلك إلى أن صار متمكناً من الأمر والنهي في أرض مصر" (٣). {وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ} أي نعلم يوسف من عبارة الرؤيا ، وعن السدي : تعبير الرؤيا (٤). {وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ} "أي : أمره تعالى نافذ ، لا يبطله مبطل ، ولا يغلبه مغالب "(٥). {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ} أي استكمل عقله وتم خلقه، واختلف في السن التي بلغ فيها أشده ، فقيل : ثلاث وثلاثون سنة ، وقيل :عشرون، وقيل : أربعون ، وقيل :ثماني عشرة سنة ، وقيل : الشد الحلم .{آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا} يعني النبوة أنه حباه بها بين أولئك الأقوام (٦). {وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ} وهي امرأة العزيز ، طلبت منه أن يواقعها ، وأصل المراودة الإرادة والطلب برفق ولين . {وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ} غلّق للكثير ، ولا يقال : غلّق الباب ، وأغلق يقع للكثير والقليل(٧). "قال المفسرون : وإنما جاءت غلقت على التكثير ؛ لأنها غلقت سبعة أبواب ، ثم دعته إلى نفسها " (٨). {وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ} أي هلم وأقبل . {قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ} أي أعوذ بالله ، واعتصم به ، مما دعوتني إليه . {إِنَّهُ

١- البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي. مرجع سابق . ٤١٦/٢.

٢- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ١٦٠/٩.

٣- الرازي ،محمد بن عمر . التفسير الكبير . مرجع سابق . ١٠٩/١٨.

٤- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ١٧٦/١٢.

٥- السعدي ،عبد الرحمن ناصر . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. مرجع سابق .ص٤١٧.

٦- ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ٥١٨/٢.

٧- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ١٦٢/٩-١٦٣.

٨- الرازي ،محمد بن عمر . التفسير الكبير . مرجع سابق . ١١٢/١٨.

رَبِّي} يريد زوجك قطفير سيدي ، وقيل الهاء راجعة إلى الله تعالى . {أَحْسَنَ مَثْوَايَ} أي أكرم مترلي ، وإذا كانت الهاء راجعة إلى الله تعالى فيريد أن الله ربي أحسن مثواي أي آواني ومن بلاء الجب عافاني[1].

{وَلَقَـدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ } اختلف المفسرون في المراد من همّ يوسف ، الوارد في الآيـة ، على عدة أقوال ، وقد لخصها الرازي رحمه الله في قولين : القول الأول : أن يوسف عليه السلام همّ بالفاحشـة . والقـول الثاني : أن يوسف عليه السلام كان بريئاً عن العمل الباطل ، والهمّ المحرم ، وهذا قول المحققـين مـن المفسرين والمتكلمين[2]. وحملوا همّ يوسف الوارد في الآية على أن المراد به خطرات حديث النفس[3]. ومنهم من قال بالتقديم والتأخير في الآية ، "قال أبو عبيدة : هذا على التقديم والتأخير ، كأنه أراد ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها"[4].

{لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ} اختلف المفسرون في المراد بالبرهان في الآية ، وقد قسم الرازي أقوالهم على قسمين مبنـية على القولين السابقين : ففسر المحققون والمثبتون للعصمة رؤية البرهان بوجوه : الأول : إنه حجة الله تعـالى في تحريم الزنا ، والثاني : إن الله طهر نفوس الأنبياء عليهم السلام عن الأخلاق الذميمة . والثالث : إنه رأى مكتوباً في سقف البيت { ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا} . والرابع : إنها النبوة فهي مانعة من ارتكاب الفواحش . وأما من فسرها بهمّ المعصية — أصحاب القول الأول – فقد ذكروا في هذا البرهان أمـوراً مـنها: إن المرأة قامت لصنم فسترته بثوب ، وقالت : أستحي من إلهي أن يراني على معصية . فقال يوسف : أتستحين من صنم لا يعقل ولا يسمع ، ولا أستحي من إلهي القائم على كل نفس بما كسبت . وقيل إنـه تمثل له يعقوب فرآه عاضاً على أصابعه ، يقول له : أتعمل عمل الفجار وأنت مكتوب في زمرة الأنبياء فاستحى منه[5].

{وَاسْتَبَقَا الْبَابَ} "الاستباق طلب السبق إلى الشيء ، ومعناه تبادرا إلى الباب يجتهد كل واحد منهما صاحبه ، فإن سبق يوسف فتح الباب وخرج ، وإن سبقت المرأة أمسكت الباب لئلا يخرج"[6]. {وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ} شقت قميصه. {وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ} ووجدا زوجها[7]. "وإنما لم يقل سيدهما لأن يوسف عليه السلام ما كان مملوكاً لذلك الرجل في الحقيقة "[8]. {قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا} "ولم تقل من فعل بأهلك سوءاً ، تبرئة لها وتبرئة له أيضاً من الفعل"[9].

{وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا} واختلف المفسرون في هذا الشاهد على ثلاثة أقوال : القول الأول : إنه ابن عم لها وكان رجلا حكيماً ، واتفق في ذلك الوقت أنه كان مع الملك يريد أن يدخل عليها فقال: قد سمعنا الجلبة من

١- البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي. مرجع سابق . ٤١٧/٢.

٢- البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي. مرجع سابق . ١١٥/١٨.

٣ - ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ٥٢٠/٢.

٤- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ١٦٦/٩.

٥- الرازي ،محمد بن عمر . التفسير الكبير . مرجع سابق ، ١٢٩/١٨-١٣٠.

٦- المرجع السابق . ١٢١/١٨-١٢٢.

٧- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. جلال ، محمد أحمد . تفسير الجلالين . مرجع سابق .ص١٩٥.

٨- الرازي ،محمد بن عمر . التفسير الكبير . مرجع سابق . ١٢٢/١٨.

٩- السعدي ،عبد الرحمن ناصر . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. مرجع سابق .ص٤١٨.

وراء الـباب ، وشق القميص ، إلا أنا لا ندري أيكما قدام صاحبه ، فإن كان شق القميص من قدامه فأنت صادقة والرجل كاذب. وإن كان من خلفه فالرجل صادق وأنت كاذبة. القول الثاني : إن الشاهد كان صبياً أنطقه الله في المهد . القول الثالث : إن ذلك الشاهد هو القميص، وهذا القول في غاية الضعف (١).

{إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ }" الكيد ضرب من الاحتيال" (٢). {يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا} أي عن هذا الحديث فلا تذكره لأحد حتى لا يشيع . وقيل : معناه لا تكترث به ، فقد بان عذرك وبراءتك .{امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا قَــدْ شَغَفَهَا حُبًّا} قال الكلبي : حجب حبه قلبها ، حتى لا تعقل سواه . وقيل : أحبته حتى دخل حبه شغاف قلبها، أي داخل قلبها . قال السدي : الشغاف جلدة رقيقة على القلب ، يقول دخل الحب الجلد حتى أصاب القلب . {فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ} بقولهن وحديثهن ، قاله قتادة والسدي . وقال ابن إسحاق : إنما قلن ذلك مكـراً بهـا لتريهن يوسف ، وكان وصف لهن حسنه وجماله . {أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ } قال وهب : اتخذت مأدبة ودعـت أربعـين امرأة منهن هؤلاء اللاتي عيّرنها . {وَأَعْتَدَتْ} أي أعدت (٣). {لَهُنَّ مُتَّكَأً} قال ابن عباس وسـعيد بن جبير ومجاهد والحسن والسدي وغيرهم : هو المجلس المعد فيه مفارش ومخاد وطعام فيه ما يقطع بالســكاكين مــن أترج ونحوه. {فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ} أي أعظمنه أي أعظمن شأنه ، وأجللن قدره ، وجعلن يقطعن أيديهن دهشاً برؤيته ، وهن يظنن أهن يقطعن الأترج بالسكاكين، والمراد أهن حززن أيديهن بها ، قاله غير واحد ، وعن مجاهد وقتادة : قطعن أيديهن حتى ألقينها (٤) . {وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا} أي معاذ الله أن يكـون هذا بشراً (٥). {وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ} أي امتنع. {مِنَ الصَّاغِرِينَ} أي الأذلاء (٦). {وَإِلَّا تَصْـرِفْ عَـنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ} أمل إليهن واتابعهن (٧). {ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ} "وهي الأدلة على صدقه في عفته ونزاهته " (٨).

{نَبِّئْـنَا بِتَأْوِيلِهِ} أخبرنا بتفسيره وتعبيره وما يؤول إليه أمر هذه الرؤيا. {قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ} قيل : أراد به في النوم يقول لا يأتيكما طعام ترزقانه في نومكما { إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ} في اليقظة ، وقيل: أراد به في اليقظة يقول لا يأتيكما طعام من منازلكما ترزقانه ، تطعمانه وتأكلانه إلا نبأتكما بتأويله بقدره ولونه والوقت الذي يصل فيه إليكما {قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا} قبل أن يصل إليكما ، وأي طعام أكلتم، وكم أكلتم ، ومتى أكلتم؟، فهذا مثل معجزة عيسى عليه السلام (٩). {قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ}فرغ من الأمر الذي فيه استفتيتما ، ووجب حكم الله عليكما بالذي أخبرتكما به (١٠).

١- الرازي ،محمد بن عمر . التفسير الكبير . مرجع سابق . ١٨/١٢٣-١٢٤.

٢- الأصفهاني، الراغب. المفردات في غريب القرآن . مرجع سابق . ص٤٤٥.

٣- البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي. مرجع سابق . ٢/ ٤٢٢-٤٢٣

٤- ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم. مرجع سابق . ٥٢٢/٢.

٥- البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي. مرجع سابق . ٤٢٣/٢-٤٢٤.

٦- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق .٩ /١٨٤.

٧- البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي. مرجع سابق . ٤٢٤/٢.

٨- ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ٥٢٣/٢.

٩- البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي. مرجع سابق . ٤٢٥/٢-٤٢٦.

١٠- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ١٢/٢٢٠-٢٢١

{وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ} "علم {أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا} وهو الساقي ، {اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ} يعني سيدك الملك ، وقل له إن في السجن غلاماً محبوساً ظلماً طال حبسه"[١] . {فَلَبِثَ}" فمكث ، {فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ} واختلفوا في معنى البضع ، فقال: مجاهد مابين الثلاث إلى السبع ، وقال قتادة : ما بين الثلاث والتسع . وقال ابن عباس: مـــا دون العشر . وأكثر المفسرين على أن البضع في الآية سبع سنين ، وكان قد لبث قبله خمس سنين فجملته اثنتا عشرة سنة "[٢]. {وَقَالَ الْمَلِكُ} ملك مصر { إِنِّي أَرَى} في المنام[٣]. {سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ} أي سبع من البقر هزيلات [٤] . {يَاأَيُّهَا الْمَلأُ} يا أيها الأشراف من رجالي وأصحابي . {أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ} فاعبروها . {إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ} عبرة [٥].

{قَـــالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ} أي : أخلاط أحلام [٦]. {وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ} وتذكر بعد حين وهو سبع [٧]. {قَالَ تَـــزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا} أي كما تزرعون سائر السنين قبلها على عادتكم فيما مضى ، والدأب العادة [٨].

{ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ} "أي مجدبات ،{يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ} أي : يأكلن جميع ما ادخرتموه ، ولـــو كـــان كـــثيراً "[٩]. {إِلا قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ} "أي مما تحبسون لتزرعوا ، لأن في استبقاء البذر تحصين الأقوات" [١٠]. {ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ} بالمطر والغيث [١١]. {وَفِيهِ يَعْصِرُونَ} يعصرون العنب خمراً ، والزيتون زيتاً ، والسمسم دهناً ، وأراد به كثرة النعيم والخير [١٢].

{مَـــا خَطْبُكُنَّ} "أي: شأنكن " [١٣] .{الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ } "أي تبين وظهر" [١٤]. {ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ} واختلف العلماء في قائل هذه العبارة ، هل هو يوسف عليه السلام أم امرأة العزيز ؟ ، فقيل إنه مـــن كلام يوسف عليه السلام ، "عن ابن إسحاق : يقول يوسف {ذَلِكَ لِيَعْلَمَ} إطفير سيده {أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ} أني لم أكن لأخالفه إلى أهله من حيث لا يعلمه"[١٥]. ويرجح ابن كثير أنه من قول امرأة العزيز [١٦].

الأحاديث الواردة في القصة :

لم تجد الباحثة أحاديث نبوية لها تعلق بقصة امرأة العزيز والنسوة مع يوسف عليه السلام الواردة في القرآن.

١- البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي. مرجع سابق. ٤٢٧/٢.
٢- المرجع السابق . ٤٢٨/٢.
٣- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ٢٢٥/١٢.
٤ - السعدي ،عبد الرحمن ناصر . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. مرجع سابق .ص٤٢١.
٥- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ٢٢٥/١٢.
٦ - السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. جلال ، محمد أحمد . تفسير الجلالين . مرجع سابق. ص١٩٨
٧- البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي. مرجع سابق . ٤٢٩/٢.
٨- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ٢٣٠/١٢
٩ - السعدي ،عبد الرحمن ناصر . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. مرجع سابق .ص٤٢٢.
١٠- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ٢٠٤/٩.
١١- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ١٢/ ٢٣٢
١٢- البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي. مرجع سابق . ٤٣٠/٢.
١٣- السعدي ،عبد الرحمن ناصر . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. مرجع سابق .ص٤٢٢.
١٤- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ٢٠٧/٩-٢٠٨.
١٥- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ٢٣٨/١٢.
١٦- ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ٥٢٨/٢.

عرض القصة :

قـص الله علينـا في كتابه الكريم قصة نبي الله يوسف عليه السلام ، والتي سماها بأحسن القصص ، وهي تعـرض مجموعة من مشاهد المحن والابتلاءات ، التي تعرض لها هذا النبي عليه السلام ، من محنة كيد الإخوة ، إلى محـنة الجب، ومن ثم محنة الاسترقاق ، ومحنة كيد امرأة العزيز والنسوة ، وما ترتب عليها من السجن ؛ ثم يأتي الابتلاء بالنعمة وصيرورة يوسف وزيراً واجتماع شمله بأهله . ومن أبرز مشاهد قصة يوسف ، قصته مع امـرأة العزيز والنسوة ، وقد برز فيها مدى رفعة وعظمة هذا الكتاب العظيم ، في عرضه وصياغته ،لأحداث هذه القصة.

فـبعد أن ألقـى إخوة يوسف عليهم السلام يوسف في الجب ، وأخذته السيارة رقيقاً ، اشتراه عزيز مصر لـيكون مملوكاً لـه . وقد جرت العادة أن يهان الرقيق ولا يكرم ، ولكن الله تعالى الذي يحوط يوسف عليه السلام بالعناية والرعاية في كل لحظة ، وفي كل مرحلة من حياته ، قد هيأ لـه أن يعيش مكرماً ومعززاً ، في أرفـع بيوت مصر وأعلاها ، بوصية من عزيز مصر ، وجهها لزوجته ، دون غيرها من أهله وبطانته ، وأمرها بالإحسان إلى يوسف عليه السلام ، وقد تفرس فيه المنفعة والخير .

وعاش يوسف عليه السلام في بيت عزيز مصر ، وكان على قسط وافر من الجمال والحسن والبهاء ، جاء في حديـث الإسـراء أن رسول الله ﷺ مر بيوسف في السماء الثالثة ، فقال: (فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِـيَ شَـطْرَ الْحُسْنِ) [(١)]. فأحبته امرأة العزيز حباً شديداً ؛ أدى بها إلى مراودته عن نفسه ، وطلبت منه الفاحشة ، فرفض يوسف هذه الفاحشة ، مستعيذاً بالله ، مذكراً لها بعظيم حق سيدها عليه وعليها ، فلا يقابل إحسانه بالخيانة والإساءة له في أهله .

فلما رأى يوسف همّ امرأة العزيز نحو الفاحشة ؛ توجه نحو الباب هارباً منها ، فأسرعت إلى اللحاق به ؛ لمنعه من الخروج ، وأمسكت بقميصه من خلفه ، فجذبته إليها ؛ فشق القميص من الوراء . وفي هذه الأثناء ، إذ بالعزيز عند الباب ، ولم يكن يأتي في تلك الساعة ، فابتدرته المرأة قائلة ﴿ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [يوسف :٢٥]. فبرأت ساحتها ، وألقت بالتهمة على يوسف ، قال صاحب المنار : " وكان هذا القول مكراً وخداعاً لزوجها من وجوه : أحدها إيهام زوجها أن يوسف اعتدى عليها بما يسوءه ويسوءها . ثانيها :أنها لم تصرح بذنبه لئلا يشتد غضبه فيعاقبه بغير ما تريده ، كبيعه مثلا . ثالثها : تهديد يوسف وإنذاره بما يعلم به أن أمره بيدها ليخضع لها ويطيعها" [(٢)].

وهنا دافع يوسف عن نفسه ﴿ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ﴾ [يوسف : ٢٦]. فاختلط الأمر على العزيز ، وكان في معيته رجل حكيم من أهل المرأة ؛ فتولى الحكم في هذه القضية . وكانا قد سمعا صوت شق القميص، فجعل الحَكم بيِّنة للصادق والكاذب ، وهي القميص ؛ بأن ينظر في شق القميص ، فإن كان قميص يوسف مشقوقاً من الأمام ؛ فهي صادقة بأنه أرادها بالفاحشة ، وهو كاذب في قذفها ؛ لأن شق القميص من الأمام

١- القشيري ،مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم . دار ابن حزم . بيروت. ١٤٢٣هـ. كتاب الإيمان . باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات . رقم الحديث : ١٦٢.

٢- رضا ،محمد رشيد. تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار. مرجع سابق . ١٢/ ٢٨٦

يكون دليلاً على أنه أرادها بسوء ، فدفعته عن نفسها في صدره . وإن كان مشقوقاً من الخلف ؛ فهي كاذبة فيما قالت ، وهو صادق في براءته ، فيكون هرب منها ولحقته تطلبه ، فأمسكت به من الوراء فشق القميص ، وتمزق من الخلف .

فوجِد قميص يوسف مشقوقاً من الخلف ؛ فعلم العزيز أن يوسف كان صادقاً ، وكانت هي الكاذبة ، فهنا قال العزيز ﴿ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴾ [يوسف : ٢٨] . وأمر يوسف بالإعراض عن هذا الأمر ، وترك التحدث به ، وأمرها بالاستغفار عن هذا الذنب وعدم العودة له . ويلاحظ أن العزيز اكتفى بتوبيخ زوجته ، وإرشادها للصواب دون أن يعاقبها ، فقيل : إنه كان فاقداً للغيرة . وقيل : إنه "كان لين العريكة سهلاً أو أنه عذرها لأنها رأت ما لا صبر لها عنه" (١) .

شاع خبر مراودة امرأة العزيز لفتاها يوسف في المدينة ، وأصبح حديث النساء والمجالس ، وأنكرن عليها هذا الحب لغلامها ، فقلن ﴿ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٠ ﴾ [يوسف : ٣٠]. وقد ذكر ابن القيم أن كلام النسوة متضمن لوجوه عدة من المكر منها : أنهن لم يسموها باسمها ، وإنما ذكروها بالوصف الذي ينادي عليها بقبيح فعلها ، وهو كونها ذات بعل ، وأن زوجها عزيز مصر ورئيسها ، وأن الذي تراوده مملوك لا حر ، وأنها هي الطالبة ، وأن فتاها متصف بالعفة والوفاء ، على النقيض منها ، وقد أتين بفعل المراودة بصيغة المستقبل الدالة على الاستمرار والوقوع حالاً واستقبالاً (٢) .

فلما علمت امرأة العزيز بمكرهن وقولهن ، قابلت مكرهن بمكر أشد ، فأعدت لهن مأدبة طعام ، ودعتهن للحضور ، فلما جئنها ، قدمت لهن الطعام ، وأعطت كل واحدة سكينة ؛ لتقطع بها الطعام ، فبينا هن منشغلات في الطعام ؛ أمرت يوسف بالخروج عليهن – ولم يكن يوسف يعلم ما تريد به – فلما رأت النسوة جمال يوسف وبهاءه ، انشغلن بالنظر إليه ، وأمضين السكاكين ، تقطع ما كان في أيديهن من طعام ، حتى قطعن أيديهن ، أي : حززنها وخدشنها ، ولم يشعرن بالألم ؛ لانشغال عقولهن بيوسف ، وقلن وهن منبهرات ﴿ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴾ [يوسف :٣١] . فلما رأت امرأة العزيز افتتان النسوة بيوسف ؛ قالت معتذرة ومبينة ما وقع منها : إن هذا هو الفتى ، الذي قلتن قد شغفها حباً لجماله وكماله . ثم أعقبت تذكر ما وقع منها من مراودة له ، وامتناعه منها ، فكان اعترافاً منها بمراودة يوسف . ثم بدأت بعد ذلك تتوعده وتهدده أمامهن ، بالسجن إن لم يطع أمرها . وهنا تتسع دائرة مراودة يوسف ليضاف إلى امرأة العزيز النسوة ، واللاتي دعونه إلى أنفسهن أيضاً ، وحثثنه على طاعة امرأة العزيز . فهنا يلجأ يوسف لربه مستغيثاً به قائلاً ﴿ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣ ﴾ [يوسف : ٣٣] . فاستجاب الله عز وجل ليوسف عليه السلام ، وصرف عنه كيد النسوة . ثم رأى العزيز وأهل مشورته؛ أن المصلحة تقضي بسجن يوسف ، مدة من الزمن ، إيهاماً بأنه اعتدى على امرأة العزيز ؛ وليسكتوا الناس عن هذا الحديث ، وهم يعلمون صدق يوسف وعفته.

١- ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ٢ /٥٢١.

٢- ابن القيم، محمد بن أبي بكر . إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان . مكتبة دار التراث . (د.ت) . ١١١/٢.

ويبدأ هنا فصل جديد في قصة يوسف ، وهو سجنه ، وأحداث السجن ، ففي السجن التقى يوسف برجلين أحدهما ساقي الملك ، والآخر صاحب طعامه ، أدخلا السجن ؛ لأن صاحب الطعام جعل سماً في الطعام ، فسجن وسجن معه الساقي ، ظناً بأنه شاركه في هذا الأمر . فرأى كل منهما رؤية ، وطلبا من يوسف أن يؤوِّلها . فحاول يوسف أن يصرفهما عن تفسيرها ؛ لأن الرؤيا تتضمن خبراً محزناً لأحدهما ، فأقبل يدعوهما إلى توحيد الله وترك الشركاء ، وقدم ذلك بأن أراهما معجزة تدل على علمه ونبوته ، وهي إخبارهما بأي طعام يحضر لهما قبل مجيئه لهما ، ثم أخذ يدعوهما لعبادة الله ، وترك عبادة ما سواه . ولكنهما أصرا على تفسير الرؤيا ، ففسر لهما رؤياهما ، فقال للساقي أن ستثبت براءته ؛ ويخرج من السجن ، ويعود ليسقي الملك خمراً . وأما الخباز فستثبت خيانته ، وسعيه لقتل الملك ؛ فيقتل لذلك ، ويصلب ، فتأكل الطيور من جسده . وطلب يوسف من الساقي أن يَذكر للملك أن يوسف محبوس ظلماً . وقد قيل : إنهما قد كذبا في رؤياهما ؛ فكان عاقبتهما وقوعها كما أولها يوسف . فخرج الساقي من السجن ، ولكنه نسي أن يذكر يوسف عند الملك ؛ فلبث يوسف في السجن عدة سنوات.

ولما أذن الله في خروج يوسف عليه السلام من السجن ، أرى الملك رؤيا ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾ [يوسف ٤٣]. وطلب من العلماء والكهنة وأهل المشورة ، أن يفسروها . فعجزوا عن تأويلها ، واعتذروا بأنها أضغاث أحلام ؛ عند ذلك تذكر الساقي أمر يوسف ، وتأويله لرؤياه ، فطلب من الملك أن يأذن له بزيارة يوسف في السجن ، لعله يؤوِّلها لهم . وذهب الساقي ليوسف ، وقصّ عليه الرؤيا ، فأولها لهم يوسف ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يوسف : ٤٧- ٤٩] .

وهنا استدعى الملك يوسف ؛ ليخرجه من السجن ويقربه إليه ، ولكن يوسف أبى الخروج ، حتى تثبت براءته فقال للرسول ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٠]. فاستدعى الملك امرأة العزيز والنسوة ، وسألهن عن أمرهن مع يوسف ؛ فنزَّهن يوسف عن ارتكاب الفاحشة، فلما رأت امرأة العزيز ذلك ، خافت أن تكذب فيشهد عليها النسوة ؛ فأقرت بالخطيئة ، واعترفت بأنها كانت هي المراودة ليوسف ، وأنه بريء مما قُذف به . فخرج بذلك يوسف عليه السلام من السجن. وهنا يسدل الستار على أحد فصول قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز والنسوة ؛ بإثبات براءته ، لتبدأ فصول جديدة من قصة يوسف عليه السلام.

الدلالات التربوية :

١) تربية المجتمع المسلم بالقصة ، وهي من أقوى أساليب التربية القرآنية : فأورد القرآن الكريم قصة يوسف في القرآن وسماها بأحسن القصص ،" فهي من أحسن القصص وأوضحها وأبينها ، لما فيها من أنواع التنقلات من

حـــال إلى حال ، من محنة إلى محنة ، ومن محنة إلى منحة ومنة ، ومن ذل إلى عز" [١]. وقد احتوت على كثير من الفوائد الدينية والدنيوية.

٢) أشد الناس بلاء الأنبياء : كما ظهر في قصة يوسف ، حيث تقلب في ألوان من البلاء ، من بلاء تآمر إخوته ، وإلقائه في الجب ، إلى كيد امرأة العزيز والسجن . عن سعد بن أبي وقاص قال : (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَـدُّ بَلاءً . قَالَ: الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ يُبْتَلَى الْعَبْدُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاؤُهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ) [٢]

٣) بـــيان فضـــيلة العفـــة وذم الهوى : فقد كان عاقبة عفة يوسف ؛ الرفعة في الدنيا ، ورضا الله عنه في الدنيا والآخرة، وكان عاقبة متابعة امرأة العزيز لهواها ؛ الفضيحة والخزي في الدنيا والآخرة .

٤) إن المكافـــأة تكون بالمثل أو بأفضل منه : وقد ظهر هذا في أمانة يوسف على عرض العزيز ؛ لإحسانه إليه ، وفعل الملك لما أول يوسف رؤياه ؛ فأخرجه من السجن ، واستجاب لطلبه بالتحقيق في سبب سجنه ، وتوليته بعد ذلك .

٥) أهمية التربية الإيمانية القوية ، وتقوى الله في السر والعلن : فقد كان خوف يوسف عليه السلام ، وخشيته من الله ، وعلمه أن الظالم خاسر خائب ؛ حاجزاً عن الوقوع في الحرام .

٦) " مشـــروعية الدفـــاع عن النفس ولو بما يسيء إلى الخصم " [٣]: كما فعل يوسف لما اتهمته امرأة العزيز أنه أرادها بسوء .

٧) " استحباب الستر على المسيء وكراهية إشاعة الذنوب بين الناس" [٤]: كما فعل العزيز ، لما أمر يوسف بترك التحدث عن هذا الأمر.

٨) مكانـــة الدعاء في الإسلام : فقد التجأ يوسف إلى الله ودعاه ، لما خاف على نفسه من كيد النسوة والوقوع في الفاحشة .

٩) أهمية العدل في أمور الحكم والملك : فكان تحقيق الملك في سبب سجن يوسف سبباً لظهور الحق ، واعتراف امرأة العزيز بالواقعة ، وخروج المظلوم من السجن .

١٠) مـــن خصائص النفس وسماتها أنها أمارة بالسوء : كما قالت ذلك امرأة العزيز ، فعلى الإنسان أن يحذر مما تأمر به ، ويسعى لتزكيتها وصلاحها .

١- السعدي ،عبد الرحمن ناصر . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. مرجع سابق .ص٤٣١.

٢- ابن ماجه ، محمد بن يزيد. سنن ابن ماجه . مرجع سابق . كتاب الفتن . باب الصبر على البلاء. رقم الحديث : ٤٠٢٣. قال عنه الألباني ، في صحيح ابن ماجه: حسن صحيح . ٣١٨/٣.

٣- الجزائري ،أبو بكر جابر . أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير . مرجع سابق . ٣٩٢/٢.

٤- المرجع السابق . ٣٩٣/٢.

المطلب السادس :

قصة أم موسى وأخته وزوجته وآسية عليهم السلام في القرآن الكريم.

الآيات الواردة في القصة :

تعـد قصـة موسى أطول القصص القرآني ، وقد تحدثت عن جزء كبير من حياة موسى عليه السلام ، ولادتـه ونشأته وبعثته وخبره مع فرعون وبني إسرائيل . وكان للمرأة أثر بيّن على حياة موسى عليه السلام ، منذ ولادته وحتى بعثته ، وتمثل ذلك في أربع نساء ، هن : أمه وأخته وزوجه وآسية بنت مزاحم زوج فرعون عليهن السلام. وكان ذلك في ستة مواضع ، يمكن تفصيلها على النحو التالي:

أولاً : المواضع التي ذكرت فيها قصة أم موسى وأخته وآسية عليهم السلام :

الموضع الأول : قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ﴾ [طه : ٣٧-٤١].

الموضع الثاني : قال تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [القصص :٧-١٣] .

الموضع الثالث :قال تعالى ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [التحريم : ١١] .

ثانياً : المواضع التي ذكرت فيها زوجة موسى عليهما السلام :

الموضع الأول : قال تعالى ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ ﴾ [طه :٩- ١٠].

الموضع الثاني : قال تعالى ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [النمل : ٧].

الموضع الثالث : قال تعالى ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [القصص : ٢٣ -٢٩].

تفسير آيات القصة :

{وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى } أنعمنا عليك قبل هذه المرة (١). {أَنْ اقْذِفيهِ فِي التَّابُوتِ} القذف المستعمل في معنى الإلقاء والوضع . {فَاقْذِفيهِ فِي الْيَمِّ} اليم هو البحر ، والمراد به ههنا نيل مصر ، في قول الجميع ، واليم اسم يقع على البحر وعلى النهر العظيم (٢). {فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ} " يعني شاطئ النهر" (٣). {وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي} فحببه إلى آسية امرأة فرعون حتى تبنته وغذته وربَّته ، وإلى فرعون حتى كف عنه عاديته وشره (٤). {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} "أي : ولتربى على نظري وفي حفظي وكلاءتي" (٥).

{فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ} "يعني على امرأة ترضعه وتضمه إليها" (٦). {فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ} أي آمناك من الخوف والقتل والحبس . {وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا} أي اختبرناك اختباراً حتى صلحت للرسالة، وقال مجاهد: أخلصناك إخلاصاً (٧). {فَلَبِثْتَ} " فمكثت أي فخرجت من أرض مصر إلى مدين" (٨).

{وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى} اختلف في هذا الوحي إلى أم موسى فقالت فرقة : كان قولاً في منامها . وقال قتادة : كان إلهاماً . وقالت فرقة : كان بملك مثل لها . قال مقاتل : أتاها جبريل بذلك ، فعلى هذا هو وحي إعلام لا إلهام. وأجمع الكل على أنها لم تكن نبية. {وَلا تَخَافِي} فيه وجهان : أحدهما: لا تخافي عليه الغرق ، قاله ابن زيد ، والثاني : لا تخافي عليه الضيعة (٩) .{إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} إنا رادو ولدك إليك للرضاع لتكوني أنت ترضعيه ، وباعثوه رسولاً إلى من تخافين أن يقتله ، وفعل الله ذلك بها وبه.

١- البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي. مرجع سابق . ٢١٧/٣.

٢- الرازي ،محمد بن عمر . التفسير الكبير . مرجع سابق . ٥٢/٢٢

٣- البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي. مرجع سابق . ٢١٧/٣.

٤- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ١٦١/١٦-١٦٢.

٥- السعدي ،عبد الرحمن ناصر . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. مرجع سابق . ص.٥٤٠.

٦- البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي. مرجع سابق . ٢١٧/٣.

٧- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ١٩٨/١١.

٨- البغوي ،الحسين بن مسعود الفراء . تفسير البغوي. مرجع سابق . ٢١٨/٣.

٩- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ٢٥٠/١٣-٢٥١.

{فَالْتَقَطَهُ} فأصابوه وأخذوه ، وأصله من اللقطة وهو ما وجد ضالاً فأخذ. {لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا} يكون لهم عدواً في دينهم ، وحزناً على ما ينالهم منه من المكروه. {وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا} عن ابن عباس قال: فرغ من كل شيء إلا من ذكر موسى [١]. {إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ} " أي إن كادت من شدة وجدها وحزنها وأسفها لتظهر أنه ذهب لها ولد " [٢]. {لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا} " بإلهام الصبر كما يربط على الشيء المتفلت ليستقر ويطمئن" [٣]. {وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ} " أي قالت أم موسى لأخت موسى : اتبعي أثره حتى تعلمي خبره " [٤]. {فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} "أي بصرته على وجه ، كأنها مارة لا قصد لها فيه" [٥]. {وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ} التحريم هنا بمعنى المنع ، أي منعناه أن يرضع ثدي امرأة [٦].

{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ} واسمها آسية بنت مزاحم. قال يحيى بن سلام : "مثل ضربه الله يحذر به عائشة وحفصة في المخالفة حين تظاهرتا على رسول الله ﷺ ، ثم ضرب لهما مثلاً بامرأة فرعون ومريم ابنة عمران ، ترغيباً في التمسك بالطاعة والثبات على الدين. وكانت آمنت بموسى عليه السلام" [٧]. {وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ} " تقول : وأنقذني من عذاب فرعون ، ومن أن أعمل عمله ، وذلك كفره" [٨].

{إِذْ رَأَى نَارًا} عن ابن عباس قال: لما قضى موسى الأجل سار بأهله ، فضل الطريق ، وكان في الشتاء ، ورفعت لهم نار ، فلما رآها ظن أنها نار ، وكانت من نور الله [٩]. {فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا} "أي أقيموا بمكانكم {إِنِّي آنَسْتُ نَارًا} أي أبصرت " [١٠]. {لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ} يقول لعلي أجيئكم من النار التي آنست ؛ بشعلة ، والقبس : هو النار في طرف العود أو القصبة .{أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى} دلالة تدل على الطريق الذي أضللناه ، إما من خبر هاد يهدينا إليه ، وإما من بيان وعلم ، نتبينه به ونعرفه [١١].

{وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ} "أي : قاصداً بوجهه مدين ، وهو جنوبي فلسطين ، حيث لا ملك فيه لفرعون"[١٢]. {قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ} " أي قصد الطريق إلى مدين ، قال ذلك لأنه لم يكن يعرف الطريق إليها " [١٣]. {وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ} "أي جماعة يسقون ، {وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ} أي تكفكفان غنمهما أن ترد مع غنم أولئك الرعاء لئلا يؤذيا ، فلما رآهما موسى عليه السلام رق لهما ورحمهما ، {قَالَ مَا خَطْبُكُمَا} أي ما خبركما لا تردان مع هؤلاء " [١٤]. {قَالَتَا لَا نَسْقِي

١- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ٣١/٢٠-٣٧
٢ - ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ٤٢٠/٣.
٣ - الرازي ،محمد بن عمر . التفسير الكبير . مرجع سابق . ٢٤/ ٢٣٠.
٤- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ٢٥٦/١٣.
٥ - السعدي ،عبد الرحمن ناصر . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. مرجع سابق .ص٦٦٦.
٦ - أبوحيان، محمد بن يوسف . تفسير البحر المحيط . دراسة وتحقيق : عادل بن عبد الموجود وآخرون . دار الكتب العلمية ، بيروت . ١٤١٣هـ . ١٠٣/٧.
٧ - القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ٢٠٢/١٨-٢٠٣.
٨ - الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق .١٧١/٢٨-١٧٢.
٩- المرجع السابق . ١٤٢/١٦.
١٠- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ١٧١/١١
١١- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ١٤٢/١٦.
١٢- السعدي ،عبد الرحمن ناصر . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. مرجع سابق .ص٦٦٧.
١٣- البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي. مرجع سابق . ٤٤١/٣.
١٤ - ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ٤٢٢/٣.

حَـتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ} قالت المرأتان لموسى : لا نسقي ماشيتنا حتى يرجع الرعاء بمواشيهم ، لأنا لا نطيق أن نسقي ، وإنما نسقي مواشينا ما أفضلت مواشي الرعاء في الحوض ، الرّعاء : جمع راع [١]. " واختلفوا في علة هذا الحبس على وجوه : أحدها: قال الزجاج: لأن على الماء من كان أقوى منهما فلا يتمكنان من السقي . وثانـيها: كانـتا تكرهان المزاحمة على الماء . وثالثها : لئلا تختلط أغنامهما بأغنامهم . ورابعها : لئلا تختلطا بالرجال" [٢].

{فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ} "معناه أنها كانت على استحياء ، حالتي المشي والمجيء معاً ، لا عند المجيء فقط ، وتنكير استحياء للتفخيم" [٣]. وعن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أنه قال : جاءت تمشي عـلى اسـتحياء قائلة بثوبها على وجهها ، ليست بسلفع من النساء دلاجة ولاجة خراجة . {قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا} وهذا تأدب في العبارة لم تطلبه طلباً مطلقاً لئلا يوهم ريبة . وقد اختلف المفسرون في هذا الرجل من هو ؟ . على أقوال ، أحدها : إنه شعيب عليه السلام الذي أرسل إلى أهل مدين ، وهذا هو المشهور عند كثير من العلماء. وقال آخرون : بل كان ابن أخي شعيب ، وقيل رجل مؤمن من قوم شـعيب [٤]. ورجح الطبري وابن كثير رحمهما الله القول بأنه ليس شعيباً عليه السلام . {يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ} "أي: اجعله أجيراً عندك ، يرعى الغنم ويسقيها" [٥] .

{قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ} على أن تثيبني من تزويجها رعـي ماشيتي ثماني حجج ، وكأن أباها جعل صداق ابنته التي زوجها موسى رعي موسى عليه ماشيته ثماني حجـج ، والحجج : السنون .{فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ} يقول فإن أتممت الثماني الحجج التي شرطتها عليك بإنكاحي إياك إحدى ابنتي فجعلتها عشر حجج ، فإحسان من عندك ، وليس مما اشترطته عليك بسبب تـزويجك ابـنتي [٦]. وعن سعيد بن جبير قال : (سألني يهودي من أهل الحيرة: أي الأجلين قضى موسى ؟. قلت: لا أدري حتى أقدم على حبر العرب فأسأله . فقدمت فسألت ابن عباس فقال : قضى أكثرهما وأطيبهما، وإن رسـول الله ﷺ إذا قال فعل) [٧]. {فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ} "يعني أتمه وفرغ منه" [٨]. {أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ} يقول :أو آتيكم بقطعة غليظة من الحطب فيها النار . {لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ} لعلكم تسخنون بها من البرد، وكان في شتاء [٩] .

١ – الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ٥٧/٢٠.

٢ – الرازي ،محمد بن عمر . التفسير الكبير . مرجع سابق . ٢٣٩/٢٤.

٣ – أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي. تفسير أبي السعود . مرجع سابق . ٩/٧.

٤ – ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق .٤٢٣/٣.

٥– السعدي ،عبد الرحمن ناصر . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. مرجع سابق .ص٦٦٨.

٦ – الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ٦٥/٢٠.

٧ – البخاري ، محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري . مرجع سابق . كتاب الشهادات. باب من أمر بإنجاز الوعد . رقم : ٢٦٨٤

٨ – البغوي ،الحسين بن مسعود الفراء . تفسير البغوي. مرجع سابق . ٤٤٤/٣.

٩ – الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق .٦٩/٢٠–٧٠.

الأحاديث الواردة في القصة :

لم تجـد الباحثة أحاديث صحيحة أو حسنة لها تعلق بقصة أم موسى وأخته وآسية بنت مزاحم الواردة في القرآن الكريم .

عرض القصة :

أورد القـرآن الكريم خبر ولادة موسى عليه السلام ، وأنها كانت في حد ذاتها منة من الله على موسى ، وبيان لعظيم قدرة الله وأن لا راد لأمره .

> "فعن السدي قال: كان من شأن فرعون أنه رأى رؤيا في منامه ، ناراً أقبلـت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر ، فأحرقت القبط وتركـت بـني إسرائيل ، وأحرقت بيوت مصر ، فدعا السحرة والكهنة والقافـة والحازة ، فسألهم عن رؤياه ، فقالوا له : يخرج من هذا البلد الذي جاء بنو إسرائيل منه ، يعنون بيت المقدس ، رجل يكون على وجهه هلاك مصـر ، فأمـر ببني إسرائيل أن لا يولد لهم غلام إلا ذبحوه ، ولا تولد لهم جاريـة إلا تركت ، وقال للقبط : انظروا مملوكيكم الذين يعملون خارجا فـأدخلوهم ، واجعلوا بني إسرائيل يلون تلك الأعمال القذرة ، فجعل بني إسرائيل في أعمال غلمـانهم وأدخلـوا غلمانهم" (١) .

ووكل فرعون رجالاً ونساء ، يتفقدون نساء بني إسرائيل ؛ فإن ولدن ذكوراً قتلوا ، وإن كن إناثاً تركن. فلما كثر القتل لغلمان بني إسرائيل ؛ خاف القبط أن يفنى بنو إسرائيل ، فلا يجدون من يخدمهم ، فشكوا ذلك لفرعون ؛ فأمر بأن يقتل الذكور عاماً ، ويتركوا عاماً . فوضعت أم موسى هارون عليه السلام في العام الذي لا يقـتل فيه الذكور ، ومن ثم وضعت موسى عليه السلام في العام الذي يقتل فيه الذكور ؛ فاغتمت لذلك ، وخافـت عليه من القتل . فأوحى الله إليها يطمئنها على ولدها ويأمرها بإرضاعه ؛ فإذا خافت عليه من جند فـرعون ، فأمـرها أن تضعه في تابوت ، وتلقي به في النهر ، وقيل إنه نهر النيل ، وبشرها بحفظ الله لـه ، وعودتـه لها ليتم رضاعه ، وبشرها بأنه الرسول الذي يخافه فرعون ، والذي لأجله قتل الذكور . فلما اشتد خـوف أم موسى على ولدها ؛ صنعت لـه تابوتاً ، فوضعته فيه ، وألقت به في النهر ، وأمرت أخته أن تتبع أثره ، وتنظر خبره .

فسار التابوت في النهر ، حتى وصل إلى بيت فرعون ، ووجده خدم فرعون فأخذوه إلى سيدهم ، ففتحوا التابوت ؛ فإذا فيه رضيع يتلألأ وجهه نوراً ، فرأته امرأة فرعون آسية بنت مزاحم عليها السلام – وكان الله قد ألقى عليه محبة فلا يراه أحد إلا أحبه – فأحبته امرأة فرعون ، وأراد جند فرعون قتله ؛ فاستوهبته امرأة فرعون من زوجها ، وقالت له ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [القصص :٩] . فرد عليها فرعون : قرة عين لك ، أما لي فلا . فتركه فرعون لزوجته و لم يقتله . وأرسلت امرأة فرعون تطلب له المرضعات فأتين ، ولكن موسى أبى أن يقبل إحداهن ، حتى حاروا في أمره ، وكانت أخته ترقب

١- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ٢٠/٢٧.

أمرهم ، من بعيد ، وهم لا يشعرون ، فلما رأت حيرتهم في أمره ؛ أقبلت عليهم ، وقالت لهم ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾ [القصص :١٢].

"عن ابن جبير قال: قال ابن عباس : فبصرت به أخته عن جنب وهم لا يشعرون ، فقالت من الفرح حين أعياهم الظؤورات : أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون، فأخذوها وقالوا : وما يدريك ما نصحهم له ، هل يعرفونه حتى شكوا في ذلك ، وذلك من الفتون يا ابن جبير ، فقالت : نصحهم له وشفقتهم عليه ، رغبتهم في ظؤورة الملك ، ورجاء منفعته ، فتركوها، فانطلقت إلى أمها فأخبرتها الخبر ، فجاءت ، فلما وضعته في حجرها نزا إلى ثديها حتى امتلأ جنباه ، فانطلق البشراء إلى امرأة فرعون يبشرونها أن قد وجدنا لابنك ظئرا فأرسلت إليها ، فأتي بها وبه، فلما رأت ما يصنع بها قالت: امكثي عندي حتى ترضعي ابني هذا فإني لم أحب حبه شيئاً قط . فقالت : لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي ، فيضيع ، فإن طابت نفسك أن تعطينه ، فأذهب به إلى بيتي فيكون معي لا آلوه خيراً فعلت ، وإلا فإني غير تاركة بيتي وولدي ، وذكرت أم موسى ما كان الله وعدها ، فتعاسرت على امرأة فرعون ، وأيقنت أن الله تبارك وتعالى منجز وعده ، فرجعت بابنها إلى بيتها من يومها" (١) .

نشأ موسى وترعرع في بيت الطاغية فرعون ، في حفظ ورعاية من الله عز وجل . وعزَّ جانب بني إسرائيل في مصر ؛ برضاعهم موسى عليه السلام ، وكانوا ينادونه موسى ابن فرعون . فأصبح القبط لا يصلون منهم إلى ما كانوا يصلونه قبل موسى عليه السلام ، لنصرته لهم . ولكن حدث لموسى حادث كان له أثر كبير في تغيير مسار حياته ، فدخل موسى المدينة وقيل إنها مدينة منف بمصر(٢) ، عند القائلة ، فوجد فيها رجلاً إسرائيلياً وآخر قبطياً يتنازعان ؛ فاستنصره الإسرائيلي على القبطي . فغضب موسى على القبطي فطعنه بجمع كفيه فقتله ، ولم يقصد قتله ، وإنما أراد ردَّه عن الإسرائيلي ؛ فندم موسى على ذلك وتاب إلى الله . وأصبح خائفاً من جنايته يترقب الأخبار . وفي اليوم التالي ، وبينما هو يسير في الطرقات ، إذ بالإسرائيلي الذي استنصره بالأمس ، يطلب منه الغوث ، من رجل قبطي آخر كان يقاتله ، فلما رآه موسى قال له ﴿ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ [القصص :١٨] ، وأراد أن يبطش بالقبطي ، فظن الإسرائيلي أنه يريده هو ، فقال له ﴿ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ [القصص :١٩] . فسمع المقالة القبطي ، فذهب بها إلى فرعون وقومه - وكانوا يبحثون عن قاتل القبطي - فأخبرهم بمن قتل القبطي ؛ فأمر فرعون بقتل موسى . فجاء رجل مسرعاً إلى موسى ، يخبره بعزم ملأ فرعون ، وينصحه بالخروج من مصر .

فخرج موسى لتوه من مصر هارباً ، بغير زاد ولا راحلة . وتوجه جهة مدين ؛ لأنها خارج سلطان فرعون. وهو لا يعرف طريقها ، وليس معه دليل ، ولكنه سأل الله أن يدله على الطريق ؛ فهداه الطريق حتى وصل إلى مدين . فقصد بئراً ، فوجد عليه رعاة يسقون مواشيهم ، ورأى بعيداً عنهم امرأتين ، تنحيان

١ - المرجع السابق . ١٦/١٦٤.

٢- المرجع السابق . ٢٠ / ٤٣.

وتبعدان أغنامهما عن الماء . فسألهما موسى عن أمرهما ، فقالتا إنهما لا يسقيان أغنامهما ، حتى ينصرف الرعاة ومواشيهم ، لكيلا يختلطا بالرجال ، وخوفاً من اختلاط أغنامهم بأغنام الرعاة ، وليس لهما رجل يكفيهما هذا الأمر ، فأبوهما شيخ مسن ، لا يقدر على السقي والرعي . فأخذ موسى الأغنام ، وسقى للمرأتين ، قال بعض العلماء : كانت الآبار مكشوفة ، وكان زحم الناس يمنعهما ، فلما أراد موسى أن يسقي لهما زحم الناس وغلبهم على الماء حتى سقى ، فعن هذا الغلب الذي كان منه وصفته إحداهما بالقوة . وقال آخرون : إنهما كانتا تتبعان فُضَالتهم في الصّهاريج ، فإن وجدتا في الحوض بقية كان ذلك سقيهما ، وإن لم يكن فيه بقية عطشت غنمهما ، فرقّ لهما موسى ، فعمد إلى بئر كانت مغطاة ، والناس يسقون من غيرها ، وكان حَجَرها لا يرفعه إلا سبعة ، وقيل أكثر من ذلك ، وسقى للمرأتين ، فعن رفع الصخرة وصفته بالقوة ، وقيل : إن بئرهم كانت واحدة ، وأنه رفع عنها الحجر بعد انفصال السقاة . وقيل: إنه استقى لهما ذنوباً واحداً لم يحتج إلى غيره فسقى لهما [(١)] .

وبعد أن سقى لهما قصد ظلاً فاستراح فيه من عناء السفر ، وقال ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٤] . ولما رجعت الفتاتان إلى أبيهما سريعاً على غير عادتهما ؛ أنكر ذلك عليهما ، فأخبرتاه بما لقيا من ذلك الرجل . فأرسل إليه إحدى الفتاتين ؛ ليكافئه على فعله . فجاءت الفتاة موسى وهي تمشي على استحياء ، وقالت له ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ [القصص : ٢٥] . فسار موسى مع الفتاة ، وأمرها أن تكون خلفه ، فقال لها : "أمشي خلفي ، وانعتي لي الطريق ، وأنا أمشي أمامك ، فإنا لا ننظر إلى أدبار النساء" [(٢)] .

فلما جاء موسى إلى الرجل الصالح ، سأله عن خبره ؛ فقص عليه ما كان من خبره ، وخبر فرعون ، والرجل القبطي ، فقال له ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص :٢٥] . فأشارت إحداهما على أبيها ؛ استئجار موسى لرعي الأغنام ، ورغبته فيه بقولها ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ [القصص : ٢٦] . عن ابن عباس قال: فأحفظته الغيرة أن قال : وما يدريك ما قوته وأمانته ؟. قالت : أما قوته ، فما رأيت منه حين سقى لنا ، لم أر رجلاً قط أقوى في ذلك السقي منه ، وأما أمانته ؛ فإنه نظر حين أقبلت إليه ، وشخصت له ، فلما علم أني امرأة ؛ صوب رأسه فلم يرفعه و لم ينظر إلي حتى بلغته رسالتك ، ثم قال امشي خلفي وانعتي لي الطريق ؛ و لم يفعل ذلك إلا وهو أمين . فسري عن أبيها ، وصدقها وظن به الذي قالت [(٣)] . واستجاب الأب لمشورة ابنته ، وعرض على موسى أن يزوجه إحدى الفتاتين ، على أن يرعى له الغنم ثماني سنين ، وإن شاء موسى أن يزيدها عشراً ، فهو فضل من عنده ، وليس بلازم عليه . فوافق موسى على هذا العقد ، وقضى أتم الأجلين وأوفاهما ، وهو عشر سنين ، وقيل إنه زاد عليها عشراً أخر.

ولما قضى موسى المدة التي بينهما ، اشتاق إلى والديه واخوته وبلده ؛ فسار بأهله نحو بلده ، وعزم على دخولها خفية عن فرعون وقومه . ولكنه تاه في الصحراء ، وأخذ يلتمس الطريق ونزل في بعضه ، وأخذ يشعل

---

١ - القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ٢٦٩/١٣.

٢- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ٦١/٢٠.

٣- المرجع السابق . ٦٣/٢٠.

بـــزنده النار ؛ ولكن الزند لم يشتعل فتعجب موسى . فرأى نور نار بعيدة ؛ فأمر أهله بالمكوث في مكانهم ، حـــتى يذهب إلى تلك النار ، وينظر ما فيها ، لعله يجد عندها من يدله الطريق الصحيح ، أو يأتيهم بقبس من الـــنار ؛ يتدفئون به ، فقد كان الوقت شتاء . فلما ذهب موسى إلى النار ؛ وجد عندها نوراً ، لم يخطر بباله قـــط. فقـــد نال موسى شرف الرسالة عند ذلك الضياء ، فعاد موسى إلى زوجته ، حاملاً معه نور الرسالة ، وكانت زوجته ممن آمن به . وذهب رسولاً لفرعون وقومه ، يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته .

وكـــان ممـــن آمن بموسى عليه السلام امرأة فرعون آسية بنت مزاحم عليها السلام ، وقد جاء ذكرها في الحديـــث الصحيح عنه ﷺ (كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إلا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ) [1]. وذكر أنها كانت من بني إسرائيل، من سبط موسى ، وقـــيل كانت عمته[2]. وقيل إن إيمانها كان بعد أن غلب موسى السحرة ، فلما بلغ فرعون إيمانها أمر جنده بتعذيبها.

"قال أبو العالية : اطلع فرعون على إيمان امرأته فخرج على الملأ فقال لهم : ما تعلمون من آسية بنت مزاحم ؟ فأثنوا عليها . فقال لهم : إنها تعبد رباً غيري . فقالوا له : اقتلها . فأوتد لها أوتـــاداً وشـــد يديها ورجليها فقالت : ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم : ١١] . ووافق ذلك حضور فرعون ، فضحكت حين رأت بيتها في الجنة . فقال فرعون : ألا تعجبون من جنونها! إنا نعذبها وهي تضحك" [3] .

فسمروا يديها ورجليها في الشمس ، وقال لهم : انظروا أعظم صخرة تجدونها ، فإن مضت على قولها ؛ فألقوها علـــيها ، وإن رجعـــت عن قولها فهي امرأته . فأبت امرأة فرعون الكفر بعد الإيمان ؛ فألقى عليها الجنود الصخرة ، فوقعت على جسم لا روح فيه ، فقد قبض الله روحها قبل أن تصل الصخرة إلى جسمها [4] . وكانت تدعو الله أن يـــرزقها بيـــتاً في الجنة وينجيها من القوم الكافرين ، عن سلمان قال :"كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس ، فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها ، وكانت ترى بيتها في الجنة" [5] . فأجاب الله دعاءها ، فهي في الجنة في بيتها تنعم بثمار الجنة وأنهارها.

الدلالات التربوية :

١) من أخلاق المؤمنين الثقة بالله : فإن فعل أم موسى هو عين ثقتها بالله تعالى ، إذ لولا كمال ثقتها بربها ، لما ألقت بولدها وفلذة كبدها في تيار الماء ، تتلاعب به أمواجه وجرْياته ، إلى حيث ينتهي أو يقف [6] .

٢) إن أقوى العواطف البشرية عاطفة الأمومة : كما ظهر في حال أم موسى بعد فراق ولدها ، فمع إيمانها بوعد الله ، إلا أن فكرها وقلبها كانا منشغلين بما سيحدث لولدها .

١- البخاري ،محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري . مرجع سابق . كتاب أحاديث الأنبياء . باب قوله تعالى {وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون } .رقم الحديث :٣٤١١.

٢- ابن كثير، إسماعيل. قصص الأنبياء .مرجع سابق . ٨/٢.

٣ – القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق .٢٠٣/١٨.

٤- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ١٧١/٢٨.

٥ – الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ١٧١/٢٨.

٦- ابن القيم ، محمد بن أبي بكر . مدارج السالكين . دار الحديث . القاهرة . (د.ت) . ١٤٩/٢.

٣) "انــه لا مــانع من خروج النساء في طلب حوائجهن بشرط التقيد باللباس الشرعي ، ومراعاة أدب الكلام مع الرجال"[١] : كما ظهر ذلك في خروج أخت موسى لتفقد خبره ، وخروج بنتي صالح مدين لرعي الأغنام.

٤) " أن الــرحمة بالخلق ، والإحسان على من يعرف ومن لا يعرف ، من أخلاق الأنبياء ، وأن من الإحسان سقي الماشية الماء وإعانة العاجز" [٢] .

٥) براءة المسلم من أهل الكفر وسعيه للخلاص من سلطانهم عليه : كما فعلت امرأة فرعون لما دعت الله أن ينجيها ويخلصها من القوم الكافرين ، وهم فرعون وملأه الظالم .

٦) أهمية اتصاف الأجير بصفة القوة والأمانة فهو أقدر على القيام بالأعمال.

٧) المكافــأة على الإحسان بمثله أو بخير منه : كما فعل صالح مدين ، وجاء في الحديث (وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ)[٣] .

٨) مــن أســاليب التربية الإسلامية التربية بالقدوة والمثل : فقد ضرب الله امرأة فرعون مثلاً للمؤمنين ذكوراً وإناثاً ليقتدوا بها في الصبر والثبات على دين الله ، واللجوء إلى الله عند الشدائد .

---

١ – حافظ ،عماد زهير . القصص القرآني بين الاباء والأبناء . مرجع سابق . ص٣٠٤.

٢ – السعدي ،عبد الرحمن ناصر . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. مرجع سابق .ص٦٧٤.

٣– ابو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني. سنن أبي داود . دار ابن حزم. بيروت. ١٤١٩هـ . كتاب الزكاة . باب عطية من سأل بالله . رقم الحديث : ١٦٧٢. قال عنه الألباني في كتابه صحيح سنن ابي داود : وهذا اسناد صحيح على شرط الشيخين . صحيح سنن أبي داود . مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. الرياض. ١٤٢١هـ. ٥/٣٦٣.

المطلب السابع:

قصة ملكة سبأ مع سليمان عليهما السلام في القرآن الكريم.

الآيات الواردة في القصة :

جاء ذكر قصة ملكة سبأ مع سليمان عليه السلام في القرآن العظيم في موضع واحد :

قال تعالى ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ (٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ (٢٦) ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ (٢٧) ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ (٣١) قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ (٣٧) قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ (٤٠) قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (٤١) فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ (٤٣) قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٤) ﴾ [النمل : ٢٠-٤٤]

تفسير آيات القصة :

{وَتَفَقَّـدَ الطَّيْرَ} "أي طلبها وبحث عنها ، والتفقد طلب ما فُقد" (١). واختلفوا فيما لأجله تفقدها على عدة أقوال، رجح الألوسي أن تفقد سليمان عليه السلام للطير كان منه عليه السلام عناية بأمور ملكه ، واهتماماً بضعفاء جنده (٢) . {أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ} "بعذر بيِّن واضح" (٣). {فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ} "فمكث سليمان

١ - البغوي ،الحسين بن مسعود الفراء . تفسير البغوي. مرجع سابق . ٤١٢/٣.

٢- الألوسي ،محمود . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . مرجع سابق . ١٨٣/١٩.

٣ - ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ٣٩٦/٣.

غير طويل من حين سأل عن الهدهد حتى جاء الهدهد" [١]. {فَقَالَ أَحَطتُ} " أي علماً ومعرفة وحفظته من جميع جهاته ، وابتداء كلامه بذلك لترويجه عنده عليه السلام وترغيبه في الإصغاء إلى اعتذاره واستمالة قلبه نحو قبوله فإن النفس للاعتذار المنبئ عن أمر بديع أقبل وإلى تلقي مالا تعلمه أميل" [٢]. {وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ} أي بخبر صادق حق ، وسبأ حمير وهم ملوك اليمن . {وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ} أي من متاع الدنيا مما يحتاج إليه الملك المتمكن، {وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ} يعني سرير تجلس عليه ، عظيم هائل مزخرف بالذهب وأنواع الجواهر واللآلئ [٣].

{الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ} أي الخفي المخبأ ،{فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} أي ما خبأت ، قال أكثر المفسرين: خبء السماء : المطر، وخبء الأرض : النبات. {قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ} وهم أشراف الناس وكبراؤهم [٤]. {إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ}وفي وصفه بالكريم ثلاثة أوجه : " أحدها : حسن مضمونه وما فيه . وثانيها : وصفه بالكريم لأنه من عند ملك كريم . ثالثها : ان الكتاب كان مختوماً " [٥]. {أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ} قال ابن عباس : أي لا تتكبروا عليَّ . وقيل: لا تتعظموا ولا تترفعوا عليَّ . {وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ} مؤمنين طائعين [٦]. {قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي} "تقول أشيروا عليَّ في أمري الذي حضرني من أمر صاحب هذا الكتاب الذي ألقي إلي" [٧]. {قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ} فالمراد قوة الأجسام وقوة الآلات والمراد بالبأس النجدة والثبات في الحرب [٨].

{فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ} أي جاء الرسول سليمان بالهدية ، {قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ} أتزيدونني مالاً إلى ما تشاهدونه من أموالي . {فَمَا آتَانِ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ} أي فما أعطاني من الإسلام والملك والنبوة خير مما أعطاكم ، فلا أفرح بالمال .{ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا}أي لا طاقة لهم عليها. {وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ} أي من أرضهم مهانون أذلاء إن لم يسلموا [٩]. {قَالَ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ} وتعددت أقوال المفسرين في سبب هذا الطلب ، رجح ابن جرير أن السبب الذي من أجله طلب سليمان من جنده احضار عرش هذه المرأة خاصة دون سائر ملكها ، ليجعل ذلك حجة عليها في نبوته ، ويعرفها بذلك قدرة الله وعظيم شأنه ، أنها خلفته في بيت في جوف أبيات ، بعضها في جوف بعض ، مغلق مقفل عليها ، فأخرجه الله من ذلك كله ، بغير فتح أغلاق واقفال ، حتى أوصله إلى وليه من خلقه وسلمه إليه ، فكان لها في ذلك أعظم حجة على حقيقة ما دعاها إليه سليمان وعلى

---

١ – الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ١٤٧/١٩.

٢ – الألوسي ،محمود . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . مرجع سابق . ١٨٦/١٩.

٣ – ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ٣٩٧/٣.

٤ – البغوي ،الحسين بن مسعود الفراء . تفسير البغوي. مرجع سابق . ٤١٥/٣-٤١٦

٥ – الرازي ،محمد بن عمر . التفسير الكبير . مرجع سابق . ١٩٤/٢٤.

٦ – البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي. مرجع سابق . ٤١٦/٣.

٧ – الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ١٥٣/١٩.

٨ – الرازي ،محمد بن عمر . التفسير الكبير . مرجع سابق . ١٩٥/٢٤.

٩ – القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق .٢٠٠/١٣-٢٠١.

صدق سليمان فيما أعلمها من نبوته[1] . {قَالَ عِفْرِيتٌ مِنْ الْجِنِّ} قال مجاهد: أي مارد من الجن ، {أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ} قال ابن عباس : يعني قبل أن تقوم من مجلسك . وقال السدي وغيره : كان يجلس للناس للقضاء والحكومات وللطعام من أول النهار إلى أن تزول الشمس .{قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنْ الْكِتَابِ} قال ابن عباس: هو آصف كاتب سليمان ، وكان يعلم الاسم الأعظم [2]. {أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ} " أي بمقدار ما تفتح عينيك ثم تطرف وهي مدة وجيزة تدل على سرعة مجيء العرش"[3]. {فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ} "محمولاً إليه من مأرب إلى الشام في قدر ارتداد الطرف"[4]. {قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا} معناه اجعلوا العرش منكراً مغيراً عن شكله ،وذلك لأنه لو ترك على ما كان لعرفته لا محالة ، فلا تدل معرفتها به على ثبات عقلها ، وإذا غير ؛ دلت معرفتها أو توقفها فيه على فضل عقل . ولا يمتنع صحة ما قيل إن سليمان عليه السلام ألقي إليه أن فيها نقصان عقل لكي لا يتزوجها ولا تحظى عنده على وجه الحسد . {نَنظُرْ أَتَهْتَدِي} اختلفوا في المراد من الهداية هنا، على وجهين : أحدهما أتعرف أنه عرشها أم لا. والثاني : أتعرف به نبوة سليمان أم لا [5]. ولذلك قال {أَمْ تَكُونُ مِنْ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ}.{ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ} "أي يشبهه ويقاربه ، وهذا غاية في الذكاء والحزم "[6]. {قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ} " هو سطح من زجاج أبيض شفاف تحته ماء عذب جار" [7]. {فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً} وهي معظم الماء، {وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ} مملس مستو {مِنْ قَوَارِيرَ} وليس بماء [8] .

الأحاديث الواردة في القصة :

لم تجد الباحثة أحاديث صحيحة متعلقة بقصة سليمان مع ملكة سبأ والواردة في القرآن .

عرض القصة :

منح الله عز وجل نبيه سليمان عليه السلام ملكاً عظيماً ، لا يكون لأحد من الناس بعده ، فسخر له الجن والشياطين والطير والريح . وجمع سليمان عليه السلام جنوده من الجن والإنس والطير في مسير ، وتفقد الطير فوجد الهدهد غائباً ؛ فتوعده بالعذاب الشديد والقتل ، إن لم يأتِ بعذر بيّن مقبول ، لسبب هذه الغيبة. وبعد قليل ، جاء الهدهد ، وأخبر سليمان بعذر هذه الغيبة ، فقال لسليمان : علمت خبر مملكة لم يبلغك أمرها، وهي مملكة سبأ . ثم أخذ الهدهد يفصل ما وجد في هذا البلد ، فقال : إن مَلكهم امرأة ، ولها عرش عظيم هائل ، مزخرف بالذهب وأنواع الجواهر واللآلئ ، وأوتيت من كل ما يؤتى الملوك ،من سعة الملك

١- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ١٦١/١٩.

٢- ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ٣/٤٠٠-٤٠١.

٣- الشرقاوي ،أحمد محمد . المرأة في القصص القرآني . مرجع سابق . ٥٢٧/٢.

٤ – البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي. مرجع سابق .٤٢٠/٣.

٥ – الرازي ،محمد بن عمر . التفسير الكبير . مرجع سابق . ١٩٩/٢٤.

٦ – ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق .٤٠٢/٣.

٧- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. جلال ، محمد أحمد . تفسير الجلالين . مرجع سابق. ص ٣١٩.

٨ – البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي. مرجع سابق .٤٢٢/٣.

والغـنى والعظمـة والجنود ، وغير ذلك ، من لوازم ملك أهل الدنيا . ثم ذكر حال عبادتهم ، بأنهم يعبدون الشمس ، تاركين عبادة الله المستحق وحده للعبادة.

فـأراد سليمان أن يختبر صدق الهدهد من كذبه ؛ فبعث معه بكتاب إلى ملكة سبأ ، يدعوها فيه وقومها للإيمان بالله . وأمر الهدهد أن يلقي هذا الكتاب عليها ، ثم ينظر موقفها وقومها منه . فأخذ الهدهد الكتاب ، وتوجـه به نحو سبأ . فلما وصلها ألقى الكتاب في حِجر الملكة ، وتنحى جانباً أدباً ، كما أمره سليمان عليه السلام ؛ لينظر موقف الملكة وقومها من الكتاب . فتعجبت ملكة سبأ من أمر هذا الهدهد ، وأخذت الكتاب وقرأته ، فخافت من الكتاب ، وعرفت أن الذي أرسل الكتاب أعظم ملكاً منها ؛ فهذا الهدهد أحد جنوده .

فجمعت ملكة سبأ لأجل الكتاب أهل الرأي والمشورة من قومها ، وعرضته عليهم ، وحدثتهم بأمر هذا الكتاب ، ثم أخبرتـهم بما فيه فقالت ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النمل: ٣٠- ٣١]. وطلبت منهم أن يبدوا لها الرأي والنصح في هذا الخطب العظيم . فرأى القوم الحرب ، وردُّوا عليها بأنهم يمتلكون قوة في الأجسام وفي عدة الحرب ، وهم أصحاب شجاعة وصبر وثبات ، وهم على أهبة الاستعداد لملاقاة الأعداء ، والأمر مفوض إليها تقضي ما شاءت ، وهم ينفذون ، وفي هذا إشارة إلى وحدة كلمتهم واجتماع شملهم عليها وطاعتهم لها . فأحست الملكة حرص القوم على الحرب ، وميلهم إلى القوة والخشونة ، ولكنها كانت أحكم منهم رأياً ؛ فقد خشيت أن يصيبها وجندها من بأس هذا الملك ، فقالت لقومها محذرة لهم من الحرب ومغبتها ﴿ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [النمل :٣٤] . ثم أخبرتهم أنها سوف تختبر سليمان بهدية عظيمة ، فإن قبلها فهو ملك يقاتلونه ، وإن رفضها فهو نبي يجب أن يتبعوه .

فـأخذ رسـول ملكة سبأ الهدايا العظيمة ، وسار بها نحو سليمان عليه السلام ، فلما جاءه بها ؛ غضب سليمان منها غضباً شديداً ، وقال :أتصانعونني بمال ؛ لأترككم على ملككم ، وأنتم مشركون ، فما أعطاني الله خـير مما عندكم ، فقد أوتيت الملك والنبوة ، وإني لا أقبل منكم إلا الإسلام أو السيف . ثم أمر سليمان عليـه السـلام الرسـول بالرجوع بالهدايا إلى قومه ، وحمَّله رسالة مسير سليمان إليهم ، بجيوش وجنود لا يستطيعون مقابلتهم ولا مقاومتهم ، وتوعدهم بإخراجهم من بلدهم أذلة صاغرين .

فأتـت الرسل تحمل لملكة سبأ رد سليمان عليه السلام للهدايا ، وتوعده لهم بالحرب والجيوش العظيمة ، فأدركت ملكة سبأ وقومها أنهم أمام نبي ، وأن لا طاقة لهم بمواجهته.

" قـال وهـب وغيره من أهل الكتب : فلما رجعت رسل بلقيس إليها من عند سليمان قالت : قد عرفت والله ما هذا بملك ومالنا به طاقة ، فبعثت إلى سليمان إني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو إليه من دينك، ثم أمرت بعرشها فجعل في آخر سـبعة أبـيات بعضها في بعض في آخر قصر من سبعة قصور لها أغلقت دونه الأبواب ووكلت به حراساً يحفظونه" (1) .

١ - المرجع السابق ٤١٩/٣.

علم سليمان بمسير بلقيس وقومها إليه ، فطلب من جنده أن يأتوه بعرشها ، بأسرع ما يمكن ؛ ليريها مقدار ملكه ، وليكون دليلاً على نبوته . فجاءه أول عرض من عفريت من الجن ، فقال: أنا آتيك بعرشها قبل أن تقوم من مجلسك هذا . وكان فيما ذُكر قاعداً للقضاء بين الناس ، فأراد أعجل من هذا . فجاءه العرض الثاني من أحد أهل العلم ، حيث قال ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ [النمل: ٤٠]. وكان هذا الرجل يعلم اسم الله الأعظم ، الذي إذا دعي به أجاب ، فدعا الله أن يأتيه بعرش الملكة ، فأجاب الله دعاءه . فلما حضر العرش بين يدي سليمان ؛ شكر الله على نعمه ، وأمر جنده أن يغيروا من معالم وصفات العرش ؛ ليختبر ذكاء وفطنة الملكة . وأمر سليمان عليه السلام الشياطين ببناء قصر عظيم من زجاج ، ثم أجرى تحته الماء ؛ فالذي لا يعرف أمره يحسب أنه ماء . واختلفوا في السبب الذي دعا سليمان عليه السلام إلى اتخاذه ، فقيل: إنه لما عزم على تزوجها واصطفائها لنفسه ، ذكر له جمالها وحسنها ، ولكن في ساقيها هلباً عظيماً ، ومؤخر أقدامها كمؤخر الدابة . فساءه ذلك ؛ فاتخذ هذا ليعلم صحته أم لا [١]. فلما مثلت ملكة سبأ بين يدي سليمان ، أراها العرش وسألها : أهكذا عرشك ؟ فقالت مجيبة: كأنه هو.

> " الرد هنا في غاية الذكاء والثقة في النفس لأن السؤال أهكذا عرشك ؟ لا أهذا عرشك ؟ لئلا يكون إرشاداً إلى جواب فيفوت المقصود من اختبار الذكاء وحسن التصرف ، ولا شك أن هذا القول يدعوها إلى الدهشة والمفاجأة بما لم يكن في حسابها وإلا فأين هي من عرشها الذي تركته خلفها وبينهما مسافة بعيدة تقدر بعشرات المئات من الأميال ولكن ذكاءها جعلها تقول : كأنه هو ، فكانت الإجابة لا هي تصديق ولا بالنفي" [٢].

ومـــا هي إلا لحظات وتأتيها المفاجأة الثانية ، فقال لها سليمان أدخلي الصرح ، فلما رأته ظنته لجة ماء ؛ فرفعت ثيابها ، وأبدت ساقيها ؛ لتخوض في الماء ، فبين لها سليمان حقيقة هذا الماء ، بأنه بناء من زجاج يجري تحته الماء ، فأدركت إنها أمام آيات بينات ، ومُلك عظيم ، ونبي كريم ، فأعلنت إسلامها ، وقالت ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [النمل : ٤٤]. وإلى هنا تنتهي قصة ملكة سبأ المؤمنة القارئة العربية ذات العقل والحزم والحكمة .

الدلالات التربوية :

١) السمع والطاعة لأولي الأمر : كما ظهر في طاعة الهدهد لسليمان في أوامره ، وطاعة قوم سبأ لملكتهم .

٢) "وجـــوب تفقد الرعية والجند والنظر في شئونهم والتعرف على أحوالهم والحزم في القيادة والحكم" [٣] : كما تفقد سليمان الطير .

---

١ - ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق .٤٠٢/٣.

٢- هنداوي ،منى محمد . قصص المرأة في القرآن الكريم . مرجع سابق . ص٦٧.

٣ - الشرقاوي ،أحمد محمد . المرأة في القصص القرآني . مرجع سابق .٥٥٢/٢.

٣) مـــن مـــبادئ التربية الإسلامية التأديب والعقوبة للمخطئ : فقد توعد سليمان الهدهد لما خالف الجيش بالعقوبة.

٤) وجوب التثبت والتبين من الأخبار قبل إصدار الأحكام : كما حصل من سليمان في النظر لعذر الهدهد ، والتثبت من خبره عن مملكة سبأ .

٥) ظهور خصائص الأنثى التي تكره الحرب والقتال وتميل إلى المسالمة والمخادعة :كما فعلت ملكة سبأ لما أراد قومها الحرب فنفّرهم منها واتخذت طريق المخادعة والملاينة لسليمان عليه السلام، وذلك بإرسالها الهدايا

٦) أهمـــية الشـــورى وأنها من أخلاق القادة والحكام : كما ظهر في مشاورة الملكة لقومها في أمر سليمان وكتابه.

٧) إن للهدية مكانة في تطيب النفوس وتأليف القلوب : ولذلك حرصت ملكة سبأ على تقديم الهدايا لسليمان لـــتألف قلبه ولعله يتركهم على ما هم عليه ، ورفض سليمان عليه السلام لها دليل على أن رفض الهدية جائز إذا علم أن المراد منها إضاعة الحقوق والواجبات .

٨) " إن تغطـــية الســـاقين من أدب النساء منذ زمن قديم" [1]: كما كان حال ملكة سبأ عند قدومها على سليمان .

٩) إن الذكاء والحزم والحكمة من الأمور المطلوبة في الملك والقائد والأمير.

١ - الحميد ،محمد ناصر . قصص النساء في القرآن الكريم . مرجع سابق . ص٣١٠.

المطلب الثامن :

قصة مريم وأمها عليهما السلام في القرآن الكريم.

الآيات الواردة في القصة :

ذكرت قصة مريم البتول وأمها في القرآن الكريم في عدة مواضع على التفصيل التالي :

أولاً : المواضع التي ذكرت فيها مريم وأمها عليهما السلام :

وكان ذلك في موضع واحد فقط :

قال تعالى ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [آل عمران :٣٥-٣٧].

ثانياً : المواضع التي ذكرت فيها مريم عليها السلام :

وهي ستة مواضع هي :

الموضع الأول:قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [آل عمران : ٤٢-٤٩]

الموضع الثاني: قال تعالى ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [المائدة : ٧٥].

الموضع الثالث : قال تعالى ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ

ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾ [مريم : ١٦-٣٣]

الموضع الرابع: قال تعالى ﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الأنبياء :٩١]

الموضع الخامس: قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المؤمنون : ٥٠]

الموضع السادس : قال تعالى ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [التحريم : ١٢]

ومن الآيات ذات الصلة بشخصية القصة ، ما ورد في القرآن من ذكر فرية اليهود على مريم وابنها عليهما السلام ، وتأليه بعض النصارى لعيسى وأمه ورد الله عليهم في ذلك :

قال تعالى ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ ﴾ [النساء :١٥٦]

قال عز وجل ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ ﴾ [النساء :١٧١]

وقال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المائدة : ١١٦]

تفسير آيات القصة :

{ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي} أي جعلت لك يارب نذراً أن لك الذي في بطني محـــرراً لعبادتك ، تعني بذلك : حبسته على خدمتك وخدمة قدسك في الكنيسة ، عتيقة من خدمة كل شيء سواك ، مفرغة لك خاصة ، فتقبل مني ما نذرت لك يارب (١) .

١- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ٢٣٥/٣.

واختلف القراء في قراءة {وَضَعَتْ} وترتب على ذلك اختلاف المفسرين في تفسير الآية ، قال الإمام الشاطبي رحمه الله في ذكر القراءات السبع [١] :

وكفلها الكوفي ثقيلاً وسكنوا وضعت وضموا ساكناً صح كفلا.

فقرأ شعبة وابن عامر بتسكين العين وضم سكون التاء في لفظ {وَضَعْتُ} فتكون قراءة غيرهما بفتح العين وسكون التاء {وَضَعَتْ} [٢]. فعلى قراءة من قرأ {وَضَعَتْ} تكون الآية خبراً من الله عز وجل عن نفسه ، أنه العالم بما وضعت من غير قيلها {رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى } [٣]، فتكون الآية{ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ } جملة إعتراضية من كلام الله عز وجل سيقت تعظيماً لشأن المولودة وبياناً لعلو مترلتها ، فهي سيدة العالمين اصطفاها الله وجعلها وابنها آية للعالمين [٤]. وعلى قراءة من قرأ {وَضَعْتُ} تكون الآية جاءت على وجه الخبر عن أم مريم أنها هي قائلة ، والله أعلم بما ولدت مني [٥]. " قالته اعتذاراً إلى ربها ، لعجزها عن الوفاء بنذرها ، أو قالته تسلية لنفسها ، لبيان أن لله في ذلك حكمة يعلمها ، فالله عز وجل يدبر أحوال الخلق وفق قدرته وإرادته وعلمه وحكمته ، ولعل هذه الأنثى عند الله خير من الذكر لأن ما يفعله الرب بالعبد خير مما يريده العبد لنفسه" [٦]. {وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى} " لأن الذكر أقوى على الخدمة وأقوم بها ، وأن الأنثى لا تصلح في بعض الأحوال لدخول القدس والقيام بخدمة الكنيسة " [٧].

{وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} وإني أجيرها وأعيذها وذريتها بحفظك ورعايتك من شر الشيطان المطرود من الخير [٨]. {فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا} " يخبر ربنا أنه تقبلها من أمها نذيرة ، وأنه أنبتها نباتاً حسناً ، أي جعلها شكلاً مليحاً ومنظراً بهيجاً ، ويسر لها أسباب القبول ، وقرنها بالصالحين من عباده ، تتعلم منهم العلم والخير والدين" [٩]. {وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا} أي ضمها إليه ، قال أبو عبيدة: ضمن القيام بها [١٠]. { المحراب} "الغرفة وهي أشرف المجالس "[١١].

{وَإِذْ قَالَتْ الْمَلائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ} أي أن الله قد اصطفاها أي اختارها لكثرة عبادتها وزهادتها وشرفها وطهارتها من الأكدار والوساوس. {وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ} وما كنت عندهم يا محمد فتخبرهم عن معاينة حين اقترعوا في شأن مريم أيهم يكفلها ، وذلك لرغبتهم في الأجر [١٢]. {بِكَلِمَةٍ مِنْهُ} هو قول :

---

١ – الشاطبي ،القاسم بن فيرة بن خلف . حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع . مرجع سابق . ص٤٤.

٢ – القاضي ، عبد الفتاح عبد الغني . الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع . مرجع سابق . ص٢٣٣.

٣- الطبري ، محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ٢٣٧/٣.

٤ – الشرقاوي ،أحمد محمد . المرأة في القصص القرآني . مرجع سابق . ٦٠٤/٢.

٥- الطبري ، محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ٢٣٧/٣.

٦ – الشرقاوي ،أحمد محمد . المرأة في القصص القرآني . مرجع سابق . ٦٠٣/٢.

٧- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ٢٣٧/٣.

٨- الزحيلي ،وهبة . التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج . مرجع سابق . ٢١٣/٣.

٩- ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ٣٨٦/١.

١٠- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ٧٠/٤

١١- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. جلال ، محمد أحمد . تفسير الجلالين . مرجع سابق. ص٤٦.

١٢- ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ٣٨٩/١-٣٩٠.

كن.{وَجِيهًا} ذا وجه ومنزلة عالية عند الله ، وشرف وكرامة.{ وَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ} يعني أنه ممن يقرب الله يوم القـــيامة ، فيسكنه في جواره ويدنيه منه [1]. ومن صفات هذا الولد أنه {وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنْ الصَّالِحِينَ } أي صغيراً قبل أوان الكلام وكهلاً ، قال مقاتل : يعني إذا اجتمعت قوته قبل أن يرفع إلى السماء، وقال الحسين بن الفضل : وكهلاً بعد نزوله من السماء [2].

{ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} "أي كيف يصرفون عن الحق بعد هذا البيان" [3].

{وَاذْكُــرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذْ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا} اعتزلت من أهلها ، وانفردت عنهم . عن قتادة: أي انفردت من أهلها [4]. {فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا} " أي استترت منهم وتوارت بساتر أو حاجز يســترها عنهم لئلا يروها حال العبادة " [5]. {فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا} وأرسل إليها فيما ذكر جبريل ، وعن السدي قال: فتشبه لها في صورة آدمي سوي الخلق منهم يعني في صورة رجل من بني آدم معتدل الخلق . فلما رأته فزعت منه وقالت {إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنتَ تَقِيًّا} تقول : أستجير بالرحمن منك أن تنال مني ما حرمه عليك ، إن كنت ذا تقوى له ، تتقي محارمه وتجتنب معاصيه ، لأن من كان لله تقياً فإنه يجتنب ذلك[6]. {قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُنْ بَغِيًّا} قالت مريم من أين يكون لي غلام ولم يقربني زوج ، ولم أك فاجرة ، تريد أن الولد إنما يكون من نكاح أو سفاح ، ولم يكن هنا واحد منهما [7]. {قَالَ كَذَلِكِ }"أي الأمر كما تقولين من أنك غير متزوجة ولست بغية" [8]. {قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَــيِّنٌ } سهل [9] .{وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ} " أي دلالة وعلامة للناس على قدرة بارئهم وخالقهم الذي نوع في خلقهــم ، فخلق أباهم آدم من غير ذكر ولا أنثى وخلق حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق بقية الذرية من ذكر وأنثى إلا عيسى فإنه أوجده من أنثى بلا ذكر ، فتمت القسمة الرباعية الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه فــلا إلــه غيره ولا رب سواه"[10] . {وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا} وكان خلقه منك أمرا قد قضاه الله ، ومضــى في حكمه وسابق علمه أنه كائن منك [11]. {فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا} أي تنحت بالحمل إلى مكان بعيد ، قال ابن عباس : إلى أقصى الوادي ، وإنما بعدت فراراً من تعيير قومها إياها بالولادة من غير زوج[12] . واختلفوا في مدة حملها فالمشهور عند الجمهور أنها حملت به تسعة أشهر ، وقال عكرمة : ثمانية أشهر ، ولهذا

١- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ٣/٢٦٩-٢٧١.

٢- البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي. مرجع سابق . ٣٠٢/١.

٣ - الشوكاني ،محمد بن علي محمد .فتح القدير . مرجع سابق . ٦٤/٢.

٤- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ٥٩/١٦.

٥- الزحيلي ،وهبة . التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج . مرجع سابق . ٦٨/١٦.

٦- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق ٦٠/١٦.

٧- البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي. مرجع سابق . ١٩١/٣.

٨- الشرقاوي ،أحمد محمد . المرأة في القصص القرآني . مرجع سابق . ٦٨٤/٢.

٩- الأصفهاني، الراغب. المفردات في غريب القرآن . مرجع سابق. ص٥١٤.

١٠- ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ١٢٨/٣.

١١- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ٦٢/١٦.

١٢- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ٩٢/١١

لا يعيش ولد الثمانية أشهر . وعن ابن عباس قال : لم يكن إلا حملت فوضعت وهذا غريب [1]. ويرى عماد حافظ :

"أنه لا يترتب على كمال قدرة الله أن تضع بعد الحمل مباشرة ، فمظهر القدرة والإعجاز في أنها حملت به من غير أب ، لا أنها تلده بعد حمله مباشرة ، ولو كان ذلك أيضاً لما كان لذهابها بعيداً عن قومها فائدة ، إذ أنها هربت لئلا توجه إليها الاتهامات كما أن ظهور علامات الحمل هو مما يحتاج إلى فترة فهل هذا مما يكون في ساعته ، فالصحيح — والله قادر على كل شيء — أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن" [2].

{فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ} أي ألجأها وجاء بها وجع الولادة إلى نخلة يابسة في الصحراء في شدة الشتاء لم يكن لها سعف [3]. {وَكُنتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا} عن ابن عباس قال : لم أخلق و لم أك شيئاً . وعن قتادة قال : أي شيئاً لا يعرف ولا يذكر [4]. {فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي} اختلف المفسرون في المنادي ؟ فقال ابن عباس هو جبريل و لم يتكلم عيسى حتى أتت به قومها ، وكذلك قال سعيد بن جبير والضحاك وغيرهم ، وقال مجاهد : هو عيسى بن مريم ، وهو قول الحسن وأحد الروايتين عن سعيد بن جبير واختاره ابن جرير الطبري في تفسيره[5] . {قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا} والسري : النهر الصغير ، وقيل : تحتك أي جعله الله تحت أمرك إن أمرتيه أن يجري جرى وإن أمرتيه بالإمساك أمسك ، وقيل : كان نهراً يابساً أجرى الله سبحانه فيه الماء [6]. {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا} " أي حركي جذع النخلة تسقط عليك رطباً طرياً طيباً صالحاً للاجتناء والأكل من غير حاجة إلى تخمير وصناعة " [7]. {وَقَرِّي عَيْنًا} "وطيبي نفساً " [8].

{قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا} أي أمراً عظيماً . {يَاأُخْتَ هَارُونَ} أي يا شبيهة هارون في العبادة، وقيل المقصود بهارون هو أخو موسى وكانت من نسله ، وقيل إنه رجل صالح كان فيهم اسمه هارون فكانت تقاس به في الزهادة والعبادة [9]. {فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ} " أي إلى عيسى عليه السلام أن كلموه ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : لما لم تكن لها حجة أشارت إليه ليكون كلامه حجة لها " [10]. {وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا} أي لم يجعلني جباراً مستكبراً عن عبادته وطاعته وبر والدتي ، فأشقى بذلك [11] .

١- ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ١٢٩/٣.
٢- حافظ ،عماد زهير . القصص القرآني بين الآباء والأبناء . مرجع سابق . ص٤٤٢.
٣- البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي. مرجع سابق . ١٩٢/٣.
٤- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ٦٦/١٦.
٥- ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ١٣٠/٣.
٦- البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي. مرجع سابق. ١٩٣/٣.
٧- الزحيلي ،وهبة . التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج . مرجع سابق. ٧٦/١٦.
٨- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ٧٤/١٦.
٩- ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ١٣٢/٣.
١٠- البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي. مرجع سابق . ٣/ ١٩٤.
١١- المرجع السابق . ١٣٣/٣.

{وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا} " حفظته من الحرام وأراد مريم بنت عمران {فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا} أي أمرنا جبرائيل حتى نفخ في جيب درعها ، وأحدثنا بذلك النفخ المسيح في بطنها ، وأضاف الروح إليه تشريفاً لعيسى عليه السلام" [١] .

{وَآوَيْنَاهُمَا} وضممناهما وصيرناهما إلى ربوة {إِلَى رَبْوَةٍ} يعني إلى مكان مرتفع من الأرض على ما حوله[٢] . ثم اختلف المفسرون في مكان هذه الربوة ، فقيل : هي دمشق ، وقيل : الرملة في فلسطين . وقيل : مصر . وقيل : هي بيت المقدس . ورجح الأمام ابن كثير القول بأنه بيت المقدس [٣]. وعن سبب هذا الإيواء قيل : إنه وقت وضعها [٤]. وقيل : " ان ملك ذلك الزمان عزم على قتل عيسى ففرت به أمه إلى أحد هذه الأماكن التي ذكرها المفسرون"[٥]. {ذَاتِ قَرَارٍ} "أي مستوية يستقر عليها ، وقيل : ذات ثمار ولأجل الثمار يستقر فيها الساكنون. {وَمَعِينٍ} ماء جارٍ ظاهر للعيون "[٦] .
{وَكَانَتْ مِنْ الْقَانِتِينَ} "أي المداومين على طاعة الله ، بخشية وخشوع" [٧] .

الأحاديث الواردة في القصة :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : (مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلا وَالشَّيْطَانُ يَمَسُّهُ حِينَ يُولَدُ ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ إِيَّاهُ ، إِلا مَرْيَمَ وَابْنَهَا . ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران : ٣٦])[٨] .

عرض القصة :

أورد القرآن الكريم ذكر قصة الأسرة الصالحة أسرة آل عمران ، وما أظهر الله فيهم من معجزات ، وما منحهم من كرامات . فذكر القرآن الكريم ما كان من نذر امرأة عمران لربها ، بأن تحرر ما في بطنها من ولد لخدمة البيت المقدس ، وعبادة الله ، وقد سألت الله أن يتقبل منها هذا النذر . وعن سبب نذر امرأة عمران ، قال محمد بن إسحاق :

> "كانت فيما يزعمون قد أمسك عنها الولد حتى أسنت ، وكانوا أهل بيت من الله جل ثناؤه بمكان ، فبينا هي في ظل شجرة نظرت إلى طائر يطعم فرخاً لـه ، فتحركت نفسها للولد ، فدعت الله أن يهب لها ولداً ، فحملت بمريم وهلك عمران ، فلما عرفت أن في

١- المرجع السابق . ٢٦٧/٣.

٢- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق .٢٥/١٨.

٣- ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق .٢٧٢/٣.

٤ – السعدي ،عبد الرحمن ناصر . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. مرجع سابق .ص٥٩٦.

٥ – أبوحيان، محمد بن يوسف . تفسير البحر المحيط . مرجع سابق . ٣٧٧/١٧.

٦ – القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق .١٢٧/١٢.

٧ – السعدي ،عبد الرحمن ناصر . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. مرجع سابق .ص٩٥٨.

٨- البخاري ،محمد بن إسماعيل .صحيح البخاري . مرجع سابق . كتاب التفسير . باب { وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم } . رقم الحديث : ٤٥٤٨.

بطـــنها جنيـــنا ، جعلته لله نذيرة ، والنذيرة أن تعبِّده لله ، فتجعله حبسا في الكنيسة ، لا ينتفع به بشيء من أمور الدنيا" [١].

فـــلما وضعت حملها ، استبان أن المولود أنثى وليس ذكراً ، وكان التحرير خاصاً بالذكور دون الإناث ؛ لأنهم أقوى وأصلح لخدمة البيت المقدس . فاهتمَّت لذلك ، ولكن الله تفضل عليها بقبول ابنتها ، دون غيرها للـــتحرير . وقد سبق في علم الله أن هذه الأنثى الموهوبة خير من الذكر ، الذي كانت ترجو امرأة عمران . وسمَّت امرأة عمران المولودة مريم ، تفاؤلاً بهذا الاسم الذي يعني الخادمة والعابدة في لغتهم ، وسألت الله بقلب الأم الحـــنون ، أن يعـــيذها وذريـــتها من الشيطان الرجيم . فاستجاب الله دعاءها وحفظ مريم وذريتها من الشيطان.

ذهبت امرأة عمران بابنتها إلى الكنيسة ، وسلمتها إلى القائمين عليها ، وأخبرتهم بأنها قد حررتها ؛ فتنافس القوم في من يكفل مريم بنت عمران – وهو إمامهم وصاحب قربانهم – فقال لهم زكريا عليه السلام : ادفعوها إليّ فإن خالتها زوجي ، وقيل : أختها . فأبوا ذلك فقد كان كل منهم حريصاً على كفالتها ، حتى اختصموا في أمـــر هذه النذيرة . عن عكرمة قال : ثم خرجت بها – يعني مريم – في خرقها إلى بني الكاهن بن هارون ، أخي موسى عليهما السلام ، وقالت لهم : دونكم هذه النذيرة ، فإني حررتها وهي أنثى ، ولا يدخل الكنيسة حـــائض ، وأنـــا لا أردها إلى بيتي . فقالوا : هذه ابنة إمامنا – وكان عمران يؤمهم في الصلاة – وصاحب قربانـــنا، فقـــال زكريا : ادفعوها لي فإن خالتها تحتي ، فقالوا : لا تطيب أنفسنا هي ابنة إمامنا. فذلك حين اقـــترعوا عليها بأقلامهم التي يكتبون بها التوراة . فقرعهم زكريا فكفلها. وذُكر أنهم ذهبوا إلى نهر الأردن ، واقترعوا هنالك ، على أن يلقوا أقلامهم ، فأيهم يثبت في جرية الماء ؛ فهو كافلها . فألقوا أقلامهم ، فاحتملها المـــاء ، إلا قلم زكريا فإنه ثبت [٢]. فنال بذلك زكريا عليه السلام شرف كفالة النذيرة مريم عليها السلام ، بتوفيق وتقدير من الله .

نشـــأت مريم عليها السلام وترعرعت بين الصالحين ، تتعلم منهم ، وتهتدي بهديهم ، وكان زكريا عليه السلام نعم الأمين وخير مربٍ ، فكان يزورها في محرابها ، ليطلع على حالها ويقوم على أمرها ، وكان يلحظها في المحراب دائمة الطاعة والعبادة لله . وقد أعطى الله هذه المرأة الصالحة من الكرامات ، ما يدل على مكانتها وفضلها ، ومن هذه الكرامات : أن زكريا كان يرى عندها أمراً عجيباً ، كلما زارها ، عن ابن عباس قال : "وجـــد عـــندها ثمار الجنة وفاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف" [٣]. ولم يكن أحد يأتيها بالطعـــام غير زكريا ، فسألها عن من يأتيها بذلك . فقالت بلسان المرأة المؤمنة : هو من عند الله . وكان من كـــرامات مـــريم عليها السلام أن الملائكة كانت تخاطبها مشافهة ، فبشرتها الملائكة باصطفاء الله تعالى لها ، واختيارها دون نساء العالمين ، وكانت الملائكة توصيها بكثرة العبادة والطاعة لله عز وجل ، قال الأوزاعي :

١- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ٢٣٥/٣.

٢- ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ٣٩٠/١.

٣- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ٢٤٦/٣..

"ركـــدت في محرابها راكعة و ساجدة وقائمة ، حتى نزل ماء الأصفر في قدميها" [١]. كما بشرتها الملائكة بأن سيكون لها ولد نبي رسول لبني إسرائيل ، اسمه المسيح عيسى بن مريم ، ذو فضل ومكانة في الدنيا و الآخرة .

إن ما حدث لمريم من أحداث ، إبان حمل أمها بها وتحريرها وولادتها وكفالتها ، وما مُنحته من كرامات؛ كان مقدمة لأمر عظيم أعدت لـــه وهيئت لحمله . ففي أحد الأيام ، خرجت مريم من محرابها ، وانفردت عن أهلها ، تريد العبادة في شرقي المسجد الأقصى . ووقعت لها هناك مفاجأة عظيمة ، فبينا هي في عزلتها ، بعيداً عن أهلها ؛ إذ برجل سوي جميل المظهر قد دخل عليها ، وليس أحد عندها ، فذعرت منه ، وقالت مستعيذة بـــالله : إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً . فهنا كشف لها هذا الرجل عن شخصه ، بأنه ملك رسول من عـــند الله ، جاء ليمنحها ولداً بأمر الله . فتعجبت مريم من أن يكون لها ولد ولا زوج لها ، وليست من أهل الـــبغاء . فرد عليها الملك بأن الله على كل شيء قدير ، ولا يعجزه أن يخلق ولداً بلا أب ؛ فإنما أمره أن يقول كـــن فـــيكون . وما هو إلا أن نفخ الملك جبريل عليه السلام في درعها ؛ فحملت بتلك النفخة بعيسى عليه السلام.

عن وهب بن منبه قال: لما أرسل الله جبريل إلى مريم تمثل لها بشراً سوياً ، فقالت لـــه ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم : ١٨]. ثم نفخ في جيب درعها حتى وصلت النفخة إلى الرحم فحملت[٢] .

وحملـــت مـــريم بعيسى عليهما السلام بلا أب . فأخذتها الهموم والأحزان مما سيقوله الناس في أمر هذا الحمل، وليس لها زوج . ولما استبان حملها خشيت كلام الناس ؛ فانعزلت بحملها بعيداً ، ففاجأتها آلام الولادة وهـــي وحـــيدة ، ليس بجوارها أحد من الناس ، ولجأت لجذع نخلة يابسة لا سعف لها ؛ لتستند إليها من ألم الطلـــق . وفي تلك الحال اجتمع عليها ألمان ، ألم الطلق ، وألم مواجهة الناس بهذا الولد ، فقالت عند ذلك : ياليتني مت قبل هذا . "تمنت مريم عليها السلام الموت من جهة الدين لوجهين : أحدهما أنها خافت أن يظن بها الشر في دينها وتعير فيفتنها ذلك . الثاني: لئلا يقع قوم بسببها في البهتان والنسبة إلى الزنى وذلك مهلك"[٣] . وفي هـــذه الأثناء ، يأتيها صوت حنون ، يؤنس وحدتها ، ويمسح عنها الألم والحزن ؛ إذ هي بمناد يناديها ، يقول لها : لا تخافي من قول الناس ، ولا تحزني مما هو بين يديك ، وانظري لأول كرامات هذا الولد ، أن جعل الله نهـــراً من الماء ، تحت أمرك لتشربي منه ، وهذه رطب النخلة تتساقط عليك للتغذي بها . وعن ابن عباس قال: "كان جذعا يابساً فقال لها هزيه تساقط عليك رطباً جنياً"[٤]. وقري عيناً وطيبـــي نفساً بولدك المبارك . ثم وصاها بأن تمتنع عن الكلام مع الناس ، وتترك وليدها ليدافع عنها ويُبين عذرها . وقال الضحاك :كان من بـــني إسرائيل من إذا اجتهد صام من الكلام كما يصوم من الطعام إلا من ذكر الله[٥]. وذُكر أن هذا المنادي هو جبريل ، وذُكر أنه ولدها عيسى عليهما السلام .

١- ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ٣٨٩/١.

٢- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ٦٢/١٦.

٣- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ٩٢/١١.

٤- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق. ٧١/١٦.

٥- المرجع السابق . ٧٤/١٦.

وبعد أن أصبح عيسى بين يدي أمه ، وتعافت مريم من وجع النفاس ، حملت ولدها وأقبلت به نحو نادي قومها ، فلما أبصروها وما بين يديها ؛ هالهم الأمر وحاروا فيه ، كيف يكون للمرأة الصالحة مريم ولد ، ولا زوج لها ، وهي من بيت طيب مبارك ، بعيد عن الفحش والخنا . فسألوها عن ما بين يديها ، من أين جاء ، ولما كانت مريم صائمة لله أشارت إليهم ، أن سلوا هذا الرضيع من أين هو ؟. فتعجب القوم من إشارتها ، وظنوا أنها تسخر بهم ، فكيف يكلمون طفلاً رضيعاً ، فهنا نطق المولود ، وأقبل عليهم يبين شخصه ويثبت براءة أمه ويتم الآية ، فقال لهم وهو يخاطبهم ويشير بسبابته اليمنى : ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم :٣٠]. فعلم القوم أن الأمر أكبر مما يظنون ، وليس هذا الرضيع كما يحسبون ؛ بل هو آية من آيات الله البينات التي تظهر عظيم قدرته وسلطانه ، فهذا ولد بلا أب ، كما أن آدم بلا أب ولا أم ، وإنما هما نفختان مباركتان ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران:٥٩]. وبهذا تمت المعجزة ، واستبانت الآية ، وأظهر الله – على لسان هذا الرضيع – براءة مريم مما قذفها به القوم . وهنا تنتهي قصة المرأتين الصالحتين مريم وأمها عليهما السلام.

الدلالات التربوية :

١) للأم أثر كبير في تربية الأولاد : كما ظهر في سعي أم مريم إلى تنشئة ابنتها تنشئة صالحة ، فجعلتها محررة لخدمة بيت المقدس .

٢) إن للوراثة أثراً على الأولاد : فصلاح الأبناء يتأثر بصلاح الآباء ، لذلك لما أتت مريم عليها السلام بابنها قومها أنكروا عليها ذلك لصلاح أبويها .

٣) إثبات وجود فروق بين الذكر والأنثى : وذلك في قوله تعالى ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران :٣٦].

٤) أن تسمية المولود على أبويه : وينبغي على الوالدين تسمية الأبناء بالأسماء الحسنة ، كما سمت أم مريم ابنتها بمريم ، وهي تعني في لغتهم العابدة .

٥) على الوالدين تحصين أولادهما من الشيطان الرجيم : كما فعلت امرأة عمران ، لما دعت الله أن يعيذ ابنتها وذريتها من الشيطان الرجيم .

٦) بيان فضيلة العفة والطهارة : فقد أثنى الله في آيات القصة على مريم عليها السلام ، ووصفها بالعفة والطهارة.

٧) يجب على المؤمن أن يتوكل على الله مع الأخذ بالأسباب : "استدل بعض الناس من هذه الآية ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [مريم : ٢٥] .على أن الرزق وإن كان محتوماً ، فإن الله تعالى قد وكّل ابن آدم إلى سعي ما فيه ، لأنه أمر مريم بهز النخلة لترى آية، وكانت الآية تكون بألاّ تهز" [١] .

٨) من وسائل التربية الإسلامية التربية بالعبادة : أخذاً من قول الملائكة لمريم ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران :٤٣].

١- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ٩٥/١١.

المطلب التاسع :

قصة عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك في القرآن الكريم.

الآيات الواردة في القصة :

ذكر القرآن الكريم قصة الإفك والتي قذف فيها عبد الله بن أبي ، أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في موضع واحد فقط :

قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [النور : ١١-٢٠]

تفسير آيات القصة :

{إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ} "بالكذب وهو أسوأ الكذب سمي إفكاً لكونه مصروفاً عن الحق من قولهم : أفـك الشيء إذا قلبه عن وجهه ، وذلك أن عائشة كانت تستحق الثناء لما كانت عليه من الحصانة والشرف فمن رماها بالسوء قلب الأمر عن وجهه" [١]. {عُصْبَةٌ مِنْكُمْ } أي جماعة منكم أيها الناس ، قال ابن عباس : الذيـن افتروا على عائشة عبد الله بن أبيّ ، وهو الذي تولى كبره ، وحسان بن ثابت ، ومسطح ، وحمنة بنت جحـش [٢]. {لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنْ الإِثْمِ } "لكل واحد تكلم في هذه القضية ورمى أم المؤمنين عائشة بالفاحشة نصيب من عذاب عظيم بقدر ما خاض فيه أو عقاب ما اكتسب" [٣].

{وَالَّـذِي تَوَلَّـى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ}أي تحمل معظمه فبدأ بالخوض فيه ، وقال الضحاك : قام بإشاعة الحديث وهو عبد الله بن أبيّ بن سلول [٤]. {لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ} " أي هلا جاءوا بأربعة شهداء على ما زعموا من الافتراء " [٥] . {هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ} " كذب يبهت سامعه لفظاعته"[٦]. {أَفَضْتُمْ فِيهِ

١- البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي. مرجع سابق . ٣٣١/٣.

٢- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ٨٦/١٨ –٨٧ .

٣- الزحيلي ،وهبة . التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج . مرجع سابق . ١٧٨/١٨.

٤- البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي. مرجع سابق . ١٨/ ٣٣١ .

٥- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ٢٠٢/١٢.

٦- الأصفهاني، الراغب. المفردات في غريب القرآن . مرجع سابق. ص٧٣.

عَـذَابٌ عَظِـيمٌ} خضتم فيه[١]. {إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ} أي تقولونه بألسنتكم ، قال مجاهد ومقاتل : يرويه بعضكم عن بعض .

{وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا }وتظنون أنه سهل لا إثم فيه ، وهو عند الله عظيم في الوزر [٢]. {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِـيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا} أي تفشوا في المحصنين والمحصنات ، والفاحشة هي الفعل القبيح المفرط في القبح ، وقيل الفاحشة في هذه الآية القول السيء [٣].

الأحاديث الواردة في القصة :

عَـنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِي اللَّه عَنْهَا ؛ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِي اللَّه عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ : (كَانَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْـرُجَ أَقْـرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِه، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّه ﷺ مَعَهُ . قَالَتْ عَائِشَـةُ: فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا فَخَرَجَ سَهْمِي ، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُول اللَّه ﷺ بَعْدَمَا نَزَلَ الْحِجَابُ ، فَأَنَا أُحْمَـلُ فِي هَوْدَجِي وَأُنْزَلُ فيه . فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّه ﷺ مِنْ غَزْوَته تِلْكَ وَقَفَلَ وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَة قَـافِلِينَ، آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى رَحْلِي ، فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ قَد انْقَطَعَ، فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي وَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ . وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يَرْحَلُونَ لِي فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي ، فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ رَكِبْتُ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنِّي فِيه ، وَكَـانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يُثْقِلْهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا تَأْكُلُ الْعُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ خِفَّةَ الْهَوْدَجِ حِـينَ رَفَعُوهُ ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا ، فَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَمَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ ، فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلا مُجِيبٌ . فَأَمَمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِه ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ . فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَـيْشِ ، فَأَدْلَجَ . فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي ، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ ، فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي ، وَكَانَ رَآنِي قَبْلَ الْحِجَابِ ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِه حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي ، وَاللَّه مَا كَلَّمَنِي كَلِمَةً وَلا سَمِعْتُ مِـنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِه ، حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ عَلَى يَدَيْهَا فَرَكِبْتُهَا ، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَـيْشَ بَعْدَمَا نَزَلُوا مُوغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الإِفْكَ عَبْدَاللَّه بْنَ أُبَيٍّ ابْنَ سَلُولَ . فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ ، فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْتُ شَهْرًا ، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَصْحَابِ الإِفْك ، وَلا أَشْعُرُ بِشَـيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَهُوَ يَرِيبُنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي ، إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّه ﷺ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ: كَيْفَ تِيكُمْ . ثُمَّ يَنْصَرِفُ ، فَذَاكَ الَّذِي يَرِيبُنِي وَلا أَشْعُرُ حَتَّى خَرَجْتُ بَعْدَمَا نَقَهْتُ ، فَخَرَجَتْ مَعِي أُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ الْمَنَاصِعِ ، وَهُوَ مُتَبَرَّزُنَا ، وَكُنَّا لا نَخْرُجُ إِلا لَيْلاً إِلَى لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنُفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا ، وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الأُوَلِ فِي التَّبَرُّزِ قِبَلَ الْغَائِطِ، فَكُنَّا نَـتَأَذَّى بِالْكُنُفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ – وَهِيَ ابْنَةُ أَبِي رُهْمِ بْنِ عَبْدِمَنَافٍ ، وَأُمُّهَا

١- المرجع السابق . ص ٣٩٠

٢- البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي. مرجع سابق . ٣/٣٣٢-٣٣٣ .

٣- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ١٢/٢٠٦.

بنـــتُ صـــخرِ بن عامرٍ خالةُ أبي بكرٍ الصدِّيق ، وابنُها مِسْطَحُ بْنُ أُثاثَة - فأقْبَلْتُ أنا وأُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ بَيْتي قَدْ فَرَغْـــنا مِنْ شأْننا ، فعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ في مِرْطِها ، فقالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ . فقُلْتُ لها : بِئْسَ ما قُلْت ، أتَسُبِّينَ رَجُلا شَهِدَ بَدْرًا ؟ قالَتْ: أيْ هَنْتاهْ ، أوَلَمْ تَسْمَعي ما قالَ ؟ قالَتْ : قُلْتُ: وَما قالَ . قالَتْ : فأخْبَرَتْني بِقَوْلِ أَهْلِ الإفْك ، فازْدَدْتُ مَرَضًا على مَرَضي . فلَمَّا رَجَعْتُ إلى بَيْتي ، وَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّه ﷺ تعْني سَلَّمَ ثُمَّ قالَ : (كَيْفَ تيكُمْ) . فقُلْتُ : أتأْذَنُ لي أنْ آتيَ أبَوَيَّ - قالَتْ: وَأنا حينَئذ أُريدُ أنْ أسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِما - قالَـــتْ : فـــأذِنَ لي رَسُولُ اللَّه ﷺ ، فجِئْتُ أبَوَيَّ ، فقُلْتُ لأُمِّي : يا أُمَّتاهْ ما يَتَحَدَّثُ النَّاسُ ؟ قالَتْ: يا بُنَيَّةُ هَوِّنـــي عَلَـــيْكِ ، فوَاللَّه لَقَلَّما كانَت امْرَأَةٌ قَطُّ وَضيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّها وَلَها ضَرائِرُ إلا كَثَّرْنَ عَلَيْها. قالَتْ: فقُلْـــتُ: سُبْحانَ اللَّه ، أوَلَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذا ؟ قالَتْ : فبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أصْبَحْتُ لا يَرْقَأُ لي دَمْعٌ ، وَلا أكْـــتَحِلُ بِـــنَوْمٍ حَتَّى أصْبَحْتُ أبْكي . فدَعا رَسُولُ اللَّه ﷺ عَلِيَّ بْنَ أبي طالِبٍ وَأُسامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضيَ اللَّه عَـــنْهُما حينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ يَسْتَأْمِرُهُما في فِراقِ أهْلِه . قالَتْ: فأمَّا أُسامَةُ بْنُ زَيْدٍ فأشارَ عَلى رَسُولِ اللَّه ﷺ بِـــالَّذي يَعْلَمُ مِنْ بَراءَةِ أهْلِه، وَبِالَّذي يَعْلَمُ لَهُمْ في نَفْسِه مِنَ الْوُدِّ فقالَ: يا رَسُولَ اللَّه ، أهْلَكَ ، وَلا نَعْلَمُ إلا خَـــيْرًا. وَأمَّـــا عَلِيُّ بْنُ أبي طالِبٍ فقالَ: يا رَسُولَ اللَّه ، لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ وَالنِّساءُ سِواها كَثيرٌ، وَإنْ تَسْأَلِ الْجارِيَـــةَ تَصْدُقْكَ. قالَتْ : فدَعا رَسُولُ اللَّه ﷺ بَريرَةَ ، فقالَ: أيْ بَريرَةُ ، هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَريبُكِ . قالَتْ بَريرَةُ : لا وَالَّذي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، إنْ رَأَيْتُ عَلَيْها أمْرًا أغْمِصُهُ عَلَيْها أكْثَرَ مِنْ أنَّها جارِيَةٌ حَديثَةُ السِّنِّ تَنامُ عَنْ عَجـــينِ أهْلِها فتَأْتي الدَّاجِنُ فتأْكُلُهُ. فقامَ رَسُولُ اللَّه ﷺ فاسْتَعْذَرَ يَوْمَئذٍ مِنْ عَبْدِاللَّه بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ ، فقالَ رَسُـــولُ اللَّه ﷺ ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ : يا مَعْشَرَ الْمُسْلِمينَ مَنْ يَعْذِرُني مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَني أذاهُ في أهْلِ بَيْتي ؟ فوَاللَّه ما عَلِمْتُ عَلَى أهْلي إلا خَيْرًا ، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلاً ما عَلِمْتُ عَلَيْه إلا خَيْرًا . وَما كانَ يَدْخُلُ عَلى أهْلي إلا مَعـــي . فقامَ سَعْدُ بْنُ مُعاذ الأنْصاريُّ فقالَ: يا رَسُولَ اللَّه ، أنا أعْذِرُكَ مِنْهُ ، إنْ كانَ مِنَ الأوْسِ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ ، وَإنْ كانَ مِنْ إخْوانِنا مِنَ الْخَزْرَجِ أمَرْتَنا ففَعَلْنا أمْرَكَ. قالَتْ :فقامَ سَعْدُ بْنُ عُبادَةَ - وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، وَكانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلا صالِحًا وَلَكِنِ احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ - فقالَ لِسَعْد : كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّه ، لا تَقْتُلُهُ وَلا تَقْدِرُ عَلى قَـــتْلِه. فقامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ- وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعاذ- فقالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبادَةَ : كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّه، لَنَقْتُلَنَّهُ ، فإنَّكَ مُنافِقٌ تُجادِلُ عَنِ الْمُنافِقينَ. فتَثاوَرَ الْحَيَّانِ الأوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أنْ يَقْتَتِلُوا وَرَسُولُ اللَّه ﷺ قائِمٌ عَلَـــى الْمِنْبَرِ ، فلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّه ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ . قالَتْ: فبَكَيْتُ يَوْمي ذَلِكَ لا يَرْقَأُ لي دَمْعٌ وَلا أكْتَحِلُ بِنَوْمٍ . قالَتْ: فأصْبَحَ أبَوايَ عِنْدي وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا لا أكْتَحِلُ بِنَوْمٍ وَلا يَرْقَأُ لي دَمْعٌ يَظُـــنَّانِ أنَّ الْبُكاءَ فالِقٌ كَبِدي . قالَتْ: فبَيْنَما هُما جالِسانِ عِنْدي وَأنا أبْكي فاسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الأنْصارِ فأذِنْتُ لَها، فجَلَسَتْ تَبْكي مَعي ، قالَتْ: فبَيْنا نَحْنُ عَلى ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْنا رَسُولُ ﷺ فسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ ، قالَتْ: وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدي ، مُنْذُ قيلَ ما قيلَ قَبْلَها ، وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لا يُوحَى إلَيْه في شَأْني. قالَتْ: فتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّه ﷺ حينَ جَلَسَ ثُمَّ قالَ: أمَّا بَعْدُ يا عائِشَةُ فإنَّهُ قَدْ بَلَغَني عَنْكِ كَذا وَكَذا ، فإنْ كُنْتِ بَريئَةً فسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ ، وَإنْ كُنْـــتِ ألْمَمْتِ بِذَنْبٍ فاسْتَغْفِري اللَّهَ وَتُوبي إلَيْه ، فإنَّ الْعَبْدَ إذا اعْتَرَفَ بِذَنْبِه ثُمَّ تابَ إلَى اللَّه تابَ اللَّهُ عَلَيْه . قالَتْ: فلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّه ﷺ مَقالَتَهُ قَلَصَ دَمْعي حَتَّى ما أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً ، فقُلْتُ لأبي : أجِبْ رَسُولَ اللَّه

ﷺ فيمَا قَالَ . قَالَ : وَاللَّه مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لرَسُولِ اللَّه ﷺ . فَقُلْتُ لأُمِّي : أَجيبي رَسُولَ اللَّه ﷺ . قَالَتْ: مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لرَسُول اللَّه ﷺ .قَالَتْ : فَقُلْتُ – وَأَنَا جَارِيَةٌ حَديثَةُ السِّنِّ لا أَقْرَأُ كَثيرًا منَ الْقُرْآنِ – : إِنِّي وَاللَّه لَقَدْ عَلمْتُ لَقَدْ سَمعْتُمْ هَذَا الْحَديثَ حَتَّى اسْتَقَرَّ في أَنْفُسكُمْ وَصَدَّقْتُمْ به، فَلَئنْ قُلْتُ لَكُمْ : إِنِّي بَرِيئَةٌ – وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ – لا تُصَدِّقُونني بذَلكَ ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بأَمْرٍ – وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي منْهُ بَرِيئَةٌ – لَتُصَدِّقُنِّي . وَاللَّه مَـا أَجدُ لَكُمْ مَثَلا إِلا قَوْلَ أَبِي يُوسُفَ ، قَالَ ﴿فَصَبْرٌ جَميلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصفُونَ ﴾. قَالَتْ : ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فرَاشي . قَالَتْ: وَأَنَا حينَئذ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئي ببَرَاءَتي ، وَلَكنْ وَاللَّه مَا كُنْـتُ أَظُـنُّ أَنَّ اللَّهَ مُنْزِلٌ في شَأْني وَحْيًا يُتْلَى وَلَشَأْني في نَفْسي كَانَ أَحْقَرَ منْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فيَّ بأَمْرٍ يُتْلَى وَلَكِـنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّه ﷺ في النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُني اللَّهُ بهَا. قَالَتْ: فَوَاللَّه مَا رَامَ رَسُولُ اللَّه ﷺ وَلا خَرَجَ أَحَدٌ منْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْه ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ منَ الْبُرَحَاءِ ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ منْهُ مثْلُ الْجُمَان منَ الْعَرَقِ وَهُوَ في يَوْمٍ شَات منْ ثقَلِ الْقَوْلِ الَّذي يُنْزَلُ عَلَيْه . قَالَتْ : فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُول اللَّه ﷺ سُرِّيَ عَنْهُ وَهُوَ يَضْحَكُ ، فَكَانَتْ أَوَّلُ كَلمَة تَكَلَّمَ بهَا : يَا عَائشَةُ أَمَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ بَرَّأَك . فَقَالَتْ أُمِّي : قُومي إِلَيْه .قَالَتْ :فَقُلْتُ: لا وَاللَّه لا أَقُومُ إِلَيْه ، وَلا أَحْمَدُ إِلا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ إِنَّ الَّذينَ جَـاءُوا بـالإِفْك عُصْبَةٌ منْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ ﴾ الْعَشْرَ الآيَات كُلَّهَا. فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا في بَرَاءَتي قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضي اللَّه عَنْه وَكَانَ يُنْفقُ عَلَى مسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لقَرَابَته منْهُ وَفَقْرِه : وَاللَّه لا أُنْفقُ عَلَى مسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْـدَ الَّـذي قَـالَ لعَائشَـةَ مَا قَالَ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ منْكُمْ وَالسَّعَة أَنْ يُؤْتُوا أُولي الْقُرْبَى وَالْمَسَـاكينَ وَالْمُهَاجرِينَ في سَبيلِ اللَّه وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحبُّونَ أَنْ يَغْفرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحيمٌ ﴾ قَـالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللَّه ، إِنِّي أُحبُّ أَنْ يَغْفرَ اللَّهُ لي . فَرَجَعَ إِلَى مسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتي كَانَ يُنْفقُ عَلَيْه وَقَالَ : وَاللَّـه لا أَنْزِعُهَا منْهُ أَبَدًا. قَالَتْ عَائشَةُ : وَكَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ يَسْأَلُ زَيْنَبَ ابْنَةَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي .فَقَالَ: يَا زَيْنَـبُ مَـاذَا عَلمْت أَوْ رَأَيْت . فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّه أَحْمي سَمْعي وَبَصَرِي . مَا عَلمْتُ إِلا خَيْرًا . قَالَتْ: وَهيَ الَّتي كَانَتْ تُسَاميني منْ أَزْوَاجِ رَسُول اللَّه ﷺ فَعَصَمَهَا اللَّهُ بالْوَرَعِ ، وَطَفقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ تُحَارِبُ لَهَا ، فَهَلَكَتْ فيمَنْ هَلَكَ منْ أَصْحَاب الإِفْك) (١) .

عرض القصة :

عائشـة بنـت الصديق أبي بكر رضي الله عنهما ، هي أم المؤمنين زوجة النبي ﷺ ، وتكنى بأم عبد الله ، ولـدت بعد البعثة بأربع أو خمس سنين . تزوجها النبي ﷺ وعمرها ست سنين ، وبنى بها في شوال في السنة الأولى من الهجرة وعمرها تسع سنين ومات عنها وهي ابنة ثمان عشرة سنة ، ولم يتزوج بكراً غيرها ، وتوفيت سنة ثمان وخمسين وقيل سبع وخمسين (٢).

١- البخاري ، محمد بن إسماعيل .صحيح البخاري . مرجع سابق . كتاب التفسير . باب قوله تعالى { لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون ... } . رقم الحديث : ٤٧٥٠.

٢-ابن حجر ، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني . الإصابة في تمييز الصحابة . دار الكتاب العربي . (د.ت) . ٣٤٨/٤.

وقد ذكر القرآن الكريم خبر الإفك ، الذي أشاعه عبد الله بن أبي بن سلول على زوج النبي ﷺ عائشة ، وما أعده الله له من عقوبة ولمن خاض فيه بدون علم . وتبدأ قصة الإفك عندما خرجت عائشة رضي الله عنها مع رسول الله ﷺ في إحدى الغزوات(1) ، وقد كانت تُحمل في هودج ، فلما كان الجيش في طريق العودة إلى المدينة نزلوا منزلاً ، فباتوا فيه بعض الليل ، ثم نودي بالرحيل. فخرجت عائشة حتى جاوزت الجيش تريد قضاء الحاجة ، وكان في عنقها عقد ، فلما رجعت التمست عقدها فلم تجده في عنقها . فعادت باحثة عنه حتى وجدته ، وفي هذه الأثناء أخذ الناس في الرحيل ، وجاء الرجال المسئولون عن ترحيل عائشة فحملوا هودجها ووضعوه على البعير يحسبونها فيه ، و لم يفطنوا لخروجها ،ولا شكُّوا في وجودها ؛ لخفة وزنها ، وسار الجيش وهم يظنون أن عائشة في رحلها . عادت عائشة فوجدت الجيش قد ارتحل ، ومنزلهم خالياً لا أحد فيه . فجلست في منزلهم لعلهم يفقدونها فيرجعوا إليها ، وبقيت على تلك الحال حتى غلبها النوم ، فلم يوقظها إلا صوت رجل يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون . وكان الرجل هو الصحابي الجليل صفوان بن معطل رضي الله عنه ، وكان يتأخر دائماً عن الجيش ، يتفقد ما ينسى أهل الجيش ، أو يقع منهم أثناء سيرهم ، وقيل إنه كان ثقيل النوم فيتأخر عن الجيش بسبب النوم . فعرف صفوان عائشة رضي الله عنهما – وكان يراها قبل نزول الحجاب – فقرب إليها رحله وأجلسه حتى تركبه ، فركبت عائشة الراحلة ، وانطلق صفوان يقودها حتى أدركا الجيش ظهراً ، وقد نزلوا منزلاً ليرتاحوا فيه من عناء السفر. فلما رأى الجيش عائشة وصفوان مقبلين ، قام رأس النفاق عبد الله بن أبي ، فقال كلمة الإفك : "والله ما نجت منه ولا نجا منها ، وقال : امرأة نبيكم باتت مع رجل"(2) . وشاع هذا الكلام في الجيش ، وكان الذين تحدثوا به وأظهروه حسان بن ثابت ، ومسطح بن أثاثة ، وحمنة بنت جحش رضي الله عنهم .

ووصل الجيش إلى المدينة ، ومرضت عائشة شهراً ، وأخذ الناس يتحدثون بحديث الإفك الذي بثه عبد الله بن أبي ، وعائشة لا تشعر بذلك ، ولم تنكر من الأمر شيئاً ، إلا جفوة كانت تجدها من الرسول ﷺ ، لم تعهدها ولم تدرِ ما سببها . وبعد أن أفاقت من مرضها خرجت ليلاً لقضاء الحاجة ، وكانت معها امرأة يقال لها أم مسطح ، وبينما هما في الطريق عثرت أم مسطح في ثوبها ، فقالت : تعس مسطح . فقالت لها عائشة : بئس ما قلتِ أتسبين رجلاً شهد بدراً !. فقالت لها: والله ما أسبه إلا فيك ، ألم تسمعي ما قالوا . فأخبرت أم مسطح عائشة بقول أهل الإفك . قال أبو محمد بن أبي جمرة : "يحتمل أن يكون قول أم مسطح هذا عمداً لتتوصل إلى إخبار عائشة بما قيل فيها وهي غافلة ، ويحتمل أن يكون اتفاقاً أجراه الله على لسانها لتستيقظ عائشة من غفلتها عما قيل فيها" (3) . فلما علمت عائشة رضي الله عنها ما يخوض فيه الناس ، عادت إلى بيتها وقد زادت مرضاً على مرضها وأصابتها الحمى . فلما جاء الرسول ﷺ استأذنته في زيارة أبويها ؛ فأذن لها . فذهبت إلى أمها وسألتها عما يقول الناس . فقالت لها تريد أن تخفف عنها وقع الكلام : يا بنية هوني على نفسك الشأن فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر إلا أكثرن عليها . فأخذت عائشة

١- هي غزوة بني المصطلق وكانت في السنة الخامسة من الهجرة على القول الأرجح.

٢- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ١٩٩/١٢.

٣- ابن حجر ، أحمد بن علي. . فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . توزيع المكتبة التجارية ، مكة المكرمة . (د.ت) .٤٦٦/٨.

تبكي ، فسمع أبو بكر صوتها – وهو فوق البيت يقرأ – فقال لأمها : ما شأنها ؟. فقالت : بلغها الذي ذكر في شـــأنها . ففاضت عيناه ، وقال لها : أقسمت عليك يا بنية إلا رجعت إلى بيتك .فرجعت ، وظلت تبكي ليلها ويومها كله (١) .

واشـــتد خبر الإفك على رسول الله ﷺ ، حتى بدأ يشاور في هذا الأمر ، فاستشار رسول الله ﷺ علي بن أبي طالـــب وأســـامة بـــن زيد رضي الله عنهما في فراق عائشة ، وكانا أهل مشورته في كل أمر يخص أهله لمكانهمـــا، فأما أسامة فقال : أهلك يارسول الله ،لا نعلم والله إلا خيراً . وقال علي : يارسول الله ، لم يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثير ، وسل الجارية تصدقك . وكلام عليّ رضي الله عنه حمله عليه ترجيح جانب النبي ﷺ لما رأى عنده من القلق والغم ، وكان ﷺ شديد الغيرة ، فرأى عليّ أنه إذا فارقها ؛ سكن ما عنده من القلق بسببها ، إلى أن يتحقق من براءتها فيراجعها ، قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة : "لم يجزم علي بالإشارة بفراقها لأنه عقب ذلك بقوله سل الجارية تصدقك ففوض الأمر في ذلك إلى نظر النبي ، فكأنه قال : إن أردت تعجيل الراحة ففارقها ، وإن أردت خلاف ذلك فابحث عن حقيقة الأمر إلى أن تطلع على براءتها " (٢) .

فأخذ رسول الله ﷺ بمشورة عليّ ، فسأل الجارية بريرة – وكانت تخدم عائشة – عن أمر عائشة ، ورأيها فيها ، فقال لها : يا بريرة هل رأيت فيها شيئاً يريبك؟. فقالت : لا ، والذي بعثك بالحق ، إن رأيت منها أمراً أعيبه عليها ، أكثر من أنها جارية حديثة السن ، تنام عن العجين ؛ فتأتي الداجن فتأكله . تريد أنها تصنع الطعام فيغلبها النوم لصغر سنها فتنام ، فتأتي الحيوانات الداجنة فتأكل الطعام . وسأل رسول الله ﷺ عن عائشة زوجه زينب بنت جحش ، فقالت : يا رسول الله ، أحمي سمعي وبصري ، والله ما علمت عليها إلا خيراً .

ثم خرج رسول الله ﷺ للناس ، ورقى المنبر ، وخطب ، فتشهد وحمد الله وأثنى عليه ، وقال : من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي ؛ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً ، وذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً ، وما كان يدخل على أهلي إلا معي . ومراد النبي من ينصرني منه . فقام سعد بن معاذ وهو سيد الأوس فقال : يارسول الله ، أنا أعذرك منه ، إن كان من الأوس ضربنا عنقه ، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمـــرك . فلما سمع المقال سعد بن عبادة وكان سيد الخزرج أخذته الحمية ، فقال : كذبت لعمر الله ، والله لا تقتله ولا تقدر على ذلك . فثار أسيد بن الخضير – وكان أوسياً – فقال لسعد بن عبادة : كذبت لعمر الله ، والله لنقتلنـــه ، فـــإنك منافق تجادل عن المنافقين . فكثر الجدل بين الأوس والخزرج حتى هموا بالقتال ، فنزل رسول الله ﷺمن المنبر وأسكتهم .

وظلت عائشة تبكي ليلتها ويومها ، وجاء إليها أبواها وهي ما زالت تبكي ، حتى أشفقا عليها أن تهلك من شدة البكاء ، واستأذنت عليهم امرأة من الأنصار ؛ فأذنت لها عائشة ، فجلست تبكي معها . ودخل رسول الله ﷺ عليهم وهم على ذلك الحال ، ولم يجلس عندها منذ قيل عنها ما قيل . فتشهد وحمد الله ، ثم قال : يا عائشة إنه بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب ؛

١- المرجع السابق . ٤٦٧/٨.

٢- المرجع السابق . ٤٦٨/٨.

فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب ، تاب الله عليه . فلما سمعت عائشة بمقال رسول الله ﷺ جف دمعها من شدة الحزن والغضب ، وطلبت من أبويها أن يردا على رسول الله ﷺ ، فقال كل منهما : والله لا أدري ما أقول لرسول الله . فهنا تشهدت عائشة ، وحمدت الله ، ثم قالت : إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما يتحدث به الناس ، ووقر في أنفسكم ، وصدقتم به ؛ وإن قلت لكم إني بريئة -والله يعلم أني بريئة - لا تصدقوني ، ولأن اعترفت لكم بأمر - والله يعلم إني بريئة - لتصدقني ، ثم قالت : والله ما أجد لي ولكم مثلاً ، إلا قول أبا يوسف - وقد نسيت اسم يعقوب من شدة المصيبة - ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف : ١٨] . ثم تحولت عائشة عن مكانها ، واضطجعت على فراشها ، وهي ترجو أن يبرئها الله .

وفي تلك الساعة نزل الوحي على رسول الله ﷺ ، وهو لم يبرح مجلسه ، ولا من كان عنده ، فعلم كل من كان في المجلس أن الوحي قد جاء لرسول الله ؛ لما أصابه من الكرب ، لشدة الوحي ، وتقاطر عرقه كأنه حبات الجمان . فأما عائشة فكانت واثقة بأن الله لن يظلمها ، وسيظهر براءتها ، وأما أبواها فوقعا في شدة وكرب ، حتى لتكاد أنفسهما تخرج فرقاً ، من أن يصدق الوحي الناس فيما قالوا ، فلما سري عن الرسول ضحك حتى بدت نواجذه ، ومسح وجهه ، وقال : يا عائشة احمدي الله ، فقد برأك الله . فأمرتها أمها أن تقوم وتشكر النبي . فقالت عائشة : لا والله ،لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله . ثم تلا رسول الله ما أنزل عليه من الآيات في تلك الساعة قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور : ١١- ٢٠]. ثم خرج رسول الله إلى الناس وتلاها عليهم ، وأمر بالحد أن يقام على من قالوا وكانوا ثلاثة ، هم حسان بن ثابت ، ومسطح بن أثاثة ، وحمنة بنت جحش رضي الله عنهم ، أما عبد الله بن أبي فلما يقم عليه الحد ، قيل لأنه كان يستخفي به ولا يظهره ، وقيل لأن الحدود هي كفارة لأهل الإيمان وهو منافق وهو الذي تولى كبره فعذابه مؤخر إلى يوم القيامة [1] .

ولما استيقن أبو بكر من براءة ابنته ، أقسم أن يقطع النفقة عن مسطح ؛ لقذفه ابنته عائشة ، وكان رجلاً فقيراً ذا قرابة ، ينفق عليه أبو بكر. فأنزل الله ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور : ٢٢] . فقال أبو بكر : بلى والله ، إني لأحب أن يغفر الله لي . وأعاد النفقة إلى مسطح . وإلى هنا تنتهي قصة حادثة الإفك ، والتي كانت درساً عظيماً للجماعة المؤمنة في المدينة ، وإثبات لطهارة عرض النبي ﷺ .

الدلالات التربوية :

١) التربية بالأحداث : وذلك بتربية المجتمع المدني المسلم بالأحداث الجارية ، فجاءت آيات القصة مشتملة على توجيهات عدة للجماعة المؤمنة في المدينة على الموقف الواجب عليهم حيال مثل هذه الأحداث ، وتبيين أوجه الصواب والخطأ فيها، مع إنزال المواعظ والأحكام الخاصة بتلك الأحداث .

١- القرطبي ، محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ٢٠٢/١٢.

٢) حرص الإسلام على البناء الأسري : فشرع الإسلام الكثير من الأحكام والحدود ووضع الآداب التي تساعد على بناء أسرة مسلمة سليمة ، ومنها تحريم القذف إلا بوجود شهود .

٣) حمايـة الإسـلام للأعراض : فقد جاء الإسلام بتشريعات ووضع حدوداً لحماية الأعراض ، فوضع حداً للواط والزنا، كما ظهر هنا حد القذف .

٤) إن المؤمـنين كـنفس واحدة : أخذاً من قوله تعالى ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ [النور: ١٢].

٥) أدب الصحابة رضوان الله عليهم في معاملة النساء المسلمات ولا سيما نساء النبي : وهكذا ينبغي للرجل المؤمن أن يكون تقياً بعيداً عن التهمة في تعامله مع النساء [١] .

٦) " تحريم ظن السوء بمن عرف بالصلاح" [٢] : أخذاً من قوله عز وجل ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ [النور: ١٢].

٧) "حفاظ المرأة المؤمنة على التستر والحجاب أخذاً من قول عائشة : كنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل ذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا " [٣].

---

١ - الحميد ،محمد ناصر . قصص النساء في القرآن الكريم . مرجع سابق . ص٢٠٢.

٢ - المرجع السابق .ص١٩٩.

٣ - المرجع السابق .ص٢٠٣.

المطلب العاشر :

قصة أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها في القرآن الكريم.

الآيات الواردة في القصة :

ذكر القرآن الكريم قصة زواج رسول الله ﷺ من زينب بنت جحش رضي الله عنها في موضع واحد : قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الأحزاب : ٣٦-٣٧]

تفسير آيات القصة :

{وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ} بالإسلام {وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ} وأنعم عليه رسول الله ﷺ بالعتق من الرق والتربية. {أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ} أي لا تفارقها ، واصبر على ما جاءك منها [١]. وذلك أن زيداً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : إن زينب تؤذيني بلسانها ، وتفعل ، وتفعل ؛ وإني أريد أن أطلقها. فقال له رسول الله: أمسك عليك زوجك واتق الله [٢] .

{وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ}: اختلف المفسرون في تأويل هذه الآية : فذهب قتادة وابن زيد وجماعة من المفسرين ، منهم الطبري وغيره إلى أن النبي ﷺ وقع منه استحسان لزينب بنت جحش ، وهي في عصمة زيد ، وكان حريصاً على أن يطلقها زيد فيتزوجها ، ثم إن زيداً لما أخبره بأنه يريد فراقها ، ويشكو منها غلظة قولٍ وعصيان أمرٍ وأذى باللسان وتعظماً بالشرف ، قال له : اتق الله — أي فيما تقول عنها — وأمسك عليك زوجك . وهو يخفي الحرص على طلاق زيد إياها. وهذا الذي كان يخفي في نفسه ، ولكنه لزم ما يجب من الأمر بالمعروف. وذهب أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين كالزهري والقاضي بكر بن العلاء القشيري و القاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم من العلماء رحمهم الله، إلى أن المراد أن الله قد أعلم نبيه أن زينب هي من أزواجه ، قال علي بن الحسين رحمه الله : إن النبي ﷺ كان قد أوحى الله تعالى إليه أن زيداً يطلق زينب ، وأنه يتزوجها بتزويج الله إياها ، فلما تشكّى زيد للنبي خلق زينب ، وأنها لا تطيعه ، وأعلمه أنه يريد طلاقها قال له رسول الله على جهة الأدب والوصية : اتق الله في قولك وأمسك عليك زوجك . وهو يعلم أنه سيفارقها ويتزوجها ، وهذا الذي أخفى في نفسه، ولم يرد أن يأمره بالطلاق لما علم أنه سيتزوجها[٣].

قال الإمام القرطبي "فأما ما روي أن النبي ﷺ هوى زينب امرأة زيد — وربما أطلق بعض المجان لفظ عشق —

---

١ - السعدي ،عبد الرحمن ناصر . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. مرجع سابق .ص٧٢٥.

٢- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ١٨٩/١٤.

٣- المرجع السابق . ١٨٩/١٤-١٩٠.

فهـــذا إنما يصدر عن جاهل بعصمة النبي عن مثل هذا ، أو مستخف بحرمته" [١] . وقال الخازن " وهذا إقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي وبفضله ، وكيف يقال : رآها فأعجبته ، وهي بنت عمته و لم يزل يراها مـــنذ ولـــدت ولا كـــان النساء يحتجبن منه ﷺ وهو زوّجها لزيد ، فلا يشك في تنـزيه النبي أن يأمر زيداً بامساكها وهو يحب تطليقه إياها"[٢] . {وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ} والخشية هنا المقصود بها كراهية مـــا يـــرجف به المنافقون في تزوج نساء الأبناء [٣] . {فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا} : " الوطر هو الحاجـــة والأرب أي لما فرغ منها وفارقها زوجناكها " [٤]. والمعنى قضى زيد حاجته من نكاحها وانقضت عدها و لم يكن له ميل قلبي لها.

الأحاديث الواردة في القصة :

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: (لَمَّا انْقَضَتْ عِدَّةُ زَيْنَبَ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِزَيْد : فَاذْكُرْهَا عَلَيَّ . قَالَ: فَانْطَلَقَ زَيْدٌ حَــتَّى أَتَاهَا، وَهِيَ تُخَمِّرُ عَجِينَهَا ، قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُهَا عَظُمَتْ فِي صَدْرِي، حَتَّى مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا، أَنَّ رَسُــولَ اللَّـــه ﷺ ذَكَــرَهَا ، فَوَلَّيْتُهَا ظَهْرِي ،وَنَكَصْتُ عَلَى عَقِبِي، فَقُلْتُ : يَا زَيْنَبُ! أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُكِ، قَالَتْ: مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئًا حَتَّى أُوَامِرَ رَبِّي ، فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ ، وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ ، قَالَ: فَقَالَ : وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَطْعَمَنَا الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ حِينَ امْتَدَّ النَّهَارُ فَخَــرَجَ النَّاسُ وَبَقِيَ رِجَالٌ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْبَيْتِ بَعْدَ الطَّعَامِ ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاتَّبَعْتُهُ، فَجَعَلَ يَتَتَبَّعُ حُجَرَ نِسَـائِهِ يُسَــلِّمُ عَلَيْهِنَّ، وَيَقُلْنَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ ؟ قَالَ: فَمَا أَدْرِي أَنَا أَخْبَرْتُهُ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ خَــرَجُوا أَوْ أَخْــبَرَنِي ، قَـــالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ ، فَذَهَبْتُ أَدْخُلُ مَعَهُ، فَأَلْقَى السِّتْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَنَزَلَ الْحِجَابُ ، قَالَ: وَوُعِظَ الْقَوْمُ بِمَا وُعِظُوا بِهِ) [٥] .

عرض القصة :

أم المؤمـــنين زينـــب هي زينب بنت جحش بن رياب الأسدي. وهي هاشمية قرشية ، وأمها أميمة بنت عبدالمطلـــب ، عمة رسول الله ﷺ . تزوجها النبي ﷺ سنة ثلاث ، وقيل سنة خمس للهجرة ، وعمرها خمس وثلاثون سنة ، وكانت أول زوجات النبي ﷺ لحاقاً به ، فقد ماتت سنة عشرون [٦] .

وقبل زواج النبي ﷺ بها ، خطبهـــا لمولاه زيد رضي الله عنه ، فأبت هي وأهلهـــا هذا الزواج ، فأنزل الله ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٦]. فأطاعوا الله ورسوله وتزوجت زينب بزيد . وأخبر الله عز وجل رسوله ﷺ أن

١- المرجع السابق . ١٤/١٩١.

٢- الخازن . تفسير الخازن. مرجع سابق . ٥/٢٦٢.

٣- أبوحيان، محمد بن يوسف . تفسير البحر المحيط . مرجع سابق . ٢٢/٢٢٦.

٤- ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ٣/٥٤٠.

٥- القشيري ،مسلم بن الحجاج . صحيح مسلم. مرجع سابق . كتاب النكاح . باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب وإثبات وليمة العرس . رقم الحديث : ١٤٢٨.

٦- ابن حجر ، أحمد بن علي. الإصابة في تمييز الصحابة . مرجع سابق . ٤/٣٠٧-٣٠٨

زينب هي من أزواجه ، فأخفى رسول الله ﷺ هذا الأمر ؛ خشية أن يقول الناس أن محمداً تزوج زوجة ابنه . قال علي بن الحسين : "وخشي رسول الله ﷺ أن يلحقه قول من الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد ، وهو مولاه ، وقد أمره بطلاقها ، فعاتبه الله هذا القدر من أن خشي الناس في شيء قد أباحه الله له ، بأن قال : أمسك ، مع علمه بأنه يطلق . وأعلمه أن الله أحق بالخشية ، أي في كل حال" (١) .

فما زال يكون بين زيد وزينب ما يكون بين الأزواج ، حتى ساءت العشرة بينهما ، فجاء زيد يشكو زينب لرسول الله ﷺ ، ويستأذنه في طلاقها . فقال له رسول الله : أمسك عليك زوجك واتق الله . فيستجيب زيد لرسول الله ﷺ وينصرف عن طلاقها . فما هو إلا أن يعود لشكواه ، فيرجع إلى رسول الله . ورسول الله ﷺ يأمره في كل مرة بإمساكها ، ثم إن زيداً طلقها .

ولما انقضت عدة زينب ، أمر رسول الله ﷺ زيداً ، أن يذهب ويخطبها لرسول الله ﷺ ، " وهذا امتحان لزيد واختبار له حتى يظهر صبره وانقياده وطوعه " (٢) . فلما جاءها زيد وجدها تخمر عجيناً لها ، فقال لها : يا زينب أرسل رسول الله ﷺ يذكرك ، قالت : ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي ، فقامت زينب وصلت لله واستخارته عز وجل في هذا الأمر . فأنزل الله الآيات ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ ، فجاء رسول الله ﷺ ودخل على زينب ، "بغير إذن ولا تجديد عقد ولا تقرير صداق ولا شيء مما يكون شرطاً في حقوقنا ومشروعاً لنا" (٣) . فقد كان زواجه منها بأمر إلهي . "فكانت زينب تفخر بذلك على أزواج النبي ﷺ ، تقول: زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات" (٤) . وبهذا أصبحت زينب رضي الله عنها زوجاً لرسول الله ﷺ وأماً للمؤمنين ، وكان زواج النبي ﷺ منها لتقرير حكم شرعي ؛ وهو إبطال عادة التبني وما يتصل بها من أمور شرعية ، وبيان جواز زواج المتبني بزوجة من تبناه .

الدلالات التربوية :

١) حرص الصحابة على طاعة الله ورسوله : فقد أطاعت زينب وأخوها رسول الله ﷺ في زواجها بزيد وأطاع زيد رسول الله ﷺ في الذهاب لخطبة زينب للنبي ﷺ.

٢) إن التفاضل في الإسلام مبني على الدين والتقوى : فقد زوج رسول الله ﷺ ابنة عمته القرشية زينب ذات الحسب والنسب بزيد مولاه .

٣) حرص الإسلام على إصلاح ذات بين الزوجين ومنع وقوع الطلاق ما أمكن كما فعل النبي ﷺ .

١- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ١٩٠/١٤.

٢- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ١٩٢/١٤.

٣- المرجع السابق . ١٩٣/١٤.

٤- البخاري ، محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري . مرجع سابق . كتاب التوحيد . باب { وكان عرشه على الماء} . رقم الحديث : ٧٤٢٠.

٤) "ان التعليم الفعلي أبلغ من التعليم القولي"[١] :وظهر ذلك في زواج النبي ﷺ من زينب ليعلّم الأمة جواز ذلك.

٥) مشروعية الاستخارة في كل الأمور: فعن جابر بْنُ عبدالله السَّلَميّ قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ الاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا ، كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ)[٢] .

---

١ – السعدي ،عبد الرحمن ناصر . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. مرجع سابق .ص٧٢٦.

٢– البخاري ، محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري .مرجع سابق . كتاب التوحيد . باب قوله تعالى { قل هو القادر} . رقم الحديث : ٧٣٩٠.

المطلب الحادي عشر :

قصة عائشة وحفصة رضي الله عنهما في قضية التحريم في القرآن .

الآيات الواردة في القصة :

وذكر القرآن الكريم قصة تحريم رسول الله ﷺ على نفسه أمراً ؛ إرضاء لأزواجه ، في موضع واحد :

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝ ﴾ [التحريم : ١-٥].

تفسير آيات القصة :

{ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ } : "أي ياأيها الرسول النبي ، لماذا تمنع نفسك مـــن بعض ما أباح الله لك ، قاصداً إرضاء أزواجك " [١]. واختلف المفسرون فيما حرم رسول الله ﷺ على نفسه فقيل إنه حرم جاريته ماريه القبطية ، وقيل إنه حرم على نفسه شرب العسل وقيل غير ذلك . قال الإمام الشـــوكاني: "فهـــذان سببان صحيحان لنـــزول الآية ، والجمع ممكن بوقوع القصتين: قصة العسل ، وقصة ماريـــه، وأن القرآن نزل فيهما جميعاً ، وفي كل واحد منهما أنه أسر الحديث إلى بعض أزواجه " [٢]. {تَبْتَغِي مَرْضَـــاةَ أَزْوَاجِكَ} "وهو جلب رضا الأزواج لأنه أعون على معاشرتهن" [٣]. {تحلة} " أي بين ما تنحل به عقدة أيمانكم من الكفارة"[٤]. {وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا} قال كثير من المفسرين: "هي حفصة ، أم المؤمـــنين رضي الله عنها ، أسر لها النبي حديثاً ، وأمر أن لا تخبر به أحداً ، فحدثت به عائشة رضي الله عـــنهما "[٥]. وقيل إن النبي ﷺ أسر إليها تحريم فتاته على نفسه ، وقال الكلبي : أسر إليها أن أباك وأبا عائشة يكونان خليفتين على أمتي من بعدي [٦]. {فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ } "فلما أخبرت بالحديث الذي أسر إليها رسول الله ﷺ صـــاحبتها . {وَأَظْهَـــرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ } اطلعه على المنبأ به [٧]. {عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ} "عرَّف حفصة بعض ما أوحي إليه من أنها أخبرت عائشة بما نهاها عن أن تخبرها، وأعرض عن بعض تكرماً"[٨]. {فَقَدْ

١- الزحيلي ،وهبة . التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج . مرجع سابق . ٣٠٦/٢٨.

٢- الشوكاني ،محمد بن علي محمد .فتح القدير . مرجع سابق . ٢٥٢/٥.

٣- ابن عاشور ، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير . مرجع سابق . ٣٤٧/٢٨.

٤- الأصفهاني، الراغب. المفردات في غريب القرآن . مرجع سابق. ص١٣٥.

٥- السعدي ،عبد الرحمن ناصر . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. مرجع سابق .ص٩٥٦.

٦- البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي. مرجع سابق . ٣٦٣/٤-٣٦٤.

٧- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. جلال ، محمد أحمد . تفسير الجلالين . مرجع سابق. ص٤٧٦.

٨- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ١٨٧/١٨.

صَـــغَتْ قُلُوبُكُمَا}"أي : مالت وانحرفت عما ينبغي لهن ، من الورع والأدب ، مع الرسول ﷺ ، واحترامه ، وأن لا يشققن عليه" [(١)]. {وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ} "أي وإن تتعاضدا وتتعاونا على ما يسوؤه ويؤذيه بسبب الغيرة والرغبة في إفشاء سره " [(٢)]. {قَانِتَاتٍ} مطيعات والقنوت الطاعة . {سَائِحَاتٍ} صائمات ، قاله ابن عباس والحسن وابن جبير ، وقال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن ويَمَان : مهاجرات [(٣)].

الأحاديث الواردة في القصة :

عَنْ عَائِشَةَ رَضِي اللَّه عَنْهَا قَالَتْ : (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَشْرَبُ عَسَلا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَيَمْكُثُ عِنْدَهَا ، فَوَاطَأْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ عَلَى أَيَّتِنَا دَخَلَ عَلَيْهَا فَلْتَقُلْ لَهُ : أَكَلْتَ مَغَافِيرَ ؟ إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ، قَالَ: لا وَلَكِنِّي كُنْتُ أَشْرَبُ عَسَلا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ ، فَلَنْ أَعُودَ لَهُ ، وَقَدْ حَلَفْتُ لا تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَدًا)[(٤)]

عَنْ أَنَسٍ (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَتْ لَهُ أَمَةٌ يَطَؤُهَا ، فَلَمْ تَزَلْ بِهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ حَتَّى حَرَّمَهَا عَلَى نَفْسِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ)[(٥)] .

عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللَّه عَنْهمَا قَالَ : (لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ رَضِي اللَّه عَنْه عَنِ الْمَرْأَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَيْنِ قَالَ اللَّهُ لَهُمَا ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ فَحَجَجْتُ مَعَه ، فَعَدَلَ وَعَدَلْتُ مَعَهُ بِالإِدَاوَةِ ، فَتَبَرَّزَ ، حَتَّى جَاءَ فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الإِدَاوَةِ، فَتَوَضَّأَ . فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَنِ الْمَرْأَتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَانِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمَا ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ فَقَالَ: وَا عَجَبِي لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، عَائِشَـــةُ وَحَفْصَةُ . ثُمَّ اسْتَقْبَلَ عُمَرُ الْحَدِيثَ يَسُوقُهُ فَقَالَ : إِنِّي كُنْتُ وَجَارٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ، فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ – وَهِـــيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ – وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَيَنْزِلُ يَوْمًا، وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ مِنْ خَبَرِ ذَلِـــكَ الْيَوْمِ مِنَ الأَمْرِ وَغَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَهُ . وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى الأَنْصَارِ إِذَا هُمْ قَوْمٌ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ ، فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَأْخُذْنَ مِنْ أَدَبِ نِسَاءِ الأَنْصَارِ ، فَصِحْتُ عَلَى امْرَأَتِي ، فَرَاجَعَتْنِي ، فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي. فَقَالَتْ : وَلِمَ تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ؟ فَوَاللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ لَيُرَاجِعْنَهُ ، وَإِنَّ إِحْدَاهُنَّ لَتَهْجُرُهُ الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ. فَأَفْزَعَتْـــنِي . فَقُلْـــتُ : خَابَـــتْ مَنْ فَعَلَتْ مِنْهُنَّ بِعَظِيمٍ . ثُمَّ جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ . فَقُلْتُ : أَيْ حَفْصَـــةُ، أَتُغَاضِبُ إِحْدَاكُنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ ؟ فَقَالَتْ : نَعَمْ . فَقُلْتُ: خَابَتْ وَخَسِرَتْ . أَفَتَأْمَنُ أَنْ يَغْضَـــبَ اللَّهُ لِغَضَبِ رَسُولِهِ ﷺ فَتَهْلِكِينَ ؟ لا تَسْتَكْثِرِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلا تُرَاجِعِيهِ فِي شَيْءٍ ، وَلا تَهْجُرِيهِ، وَاسْأَلِينِي مَا بَدَا لَكِ . وَلا يَغُرَّنَّكِ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكِ هِيَ أَوْضَأَ مِنْكِ وَأَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ – يُرِيدُ عَائِشَةَ–. وَكُنَّا تَحَدَّثْنَا أَنَّ غَسَّانَ تُنْعِلُ النِّعَالَ لِغَزْوِنَا ، فَنَزَلَ صَاحِبِي يَوْمَ نَوْبَتِهِ ، فَرَجَعَ عِشَاءً فَضَرَبَ بَابِي ضَرْبًا شَدِيدًا. وَقَالَ : أَنَائِمٌ هُـــوَ ؟ فَفَزِعْتُ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ ، وَقَالَ: حَدَثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ ، قُلْتُ: مَا هُوَ ، أَ جَاءَتْ غَسَّانُ ؟ قَالَ : لا ، بَلْ أَعْظَمُ مِنْهُ

---

١ – السعدي ،عبد الرحمن ناصر . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. مرجع سابق .ص٩٥٦.

٢– الزحيلي ،وهبة . التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج . مرجع سابق . ٣٠٩/٢٨.

٣– القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ١٩٣/١٨.

٤– البخاري ، محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري . مرجع سابق . كتاب تفسير القرآن . باب { يأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك } . رقم الحديث : ٤٩١٢.

٥– النسائي، أحمد بن شعيب .سنن النسائي . بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي. وبحاشيته الإمام السندي.دار القلم. بيروت . (د. ت). كتاب عشرة النساء . باب الغيرة . رقم الحديث : ٣٩٥٩. وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي . مكتب التربية العربي لدول الخليج . ١٤٠٩هـــ . ٨٣١/٣.

وَأَطْـولُ ، طَلَّـقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِساءَهُ . قَالَ : قَدْ خَابَتْ حَفْصَةُ وَخَسِرَتْ . كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ هَذَا يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ فَجَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي ، فَصَلَّيْتُ صَلاةَ الْفَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَدَخَلَ مَشْرُبَةً لَهُ فَاعْتَزَلَ فِيهَا. فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ ، فَإِذَا هِيَ تَبْكِي . قُلْتُ : مَا يُبْكِيكِ ، أَوَلَمْ أَكُنْ حَذَّرْتُكِ ؟ أَطَلَّقَكُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَتْ: لا أَدْرِي ، هُوَ ذَا فِي الْمَشْرُبَةِ. فَخَرَجْتُ فَجِئْتُ الْمِنْبَرَ ، فَإِذَا حَوْلَهُ رَهْطٌ يَبْكِي بَعْضُهُمْ، فَجَلَسْتُ مَعَهُمْ قَلِيلاً . ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ ، فَجِئْتُ الْمَشْرُبَةَ الَّتِي هُوَ فِيهَا ، فَقُلْتُ لِغُلامٍ لَهُ أَسْوَدَ : اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ. فَدَخَلَ فَكَلَّمَ النَّبِيَّ ﷺ ، ثُمَّ خَرَجَ . فَقَالَ: ذَكَرْتُكَ لَهُ فَصَمَتَ . فَانْصَرَفْتُ حَتَّى جَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ الْمِنْبَرِ. ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ ، فَجِئْتُ - فَذَكَرَ مِثْلَهُ- فَجَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِيـنَ عِنْدَ الْمِنْبَرِ . ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ، فَجِئْتُ الْغُلامَ فَقُلْتُ : اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ - فَذَكَرَ مِثْلَهُ - فَلَمَّا وَلَّيْتُ مُنْصَرِفًا فَإِذَا الْغُـلامُ يَدْعُونِي قَالَ : أَذِنَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمَالِ حَصِيرٍ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِـرَاشٌ ، قَدْ أَثَّرَ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ، مُتَّكِئٌ عَلَى وِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ :طَلَّقْتَ نِسَـاءَكَ ؟ فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَيَّ فَقَالَ: لا. ثُمَّ قُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ أَسْتَأْنِسُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ رَأَيْتَنِي وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى قَوْمٍ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ .. فَذَكَرَهُ . فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ . ثُمَّ قُلْتُ : لَوْ رَأَيْتَنِي وَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَقُلْـتُ: لا يَغُرَّنَّكِ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكِ هِيَ أَوْضَأَ مِنْكِ وَأَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - يُرِيدُ عَائِشَةَ - فَتَبَسَّمَ أُخْرَى فَجَلَسْتُ حِـينَ رَأَيْـتُهُ تَبَسَّمَ. ثُمَّ رَفَعْتُ بَصَرِي فِي بَيْتِهِ ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ فِيهِ شَيْئًا يَرُدُّ الْبَصَرَ غَيْرَ أَهَبَةٍ ثَلاثَةٍ، فَقُلْتُ: ادْعُ اللَّهَ فَلْيُوَسِّعْ عَلَى أُمَّتِكَ ، فَإِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ وُسِّعَ عَلَيْهِمْ وَأُعْطُوا الدُّنْيَا وَهُمْ لا يَعْبُدُونَ اللَّهَ . وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: أَوَفِي شَكٍّ أَنْـتَ يَـا ابْنَ الْخَطَّابِ ؟ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا . فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اسْتَغْفِرْ لِي . فَاعْتَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْحَدِيثِ حِينَ أَفْشَتْهُ حَفْصَةُ إِلَى عَائِشَةَ ، وَكَانَ قَدْ قَالَ : مَا أَنَا بِدَاخِلٍ عَلَيْهِنَّ شَهْرًا ، مِنْ شِدَّةِ مَوْجِدَتِهِ عَلَيْهِنَّ حِينَ عَاتَبَهُ اللَّهُ . فَلَمَّا مَضَتْ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَبَدَأَ بِهَا ، فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ : إِنَّكَ أَقْسَمْتَ أَنْ لا تَدْخُلَ عَلَيْنَا شَهْرًا ، وَإِنَّا أَصْبَحْنَا بِتِسْعٍ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً ، أَعُدُّهَا عَدًّا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ . وَكَانَ ذَلِكَ الشَّهْرُ تِسْعًا وَعِشْرِينَ. قَالَتْ عَائِشَةُ : فَأُنْزِلَتْ آيَةُ التَّخْيِيرِ، فَبَدَأَ بِي أَوَّلَ امْرَأَةٍ فَقَالَ: إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا ، وَلا عَلَيْكِ أَنْ لا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ . قَالَتْ : قَدْ أَعْلَمُ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِكَ . ثُمَّ قَـالَ : إِنَّ اللَّهَ قَالَ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ ﴾ - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩]. قُلْتُ : أَفِي هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ ، فَإِنِّي أُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ . ثُمَّ خَيَّرَ نِسَاءَهُ فَقُلْنَ مِثْلَ مَا قَالَتْ عَائِشَةُ)(١)

عرض القصة :

كان رسول الله ﷺ يطيل المكوث عند زوجه زينب بنت جحش رضي الله عنها ؛ يشرب عسلاً ، فغارت من ذلك حفصة وعائشة رضي الله عنهما ، وكانتا متظاهرتين ، دون باقي زوجات النبي ﷺ ، فتآمرتا على أنه إذا دخل عليهما ؛ يقولا : إني أجد منك ريح مغافير- رائحة كريهة - . فلما جاء إلى إحداهما قالت له ذلك ، فقـال : لا ، ولكني كنت أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش ؛ فلن أعود لـه ، وقد حلفت ، لا تخبري بذلك أحداً. وحرم بذلك على نفسه شرب العسل . فذهب في اليوم التالي إلى زينب رضي الله عنها ، فقدمت لـه العسل ، فامتنع عن شربه مرة أخرى ؛ لأجل ما قالت عائشة وحفصة.

١- البخاري ،محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري . مرجع سابق . كتاب المظالم والغضب . باب الغرفة والعلية والمشرفة في السطوح وغيرها . رقم الحديث : ٢٤٦٨.

وذكر أيضاً أن حفصة خرجت لزيارة أبيها ، بعد أن استأذنت النبي ﷺ ، فلما رجعت وجدت رسول الله ﷺ مع أمته ماريه القبطية في بيتها ، فغضبت من ذلك ، فحرم رسول الله ﷺ على نفسه جاريته ؛ إرضاءً لها وتطيباً لخاطرها . فأسرعت حفصة إلى عائشة ، تخبرها بتحريم رسول الله ﷺ على نفسه العسل أو ماريه ، وكان النبي ﷺ قد أمرها بكتمان هذا السر ، وذكرت بعض الروايات ، أن النبي أسر إليها أن أباها وأبا عائشة يكونان خليفتين للمسلمين من بعده .

فأنزل الله أول سورة التحريم ، عتاباً لطيفاً لرسول الله ﷺ ؛ لتحريمه على نفسه ما أحل الله له ، مرضاة لأزواجه. وأعلم الله عز وجل نبيه ﷺ بإفشاء حفصة لسره ، وإخبارها عائشة ، فأخبر الرسول حفصة "ببعض ما أخبرت به عائشة وهو تحريم الأمة وأعرض عن بعض يعني ذكر الخلافة" (١). فسألته حفصة : من أخبرك هذا. و لم تشك أن صاحبتها أخبرت عنها ، فقال لها : إن الله أطلعه على ما فعلت وهو العليم الخبير . ثم أمر الله عز وجل حفصة وعائشة بالتوبة ، من هذه المظاهرة والتعاون على إيذاء الرسول . وهددهما إن هما عادتا لإيذاء النبي ﷺ ، أن ينصره الله وجبريل والملائكة وصالح المؤمنين ، وخوفهما بأن يطلقهن ، ويبدل الله عز وجل رسوله ﷺ بنساء خير منهن ، متصفات بصفات الكمال والجلال . وكانت عائشة وحفصة رضي الله عنهما نساء مؤمنات صالحات ، فأسرعن لإجابة الله ورسوله ، وتبن توبة نصوحاً . وقد غضب رسول الله ﷺ من زوجاته لما كان من فعل حفصة وعائشة وآلى منهن شهراً .

الدلالات التربوية :

١) الحث على حسن العشرة بين الأزواج ومراعاة الحقوق والواجبات : فقد كان تحريم رسول الله ﷺ على نفسه ما حرم إرضاء لزوجاته ، كما أنه لما عاتبهما على إفشاء سره كان عتاباً لطيفاً لا شدة فيه .

٢) إن الإسلام دين سماحة ويسر وليس دين تشدد وغلو ، لذلك نهى المسلمين عن تحريم ما أحل الله لهم ، ووضع لهم الكفارة إن هم وقعوا في ذلك .

٣) " تعليم الأزواج أن لا يكثرن من مضايقة أزواجهن فإنها ربما أدت إلى الملال فالكراهية فالفراق" (٢) .

٤) خطورة إيذاء رسول الله ﷺ : أخذاً من تهديد عائشة وحفصة رضي الله عنهما بالطلاق ، والاستبدال ، ومحاربة الله وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة ، لهما إن عادتا لأذيته .

٥) "وجوب كتم السر : أخذاً من عتاب النبي ﷺ لحفصة رضي الله عنها على إفشائها السر" (٣)

٦) الحكمة في معالجة الأخطاء : فقد عاتب الله رسوله عتاباً لطيفاً لما حرم على نفسه ما أحله الله له ، كما أن رسول الله عاتب أزواجه عتاباً لطيفاً ، لما تظاهرن عليه وأفشين سره .

١- البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي. مرجع سابق . ٣٦٤/٤.

٢- ابن عاشور ، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير .مرجع سابق . ٣٤٥/٢٨.

٣ - الحميد ،محمد ناصر . قصص النساء في القرآن الكريم . مرجع سابق . ص ٢٢١.

المطلب الثاني عشر:

قصة المجادلة رضي الله عنها في القرآن الكريم .

الآيات الواردة في القصة :

وردت قصة خولة بنت ثعلبة – المجادلة – في القرآن في موضع واحد فقط :

قال تعالى ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١ ﴾ [المجادلة : ١].

تفسير آيات القصة :

{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ} " سمع الله تعالى قول تلك المرأة التي جاءت تجـادل رسول الله ﷺ في أمر زوجها الذي ظاهر منها"(١) .

{قَـوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ} : " تخاصمك وتحاورك وتراجعك في زوجها " (٢). " والمجادلة هنا : بمعنى التحاور ، وهي المراجعة في الكلام لتبيين المخرج من الازمة " (٣) .

الأحاديث الواردة في القصة :

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ : قَالَتْ عَائِشَةُ : (تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ ، إِنِّي لَأَسْمَعُ كَلَامَ خَوْلَةَ بِنْـتِ ثَعْلَبَةَ ، وَيَخْفَى عَلَيَّ بَعْضُهُ ، وَهِيَ تَشْتَكِي زَوْجَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ تَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكَلَ شَـبَابِي ، وَنَـثَرْتُ لَهُ بَطْنِي، حَتَّى إِذَا كَبِرَتْ سِنِّي، وَانْقَطَعَ وَلَدِي ، ظَاهَرَ مِنِّي ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ. فَمَا بَرِحَـتْ حَـتَّى نَزَلَ جِبْرَائِيلُ بِهَؤُلَاءِ الْآيَاتِ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ ﴾)(٤).

عَنْ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ ، عَنْ خُوَيْلَةَ بِنْتِ مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، قَالَتْ: (ظَاهَرَ مِنِّي زَوْجِي أَوْسُ بْنُ الصَّامِتِ ، فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَشْكُو إِلَيْهِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُجَادِلُنِي فِيهِ ، وَيَقُولُ : اتَّقِي اللَّهَ ، فَإِنَّهُ ابْنُ عَمِّكِ. فَمَا بَرِحْتُ حَتَّى نَزَلَ الْقُرْآنُ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ إِلَى الْفَرْضِ. فَقَالَ: يُعْتِقُ رَقَبَةً. قَالَتْ: لا يَجِدُ. قَالَ: فَيَصُومُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ. قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ شَيْخٌ كَبِيرٌ مَا بِهِ مِنْ صِيَامٍ. قَالَ : فَلْـيُطْعِمْ سِـتِّينَ مِسْكِينًا. قَالَتْ: مَا عِنْدَهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَصَدَّقُ بِهِ. قَالَتْ : فَأُتِيَ سَاعَتَئِذٍ بِعَرَقٍ مِنْ تَمْرٍ. قُلْتُ: يَا

١- الشرقاوي ،أحمد محمد . المرأة في القصص القرآني . مرجع سابق . ٨٤٧/٢.

٢- البغوي ،الحسين بن مسعود الفراء . تفسير البغوي. مرجع سابق . ٣٠٤/٤

٣- الزحيلي ،وهبة . التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج . مرجع سابق . ١٢/٢٨.

٤- ابن ماجة ،محمد بن يزيد. سنن ابن ماجه . مرجع سابق . أبواب الطلاق . باب الظهار . رقم الحديث : ٢٠٦٣. صححه الألباني . ١٨٤/٢.

رَسُولَ اللَّهِ فَإِنِّي أُعِينُهُ بِعَرَقٍ آخَرَ. قَالَ: قَدْ أَحْسَنْتِ اذْهَبِي فَأَطْعِمِي بِهَا عَنْهُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ، وَارْجِعِي إِلَى ابْنِ عَمِّكِ)[1].

عرض القصة :

ذكــر القرآن الكريم في سوره قصة المجادلة ، خولة زوجة أوس بن الصامت رضي الله عنهما. وكان أوس رجل قد كبر سنه ، وساء خلقه ، فعن هشام بن عروة : إن خولة كانت تحت أوس بن الصامت وكان رجــلاً به لمم – اللمم طرف من الجنون يلم بالإنسان أي يعتريه، وقيل : شدة الميل إلى النساء – ، فكان إذا اشتد لممه ظاهر من امرأته فأنزل الله تعالى فيه كفارة الظهار [2] ، فنازعته خولة في أمرٍ فغضب منها ، وقال لها : أنــتِ عليّ كظهر أمي . فذهبت خولة تشكو لرسول الله ﷺ ما فعل زوجها ، فقالت : يارسول الله ، أكل شبابي ، ونثرت لــه بطني ، حتى إذا كبرت سني ، وانقطع لــه ولدي ، ظاهر مني ، اللهم إني أشكو إليك . فأنزل الله في شأنها آيات الظهار . فقال لها رسول الله ﷺ : يعتق رقبة . قالت : لا يجد . قال : فيصوم شهرين متتابعين . قالت :يا رسول الله ، إنه شيخ كبير ما به من صيام . قال: فليطعم ستين مسكيناً . قالت: ما عنده من شيء يتصدق به . قالت: فأني ساعتئذ بعرق من تمر . قلت: يا رسول الله فإني أعينه بعرق آخر. قال :قد أحسنت اذهبي فأطعمي بها عنه ستين مسكيناً ، وارجعي إلى ابن عمك.

الدلالات التربوية :

١) مــن أساليب التربية القرآنية التربية بالأحداث : فقد أنزلت هذه السورة لتبين حكم الظهار ، وهو عادة جاهلية ظالمة ، تترك به المرأة معلقة ، لا ذات زوج ولا مطلقة .

٢) السؤال عما يجهله الإنسان : أخذاً من مجيء خولة للرسول ﷺ ، تسأله عن ظهار زوجها .

٣) جواز المجادلة في طلب الحق وإظهاره[3] : أخذاً من مجادلة خولة للرسول ﷺ طلباً للمخرج .

٤) تربــية المؤمــن عــلى التوجه إلى الله والالتجاء إليه عند وقوع البلاء : كما التجأت المجادلة لله تدعوه أن يكشف كربها .

٥) رعايــة الله وتربيته للجماعة المسلمة في مختلف أمور الحياة : ونزول هذه السورة للحكم في مسألة الظهار بين الأزواج دليل على ذلك .

٦) إن الإسلام دين عدل وسماحة ولا يرضى بوقوع الظلم على أي فرد من أفراده : كما ظهر ذلك في تحريمه لمظاهرة الرجل لزوجته ، لما فيه من الظلم لها .

١– ابو داود ،سليمان بن الأشعث . سنن أبي داود .مرجع سابق . كتاب الطلاق . باب في الظهار . رقم : ٢٢١٤. قال عنه الألباني في صحيح سنن أبي داود : وهذا اسناد حسن لغيره ٦/٤١٧.

٢– ابو داود ،سليمان بن الأشعث . سنن أبي داود .مرجع سابق . كتاب الطلاق . باب في الظهار . رقم ٢٢١٩. قال عنه الألباني في سنن أبو داود: مرسل صحيح الاسناد ٦/٤٢١.

٣ – الحميد ،محمد ناصر . قصص النساء في القرآن الكريم . مرجع سابق . ص٢٢٧.

المطلب الثالث عشر :

قصة أم جميل امرأة أبي لهب في القرآن الكريم.

الآيات الواردة في القصة :

جاء ذكر قصة أم جميل امرأة أبي لهب في القرآن الكريم في موضع واحد فقط :

قال تعالى ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبۡلٌ مِّن مَّسَدِۭ ۝ ﴾ [المسد :٤-٥]

تفسير آيات القصة :

{حَمَّالَةَ الْحَطَبِ} : اختلف المفسرون رحمهم الله في المقصود بحمالة الحطب على أقوال أجملها فيما يلي : الأول : "يعني تحمل الحطب فتلقيه على زوجها ليزداد على ما هو فيه " [١] . الثاني: عن ابن عباس قال : كانت تحمل الشوك فتطرحه على طريق النبي ﷺ ليعقره وأصحابه. الثالث : وعن مجاهد قال : كانت تمشي بالنميمة [٢]. الرابع: وقال قتادة وغيره : "كانت تعيِّر رسول الله ﷺ بالفقر ، ثم كانت مع كثرة مالها تحمل الحطب على ظهرها ، لشدة بخلها ، فعيِّرت بالبخل " [٣]. الخامس : قال سعيد بن جبير : "حمالة الخطايا والذنوب" [٤] .

{فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ} في جيدها "عنقها " [٥]. قال سعيد بن المسيب : "كانت لها قلادة فاخرة فقالت : لأنفقنها في عداوة محمد ، يعني فأعقبها الله حبلاً في جيدها من مسد النار " [٦]. وتعددت أقوال المفسرين في المقصود بالمسد : فقال البعض المسد الليف ،عن سفيان قال :حبل في عنقها في النار مثل طوق طوله سبعون ذراعاً. وقال آخرون : المسد الحديد الذي يكون في البكرة ، عن مجاهد قال :الحديد للبكرة [٧] . وقال آخرون : هو قلادة من ودع في عنقها . والودع : خرز بيض تخرج من البحر تتفاوت في الصغر والكبر. وقال مجاهد وعروة بن الزبير : تدخل من فيها ، وتخرج من أسفلها ويلوي سائرها على عنقها [٨]. قال الطبري " وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال : هو حبل جُمع من أنواع مختلفة" [٩] . "ويحتمل أن يكون المعنى : أن حالها يكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل حزمة الشوك فلا

١- ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ٦٠١/٤.

٢- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ٣٣٨/٣٠-٣٣٩.

٣- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ٢٤٠/٢٠.

٤- المرجع السابق . ٢٤٠/٢٠.

٥- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ٣٤٠/٣٠.

٦- ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ٦٠١/٤.

٧- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ٣٤٠/٣٠-٣٤١.

٨- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ٢٤٢/٢٠.

٩- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ٣٤١/٣٠.

يـــزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجر الزقوم أو الضريع وفي جيدها حبل من مسد من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه " (١) .

الأحاديث الواردة في القصة :

لم تجد الباحثة أحاديث نبوية — صحيحة أو حسنة — لها تعلق بقصة امرأة أبي لهب الواردة في القرآن.

عرض القصة :

إبان الدعوة المحمدية في مكة المكرمة — حرسها الله — كانت هناك امرأة تترصد إيذاء رسول الله ﷺ، قولاً وفعلاً ، سطر القرآن الكريم عداوتها ، كما سطر جزاءها ، هذه المرأة هي حمالة الحطب ، أم جميل ، زوجة أبي لهب ، وهي أخت أبي سفيان رضي الله عنه ، وكانت هي وزوجها من ألد أعداء النبي ﷺ .

وقـــد كان من شأنها أنها كانت تنثر الشوك أمام بيت النبي ﷺ ؛ ليتأذى به عند الخروج ، وتعيره بالفقر ، كما كانت معينة لزوجها أبي لهب على حملته على الإسلام ورسوله وأهله . ولما نزلت سورة المسد ، وسمعت ما نزل فيها وفي زوجها ، أتت رسول الله ﷺ ، وهو جالس في المسجد عند الكعبة ، ومعه أبو بكر الصديق ، وفي يدها حجارة ، تريد أن تضرب بها رسول الله ﷺ ، قال ابن إسحاق :

> "فذكر لي أن أم جميل حمالة الحطب حين سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق وفي يدها فهر من حجـــارة ، فـــلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله فلا ترى إلا أبا بكر ، فقالت : يا أبا بكر أين صاحبك ؟ قد بلغني أنه يهجوني والله لو وجدته لضربته بهذا الفهر فاه ، وأما والله إني لشاعرة ، ثم قالت :
>
> مذمماً عصينا وأمره أبينا ودينه قلينا
>
> ثم انصرفت ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ، أما تراها رأتك ؟. فقال :ما رأتني لقد أخذ الله ببصرها عني" (٢) .

لقد ماتت حمالة الحطب بما كانت تعده لحرب الإسلام . قال مرة الهمداني : كانت أم جميل تأتي كل يوم بابالـــة — الحـــزمة الكبيرة — من الحسك ، فتطرحها على طريق المسلمين ، فبينما هي حاملة ذات يوم حزمة أعيـــت فقعدت على حجر لتستريح ، فجذبها الملك من خلفها فأهلكها . وقال الضحاك وغيره :كانت تعير الـــنبي ﷺ بالفقر وهي تحتطب في حبل تجعله في جيدها من ليف ، فخنقها الله عز وجل به فأهلكها ، وهو في الآخرة حبل من نار (٣) .

١- أبوحيان، محمد بن يوسف . تفسير البحر المحيط . مرجع سابق . ٥٢٨/٨ .

٢- ابن هشام، محمد عبد الملك .السيرة النبوية . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . (د. ت) . ٣٦٦/١-٣٦٧ .

٣- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ٢٤٠/٢٠.

الدلالات التربوية :

١) إن المـــال والحســـب لا يغني عن المرء شيئاً يوم القيامة ، ولا ينجيه من عذاب جهنم ، فلن ينجي أبا لهب وزوجته مالهما وجاههما يوم القيامة .

٢) إن الجزاء من جنس العمل : فكل إنسان مجازى على عمله إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، وقد جوزيت أم جمـــيل عـــلى حملها للشوك وإلقائه في طريق النبي ﷺ ؛ بأن لها في نار جهنم حبلاً من نار تحتطب به ، وتلقي حطبها على زوجها أبي لهب ؛ لتزيد في عذابه .

٣) إن مـــن وسائل التربية ، التربية بالعقوبة والترهيب : فقد جاءت هذه السورة تهديداً وترهيباً ، لأبي لهب وزوجه من إيذاء النبي ﷺ .

خلاصة الفصل :

ومع نهاية هذا الفصل ، يظهر بجلاء كيف أن الدين الإسلامي قد كرم المرأة ورفع من شأنها ، بعد أن كانت مهملة مسلوبة الحقوق مهانة الإنسانية . فأبان أنها كيان إنساني ذو شخصية مستقلة ومكلف وحر ، لها حقوق كما أن عليها واجبات ، وقد جاء القصص القرآني معبراً عن هذه الصورة ، حيث أظهر أن الرجل والمرأة يتماثلان في النواحي الإنسانية ويختلفان في النواحي الوظيفية .

وقد وضعت الباحثة في هذا الفصل تعريف قصص النساء في القرآن ، فعرفتها بأنها : كل قصة قرآنية كانت المرأة إحدى شخصياتها . وفي هذا الفصل تم إيضاح تعدد تصنيف الباحثين لقصص النساء في القرآن ، تبعاً لاختلاف المعيار المبني عليه التقسيم ، وظهرت في ثلاثة معايير : بحسب المكانة الاجتماعية أو القرابة ، وبحسب العصر ، وبحسب النبي الوارد في القصة . وقد أضافت الباحثة إليها نوعين باعتبار زمن وقوع القصة ، فقسم إلى ثلاثة أقسام هي : القصص التاريخية ، والقصص الواقعية ، والقصص التمثيلية . وباعتبار حجم القصة، فقسم إلى ثلاثة أقسام أيضاً هي : الطويلة والمتوسطة والقصيرة .

كما استخلصت الباحثة من الدراسات السابقة لقصص النساء في القرآن مزاياها ، فظهر أن لها العديد من المزايا تتقدمها ميزة أن إيراد المرأة في القصص القرآني يكون تبعاً لأهداف القصة ومقاصدها وليس بقصد الاغراء أو جذب القارئ ، كما بان في الفصل أن أدوار المرأة في قصص القرآن جاءت متنوعة ما بين أم وأخت وزوجة وبنت إلى غير ذلك ، إلى جانب تنوع الموضوعات التي وردت في هذه القصص . وقد أكد الفصل أن القرآن سار على منهجه في ذكر اسم المرأة في القصص ، والذي ظهر من قبل في التسميات التي تأتي في القصص القرآني ، حيث إن القرآن لا يذكر التسمية إلا إذا تعلقت به مزيد فائدة وتحقيق غرض للقصة .

وقد عرض المبحث الثاني في هذا الفصل قصص النساء في القرآن ، وقامت الباحثة فيه بدراسة مجموعة مختارة من قصص النساء في القرآن الكريم ، وكان عددها ثلاث عشرة قصة . وعرض هذا الفصل قصص النساء في القرآن الكريم ، ببيان مواضعها في المصحف الجليل ، وتفسير آياتها ، ومن ثم ذكر الآيات والأحاديث ذات الصلة بالقصة ، وتأسيساً على ذلك ، تقوم الباحثة باستعراض أحداث القصة ووقائعها ، مع استنباط شيء من دلالاتها التربوية ، والهدف من كل ذلك ، هو الاسترشاد بها في استنباط القيم الخلقية المحتوى في هذه القصص .

ومن أهم الملاحظات التي سجلها هذا الفصل ، التنوع الكبير في المجالات والجوانب ، التي تعالجها القصة القرآنية ، ما بين مبادئ وأهداف وقيم إسلامية ، وأبعاد جسمية وعقلية واجتماعية ووجدانية ، إضافة إلى تضمنها العديد من الأساليب التربوية ، التي تؤكد على أن التربية الإسلامية هي تربية متكاملة متنوعة في المجالات والجوانب والأساليب التربوية المستخدمة في بناء شخصية إنسانية مسلمة كاملة .

ومع نهاية هذا الفصل تكون الدراسة قد أجابت على سؤالها الأول . والفصل التالي يفصح عن الذخائر الخلقية المكنونة في هذه القصص ، والتي جمعت مع روعة البيان ، دقة النَّظم الخلقي الإسلامي وإحكامه. ليمثل إجابة على سؤال الدراسة الثاني .

الفصل الرابع :

تحليل القيم الخلقية في قصص النساء في القرآن الكريم

مدخل :

منطلقات منهجية .

بعد أن عرضت الدراسة في الفصل السابق قصص النساء في القرآن الكريم ، ووضحت مفهومها ومزاياها وأحداث قصصها ، تعكف في هذا الفصل على استنباط القيم الخلقية الواردة في هذه القصص ، وذلك عن طريق تحليلها ، وتحديد ما احتوته من قيم خلقية إيجابية أو سلبية . حيث ترى الدراسة أن للقيمة حداً ذا قطبين : أحدهما إيجابي ، والآخر سلبي . والقيمة السلبية هي عبارة عن مزيج ، يتألف من الشكل الذي تنزع القيمة إلى ارتدائه ، ومن الشكل عينه بعد هدمه . فهي بذلك تنبثق من تفاعل هجين بين الشكل ، واللاشكل الذي يقابله ، والقيمة السلبية لا تعني غياباً للقيمة ، فلو كانت كذلك لما عنيت بها نظرية القيم إطلاقاً ؛ وإنما هي تعبر عن درجة الانحراف والتشوه للقيمة [1]. ووجود القيم السلبية مقابلة للقيم الإيجابية يبين معنى وأهمية القيم الإيجابية ، ويرسم حدودها ، ويدرك منها الإنسان أن إهمال القيم الإيجابية أو تركها تتعرض لعوامل الهدم والتأثير السلبي ؛ يقود دوماً إلى تشوهها وظهورها في قيم سلبية غير مرغوب فيها ، وعند ذلك لا يقتصر أثر انتشار هذه القيم السلبية على الفرد ؛ بل يشمل مجتمعه والبشرية .

وقد استخدمت الدراسة أسلوب تحليل المحتوى لاستنباط القيم الخلقية من قصص النساء في القرآن الكريم، وكان ذلك وفق المنهجية التالية :

أولاً : **عينة الدراسة:** تعني الدراسة بالبحث في قصص النساء الواردة في القرآن الكريم ، وتقتصر الدراسة على ثلاث عشرة قصة من هذه القصص ، وقد سبق تحديدها ودراستها ، وذكر سبب اختيارها في الفصول السابقة.

ثانياً: **فئات التحليل:** لتحديد فئات التحليل قامت الدراسة بتحديد مبدئي لبعض القيم الخلقية التي احتوتها قصص النساء في القرآن الكريم ، ثم عمدت لاختيار خمس عشرة قيمة خلقية من هذه القيم ؛ لتكون فئات للتحليل ، وجاءت على النحو التالي : الطاعة ، والصبر ، والأمانة، والصدق ، والحكمة ، والرحمة ، والحياء ، والعفة ، والكرم ، والوفاء ، والمحبة ، والشجاعة ، والغيرة ، والتعاون ، والشورى. وتقتصر الدراسة على هذه القيم مراعاة للحدود الزمنية للدراسة ، واعتمدت الباحثة في اختيار هذه القيم على أهم القيم الخلقية التي ينبغي على الأسرة غرسها في نفوس الفتيات ، مرتبة بحسب أهميتها التربوية .

ثالثاً : **وحدات التحليل** المستخدمة في الدراسة وحدتان :

١) وحدة الكلمة : " وهي أصغر وحدات التحليل وقد تكون الكلمة رمزاً أو مصطلحاً وتستخدم الكلمة كوحدة لتحليل المحتوى في مواقف مختلفة" [2] .وقد استخدمت الدراسة هذه الوحدة لمعرفة مدى ورود القيمة الخلقية في قصص النساء في القرآن بلفظ صريح . حيث قامت الدراسة بتحديد آيات

١- العوا ، عادل . العمدة في فلسفة القيم . دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر. ١٩٨٦م. ص٣٩١.

٢- عبيدات ، ذوقان وآخرون . البحث العلمي مفهومه أدواته أساليبه. دار أسامة للنشر والتوزيع . ١٩٩٩م. ص٢٠٥.

قصص النساء في القرآن والتي وردت فيها هذه القيمة الخلقية بلفظها بحديها ، الإيجابي والسلبي على اختلاف تصريفاتها ، مع ذكر تكرارها.

٢) وحدة الموقف: ويقصد بها "الموقف الذي ترسمه آية أو أكثر ويعتبر الموقف وحدة تحليل رئيسية تندرج تحتها وحدات تحليل فرعية هي ملامح الشخصية الرئيسية في الموقف ، ملامح الشخصيات الأخرى ، والظروف التي يتم فيها الموقف" [١]. أي أن تدل أحداث القصة ومواقفها على اتصاف شخصية القصة بقيمة خلقية معينة إيجابية أو سلبية.

رابعاً : **صدق التحليل** : " ويقصد بالصدق أو الصحة هو صلاحية الأسلوب أو الأداة لقياس ما هو مراد قياسه ، أو بمعنى آخر هو صلاحية أداة البحث في تحقيق أهداف الدراسة" [٢] . وهناك عدة طرق لقياس الصدق ، وقد اعتمدت الدراسة على طريقة صدق المحتوى ، " ويعتمد على التحليل المنطقي لعناصر أداة التحليل وفقراتها ، للبحث عن مدى قدرة الأداة على تمثيل المحتوى المراد تحليله وقياسه بدقة" [٣]. وحتى تصل الدراسة إلى هذا الصدق فقد قامت بأمرين :

١) الدقة في تحديد عينة التحليل :عن طريق التحديد الدقيق لآيات قصص النساء في القرآن ، وتحديد مواضعها في القرآن ، ومن ثم تفسير آيات هذه القصص ، وذكر أقوال المفسرين والعلماء ، بما يسهم في تكوين صورة متكاملة عن هذه القصص ، وقد ساعد هذا الأمر في تحديد فئات التحليل والتي تظهر من خلال هذه المواقف .

٢) الدقة في تعريف فئات التحليل: فقامت الدراسة بعد تحديد فئات التحليل بتوضيح مفهوم كل منها ، مع وضع تعريف إجرائي لها ، وبيان أقسامها ، ومواضع ورود كل القيمة في كل قصة على حدة ، مع دعم ذلك بأقوال العلماء.

خامساً :**ثبات التحليل** : "والثبات يعني من الناحية النظرية ضرورة الوصول إلى اتفاق كامل في النتائج بين الباحثين الذين يستخدمون نفس الأسس والأساليب" [٤]. ولقياس الثبات طرق مختلفة ، منها طريقة إعادة الاختبار وهو "من أكثر الطرق مناسبة لتقدير الثبات في دراسات تحليل المحتوى"[٥] . وقد قامت الدراسة بالتأكد من ثبات التحليل عن طريق إعادة الباحثة لتحليل آيات قصص النساء في القرآن الكريم أكثر من مرة ، وباستخدام نفس الإجراءات وفي فترات زمنية مختلفة .

هذا وقد راعت الدراسة عند تحليل ورود القيمة الخلقية في قصص النساء الأمور التالية :

- يكون تحديد ورود القيمة بصورة لفظية في قصص النساء في القرآن مقتصراً على حدود ألفاظ الآيات القرآنية الواردة في قصص النساء في القرآن ، والتي سبق تحديدها في الفصول السابقة . ويكون تحديد ورود القيمة بصورة ضمنية في حدود عرض القصة وتفسير آياها والأحاديث الواردة فيها.

١- حريري ،عبدالله محمد أحمد . القيم في القصص القرآني الكريم . مرجع سابق . ص٢٢.

٢- عبد الحميد ، محمد . تحليل المحتوى في بحوث الإعلام . دار الشروق . جدة . ١٤٠٤هـ . ص٢٢٣.

٣- طعيمة، رشدي . تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية مفهومه أسسه استخداماته. دار الفكر العربي . ص١٧٣.

٤- عبد الحميد ، محمد . تحليل المحتوى في بحوث الإعلام . مرجع سابق . ص٢١١.

٥- طعيمة، رشدي . تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية مفهومه أسسه استخداماته . مرجع سابق . ص١٧٦.

- تقصد الدراسة بورود القيمة بصورة إيجابية أن تظهر أحداث القصة أن الشخصية – في جميع مواقف القصة أو بعضـــها – اتصفت بالقيمة بصورة صحيحة ، تمثل وجهة نظر التربية الإسلامية لمفهوم القيمة ،وكيفية تطبـــيقها. بيـــنما تقصد الدراسة بورود القيمة بصورة سلبية أن تُظهر أحداث القصة اتصاف شخصية في القصة بالقيمة بصورة غير صحيحة ، ولا تمثل وجهة نظر التربية الإسلامية . وقد يكون ذلك بسبب تشوه في مفهومهـــا لـــدى الشخصية ، أو نتيجة قصور في التطبيق في بعض المواقف ، أو أن يكون انحرافاً كلياً للقيمة ، ومن أمثلة تشوه المفهوم صبر امرأة أبي لهب على أذية رسول الله ﷺ والمسلمين دفاعاً عن دينها. أما القصور فيتمثل في تقصير أم المؤمنين حفصة في حمل أمانة سر رسول الله ﷺ ، بإفشائه لعائشة ؛ بسبب الغـــيرة والـــتعاون الذي كان بينهما . أما الانحراف الكلي فيتمثل في فقد إبليس لقيمة الصدق واتصافه بالكذب في قسمه لآدم وحواء عليهما السلام.
- تعـــني الدراســـة بتمـــثل القيمة في شخصيات القصة بصورة إيجابية أو سلبية ، حيث تدل عليها مواقف الشخصـــية ، وتفاعلها مع الأحداث ؛ لذلك تكتفي الدراسة – عند تحليل ظهور القيمة بصورة ضمنية – إبراز تمثل القيمة في شخصيات القصة في أكثر المواقف ، وفي بعض المواضع في القصة ، دون رصد لجميع المواقـــف التي تمثلت فيها الشخصية للقيمة ، ولا جميع الآيات والأحاديث التي تدل على ذلك . هذا وإذا ذكـــر اتصاف الشخصية للقيمة بصورة إيجابية أو سلبية بصورة لفظية ؛ فإنه يكتفى بذلك ولا يبحث عن تمثلها القيمة ضمنياً.
- نظراً لاحتمال الموقف لأكثر من قيمة ، ولتداخل القيم الخلقية وصعوبة وضع حدود فاصلة بينها حيث إن كـــثيراً مـــنها تعتبر امتداداً لبعض كما تدعم بعضها بعضاً ، فسلوكيات شخصيات القصة ومواقفها مع أحداثهـــا ، لـــيس هو نتيجة لقيمة واحدة ، بل هو نتيجة لتفاعل منظومة الشخص القيمية ؛ لذلك كان تحديد القيم التي تبرز في مواقف الشخصية في القصة دون قيم أبرز صعوبة واجهت الباحثة أثناء التحليل ، وهو نتيجة طبيعية لصعوبة وضع حدود فاصلة دقيقة بين القيم ، ووجود درجة من التفاعل بينها ، وتمثيل بعـــض من القيم صورة تابعة لقيم أساسية . وهذا ما جعل الباحثة تعتمد في تحديد بروز قيمة خلقية دون أخرى في مواقف القصة على مدى قوة ظهور القيمة ، ومدى بروزها بشكل مستقل أو تابع لقيمة أخرى. ففـــي حالـــة بـــروز قيمة أساسية في أحداث القصة ومواقف الشخصية تندرج تحتها قيم تابعة لها اعتمد ظهورها على القيمة الأساسية بشكل كامل مع ضعف ظهور القيمة التابعة إلا اندراجاً ؛ فإن الباحثة تعتبر القيمة التابعة مندرجة تحت القيمة الأساسية ولا تذكرها بشكل منفصل . أما إذا كان ظهور القيمة التابعة لم يكـــن معتمداً بشكل كلي مندرج تحت القيمة الأساسية ، وإنما كان مؤثراً بذاته على شخصية القصة وردود أفعالها ؛ فإنه يذكر في الجزء الخاص به ولا يكتفى بتضمنها في القيمة الأساسية .

وفيما يلي تعرض الباحثة جدولاً يبين تكرار القيم الخلقية الواردة في قصص النساء في القرآن الكريم بصورة لفظية إيجابية وسلبية . وجدولاً آخراً يبين ورود القيم الخلقية في هذه القصص بصورة ضمنية بدون تحديد تكرارها — لصعوبة ذلك — حيث تكتفي بالإشارة إلى ورود القيمة في القصة بصورة إيجابية وسلبية .

جدول (٢)

تكرار ورود القيم الخلقية في قصص النساء في القرآن الكريم

بصورة لفظية

القيمة \ القصة		١- حواء عليها السلام	٢- امرأة نوح	٣- سارة عليها السلام	٤- امرأة لوط وبناته	٥- امرأة العزيز والنسوة	٦- أم موسى وزوجه وأخته وآسية	٧- ملكة سبأ عليها السلام	٨- مريم وأمها عليهما السلام	٩- عائشة رضي الله عنها	١٠- زينب بنت جحش رضي الله عنها	١١- عائشة وحفصة رضي الله عنهما	١٢- المجادلة رضي الله عنها	١٣- امرأة أبي لهب	المجموع
١- الطاعة	إيجابية	-	-	-	١	-	-	-	-	-	-	-	-	-	١
	سلبية	١	-	-	-	-	-	-	-	-	١	-	-	-	٢
٢- الصبر	إيجابية	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
	سلبية	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
٣- الأمانة	إيجابية	-	-	-	١	١	١	١	-	-	-	-	-	-	٤
	سلبية	-	١	-	-	٢	-	-	-	-	-	-	-	-	٣
٤- الصدق	إيجابية	-	-	-	٢	٤	-	١	٢	-	-	-	-	-	٩
	سلبية	-	-	-	١	٢	-	١	-	٣	-	-	-	-	٧
٥- الحكمة	إيجابية	-	-	١	-	١	-	-	١	١	-	١	-	-	٥
	سلبية	-	-	-	١	١	-	-	-	-	-	-	-	-	٢
٦- الرحمة	إيجابية	٢	-	١	-	٢	-	٢	٣	٣	-	١	-	-	١٤
	سلبية	-	-	-	-	-	-	-	٢	-	-	-	-	-	٢
٧- الحياء	إيجابية	-	-	-	-	-	١	-	-	-	-	-	-	-	١
	سلبية	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
٨- العفة	إيجابية	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
	سلبية	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
٩- الكرم	إيجابية	-	-	١	-	٢	-	٢	-	-	-	-	-	-	٥
	سلبية	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
١٠- الوفاء	إيجابية	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
	سلبية	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
١١- المحبة	إيجابية	-	-	-	-	١	١	-	-	-	-	-	-	-	٢
	سلبية	-	-	-	-	١	-	-	-	١	-	-	-	-	٢
١٢- الشجاعة	إيجابية	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
	سلبية	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
١٣- الغيرة	إيجابية	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
	سلبية	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
١٤- التعاون	إيجابية	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
	سلبية	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
١٥- الشورى	إيجابية	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
	سلبية	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-

جدول (٣)

ورود القيم الخلقية في قصص النساء في القرآن الكريم

بصورة ضمنية

القيمة	القصة	١- حواء عليها السلام	٢- امرأة نوح	٣- سارة عليها السلام	٤- امرأة لوط وبناته	٥- امرأة العزيز والنسوة	٦- أم موسى وزوجه وأخته وآسية	٧- ملكة سبأ عليها السلام	٨- مريم وأمها عليهما السلام	٩- عائشة رضي الله عنها	١٠- زينب بنت جحش رضي الله عنها	١١- عائشة وحفصة رضي الله عنهما	١٢- المجادلة رضي الله عنها	١٣- امرأة أبي لهب
١- الطاعة	إيجابية	✓	✓		✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓		
	سلبية	✓	✓		✓	✓						✓		
٢- الصبر	إيجابية				✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓		✓	
	سلبية	✓	✓		✓	✓						✓		✓
٣- الأمانة	إيجابية					✓		✓	✓	✓	✓			
	سلبية	✓				✓	✓			✓		✓		
٤- الصدق	إيجابية									✓				
	سلبية	✓	✓			✓								
٥- الحكمة	إيجابية	✓			✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	
	سلبية	✓			✓	✓	✓			✓		✓		✓
٦- الرحمة	إيجابية		✓		✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	
	سلبية		✓		✓	✓	✓							✓
٧- الحياء	إيجابية	✓		✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓		✓		
	سلبية				✓	✓				✓				✓
٨- العفة	إيجابية				✓	✓	✓	✓	✓	✓				
	سلبية				✓	✓				✓		✓		✓
٩- الكرم	إيجابية			✓	✓	✓	✓	✓		✓				✓
	سلبية				✓									
١٠- الوفاء	إيجابية					✓	✓	✓	✓	✓			✓	
	سلبية	✓	✓		✓	✓						✓		
١١- المحبة	إيجابية	✓	✓	✓	✓		✓		✓	✓		✓	✓	
	سلبية	✓			✓	✓		✓						
١٢- الشجاعة	إيجابية				✓	✓	✓	✓	✓					
	سلبية													
١٣- الغيرة	إيجابية			✓	✓		✓	✓	✓	✓				
	سلبية	✓				✓				✓		✓		✓
١٤- التعاون	إيجابية			✓			✓	✓	✓	✓			✓	
	سلبية		✓		✓	✓	✓					✓		✓
١٥- الشورى	إيجابية					✓		✓		✓	✓		✓	
	سلبية													

١ ـ الطاعة

الطاعــة مــأخوذة مــن مــادة : طوع . والطوع نقيض الكره طاعَه يَطُوعُه وطاوعَه، والاسم الطَّواعَة والطَّواعِيةُ. وطاع يَطاعُ وأَطاع لان وانقاد ، وأَطاعَه إطاعةً وانطاعَ له كذلك. والطاعة اسم من أَطاعه طاعةً والطَّواعِيةُ اسم لما يكون مصدراً لطاوعَه ، وطاوَعَتِ المرأة زوجها طَواعِيةً. والمُطاوَعة :الموافقة ، ورجل مِطْواعٌ أي مطيعٌ. وفلان حسن الطَّواعِيَة لك أي حسن الطاعة لك . ولسانه لا يَطُوع بكذا أي لا يتابعه[1] .

وعــند الــنظر في تعريفات قيمة الطاعة ، يلاحظ أن هناك من يعرفها باعتبار معناها الديني ، وهناك من يعرفها باعتبار مجالها الخلقي . يقول في ذلك الشرباصي: " والطاعة لها معنى ديني ، ينصرف إلى الائتمار بأوامر الله تعالى ، ولها معنى أخلاقي وهو التقيد بالواجب ، ومجاوبة من يدعو إليه باستمرار " [2].

فعــرف الطاعــة بمعــناها الديني الكفوي فقال : "الطاعة فعل المأمورات ولو ندبا ، وترك المنهيات ولو كــراهة"[3]. وعرفها بمعناها الأخلاقي علي أحمد فقال : " يقصد بالطاعة الخضوع لسلطة معينة ، وإطاعة ما تأمر به هذه السلطة " [4].

وعرفها بصورة تجمع بين المعنى الديني والأخلاقي المنتشري فيقول :" أن يكون المسلم طائعاً لله ورسوله ثم ولاة الأمر من حكام وعلماء وآباء ومسئولين بالمعروف وذلك امتثالاً لأمر الله ورسوله ، مما يؤدي إلى تماسك المجتمع وانتظام أموره الدينية والدنيوية وإشاعة الأمن والاستقرار فيه" [5].

وعلى ضوء ما سبق يمكن القول إن المقصود بالطاعة في التربية الإسلامية : الخضوع والموافقة لأوامر الله عز وجل ورسوله ﷺ ، وكل من أمر الدين بموافقته وفي حدود الشريعة الإسلامية.

"ولقد ذكر القرآن مادة الطاعة في أكثر من مائة موضع"[6] . فأمر المسلمين أمر وجوب بطاعته ، وطاعة رسوله ﷺ. وبين جزاء الطائعين في أكثر من موضع ، فقال ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء : ١٣-١٤].

وقد جاءت الآيات القرآنية آمرة بطاعة الله ، ورسوله ﷺ، وطاعة أولي الأمر وفق حدود الشريعة ، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النســاء: ٥٩]. كما جاءت السنة النبوية آمرة أيضــاً بخلق الطاعة ومبينة حدوده ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ

---

١ ـ ابن منظور ، محمد بن مكرم. لسان العرب .مرجع سابق . مادة طوع.

٢- الشرباصي ،أحمد. موسوعة أخلاق القرآن . دار الرائد العربي. بيروت . ١٤٠١هـ . ٥ / ٢٠٥.

٣- الكفوي ، أيوب موسى الحسيني . الكليات . دار الكتاب الاسلامي . القاهرة . ١٤١٣هـ. ٣/ ١٥٦.

٤- علي ، علي أحمد . الطاعة وقيمتها التربوية في تنشئة الطفل . مجلة العربي . مجلة عربية شهرية تصدر عن وزارة الإرشاد والانباء بحكومة الكويت. العدد ١٢٤. مارس ١٩٦٩م. ص ٤٧

٥- المنتشري ، علي أحمد . الطاعة وتطبيقاتها في التربية الإسلامية . بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة ، كلية التربية بمكة المكرمة ، جامعة أم القرى .١٤٢٤ هـ. ص١٤.

٦- الشرباصي ،أحمد. موسوعة أخلاق القرآن . مرجع سابق . ٥ / ٢٠٥.

أَبى. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه ، وَمَنْ يَأْبى ؟. قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبى) [١] . وقال ﷺ (اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ) [٢]. وقال ﷺ (مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّـهَ ، وَمَـنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ ، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي ، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي ، وَإِنَّمَا الإِمَـامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ ، وَيُتَّقَى بِهِ . فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَعَدَلَ فَإِنَّ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرًا ، وَإِنْ قَالَ بِغَيْرِهِ فَإِنَّ عَلَيْهِ مِنْهُ)[٣] . وقد بينت السنة النبوية حدود هذا الطاعة، عَنْ عَلِيٍّ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ : (بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً، وَأَمَّـرَ عَلَـيْهِمْ رَجُـلا مِنَ الأَنْصَارِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ ، فَغَضِبَ عَلَيْهِمْ ، وَقَالَ: أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تُطِـيعُونِي ؟ قَـالُوا: بَلَى ، قَالَ: قَدْ عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ لَمَا جَمَعْتُمْ حَطَبًا وَأَوْقَدْتُمْ نَارًا ، ثُمَّ دَخَلْتُمْ فِيهَا. فَجَمَعُوا حَطَـبًا ، فَأَوْقَدُوا ؛ فَلَمَّا هَمُّوا بِالدُّخُولِ ، فَقَامُوا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ :إِنَّمَا تَبِعْنَا النَّبِيَّ ﷺ فِـرَارًا مِنَ النَّارِ ، أَفَنَدْخُلُهَا ؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ خَمَدَتِ النَّارُ ، وَسَكَنَ غَضَبُهُ ، فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا أَبَدًا ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ) [٤].

وللطاعة أهمية عظيمة في حياة البشر ، فأي تجمع بشري لابد وأن يضع لنفسه مجموعة من النظم والقوانين والأحكام ، التي تنظم الحياة فيه ، وتسيِّر معاملاته ، وتكون مرجعاً لأفراده ، والواجب على أفراد هذا المجتمع طاعـة هـذه القوانين واحترامها ، والسير وفق ما تمليه عليهم . فرئيس الدولة وقائد الجيش وأمير الجماعة ، مصطلحات وضعها المجتمع لشخصيات يسير خلفهم أفراد مجتمعهم ، ويلتزمون بطاعتهم ، فيصدرون القوانين والأحكـام ، ويبـتون في القضايا ، ويضعون القواعد المنظمة لمجتمعهم والصادرة عن عقيدة المجتمع وثوابته ، والواجب على الأفراد التزام طاعتهم ، والقيام بأوامرهم ؛ ليضمنوا بذلك توحد صفوفهم واجتماع كلمتهم .

فـإذا رفـض أفراد المجتمع طاعة هذه القوانين والأحكام ، والالتزام بأمرها ، واختلفوا على رؤسائهم ، وعصـوا قوادهـم ، فإن هذه القوانين لا تعدو أن تكون حبراً على ورق ، بلا أثر واقعي تطبيقي في المجتمع ؛ ويفقـد المجـتمع المرجعـية القانونية الملزمة لأفراده ، ومن ثم يفقد المجتمع النظام ، وتتشتت كلمته ، وتختلف صفوفه، ويهوي في شقة الاضطراب والفساد.

ولمـا كانـت الطاعة تمثل هذه الركيزة الأساسية في حياة البشر ، جاءت الطاعة في الإسلام لتكون فرضاً لازمـاً ، وظهـرت في أنـواع وأصناف ، تختلف في درجة الإلزامية والوجوب ، تبعاً للقيمة الدينية والمكانة الاجتماعية . لذلك توزعت الطاعة في الإسلام وفق المستويات التالية [٥]:

- طاعة المخلوق البشري للخالق .
- الطاعة بين المخلوقات البشرية .
- الطاعة بين الإنسان ونفسه.

مع ملاحظة أن الطاعتين الأخيرتين مشروطتان بالطاعة الأولى .

١- البخاري ،محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري . مرجع سابق . كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة . باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم . رقم الحديث :٧٢٨٠.

٢- البخاري ،محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري . مرجع سابق . كتاب الأحكام . باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية . رقم الحديث : ٧١٤٢.

٣-البخاري ،محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري . مرجع سابق . كتاب الجهاد والسير . باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به . رقم الحديث: ٢٩٥٧.

٤- البخاري ،محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري . مرجع سابق . كتاب الأحكام. باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية . رقم الحديث: ٧١٤٥.

٥- خان ، سامي بدر . قيمة الطاعة في الإسلام . المنهل . مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة. العدد ٤٦١. المجلد ٤٩. رجب ١٤٠٨هـ . ص١٩.

فـــأول هذه الطاعات وألزمها ، هي طاعة الله ورسوله ﷺ ، وتأتي في المرتبة التالية لها طاعة أولي الأمر : كطاعـــة الوالديـــن ، وطاعة الأمير ،وطاعة الزوجة لزوجها ؛ لكنها مقيدة بشروط وحدود ، رسمها الإسلام لتحقق المراد منها ، وحتى لا تكون طاعة جاهلية . وللطاعة مفهومان : مفهوم جاهلي : يعني طاعة عمياء بلا ضـــوابط ولا أصـــول . وطاعة إسلامية : وهي الطاعة المبصرة الواعية المدركة ، وتحكمها الضوابط الشرعية والأصول ، لا الأهواء ولا آراء الرجال.

أي أن الطاعة الإسلامية ذات حدود وعليها قيود وليست مطلقة ، فطاعة الله ورسوله ﷺ في فعل المأمورات وترك المنهيات مشروطة بالاستطاعة ، كما قال تعالى ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾ [التغابن :١٦]. وكما جاء في الحديث ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: (كُنَّا نُبَايِعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فَيَقُولُ: لَنَا فِيمَا اسْتَطَعْتُمْ) [١] . كما حددت طاعة المخلوق بأن تكون في المعروف وفي غير معصية الله كما بينت ذلك الأحاديث السابقة .

> " إن الطاعة في الإسلام وسطية بين المطيع والمطاع ، لا تعني الانقياد الأعمى ، والخضوع المذل ، ولا تعني التعسف وإرهاق المطيع ، بل تضع حدوداً دقيقة لمعنى الطاعة حتى يعرف المطيع ما لـــه وما عليه ، ويعرف المطاع ما لـــه وما عليه ، فهي ليست طاعة عسكرية للقائد ، واستسلاماً لأمره المطلق ، وليست كالطاعة المسيحية التي يجهل فيها المطيع أسرار هذه الطاعة ، التي يستأثر فيها المطاع بالأسرار الكهنوتية ، وبالأحرى أن تكون طاعة الحكم الفرعوني الذي يقول لقومه المؤمنين بموسى ﴿ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ [طه: ٧١]. وإنما الطاعة في الإسلام وسطية تتلاقى فيها غاية الحاكم والمحكوم ، فالقرآن وهو الدستور الأعلى يوضح حدود الله وحقوق العباد وما على السلطة سوى تنفيذ حدود الله ، وحقوق العباد ،والجميع قادر على إدراك غاية الحكم الإلهي ، وهي مفصلة بوضوح في السنة ، وقواعد تنفيذها مبسطة في كتب النظم الإسلامية" [٢] .

إن الطاعة ليست هدفاً في حد ذاتها ؛ وإنما هي وسيلة لتحقيق أهداف تربوية كثيرة . فنحن لا نجبر أطفالنا عـــلى الطاعة حباً في الطاعة نفسها ، ولكننا نطلب منهم أن يكونوا مطيعين في بعض المواقف سعياً وراء القيم التربوية التي تحققها لهم هذه الطاعة . فعن طريق طاعة الأبناء للآباء يكتسب الأبناء الكثير من القيم والاتجاهات الطيبة والخبرات النافعة ، وعن طريقها يتدربون منذ طفولتهم على احترام النظم والقواعد والتقاليد الاجتماعية ، فيرعونها حين يكبرون ، ويخرجون إلى المجتمع الكبير وهم قادرون على التعامل معه [٣].

ولكي تحقق الطاعة جوانبها التربوية في تربية الأبناء فلا بد من توافر عدد من الشروط في الأوامر الموجهة للابن ، وهي [٤]:

١- الـــترمذي ،محمـــد عيســـى .سنن الترمذي، مرجع سابق . كتاب السير . باب ما جاء في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم . رقم الحديث : ١٥٩٧. وصححه الألباني في صحيح الترمذي. ٢/٢٠٦

٢- السائح ، الحسن . فلسفة الطاعة في الإسلام . دعوة الحق . مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وشؤون الثقافة والفكر . تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الرباط للمملكة المغربية . العدد ٣٣١. السنة الثامنة والثلاثون . جمادى الأولى – جمادى الثانية ١٤١٨هـــ . ص٣٠.

٣- علي ، علي أحمد . الطاعة وقيمتها التربوية في تنشئة الطفل . مرجع سابق .ص ٤٨.

٤- المرجع السابق ، ص٤٨– ٥١ .

١- سلامة الأوامر : بمعنى أن لا تؤدي هذه الأوامر إلى الإضرار بكيان الطفل أو تعريضه للخطر.

٢- وضوحها : أي أن تكون الأوامر واضحة بمعنى أن تكون مصاغة بأسلوب وبلغة يفهمها الطفل.

٣- القناعة: فتكون الأوامر مقنعة ويتمثل ذلك في استثارة الطفل وتشجيعه على إطاعة الأوامر .

ورود قيمة الطاعة في قصص النساء في القرآن الكريم:

وقبل البدء في تحليل قيمة الطاعة في القصص ، لابد من ملاحظة تحقق قيمة الطاعة بصورة إيجابية في جميع الشخصيات المؤمنة الواردة في القصص ، حيث إن طاعة أمر الله عز وجل ركن لازم للإسلام والإيمان بالله . بينما تحققت قيمة المعصية في جميع الشخصيات التي كفرت بالله ، حيث إن الكفر هو رفض لطاعة الله واتباع شرعه.

وورد لفظ قيمة الطاعة بصورة إيجابية في قصص النساء في القرآن في مرة واحدة ، وكانت في قصة امرأة لوط عليه السلام في قوله تعالى ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [الشعراء :١٦٣].

بينما وردت القيمة بصورة لفظية سلبية في لفظ المعصية مرتين :

١) في قصة حواء عليها السلام : قال تعالى ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ [طه :١٢١].

٢) في قصة زينب رضي الله عنها: في الآية ﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴾ [الأحزاب: ٣٦]

أما ورود قيمة الطاعة ضمناً فقد جاء في عدة مواضع ، بصورة إيجابية وسلبية ، على التفصيل التالي:

١) في قصة حواء عليها السلام : فبعد أن وقع الزوجان آدم وحواء في المعصية ؛ بالأكل من الشجرة المحرمة ، عادا لطاعة الله ، باستغفارهما وإعلان ندمهما وتوبتهما ، قال الطبري: أي اصطفاه ربه من بعد معصيته إياه فرزقه الرجوع إلى ما يرضى عنه والعمل بطاعته ، وذلك هو توبته التي تابها عليه ، وهداه للتوبة فوفقه لها [(1)] . كما ظهر في القصة طاعة الملائكة لأمر الله بالسجود لآدم عليه السلام ، ومعصية إبليس واستكباره عن أمر الله بالسجود لآدم.

٢) في قصة امرأة نوح عليه السلام : تظهر القصة طاعة نوح لأمر الله عز وجل بصنع السفينة ، وبأن يحمل فيها من كل زوجين اثنين . كما تظهر القصة معصية امرأة نوح لأمر زوجها وخيانته في أمر دينه ، قال القرطبي :" أي لم يدفعا نوح ولوط مع كرامتهما على الله عن زوجتيهما ، لما عصتا ، شيئاً من عذاب الله، تنبيهاً بذلك على أن العذاب يدفع بالطاعة لا بالوسيلة " [(2)] .

٣) في قصة امرأة لوط عليه السلام وبناته : تظهر القصة معصية قوم لوط لنبيهم عليه السلام ، فلم يطيعوه في الإيمان بالله ، واتباع شرعه ، وترك ما هم عليه من الفواحش والمنكرات ؛ بل استمروا على كفرهم ، وزادوا طغياناً وعناداً ، وطلبوا من نبيهم عذاب الله . وتظهر القصة طاعة لوط وبناته لأمر الله لهم بالخروج من القرية ، وعدم الالتفات ، والسير حيث يأمرهم الله . كما تبين الآيات أن امرأة لوط كانت عاصية

١- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ١٦/ ٢٢٤.

٢- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ١٨/ ٢٠٢.

لزوجها ، بكفرها وتركها اتباعه على دينه ، وإخبار قومها بضيفه . وتظهر الآيات طاعة الملائكة لأمر الله بإهلاك قوم لوط.

٤) في قصة امرأة العزيز والنسوة : ظهرت طاعة يوسف عليه السلام لله عز وجل ، في رفضه للفاحشة ، امتثالاً لأمر الله ، ومعصيته لأمر امرأة العزيز ،لما أمرته بالفاحشة وهددته بالعقوبة . وقد وصفه الله في الآيات بالإحسان والإخلاص ، وكلاهما صفة تدل على الطاعة ، قال أبو السعود: "والمخلصون هم الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته بأن عصمهم عما هو قادح فيها" [١] . وتظهر القصة سعي امرأة العزيز للمعصية والفاحشة ، فقد هيأت جميع السبل الممكنة للإيقاع بيوسف في المعصية ، قال أحمد بن يحيى رحمه الله : "همت زليخا بالمعصية وكانت مصرة " [٢] .

٥) في قصة أم موسى وأخته وزوجته وآسية عليهم السلام : وتظهر القصة طاعة أم موسى لأمر الله ، لما أمرها بإلقاء ابنها في النهر ، قال عماد حافظ :" نستدل من تنفيذ أم موسى لأمر الله لها بأن تلقي ابنها في النهر – الذي يغرق فيه الكبير قبل الصغير – على ما وصلت إليه من درجة عالية في طاعتها لله تبارك وتعالى وعلى قوة ثقتها به" [٣]. وطاعة النهر لأمر الله ، لما أمره بإلقاء الرضيع بالساحل في بيت فرعون . كما تظهر القصة طاعة الوالدين في شخصيتين ، الأولى: في أخت موسى عليهما السلام ، حيث أطاعت أمر والدها في البحث عن أخيها ، والشخصية الثانية : في فتاتي مدين ، حيث أطاعتا أمر والدهما في رعي الماشية والذهاب إلى موسى لدعوته إليه . كما توضح القصة حدود طاعة الزوجة لزوجها ، وذلك في شخصيتين ، الأولى : في شخص زوجة موسى ، فأمرها زوجها بالمكوث في مكانها حتى يذهب ويستقصي خبر النار ، فأطاعته . والشخصية الثانية : في آسية بنت مزاحم زوجة فرعون ، وتظهر فيها وجوب معصية الزوجة لزوجها إذا أمرها بمعصية الله ، فقد أمر فرعون زوجته بالكفر ، فلم تطعه في معصية الله ، وثبتت على دينها حتى قتلها.

٦) في قصة ملكة سبأ عليها السلام: وتظهر القصة طاعة جنود سليمان لأوامره ، وذلك في طاعة الهدهد لأمر سليمان بالذهاب بالكتاب لملكة سبأ ، وبإلقائه إليها ،والانتظار ليرى ماذا يرد القوم . وتسابق جند سليمان عليه السلام في طاعة أمره بإحضار العرش بأقصى سرعة ، وطاعته في تنكير العرش وبناء الصرح . كما يظهر في القصة طاعة قوم ملكة سبأ لأمرها ، قال الرازي في تفسير آيات القصة : وفي ذلك إظهار الطاعة لها إن أرادت السلم [٤] . وطاعتهم لها في أمر إرسال الهدية والمسير إلى سليمان ، كما تظهر القصة طاعة ملكة سبأ لله في إعلانها إسلامها.

٧) في قصة مريم وأمها عليهما السلام : تظهر القصة أمر الملائكة لمريم عليها السلام بطاعة الله ، والاجتهاد في ذلك ، وقد قامت مريم عليها السلام بهذه الوصية . وتظهر طاعة مريم لأمر الله في الصيام وترك محادثة

١- أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي. تفسير أبي السعود . مرجع سابق . ٤/ ٢٦٧.

٢- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ٩/ ١٦٦.

٣- حافظ ،عماد زهير . القصص القرآني بين الاباء والأبناء . مرجع سابق . ص٢٨٠.

٤- الرازي ،محمد بن عمر . التفسير الكبير . مرجع سابق . ٢٤/ ١٩٥.

الناس في أمر وليدها . وتظهر في القصة طاعة الوالدة ، عندما ذكر عيسى ما أمره الله به ، قال ابن كثير : " أي و لم يجعلني جباراً مستكبراً عن عبادته وطاعته وبر والدتي فأشقى بذلك" [١] .

٨) في حادثـــة الإفك : وتظهر في طاعة الصحابة لأمر رسول الله ﷺ والذي عبر عنها معاذ بقوله (فقال : يا رسول الله ، أنا أعذرك منه ، إن كان من الأوس ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج، أمرتنا ففعلـــنا أمرك). وأيضاً في أبي بكر الصديق إذ أعاد النفقة لمسطح بعد نزول الآيات آمرة لـــه بالعفو عن مسطح.

٩) في قصـــة زينـــب رضي الله عنها : فقد أطاع الرسول ﷺ أمر الله عز وجل بالزواج بزينب زوجة زيد بن حارثة ، رغم خشيته من قول المنافقين. وكذلك تظهر في طاعة زينب لأمر رسول الله بالزواج بزيد ، بعد أن رفضته وأهلها .

١٠) في قصة التحريم : تظهر القصة طاعة رسول الله ﷺ لأمر الله لـــه بالعودة عن ما حرم على نفسه ، وتأدية الكفـــارة في ذلـــك اليمين . كما تظهر في صفات النسوة اللاتي وعد الله رسوله بإبداله بهن ؛ إن استمر أزواجـــه في أذيـــته ، قال القرطبي : " ﴿ قَانِتَاتٍ ﴾ مطيعات والقنوت الطاعة"[٢]. وتظهر القصة وقوع حفصـــة وعائشـــة رضي الله عنهما في معصية الرسول ﷺ بإفشاء سره وتظاهرهما عليه ، ولكنهما عادتا تائبتين لله ورسوله.

٢ـ قيمة الصبر

الصـــبر في اللغة : مصدر صبر يصبر وهو مأخوذ من مادة : صبر. التي تدل بحسب وضع اللغة على معانٍ ثلاثة : الأول الحبس ، والثاني : أعالي الشيء ، والثالث : جنس من الحجارة ، وقد اشتق الصبر المراد هنا من المعنى الأول وهو الحبس. يقال : صبرت نفسي على ذلك الأمر أي حبستها. الصبر نقيض الجزع ، صَبَر يصْبِر صَبرا فهو صابِر وصبَّار وصَبير وصبُور ، والأنثى صبور أيضا بغير هاء وجمعه صُبُر [٣] .

وأما في الاصطلاح، فقد عرفها ابن القيم فقال: "حبس النفس عن الجزع والتسخط ، وحبس اللسان عن الشكوى ، وحبس الجوارح عن التشويش" [٤] .

وعرفها الميداني بقوله: "الصبر قوة خلقية من قوى الإرادة تمكن الإنسان من ضبط نفسه لتحمل المتاعب والمشـــقات والآلام ، وضـــبطها عن الاندفاع بعوامل الضجر والجزع ، والسأم والملل ، والعجلة والرعونة ، والغضب والطيش ، والخوف والطمع ، والأهواء والشهوات والغرائز" [٥] .

وفي ضوء ما سبق يمكن القول إن المقصود بالصبر في التربية الإسلامية : حبس النفس على الحق والخير ، ومنعها من الجزع والتسخط ، عند حلول المصائب ، وورود الأمور الشاقة ، وطلب معالي الأمور.

١- ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ٣/ ١٣٣.

٢- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ١٩٣/١٨.

٣- ابن منظور ، محمد بن مكرم. لسان العرب .مرجع سابق . مادة صبر .

٤- ابن القيم ، محمد بن أبي بكر. مدارج السالكين . مرجع سابق .٢ /١٥٢.

٥- الميداني ،عبد الرحمن حسن حبنكة . الأخلاق الإسلامية وأسسها . مرجع سابق . ٣٠٥/٢

والصبر من أعظم الأخلاق التي حث عليها الإسلام . وهو أكثر خلق تكرر في القرآن فجاء ذكره في القرآن في مواضع كثيرة . قال الإمام أحمد : "ذكر الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعاً" [1]. فأوصى به الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ [الأحقاف: ٣٥] . وأوجب لأهله محبته ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران :١٤٦]. ومعيته ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة :١٥٣]. وجعلهم أئمة للناس ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة:٢٤] .ووعدهم بالجزاء والثواب ألا محدود ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر :١٠]. وكفى بالصبر مفخرة أن بشر الله أهله ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٥٥].

> "وترجع عناية القرآن البالغة بالصبر ، إلى ماله من قيمة كبيرة دينية وخلقية ، فليس هو من الفضائل الثانوية أو المكملة ، بل هو ضرورة لازمة للإنسان ليرقى مادياً ومعنوياً ويسعد فردياً واجتماعياً ، فلا ينتصر دين ، ولا تنهض دنيا إلا بالصبر . فالصبر ضرورة دنيوية كما هو ضرورة دينية ، فلا نجاح في الدنيا ولا فلاح في الآخرة إلا بالصبر"[2] .

وجاءت كثير من الأحاديث والآثار التي تبين عظيم منزلة الصبر وفضله. قال رسول الله ﷺ (وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ) [3] . وقال (وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ) [4]. وقال ﷺ (مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ ، مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ ، وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا ، إِلا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ) [5] . وقال ﷺ (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلا لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) [6].

وتعود أهمية الصبر في التربية الإسلامية لوقوع البلاء على الخلق كلهم ، قال تعالى ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [الملك :٢]. فلما كان البلاء واقعاً على كل البشر ؛ وجب الصبر بمقدار البلاء . والصبر " آت من أنه تعبير عن قوة الإرادة ، وعن كمال العقل ، والبعد عن الطيش والرعونة ، وتعبير عن الحكمة في معالجة مشكلات الحياة" [7]. ويكفي للصابر هبة وجائزة على صبره أنه يعطى به كمال العقل وبصيرة في الأمر واتزان في الشخصية ، فتصدر تصرفاته وهو في البلاء عن قلب ثابت وعقل حكيم.

١- ابن القيم ، محمد بن أبي بكر. مدارج السالكين . مرجع سابق . ٢ /١٥٢ .

٢- القرضاوي ، يوسف. الصبر في القرآن . مكتبة وهبة . ١٣٩٧هـ . ص ١٢.

٣- القشيري ،مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم .مرجع سابق. كتاب الطهارة . باب وجوب الطهارة للصلاة . رقم الحديث: ٢٢٣:

٤- البخاري ،محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري . مرجع سابق . كتاب الزكاة . باب الاستعفاف عن المسألة .رقم الحديث : ١٤٦٩.

٥- البخاري ،محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري . مرجع سابق. كتاب المرضى . باب ما جاء في كفارة المرض رقم الحديث :٥٦٤١.

٦- القشيري ،مسلم بن الحجاج.صحيح مسلم .مرجع سابق. كتاب الزهد والرقائق . باب المؤمن أمره كله خير . رقم الحديث: ٢٩٩٩

٧- الميداني ،عبد الرحمن حسن حبنكة . الأخلاق الإسلامية وأسسها . مرجع سابق . ٣٠٧/٢.

"والصبر يشتمل على أكثر مكارم الأخلاق ، فيدخل فيه الحلم ، فإنه صبر عن دواعي الانتقام عند الغضب ، والأناة : صبر على دواعي العجلة ، والعفو والصفح : صبر عن إجابة دواعي الانتقام ، والجود والكرم : صبر عن إجابة دواعي الإمساك ، والكيس : صبر عن إجابة دواعي الكسل والخمول ، والعدل : صبر إذا تعلق بالتسوية بين المتماثلين ، وسعة الصدر صبر عن الضجر، والكتمان وحفظ السر صبر عن إظهار مالا يحسن إظهاره، والشجاعة صبر عن إجابة دواعي الفرار"[1].

وقد يصاب الصابر بشيء من الألم والحزن والبكاء بسبب ما هو فيه من المصيبة ، وهذا لا يناقض الصبر ولا يخرج الصابر عن دائرة الصابرين ، بل هو أمر طبيعي ، ولكن الواجب على الصابر أن لا يخرج به هذا الألم والحزن إلى الجزع ، والشكوى للناس ، والتسخط على الأقدار. فهذا النبي ﷺ حزن وبكى لما مات ولده وقال: (تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ ، وَلا نَقُولُ إلا مَا يَرْضَى رَبُّنَا ، وَاللهِ! يَا إِبْرَاهِيمُ ! إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ)[2] .

"وكثير من الناس يظنون أن الصبر خلق سلبي ، وأن معناه الاستسلام والرضى بالواقع والكف عن معالجة الأمور والاحتيال للخروج من الشدائد والأزمات ، وهذا فهم خاطئ ووهم فاسد ، فالصبر كما يكون جهداً نفسياً للتأبي على المعاصي والابتعاد عن السيئات ، يكون في كثير من الأحيان جهداً عملياً إيجابياً ، وفيه حركة ، وفيه سعي وفيه إنتاج وفيه تحمل للتبعات وتعرض لجلائل الأعمال ومواقف الأبطال" [3].

ويقسم الصبر باعتبار تعلقه بالأحكام الخمسة إلى خمسة أقسام [4]:

١) الصبر الواجب : وهو ثلاثة أنواع : صبر على الطاعة وأداء الواجبات ، وصبر عن المعصية وعن المحرمات ، وصبر على النوازل والمصائب المقدرات .
٢) الصبر المندوب : وهو ثلاثة أنواع : صبر على مقابلة الإساءة بمثلها ، وصبر على المستحبات ، وصبر على المكروهات .
٣) الصبر على المباح : وهو صبر عن كل فعل مستوي الطرفين ، خير بين فعله وتركه والصبر عليه .
٤) الصبر المكروه: كأن يصبر عن التوسع في الطعام واللباس ، حتى يتضرر بذلك بدنه.
٥) الصبر على المحظور : كأن يصبر عن الطعام والشراب حتى يموت.

وللصبر مجالات كثيرة في حياة الإنسان ، منها المجالات التالية [5]:

١) ضبط النفس عند الضجر والجزع عند حلول المصائب ومسّ المكاره.
٢) ضبط النفس عن السأم والملل ، لدى القيام بأعمال تتطلب الدأب والمثابرة ، خلال مدّة مناسبة ، قد يراها المستعجل مدة طويلة.

١- القحطاني ، سعيد علي . مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة . الرياض . مؤسسة الجريسي. ١٤٠٥هـ ، ص ١٩٢.

٢-القشيري ،مسلم بن الحجاج . صحيح مسلم.مرجع سابق . كتاب الفضائل. باب رحمته صلى الله عليه وسلم بالصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك . رقم الحديث :٢٣١٥.

٣- الشرباصي ،أحمد. موسوعة أخلاق القرآن . مرجع سابق. ١٩٤/١.

٤- فدعق ،أسماء . الصبر في الكتاب والسنة . رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، فرع الكتاب والسنة . ١٣٩٩هـ . ص٧٤.

٥- الميداني ،عبد الرحمن حسن حبنكة . الأخلاق الإسلامية وأسسها . مرجع سابق . ٣٠٦/٢- ٣٠٧.

٣) ضبط النفس عن العجلة والرعونة ، لدى تحقيق مطلب من المطالب المادية أو المعنوية.

٤) ضبط النفس عن الغضب والطيش ، لدى مثيرات عوامل الغضب في النفس ، ومحرضات الإرادة للاندفاع بطيش لا حكمة فيه ولا اتزان في القوة أو في العمل .

٥) ضبط عن الخوف لدى مثيرات الخوف في النفس ، حتى لا يجبن الإنسان في المواضع التي تحسن فيها الشجاعة وتكون خيراً ، ويقبح فيها الجبن ويكون شراً.

٦) ضبط النفس عن الطمع لدى مثيرات الطمع فيها ، حتى لا يندفع الإنسان وراء الطمع في أمر يقبح الطمع فيه.

٧) ضبط النفس عن الاندفاع وراء أهوائها وشهواتها وغرائزها ، كلما كان هذا الاندفاع أمراً لا خير فيه.

٨) ضبط النفس لتحمل المتاعب والمشقات والآلام الجسدية والنفسية ، كلما كان في هذا التحمل خير عاجل أو آجل .

ورود قيمة الصبر في قصص النساء في القرآن الكريم :

لم ترد هذه القيمة في قصص النساء في القرآن بلفظها، ولكنها وردت فيها تضمناً في عدة مواضع ، وكان ذلك بصورة إيجابية وسلبية . فإذا نظرنا إلى أن من أفضل أنواع الصبر ، الصبر على طاعة الله ،كما قال ابن القيم: " الصبر على أداء الطاعات أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات وأفضل فإن مصلحة فعل الطاعة أحب إلى الشارع من مصلحة ترك المعصية ومفسدة عدم الطاعة أبغض إليه وأكره من مفسدة وجود المعصية"[1]. فإن هذا الخلق يكون ظاهراً في الشخصيات المؤمنة الواردة في قصص النساء في القرآن ، ويظهر ضده وهو عدم الصبر على الطاعات في الشخصيات غير المؤمنة الواردة في قصص النساء الواردة في القرآن الكريم.

أما من حيث ظهوره في مواقف بعينها ، فقد ظهرت قيمة الصبر بصورة ضمنية إيجابية وسلبية في قصص النساء في القرآن ، على التفصيل التالي:

١) في قصة حواء عليها السلام : فقد أغرى الشيطان الأبوين بالأكل من الشجرة ، بتحريك دواعي الطمع في الملك والخلود ، ومثيرات الخوف من الموت والزوال ، فلم يضبطا نفسيهما عن هذه المغريات ، وتركا الصبر في هذا الموقف ؛ فأكلا من الشجرة ، فكان سبب خروجهما من الجنة . ثم أنهما عادا تائبين صابرين على طاعة أمر الله عز وجل .

٢) في قصة امرأة نوح عليه السلام : فقد ظهر في القصة صبر امرأة نوح على أذى زوجها والمؤمنين ، فقد كانت تتكلف استقصاء أخبار المؤمنين مع نوح لتخبر به قومها الجبابرة .

٣) في قصة امرأة لوط عليه السلام وبناته : ويظهر ذلك في صبر لوط عليه السلام على دعوة قومه إلى الإيمان بالله ، وترك الفاحشة ، وصبره على ما تعرض له من الآلام والمتاعب النفسية والجسدية في سبيل دعوتهم

١- ابن القيم ، محمد بن أبي بكر. مدارج السالكين . مرجع سابق .٢/ ١٦٣

والمدافعة عن ضيفه . ويظهر في القصة ترك قوم لوط لقيمة الصبر عن المغريات والأهواء والشهوات. وكذلك عدم صبر امرأة لوط على طاعة أمر الله بأن لا يلتفتوا فالتفتت فهلكت مع الهالكين .

٤) في قصة امرأة العزيز والنسوة : وظهر ذلك في صبر يوسف عليه السلام على ما عرض له من ابتلاءات ، فصبر على ابتلاء الرق ، وصبر على مثيرات الشهوة والمعصية ، وصبر على بلاء السجن ، وظهر صبره أيضاً في التأني من الخروج من السجن حتى تثبت براءته، قال الشوكاني :" ولم يسارع إلى إجابة الملك ، ليظهر للناس براءة ساحته ونزاهة جانبه ، وأنه ظلم بكيد امرأة العزيز ظلما بينا ، ولقد أعطي عليه السلام من الحلم والصبر والأناة ما تضيق الأذهان عن تصوره" [١]. بينما ظهر في امرأة العزيز صفة عدم ضبط النفس ، واتباع الهوى والشهوة ، وذلك في مراودتها ليوسف عن نفسه ، وقذفه بالفاحشة .

٥) في قصة أم موسى وأخته وزوجه وآسية عليهم السلام : وظهر في أم موسى فقد ربط الله على قلبها وهو إلهام الصبر عند إلقاء ابنها في اليمّ ، وعلى فراق ولدها ، وهذا صبر على أقدار الله المؤلمة، وكان عاقبتها أن رد الله إليها ولدها وجعله نبياً مرسلاً. ويظهر أيضاً في صبر أخت موسى على طاعة أمها ، حيث كلفها ذلك البحث والتتبع لأثر أخيها موسى ، والصبر على مثيرات الخوف ، فكانت تتعامل في هذا الموقف مع جند فرعون الظالمين . كما يظهر في امرأة موسى ، ففي القصة تظهر فائدة " الصبر على المحن كما صبر موسى وأهله عليهما السلام عندما ضلوا الطريق "[٢] . وكذلك الصبر على طاعة الزوج لما أمرها بالمكوث في مكانها، وأيضاً في امرأة فرعون فقد عذبها فرعون أشد العذاب لترتد عن دينها ، فشد يديها ورجليها بالأوتاد وهي صابرة ثابتة على دينها .

٦) في قصة ملكة سبأ عليها السلام : ظهر فيها صبر الهدهد في أمر الدعوة إلى الله ، فقد قطع المسافات ليأتي لسليمان عليه السلام بخبر مملكة سبأ الكافرة ، وعاد إليها مرة أخرى حاملاً رسالة سليمان إلى ملكة سبأ ، وأدى الرسالة كما أمره سليمان .كما يظهر في إظهار قوم ملكة سبأ صبرهم على الحرب والقتال وعلى طاعة أمرها كيف أمرتهم . كما يظهر في صبر سليمان عليه السلام على مثيرات الهوى والشهوة ، فقد بعثت ملكة سبأ بالهدية ليتركها وقومها على دينهم ، وصبره أيضاً على بلاء النعمة لما أحضر جنده عرشها في طرفة عين .

٧) في قصة مريم وأمها عليهما السلام : فقد نذرت امرأة عمران ما في بطنها لخدمة البيت المقدس ، فصبرت على مثيرات الطمع بالانتفاع بالولد ، وذلك بتفريغ ولدها لخدمة البيت المقدس وعدم انتفاعها منه بشيء ومكوثه بعيداً عنها .كما صبرت على قضاء الله وقدره بأن يكون المولود أنثى لا ذكراً ، فقالت لنفسها معزية ومذكرة نفسها بالصبر {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ}[٣] [آل عمران: ٣٦]. قال أبو حيان: وكأنها خاطبت نفسها بقولها: والله أعلم ، ولم تأت على لفظ الرب إذ لو أتت على لفظه لقالت : وأنت أعلم بما وضعت ، ولكن خاطبت نفسها على سبيل التسلية عن الذكر وأنّ علم الله وسابق قدرته وحكمته يحمل

١- الشوكاني ،محمد بن علي محمد .فتح القدير .مرجع سابق. ٣/ ٣٣.

٢- الحميد ، محمد ناصر . قصص النساء في القرآن الكريم . مرجع سابق . ص١٨٢

٣- وذلك على قراءة من قرأ بإسكان العين وضم التاء ، فيكون من كلام امرأة عمران .

ذلــك على عدم التحسر والتحزن على ما فات من المقصد ، إذ مراده ينبغي أن يكون المراد[1]. وأما مريم البتول فقد كان بلاؤها أعظم بلاء وصبرها أشد صبر ، فلم يكن بلاؤها في أمر دنيا بل كان في أمر دين ، فصــبرت على قضاء الله وقدره بأن تحمل بولد بلا أب ، فكانت عرضة للقدح في عرضها وعفتها ، ولم يــتوقف هذا القذف على زمانها وإنما تعداه لما بعده ، ويظهر صبرها في طاعتها لأمر الله لها بالصوم وترك كلام الناس ، ومن معاني الصوم الصبر .

٨) في حادثة الإفك : ويظهر ذلك في صبر النبي ﷺ على ما قاله أهل الإفك ، وعدم استعجاله في القضاء بشأنهم ، حتى أنزل الله براءة أم المؤمنين عائشة. وأيضاً في صبر عائشة وعدم يأسها من رحمة الله ، فقد قالت مخاطبة رسول الله ﷺ وأهلها (والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف إذ قال : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف :١٨]).

٩) في قصة زينب رضي الله عنها : قال ابن كثير :

> " أن رسول ﷺ انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة رضي الله عنه فدخل على زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها فخطبها فقالت : لست بناكحته. فقال رسول الله : بــلى فأنكحيه . قالت : يارسول الله أؤأمر في نفسي ، فبينما هما يتحدثان أنزل الله على رســولــه ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحــزاب :٣٦] .قالــت : رضــيته لي يارسول الله منكحاً ؟ قال رسول الله : نعم . قالت : إذاً لا أعصي رسول الله قد أنكحته نفسي " [2].

وبذلك صبرت على طاعة أمر الله ورسوله ، وتزوجت بزيد وكانت كارهة لهذا الزواج ؛ فأعقبها الله أن أصبحت – فيما بعد – إحدى زوجات النبي ﷺ. ويظهر أيضاً في زيد رضي الله عنه طاعة أمر النبي ﷺ بأن يصبر على زوجه ويمسكها ، وكذلك صبر النبي ﷺ على طاعة أمر الله في زواجه بزينب .

١٠) وفي قصة التحريم : فيظهر فيها ترك عائشة وحفصة لخلق الصبر عن مغريات النفس ودواعيها ؛ بسبب الغيرة المفرطة على رسول الله ﷺ حتى تمالأتا عليه ، فحرم على نفسه العسل ومارية ، وأفشت حفصة سره ﷺ لعائشة . وكان عاقبة ذلك غضب النبي ﷺ منهن وهجرهن شهراً ، ونزول الآيات القرآنية حاملة لهما الوعيد الشديد على ما فعلتا . كما يظهر فيها أيضاً صبر عائشة وحفصة على طاعة الله ورسوله وتوبتهما عن أذية النبي ﷺ .

١١) في قصة المجادلة : يظهر صبرها على البلاء وعلى الآلام النفسية ؛ بسبب ظهار زوجها لها ، ولجوئها لله بالشكوى أن يفرج كربها ، فكان في ذلك تفريج لكربها.

١- أبوحيان، محمد بن يوسف . تفسير البحر المحيط . مرجع سابق . ٤٣٩/٢ .

٢- ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ٣/ ٥٣٨.

١٢) في قصة امرأة أبي لهب: ويظهر في القصة صبر أم جميل على إيذاء رسول الله ﷺ والمسلمين ، ومجاهدتهم في ذلك بالنفس والمال واللسان . قال سعيد بن المسيب : "كانت لها قلادة فاخرة فقالت: لأنفقنها في عداوة محمد"[١].

٣- قيمة الأمانة :

الأمانة مصدر من أمن مأخوذ من مادة : أمن . والأمان والأمانة بمعنى . وقد أمنت فأنا أَمِنٌ، وآمَنْتُ غيري من الأمن . والأمن : ضد الخوف. والأمانة : ضد الخيانة. قال ابن السكيت : والأمين المؤتمن. ورجل أُمَنَةٌ : يأمن كل أحد، وقيل : يأمنه الناس ولا يخافون غائلته، وأُمنةٌ أيضاً : موثوق به مأمونٌ. والأمانة والأَمَنة : نقيض الخيانة لأنه يؤمن أذاه ، وقد أَمِنه وأَمَّنه وأتَمنَه. والأمانة تقع على الطاعة والعبادة والوديعة والثِّقة. ويقال: ما كان فلان أميناً ولقد أمن يأمن أمانة . ورجل أمينٌ وأُمّانٌ أي له دين، وقيل مأمونٌ به ثِقَةٌ[٢] .

أما في الاصطلاح : فعرف الجاحظ فقال " وهو التعفف عما يتصرف الإنسان فيه من مال وغيره وما يوثق به عليه من الأعراض والحرم مع القدرة عليه ، ورد ما يستودع إلى مودعه"[٣].

وعرفها الميداني الأمانة بقوله " الأمانة في جانبها النفسي خلق ثابت في النفس يعف به الإنسان عما ليس له به حق ، وإن تهيأت له ظروف العدوان عليه دون أن يكون عرضة للإدانة عند الناس ، ويؤدي به ما عليه أو لديه من حق لغيره ، وإن استطاع أن يهضمه دون أن يكون عرضة للإدانة عند الناس" [٤].

ومما سبق ، يتضح أن المقصود بالأمانة في التربية الإسلامية : ضد الخيانة ، وهو كف النفس عن النيل مما ليس لها بحق ، وأداء ما وكِّل إليه من الأمور والأعمال ، وحفظ ما للآخرين من حقوق.

ففي الأمانة ثلاثة عناصر أساسية هي [٥]:

أولاً : عفة الأمين عما ليس له به حق .

ثانياً : تأدية ما يجب عليه من حق لغيره.

ثالثاً : اهتمام الأمين بحفظ ما استؤمن عليه من حقوق غيره ، وعدم التفريط بها والتهاون بشأنها .

وللأمانة مكانة عظيمة في الشريعة الإسلامية ، قال الله سبحانه وتعالى آمراً بأداء الأمانات إلى أهلها ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء : ٥٨] . وقال عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٧]. وقد جعل صفة أداء الأمانات من صفات المؤمنين ، فقال عز وجل ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المؤمنون: ٨]. وقد حمل الله عز وجل الإنسان الأمانة

١- المرجع السابق . ٦٠١/٤.

٢- ابن منظور ، محمد بن مكرم. لسان العرب . مرجع سابق . مادة أمن .

٣- الجاحظ ، عمر بن بحر . تهذيب الأخلاق. مرجع سابق. ص٢٤.

٤- الميداني ،عبد الرحمن حسن حبنكة . الأخلاق الإسلامية وأسسها . مرجع سابق . ٦٤٥/١.

٥- المرجع السابق . ١/ ٦٤٦-٦٤٧.

دون سائر المخلوقات ، قال تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب :٧٢]

" من الواضح أن الإنسان قد امتاز عن المخلوقات الأخرى بخصائص التفكير ومعرفة صفات الأشياء والعقل والإرادة الحرة ، وجملة من مطالب النفس وأهوائها وشهواتها ، ومقدار ما من القدرة على تنفيذ ما يريد ، في مقدار ما من الزمان والمكان ، ضمن حدود هذه الحياة الدنيا. وما امتاز به الإنسان من كل ذلك مما يستطيع التصرف فيه بفعل الخير أو بفعل الشر ، هو أمانة وضعها الله تحت يده ، بعد أن منحه الاستعداد الفطري لحمل هذه الأمانة"[1].

كما جاءت الأحاديث النبوية آمرة بأداء الأمانات ، ومبينة عاقبة الخيانة في الدنيا والآخرة ، قال النبي ﷺ (أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ ، وَلا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ)[2]. وقد جاءت الأحاديث تبين أن من علامات الساعة نزع الأمانة من الناس ، فسأل رجل رسول الله ﷺ فقال: متى الساعة ؟. فأجابه رسول الله ﷺ : (فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ . قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا . قَالَ : إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ)[3] .

وتبرز مكانة الأمانة في التربية الإسلامية في أن عليها تعتمد العديد من الأخلاق الإسلامية ، وفي مقدمتها الوفاء والعدل والعفة والصدق وكتمان السر والنصيحة وغيرها. وتظهر أهمية الأمانة في أن قيام أي مجتمع مرهون بها ، ووضع دستوره ومنهجه يرتكز عليها ، فجميع العلاقات الاجتماعية والمعاملات المالية تعتمد على الأمانة ، فلا يمكن لفرد أن يعيش آمناً مطمئناً ، وهو غير آمن على نفسه ولا ماله ولا عرضه. وهي تشمل جميع حياة الفرد ، وتبرز في جميع علاقاته على كافة الاتجاهات . فللأمانة جانب يتعلق بعلاقة العبد مع ربه ، فقيام العبد بالعبادات والطاعات واجتناب المنهيات كلها أمانة بينه وبين ربه مسئول عن أدائها لخالقه المنعم عليه . كما أن للأمانة جانباً يتعلق بعلاقة الفرد مع الناس عامة ، وذلك بأن لا يعتدي على حقوقهم ، ولا يدعي ما ليس له بحق . وأن يؤدي ما عليه من حقوق للناس ، كأداء الودائع وحفظ الأسرار . ويكون أميناً في نصحهم وتوجيههم . كذلك يؤدي أمانة العمل الذي اسند إليه ، ولا يخون فيه ولا يغش ، وغير ذلك من الواجبات الاجتماعية التي تفرضها عليه الأمانة . كما تكون الأمانة بين الفرد ونفسه ، وذلك بأن يؤدي حقها في حفظ النفس والعقل من الهلاك ، ومنعها عما يضرها ، والسعي بها في درجات الكمال والطاعة .

إن المجالات التي تدخل فيها الأمانة كثيرة ولكن أبرزها [4]:

- الأموال : وذلك بالعفة عما ليس له به حق من المال ، وتأدية ما عليه من حق لذويه.
- الأعراض : العفة عما ليس له به حق ، وكف النفس واللسان عن نيل شيء منها بسوء.
- الأجسام والأرواح : بكف النفس واليد عن التعرض لها بسوء ، من قتل أو جرح أو ضر.

١- الميداني ،عبد الرحمن حسن حبنكة . الأخلاق الإسلامية وأسسها . مرجع سابق . ١/ ٦٥٤.

٢- الترمذي ،محمد عيسى . سنن الترمذي. مرجع سابق . كتاب البيوع . رقم الحديث : ١٢٦٧. وصححه الألباني في صحيح الترمذي . ٢/ ٣٦.

٣- البخاري ،محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري . مرجع سابق . كتاب العلم. باب من سئل علماً وهو مشتغل في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل . رقم الحديث : ٥٩.

٤- الميداني ،عبد الرحمن حسن حبنكة . الأخلاق الإسلامية وأسسها . مرجع سابق . ١/ ٦٤٩- ٦٥٠.

● المعارف والعلوم : بتأديتها كما هي عليه ، دون تحريف أو تغيير ، ونسبتها إلى أصحابها .

● الولاية : بتأدية الحقوق إلى أهلها ، وإسناد الأعمال إلى مستحقيها الأكفاء ، وحفظ أموال الناس وأجسامهم وأرواحهم ، وحفظ الدين .

● الشهادة : بتحملها وأدائها كما هي عليه ، دون تحريف أو تغيير.

● القضاء : بإصدار الأحكام وفق ما شرع الله وأحكام العدل التي استؤمن القاضي عليها.

● الأسرار : التي يُستأمن الإنسان على حفظها ، وتكون الأمانة فيها بكتمانها، وعدم إفشائها.

● الكتابة : بأن تكون وفق ما يمليه ممليها ، وعلى وفق الأصل الذي تنسخ عنه ، فلا يكون فيها تغيير ولا تبديل ولا زيادة ولا نقص.

ولخلق الأمانة انعكاسات إيجابية على الفرد والمجتمع أبرزها [1]:

١- الطمأنينة والأمن : فالطمأنينة تنبثق من الأمانة وهي ملازمة لها . فلا يتأتى الأمن والطمأنينة إلا بوجود الأمانة ، التي هي مفتاح للسعادة ، وسبيل للحضارة ، وطريق للنجاح ، وأساس للفلاح بإذن الله . فتقل السرقات ، ويؤمن على العرض والنفس والمال ، وتحد من انتشار الجريمة ؛ فيعيش المجتمع المسلم تحت ظل الأمانة في رخاء وسعادة . وقد سلبت هذا الأمن والطمأنينة كثير من الأمم ؛جزاء خيانتهم للأمانات ، سواء كان ذلك في الأحكام أو في المعاملات أو في العبادات ؛ فانتشر الخوف والهلع ، وقلّد الأمر من ليس بأهله ، فعجل لبعضهم العقوبة في الدنيا قبل الآخرة .

٢- شيوع البركة : فمع وجود الأمانة توجد البركة ، في العمر والمال والأهل والعلم والعمل . وهي ظاهرة بارزة وسائدة في مجتمع يطبق الأمانة تطبيقاً صحيحاً ، سواء أكان ذلك على مستوى الفرد أو الأسرة أو المجتمع . ومتى ما فرط المجتمع وأفراده في الأمانات التي أنيطت بهم ، في أي مجال ؛ نزعت منهم البركة في جميع أحوالهم.

ورود قيمة الأمانة في قصص النساء في القرآن :

ظهرت قيمة الأمانة بصورة إيجابية وسلبية في قصص النساء في القرآن ، وبصورة لفظية وضمنية ، فأما ورودها بصفة إيجابية لفظية فقد ظهرت أربع مرات :

١) في قصة امرأة لوط عليه السلام وبناته : فظهرت في القصة صفة لنبي الله لوط عليه السلام ، وذلك في قوله تعالى ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [الشعراء: ١٦٢]

٢) في قصة امرأة العزيز والنسوة : في وصف يوسف عليه السلام ، قال تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [يوسف:٥٤].

١- الحذيفي، إبراهيم علي إبراهيم . الأمانة ومكانتها في الإسلام . رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين قسم الكتاب والسنة ،عام ١٤١٣هـ . ٢/ ٧٨٤- ٧٨٧.

٣) في قصة أم موسى وأخته وزوجه وآسية عليهم السلام : فقد وصفت الفتاة موسى عليه السلام بالأمانة ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ [القصص: ٢٦]

٤) في قصة ملكة سبأ عليها السلام: في تعهد العفريت أن يحضر العرش ولا يمس ما فيه من الجواهر بسوء ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴾ [النمل: ٣٩].

أمـــا ورود القـــيمة بصورة سلبية فقد تمثل ذلك في لفظ الخيانة ، وقد وردت في قصص النساء في القرآن ثلاث مرات:

١) في قصة امرأة نوح وامرأة لوط في سورة التحريم : قال عز وجل في وصف حالهما ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ [التحريم : ١٠]

٢) في قصة امرأة العزيز والنسوة : ووردت فيها مرتين وذلك في قول يوسف عليه السلام في الآية ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [يوسف :٥٢].

وظهرت القيمة في القصص بصورة ضمنية إيجابية وسلبية ، على التفصيل التالي :

١) في قصـــة حواء عليها السلام : فقد حمل الله عز وجل آدم وحواء أمانة طاعته ، وأمرهما بترك الأكل من شـــجرة معينة ؛ ولكن أزلّ الشيطان الزوجين بالقسم الكاذب ، فكان هذا القسم منه خيانة لهما ، وترك للأمانة في النصح والقول ، فقصر آدم وحواء في حمل الأمانة بسبب كذب إبليس عليهما.

٢) في قصة امرأة العزيز والنسوة : أظهرت القصة أمانة الشاهد في الحكم ، فعلى الرغم من مكانة المرأة وقرابتها منه إلا أنه حكم بالحق وراعى الأمانة ؛ فجاء حكمه مطابقاً للواقع . وبينت القصة أمانة الملك في ولايته ، فقد أمر بالتحقيق في سبب سجن يوسف ، بسؤال النسوة وامرأة العزيز ، وكان لذلك أثر في ظهور الحق ورفع الظلم عن يوسف عليه السلام . وأيضاً ، ظهر في القصة أمانة النسوة ، وذلك في شهادتهن بالحق في أمر يوسف . بينما أظهرت القصة الخيانة في شخص امرأة العزيز ، بطلبها خيانة عرض زوجها . وتظهر القصة نقص أمانة العزيز ؛ لسجنه يوسف ظلماً بلا ذنب ، إيهاماً للناس بأنه هو المراود لزوجته ، فقابل أمانة يوسف على عرضه بظلمه وسجنه ، قال أبو حيان: " ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ لا ينفذه ولا يسدده ، وكأنه تعريض بامرأته في خيانتها في أمانة زوجها ، وبه في خيانته أمانة الله ، حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه ، ويجوز أن يكون توكيداً لأمانته وأنه لو كان خائناً لما هدى الله كيده ولا سدده" (١) . وتظهر القصة نقص أمانة الملأ لما استشارهم الملك في تفسير الرؤيا ، بنسبها إلى الأضغاث والأحلام ، مع اعترافهم بعدم معرفة تفسيرها، قال السعدي في تفسيره :" أي أحلام لا حاصل لها ، ولا لها تأويل وهذا جزم منهم بما لا يعلمون ، وتعذر منهم بما ليس بعذر " (٢).

١- أبوحيان، محمد بن يوسف . تفسير البحر المحيط . مرجع سابق . ٥/ ٣١٦.

٢- السعدي ،عبد الرحمن ناصر . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. مرجع سابق . ص٤٢١.

٣) في قصة أم موسى وأخته وزوجه وآسية عليهم السلام: تُظهر القصة خيانة فرعون لأمانة الولاية ، فقد كان يقتل أبناء بني إسرائيل ، ويعذب المؤمنين بموسى عليه السلام .

٤) في قصة ملكة سبأ : أظهرت القصة أمانة نبي الله سليمان عليه السلام في ولايته ، ورعايته لرعيته وجنده ، ومعاقبة من يستحق العقوبة ، وأمانته في أمر الدعوة إلى الله ، بدعوة ملكة سبأ إلى الإسلام وتهديدها إن لم تفعل بالحرب ، ورفضه للهدية لما قُصد منها خيانته لرسالته بتركهم على دينهم . قال الزحيلي: " وإنما جعلت بلقيس قبول الهدية أو ردها علامة على ما في نفسه لأنه قال لها في كتابه ﴿ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ وهذا لا تقبل فيه فدية ولا يؤخذ عنه هدية ، وإنما هي رشوة وبيع الحق بالباطل وهي الرشوة التي لا تحل"[1] . وبينت القصة أمانة الهدهد وحرصه على الدعوة إلى الله ، فقد بلغ نبي الله سليمان عليه السلام بخبر مملكة سبأ بأمانة وصدق ، وأدى رسالته إلى الملكة على الوجه الذي أمره به سليمان. وتظهر القصة أمانة من عنده علم من الكتاب في إحضار العرش كما هو دون نقص من جواهره ومحتوياته الثمينة . كما تظهر القصة أمانة الولاية في ملكة سبأ ، لحفظها أرواح القوم ، وتجنيبهم ويلات الحرب مع سليمان عليه السلام.

٥) في قصة مريم وأمها عليهما السلام: تظهر القصة أمانة نبي الله زكريا عليه السلام في تحمل ولايته وكفالته لمريم ، وتأديتها على أكمل وجه . فكان يتفقدها دائماً ، ويحضر لها ما تحتاجه ، ولما رأى لديها من الرزق ما لم يحضره ؛ سألها عن مصدره ، فأجابت بأنه رزق من الله . وتبين القصة أداء رسول الله جبريل عليه السلام للأمانة التي حمله الله إياها ، وهي النفخ في جيب مريم لتحمل بعيسى عليه السلام .

٦) في حادثة الإفك: تظهر القصة أمانة النصيحة في علي وأسامة وزينب وبريرة ، وأمانة صفوان بن معطل رضي الله عنهم ، وقد شهد له رسول الله ﷺ بالخيرية ، فقال في حديث الإفك : (ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً ، وما كان يدخل على أهلي إلا معي). وتظهر القصة نقص أمانة القائلين بالإفك، فقد شهدوا بما لم يروا ولم يعلموا ، وهم عبد الله بن أبي وحسان ومسطح وحمنة لذلك استحقوا العقوبة.

٧) في قصة زينب بنت جحش رضي الله عنها : فتظهر القصة أمانة رسول الله ﷺ في تبليغ الرسالة ، يقول السعدي :" ان الرسول ﷺ قد بلغ البلاغ المبين ، فلم يدع شيئاً مما أوحي إليه إلا بلغه ، حتى هذا الأمر الذي فيه عتابه "[2].

٨) في قصة التحريم : فقد أسر نبي الله ﷺ إلى حفصة بسره ؛ ولكنها أفشت هذا السر إلى عائشة ، فكان ذلك منها تقصيراً في حمل أمانة رسول الله ﷺ ، وحفظ سره ؛ بسبب شدة غيرتها ، ثم إنها ندمت على هذا الخطأ وعادت لله تائبة نادمة.

١- الزحيلي ،وهبة . التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج . مرجع سابق . ١٩/ ٢٩٨.

٢- السعدي ،عبد الرحمن ناصر . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. مرجع سابق. ص٧٢٦.

٤ـ قيمة الصدق :

الصدق مأخوذ من مادة : صدق. وهو مصدر من صدق يصدق صدقاً ، الصدق نقيض الكذب ، صدق يَصْدُقُ صَدْقاً. وصِدْقاً وتَصْداقاً. وصَدَّقه ، قبِل قوله. وصدَقَه الحديثَ: أنبأه بالصدق، ويقال : صَدَقْتُ القوم أي قلت لهم صِدقاً، وكذلك من الوعيد إذا أوقعت بهم قلت صَدَقْتُهم . ورجل صَدُوق : أبلغ من الصادق. والمصَدِّقُ: الذي يُصَدِّقُكَ في حديثك. ورجل صِدْق، وامرأة صِدق: وصفا بالمصدر [١] .

وفي الاصطلاح : عرف الصدق الجرجاني بأنه : " مطابقة الحكم للواقع ، وفي اصطلاح أهل الحقيقة قول الحق في مواطن الهلاك" [٢] .وقال عنه الراغب: الصدق مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معاً ، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقاً تاماً ، بل إما ألا يوصف بالصدق ، وإما أن يوصف تارة بالصدق وتارة بالكذب، على نظرين مختلفين[٣] . وعرف العمري الصدق بأنه: " التوافق بين القول والفعل والاعتقاد ، أو هو موافقة العمل لمقتضى أوامر الشرع "[٤]. فإذا كان الإنسان يعتقد أمراً فتحدث به ولكن ما يعتقده كان مخالفاً للواقع ، فيعتبر صادقا في ذاته، ولكن ما أخبر به هو كذب لمخالفته للواقع ، أما إذا تحدث بخلاف ما يعتقده ثم ظهر أنه مطابق للواقع ، فيعتبر كاذباً في ذاته إلا أن ما أخبر عنه هو صدق لمطابقته للواقع .

ومما سبق يمكن القول بأن المقصود بالصدق في التربية الإسلامية : هو قول الحق الموافق للشريعة الإسلامية وفعله واعتقاده.

وعن مكانة هذا الخلق في الإسلام تحدث ابن القيم فقال : به تميز أهل النفاق من أهل الإيمان ، وسكان الجنان من أهل النيران ، وهو أساس بناء الدين ، وعمود فسطاط اليقين ، ودرجته تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين[٥] . فجاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية آمرة به ومحذرة من الكذب . فعلقت الآيات القرآنية به سبب النجاة يوم القيامة قال تعالى ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ [المائدة :١١٩]. ووصف الله به نفسه ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [النساء :٨٧]. وأمر الله به المؤمنين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة : ١١٩]. ووصف الله به أنبيائه الكرام ﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [يس:٥٢]

كما جاءت الأحاديث النبوية آمرة به ، قال رسول الله ﷺ (عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى

---

١ – ابن منظور ، محمد بن مكرم. لسان العرب .مرجع سابق . مادة صدق

٢– الجرجاني ، علي محمد . كتاب التعريفات . المكتبة الفيصلية . مكة المكرمة . (د.ت). ص١٣٢.

٣– الأصفهاني، الراغب .مفردات غريب القرآن . مرجع سابق. ص ٤٧٨– ٤٧٩.

٤– العمري، محمد زهير. الصدق في التربية الإسلامية . رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة أم القرى كلية التربية قسم التربية الإسلامية والمقارنة . ١٤١٩هـ. ص١٧.

٥– ابن القيم ، محمد بن أبي بكر. مدارج السالكين . مرجع سابق . ٢٧٩/٢.

الْكَـــذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا)[1]. وقال ﷺ (دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لا يَرِيبُكَ ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ)[2]. ووصف أبو سفيان رضي الله عنه النبي ﷺ بالصدق لما سأله عنه هرقل الروم فرد هرقل (وَسَـــأَلْتُكَ هَـــلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لا ، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ) [3].وكان عليه الصلاة والسلام يتعاهده في أصحابه ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ قَالَ: (دَعَتْنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا ، فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّـــهِ ﷺ: وَمَـــا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيهِ ؟ قَالَتْ : أُعْطِيهِ تَمْرًا ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِيهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةٌ)[4]. وأعلى مراتب الصدق مرتبة الصديقية وهي مرتبة تلي النبوة مباشرة ، ووصف بها أبو بكر الصديق لكثرة تصديقه لرسول الله ﷺ.

وســـبب حرص الإسلام على هذا الخلق ؛ لأنه عماد الأخلاق وأساسها ، ومتى فُقد أو ضعف تجاوز أثره الفرد والمجتمع ، إلى التأثير على الكائنات الحية على وجه الأرض . وإن البناء الديني والعلمي والاجتماعي يقوم عـــلى أساس الصدق . فعلاقة المسلم بربه يجب أن يكون الصدق أساسها لذلك كانت أعلى درجات الصدق "هـــي درجة الصدق في العبادة ومقامات الدين بأدائها والتزامها ، وذلك لأن العبادة تشمل الأقوال والأعمال والأحوال ، ولأن العبادة هي أشرف ما يؤديه الإنسان في الحياة " [5] .

أما من ناحية البناء الاجتماعي والعلمي ، فإذا تصورنا مجتمعاً قام رافعاً راية الكذب والخيانة وليس للصدق فـــيه مكان ، كيف يكون حال هذا المجتمع في معاملات أفراده . كيف يتناصح أفراده والكذب هو اللسان؟. فمن يسمع لهذا اللسان الكاذب ؟ هل سيوجد فيه للتعاون مكان ؟ وكيف يأمن فيه الإنسان على نفسه وماله؟ وكيف سيكون حال العهود والمواثيق ، هل سيؤدي الأمانة من اؤتمن؟ أم هل سيوفي بالعهد من أبرمه ؟ وهل يوجـــد فـــيه عنوان الحقوق والواجبات ؟ أم كيف ستنقل العلوم والمعارف بين الأجيال؟ أم كيف ستسجل الأخبار والأحداث؟

والإنسان مفطور على حب الصدق وحب الحق ، فخلق الكذب " لا يكون أصيلاً في طبع الإنسان بحسب فطـرته وإنمـــا يكتســـبه بعـــد ذلك في حياته اكتساباً ، بعوامل شتى ، منها البيئة ، ومنها مؤثرات الأهواء والشهوات، ومنها اعتياد بتكرر الخبرات ، ثم تتحول العادة فتكون خلقاً مكتسباً" [6]. ويعرف صاحب اللسان الصـــدق بأمارات وعلامات دالة عليه : من طمأنينة النفس ، وثبات القلب ، ووضوح البيان ، ومحبة الناس ، ودائماً يرى باحثاً عن الحق قاصداً لـــه ، فإذا ما أتاه أذعن لـــه وأخذ به من أي جهة كان . لقد جمع الصدق

١- القشيري ،مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم .مرجع سابق . كتاب البر والصلة و الأدب . باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله . رقم الحديث : ٢٦٠٧.

٢- الترمذي ،محمد عيسى . سنن الترمذي. مرجع سابق . كتاب القيامة والرقائق والورع. . رقم الحديث: ٢٥٢٣. وصححه الألباني في صحيح الترمذي. ٢/ ٦١١.

٣- البخاري ،محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري مرجع سابق . كتاب بدء الوحي. باب بدء الوحي . رقم الحديث :٧.

٤- ابوداود ،سليمان بن الأشعث . سنن أبي داود .مرجع سابق . كتاب الأدب . باب في التشديد في الكذب . رقم الحديث:٤٩٩١. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود . ٣/ ٢٢٦.

٥ – الشرباصي ،أحمد. موسوعة أخلاق القرآن . مرجع سابق . ٤٨/١.

٦ – الميداني ،عبد الرحمن حسن حبنكة . الأخلاق الإسلامية وأسسها . مرجع سابق . ٥٣١/١.

الكثير من الأخلاق والفضائل ، ففيه الأمانة ، والوفاء بالعهد ، والإخلاص في العمل ، وإحقاق الحق ، والتناصح بالخير .

وخلق الصدق قابل للاكتساب والتنمية ، كما يدل الحديث السابق في قوله ﷺ (ويتحرى الصدق) وذلك عن طريق التدريب العملي ، والتطبيق المستمر ، مع المجاهدة في ذلك ، فهو "يحتاج إلى إرادة صلبة ، وعزيمة قوية ، وإيمان وطيد ، واحتمال كريم لتبعات الصدق" [1]. وكما يكون الصدق في الأقوال يكون أيضاً في الأعمال والأحوال ، قال ابن القيم :

> "فالصدق في الأقوال : استواء اللسان على الأقوال ، كاستواء السنبلة على ساقها . والصدق في الأعمال : استواء الأفعال على الأمر والمتابعة . كاستواء الرأس على الجسد . والصدق في الأحوال : استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص . واستفراغ الوسع وبذل الطاقة . فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق. وبحسب كمال هذه الأمور فيه وقيامها به : تكون صديقيته" [2] .

ونقيض صفة الصدق خلق الكذب ، ويقصد به كل قول أو فعل أو دلالة مقصودة جاءت مخالفة للواقع والحقيقة . والكذب داء عضال يؤدي إلى فساد المجتمعات ، وانحلال أواصر الأخوة والمحبة بين أفراده ، وتشيع الفاحشة ، وتزعزع الثقة بينهم ، وهو سبب رئيسي لانهيار البناء الاجتماعي . لذلك حرمه الإسلام وبلغ في ذلك الغاية القصوى من التهديد والوعيد ، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [النحل: ١٠٥]. ولكن الإسلام أجاز الكذب في ثلاث حالات تحقيقاً لمصلحة ودرءاً لمفسدة أعظم من مفسدة الكذب ، وقد حددها النبي ﷺ في قوله (لا يَحِلُّ الْكَذِبُ إلا فِي ثَلاثٍ: يُحَدِّثُ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ لِيُرْضِيَهَا، وَالْكَذِبُ فِي الْحَرْبِ ، وَالْكَذِبُ لِيُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ) [3].

ورود قيمة الصدق في قصص النساء في القرآن الكريم :

وردت قيمة الصدق بلفظها على اختلاف تصريفاتها في قصص النساء في القرآن، فظهرت بصورة إيجابية لفظية تسع مرات :

١) في قصة امرأة لوط عليه السلام وبناته : جاءت مرتين ، الأولى : عندما وصف الملائكة أنفسهم بالصدق فيما جاءوا به لوط في قولهم ﴿ وَأَتَيْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الحجر:٦٤] . والثانية : عندما تهكم قوم لوط برسولهم فقالوا له طالبين العذاب الذي يهددهم به ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ

---

١ – الشرباصي ،أحمد. موسوعة أخلاق القرآن . مرجع سابق . ٤٩/١.

٢– ابن القيم ، محمد بن أبي بكر. مدارج السالكين . مرجع سابق. ٢٨١/٢.

٣– الترمذي ،محمد عيسى . سنن الترمذي. مرجع سابق . كتاب البر والصلة . باب ما جاء في إصلاح ذات البين . رقم الحديث: ١٩٤٣. قال عنه الألباني في صحيح الترمذي : "صحيح دون قوله ليرضيها" .٢/ ٣٥٧.

ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [العنكبوت :٢٩].

٢) في قصة امرأة العزيز والنسوة: وظهر اللفظ في القصة أربع مرات ، في حكم الشاهد ، فقال ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [يوسف :٢٦-٢٧]. فظهر صدق يوسف وكذب امرأة العزيز . وقد وصف نبي الله يوسف عليه السلام في الآيات بالصدق ، وذلك في قول الناجي ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ ﴾ [يوسف :٤٦] . وفي وصف امرأة العزيز ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [يوسف:٥١].

٣) في قصة ملكة سبأ عليها السلام: فلما جاء الهدهد لسليمان بعذر تأخره ، وحدثه بخبر مملكة سبأ، أراد سليمان عليه السلام أن يختبر صدق الهدهد من كذبه ، فقال له ﴿ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [النمل: ٢٧].

٤) في قصة مريم وأمها عليهما السلام : فقد وصفت مريم في آيات القصة بالصدق مرتين ، الأولى في قوله تعالى ﴿ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ﴾ [المائدة :٧٥] .قال ابن عاشور "فالمعنى المبالغة في وصفها بالصدق، أي صدق وعد ربها وهو ميثاق الإيمان وصدقُ وعد الناس"[1]. والثانية في الآية ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [التحريم :١٢].

ووردت القيمة بصورة سلبية في قصص النساء في القرآن ، في لفظ الكذب ، خمس مرات ، كما ظهرت أيضاً بلفظ الإفك مرتين ، وذلك على التفصيل التالي :

١) في قصة امرأة لوط عليه السلام وبناته : فقد وصف الله قوم لوط بالتكذيب لنبيهم في قوله تعالى ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الشعراء:١٦٠] .

٢) في قصة امرأة العزيز والنسوة : فجاء لفظ الكذب في قول الشاهد مرتين: ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [يوسف : ٢٦-٢٧].

٣) في قصة ملكة سبأ عليها السلام : في قول سليمان ﴿ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [النمل: ٢٧].

٤) في قصة الإفك : فقد وصف الله عز وجل من قال بالإفك ، دون أن يكون لديه شهود ، بأن قولهم كذب ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [النور:١٣].

١- ابن عاشور ، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير . مرجع سابق . ٦/ ٢٨٦.

٥) أما وروده بلفظ الإفك ، فظهر في حادثة الإفك مرتين ، فقد وصف ما قاله المنافقون والقاذفون لأم المؤمنين عائشة بأن قولهم إفك ، والإفك هو أعظم الكذب قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [النور:١١]. وقال ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [النور:١٢]. قال ابن منظور : أَفَكَ يَأْفِكُ وأَفِكَ يَأْفَكُ إذا كذب . ويقال:أَفَكَ كذب. وفي حديث عائشة رضوان الله عليها : حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا ، الإِفْكُ في الأصل الكذب وأراد به ههنا ما كُذِب عليها مما رميت به[1] .

أما ورود القيمة بصورة ضمنية في القصص فقد ظهرت بصورة إيجابية وسلبية ، على التفصيل التالي :

١) في قصة حواء عليها السلام : ففتن إبليس آدم وزوجه ودعاهما للأكل من الشجرة بالقسم الكاذب والتعليل الباطل ، قال ابن عباس " قال آدم : بلى يا رب ولكن وعزتك ما حسبت أن أحداً يحلف بك كاذباً "[2].

٢) في قصة امرأة نوح عليه السلام: فقد كانت تصف امرأة نوح زوجها بالجنون ، قال ابن عباس: "كانت امرأة نوح تقول للناس : إنه مجنون"[3].

٣) في قصة امرأة العزيز والنسوة : فقد ذكر بعض العلماء أن صاحبي السجن لم يريا شيئاً ، وإنما كذبا فيما قالاه ليوسف ؛ ليختبراه ، قال عبد الله بن مسعود : "ما رأى صاحبا يوسف شيئاً ، وإنما كانا تحالما ليجربا علمه"[4]. فكان عقوبة كذبهما يقع عليهما ما أوله يوسف عليه السلام .كما ظهر في القصة صدق النسوة لما استدعاهن الملك لسؤالهن عن أمرهن مع يوسف ، فشهدن ببراءته من الفاحشة وصدقه.

٤) في حادثة الإفك : وذلك في قول عائشة (إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به ، فلئن قلت لكم إني بريئة ، والله يعلم أني بريئة، لا تصدقوني بذلك ولئن اعترفت لكم بأمر ، والله يعلم أني منه بريئة ، لتصدقني). فصدَّقها الله فيما قالت بأن أنزل براءتها في القرآن الكريم .

٥ـ قيمة الحكمة :

الحكمة في اللغة: مأخوذة من مادة : حكم . و"الحُكْمُ: مصدر قولك حَكَم بينهم يَحْكُمُ أي قضَى . وحكم لـه وحكَـمَ عليه . والحُكْمُ أيضاً : الحكمَة من العلم . والحكيم: العالم ، وصاحب الحكمة، والحكيم:والمتقن للأمور . وقد حَكُمَ أي صار حكيماً "[5]. وقيل الحكيم ذو الحكمة ، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم . ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها : حكيمٌ. والعرب تقول

١- ابن منظور ، محمد بن مكرم. لسان العرب .مرجع سابق . مادة أفك

٢- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ١٤٢/٨.

٣- المرجع السابق . ٢٨/ ١٧٠.

٤- المرجع السابق .٢١٤/١٢.

٥- الجوهري ،إسماعيل بن حماد. الصحاح . مرجع سابق . مادة حكم.

حَكَمْـــتُ وأحْكَمْتُ وحَكَمْتُ بمعنى منعت ورددت ، ومن هذا قيل للحاكم بين الناس حاكِمٌ لأنه يمنع الظالم من الظلم[1].

أمـــا في الاصطلاح: فعرف الراغب الأصفهاني الحكمة بأنها: " اسم لكل علم حسن وعمل صالح ، وهو بالعـــلم العمـــلي أخص منه بالعلم النظري وفي العمل أكثر استعمالا منه في العلم ، وإن كان العمل لا يكون محكماً دون العالم به ، ومنها قيل أحكم العمل إحكاماً ، محكم بكذا حكماً ، والحكمة من الله عز وجل إظهار الفضائل المعقولة والمحسوسة ، ومن العباد معرفة ذلك بقدر طاقة البشر " [2] . وعرفها ابن مسكويه بقوله: هي وسط بين السفه والبله، وأعني بالسفه ههنا استعمال القوة الفكرية فيما لا ينبغي وكما لا ينبغي ، وأعني بالبله: تعطيل هذه القوة واطراحها ، وليس المقصود نقصان الخلقه بل تعطيل القوة الفكرية [3].

وعـــرفها الشرباصي بأنها: " فضيلة تمنع صاحبها من الجهل في القول والعمل ، وتصده عن سوء التصرف والمعاملـــة ، وتحذره رذيلة الاندفاع والعجلة ، وتعلمه أن يضع كل شيء في موضعه ، لذلك قيل ان الحكمة مجموعة معانٍ من العلم ، والعدل ، والتنظيم ، والتقويم "[4] .

وممـــا ســبق يمكـــن القول أن الحكمة في التربية الإسلامية : هي القدرة على الاختيار الصحيح في حل المشكلات وتوجيه الآخرين ، ووضع كل شيء في موضعه المناسب ، مع مراعاة العلم والعدل والأناة.

وقد جاء ذكر الحكمة في القرآن الكريم في كثير من الآيات ، فقد وصف الله نفسه بأنه حكيم ﴿ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النور:١٨]. ووصف الله عز وجل القرآن بأنه كتاب حكمة قال تعالى ﴿ يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ [يس : ١-٢]. وقد جعله هبة منه لمن يشاء من عباده ، فقال سبحانه ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة : ٢٦٩]. وتأتي الحكمة في القرآن ويراد بها عدة معاني ، يقول الفيروز آبادي : وردت الحكمة في القرآن الكريم على ستة أوجه : النبوة والرسالة ، والقرآن والتفسير والتأويل وإصابة القول فيه، وفهم الدقائق والفقه في الدين، ومعنى الوعظ والتذكير ، وآيات أوامر القرآن ونواهيه ، وحجة العقل على وفق أحكام الشريعة [5] .

وقـــد وردت الكثير من الأحاديث التي تبين اهتمام النبي ﷺ بالحكمة وتوجيهه أمته نحوها ، فمن صفات الـــنبي أنه كان حكيماً ، فعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَفَرَجَ صَدْرِي ، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ) [6] .وقال رسول الله ﷺ معظماً مكانة الحكمة (لا حَسَدَ إلا في اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً، فَسَــلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ ، وَآخَرُ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا)[7]. ولما أراد أن يدعو لابن

---

١ – ابن منظور ، محمد بن مكرم. لسان العرب .مرجع سابق . مادة حكم.

٢– الأصفهاني ، الحسين بن محمد بن المفضل الراغب . الذريعة إلى مكارم الشريعة . مكتبة الكليات الأزهرية . ١٣٩٣هـــ . راجعه وقدم له وعلق عليه : طه عبد الرءوف سعد .ص٨٣

٣– ابن مسكويه ، أحمد محمد . تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق . مرجع سابق. ص٣١.

٤– الشرباصي ، أحمد. موسوعة أخلاق القرآن . مرجع سابق. ٣ / ٨٨.

٥– الفيروز آبادي ، محمد يعقوب . بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تحقيق محمد علي النجار . لجنة إحياء التراث الإسلامي القاهرة ، ١٤٠٦هـــ . ٢/ ٤٩٠-٤٩١.

٦– البخاري ،محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري . مرجع سابق . كتاب الصلاة . باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء .رقم الحديث :٣٤٩.

٧– البخاري ،محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري . مرجع سابق . كتاب الأحكام . باب أجر من قضى بالحكمة. رقم الحديث :٧١٤١.

عمـــه ، عبدالله دعا لـــه بالحكمة ، عن ابن عباس قال ضمني رسول الله ﷺ وقال (اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ)[1]. وكان يعجبه شعر الحكمة ويردده ويقول (إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً) [2] .

وتأتي أهمية خلق الحكمة في حياة الفرد والجماعة المسلمة ؛ لما لها من أثر إيجابي على كل من الفرد والمجتمع. فهـــي تؤدي إلى تبصير الفرد بما لـــه وما عليه ، وتعطيه بصيرة في التعامل مع الحياة ومواجهة مشكلاتها بقوة ورأي سديد . كما أنها تمنحه الثقة في النفس والراحة القلبية ، وتقلل من الأخطاء وسوء التصرفات التي يكون مبعثها دائماً الجهل والعجلة .

والحكمة حكمتان ، علمية : ويقصد بها الاطلاع على بواطن الأشياء ، ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها ، خلقاً وأمراً ، قدراً وشرعاً. والحكمة العملية : هي وضع الشيء في موضعه [3] .

ولـــلحكمة مقومات لا تتحقق إلا بها ، ولا يكون الإنسان حكيماً إلا إذا توافرت فيه جملة من الصفات والمؤهـــلات ، ويأتي على رأس تلك المقومات العقل ، فبه تعقل الأمور ، وبواسطته ينظر في العواقب ، وعن طريقه يهتدي إلى الهدى . ومنها الزهد في حطام الدنيا والزهد في فضول الكلام . ومنها أيضاً التروي والتأني والـــتمهل في معالجة المسائل ؛ لأن للعجلة وعدم التثبت مزالق كثيرة ومهاوي خطيرة وهي ضد الحكمة [4] . ولهذا تعد أركان الحكمة ثلاثة هي : العلم والحلم والأناة . وآفاتها وأضدادها ثلاثة أيضاً : الجهل ، والطيش، والعجلة. فلا حكمة لجاهل ، ولا طائش ، ولا عجول [5] .

وللحكمة وسائل وسبل لاكتسابها ونيلها : وأهم تلك الوسائل والسبل إخلاص العبادة لله . ومن وسائلها مصاحبة الحكماء ومجالسة الصالحين والعلماء ؛ لأن في طول مصاحبتهم والاستماع إليهم تشبهاً بهم ، واقتباساً من علمهم وحكمتهم. كذلك التفقه في الدين يعد من أهم وسائل اكتساب الحكمة ، بل هو أبرزها وأنجعها . والتجارب وسيلة فعالة لاكتساب الحكمة ، لأن التجارب تصقل عقل الإنسان ، وتعطيه خبرة كبيرة في معرفة حقائق الأمور[6] .

ورود قيمة الحكمة في قصص النساء في القرآن

ظهـــرت قيمة الحكمة في قصص النساء في القرآن بصورة إيجابية وسلبية ،وبصورة لفظية وضمنية . فأما ورودها بصفة لفظية إيجابية فكان خمس مرات :

١) في قصة امرأة إبراهيم عليه السلام : فذكرت الحكمة صفة لله عز وجل ، في قوله تعالى ﴿ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الذاريات : ٣٠] .

١- الترمذي ،محمد عيسى . سنن الترمذي. مرجع سابق . كتاب المناقب . باب مناقب عبد الله بن عباس . رقم الحديث :٣٨٣٣. وصححه الألباني في صحيح الترمذي . ٣/٥٥٦.

٢- البخاري ،محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري . مرجع سابق . كتاب الأدب . باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه . رقم الحديث : ٦١٤٦.

٣- ابن القيم ، محمد بن أبي بكر. مدارج السالكين . مرجع سابق. ٢/ ٤٩٨-٤٩٩.

٤- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان وآخرون . موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية . الحكمة . دار روح . ١٤٢٠هـ . ٢٣/٣٩- ٤٠.

٥- ابن القيم ،محمد بن أبي بكر . مدارج السالكين .مرجع سابق .٢/ ٥٠٠.

٦- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان وآخرون. موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية. الحكمة . مرجع سابق . ٢٣/ ٤١.

٢) في قصة امرأة العزيز والنسوة : في وصف يوسف عليه السلام ، قال سبحانه ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [يوسف:٢٢]. قال الزمخشري: " أي حكمة وهو العلم بالعمل واجتناب ما يُجْهل فيه " [١] .

٣) في قصة مريم عليها السلام : في وصف الملائكة لنبي الله عيسى عليه السلام في قوله تعالى ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [آل عمران :٤٨].

٤) في حادثة الإفك : فوردت صفة لله عز وجل ، قال تعالى ﴿ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النور: ١٨].

٥) في حادثة التحريم : في ذكر صفات الله سبحانه ﴿ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [التحريم : ٢] .

ووردت قيمة الحكمة بصورة سلبية لفظية مرتين ، وكانت بلفظ الجهل :

١) في قصة امرأة لوط عليه السلام: فوصف لوط قومه بالسفه والجهل ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النمل : ٥٥].

٢) في قصة امرأة العزيز والنسوة : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [يوسف:٣٣]. قال أبو السعود: "الذين لا يعملون بما يعلمون ولأن من لا جدوى لعلمه فهو والجاهل سواء ، أو من السفهاء بارتكاب ما يدعونني إليه من القبائح لأن الحكيم لا يفعل القبيح" [٢] .

أمـــا ورود قيمة الحكمة ضمناً في قصص النساء في القرآن فقد ظهر بصورة إيجابية وسلبية ،على التفصيل التالي:

١) في قصـــة حـــواء عليها السلام : وظهرت حكمة آدم وحواء في توبتهما ورجوعهما إلى الله لما وقعا في الخطيئة . كما ظهر سفه إبليس عندما ترك طاعة أمر الله بالسجود لآدم ، فكان عاقبته اللعنة والعذاب.

٢) في قصة امرأة لوط عليه السلام وبناته : فقد ظهر اتصاف نبي الله لوط بالحكمة في دعوته لقومه والإنكار عليهم ، يقول الشرقاوي: "ضرب لوط عليه السلام أروع الأمثلة في الصبر والثبات على الحق ، والحكمة في الدعـــوة إلى الله عز وجل والثقة بالله تعالى واليقين بوعده الذي لا يتخلف ، كما ضرب عليه السلام أروع الأمثلة في إكرام الضيف ورعاية حقوقه والترحيب به ، حتى في أصعب الأحوال" [٣] . كما أظهرت القصة سفه وجهل امرأة لوط ، فقد تركت الحق – وهو اتباع دين زوجها – واستمرت على متابعة قومها عـــلى كفـــرهم مع نصرهم على ذلك ، وقد كان ذلك سبب هلاك قومها ، فقد هرعت إليهم تخبرهم

١- الزمخشري ،محمود بن عمر. الكشاف . تحقيق : عادل عبد الموجود، علي معوض . مكتبة العبيكان. الرياض. ١٤١٨هـــ. ٣/ ٢٦٦.

٢- أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي. تفسير أبي السعود .مرجع سابق . ٤/ ٢٧٤.

٣- الشرقاوي ،أحمد محمد . المرأة في القصص القرآني . مرجع سابق. ٢٤٣/١.

بضيف لوط ، وما كانوا ليعلموا الخير لولاها ، وقصد القوم لهم بالفاحشة كان سبباً في طمس أعينهم ، ومن ثم تبعه العذاب الأليم.

٣) في قصة امرأة العزيز والنسوة : فقد اتصف الشاهد بالحكمة ، فقد حكم بين يوسف وامرأة العزيز بالقرائن ، وكان حَكماً عدلاً كشف الحق وأبانه. كما تُظهر القصة حكمة الملك في مكافأة إحسان يوسف عليه السلام في تفسير الرؤيا والنصح لهم ، بإخراجه من السجن بعد أن أجاب طلبه بالتحقيق في سبب سجنه ، ومن ثم توليته على خزائن الأرض . كما تُظهر القصة سفه امرأة العزيز وطيشها وذلك في أمر مراودتها ليوسف ، ومن ثم دعوتها للنسوة لتريهن يوسف وحسنه ؛ اعتذاراً عما صنعت وليشهدن هذه المراودة.

٤) في قصة أم موسى وأخته وزوجه وآسية عليهم السلام : وتظهر فيها حكمة أخت موسى ، وذلك في طلبها لأخيها دون أن تُشعِر القوم بما تريد ، ثم تركها دلالتهم إلى المرضعة ، حتى رفض المرضعات ، وكان ذلك بأسلوب لا ريبة فيه ، وتخلصها من القوم لما شكوا في أمرها بحكمة . قال السعدي : "أي بصرته على وجه ، كأنها مارة لا قصد لها فيه . وهذا من تمام الحزم والحذر ، فإنها لو أبصرته ، وجاءت إليهم قاصدة لظنوا بها ، أنها هي ألقته ، فربما عزموا على ذبحه " [1].كما تظهر القصة حكمة موسى عليه السلام وذلك في سؤال الفتاتين عن سبب تأخرهما في سقي غنمهما ، فلما علم خبرهما سقى لهما . وتظهر أيضاً في سيره مع الفتاة بأدب وحياء ، وأيضاً في إبرامه عقد الإيجار مع الرجل الصالح ، وترك حرية اختيار أي الأجلين لرأي موسى. وتظهر القصة اتصاف فتاتي مدين بالحكمة ، وذلك في تركهما للسقي حتى يفرغ الرعاء ؛ لئلا تختلطا بالرجال الأجانب ومحافظة على أغنامهما .كما تظهر في استدعاء الفتاة لموسى لزيارة أبيها بتوضيح من الطالب وبصيغة لا ريبة فيها مع أدبٍ جم . وتظهر أيضاً عندما أشارت الفتاة على والدها باستئجار موسى لرعي الغنم ، وتعليل ذلك بتعليل يدل على حكمتها . قال الزمخشري : " وقولها ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ كلام حكيم لا يزاد عليه ، لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان أعني الكفاية والأمانة في القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك" [2]. وتظهر في القصة حكمة الرجل الصالح ، وذلك في طلب موسى لمكافأته على مساعدته ابنتيه وسقيه لغنمه ، وطلبه أن يأجره ثماني سنوات أو عشر مقابل تزويجه ابنته ؛ لمَّا توسم فيه الخير والصلاح . وتظهر القصة حكمة آسية عليها السلام عند طلب المولود من فرعون . قال الحميد في الفوائد والعبر من هذه القصة :"الحكمة في سؤال الملوك واستلطافهم باختيار العبارات التي يرجى بها استجابتهم فقد قدمت آسيا طلبها﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ﴾ ثم عرضت ما تريد بأسلوب التعظيم ﴿ لَا تَقْتُلُوهُ ﴾ ثم ذكرت علة ذلك بقولها﴿ عَسَىٰٓ

١ - السعدي ،عبد الرحمن ناصر . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. مرجع سابق .ص٦٦٦.

٢- الزمخشري ،محمود بن عمر. الكشاف . مرجع سابق. ٤/ ٤٩٣.

أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا ﴾ " [1]. كما تظهر القصة سفه فرعون ، فقد كان يقتل أبناء بني إسرائيل خوفاً من ولادة موسى ، فعاقبه الله أن يربى موسى عليه السلام في بيته وتحت نظره وبرعايته.

٥) في قصة ملكة سبأ عليها السلام: جميع أحداث القصة تبرز قيمة الحكمة صفة لنبي الله سليمان عليه السلام، وذلــك بــدءاً من تفقده لجنده ، ومحاسبته للهدهد والذي اتصف أيضاً بالحكمة في قوله وفعله ، وتأكد ســليمان مما أخبر به الهدهد بإرسال الكتاب . يقول الشرقاوي : " سمع نبي الله سليمان إلى مقولة الهدهد بــتمامها ، وأعجب بحكمته ، وفصاحته والتمس فيها الصدق والإخلاص والغيرة على الحق ، ولكنه لم يتسرع في الأمر و لم يتعجل في الحكم ، وإنما تصرف بأسلوب الحكماء الراشدين فأراد أن يتثبت من هذا الأمــر ، ويقــف على صحة كلام الهدهد"[2] ، ومما يدل على حكمة سليمان عليه السلام رفضه للهدية وإحضــاره للعــرش وبناءه الصرح ؛ لترى ملكة سبأ عظيم ملكه ، فيثبت في نفسها أنه رسول فتسلم ، وكــان لــــه ما أراد . كما تظهر القصة اتصاف ملكة سبأ بالحكمة ، وذلك في عدم استعجالها في أمر سليمان حتى استشارت القوم ، ورفضها لرأي القوم الداعي إلى الحرب ، وإرسالها للهدية للتأكد من نوايا ســليمان ، قال قتادة رحمه الله :"ما كان أعقلها في إسلامها وشركها ، علمت أن الهدية تقع موقعاً من الــناس" [3]. وحضــورها لسليمان لما رفض الهدية وعلمت أنه نبي ، وفي ردِّها على سؤال العرش ، قال الزحيــلي : "وكــان جوابها جواب سياسي بارع ذكي محنك ، دل على كمال عقلها ودهائها ، وثبات شخصها ، وأنها في غاية الذكاء والحزم " [4]. وإسلامها لما علمت الحق واستبان لها الأمر. وظهر في القصة حكمــة القوم ، إذ أبانوا رأيهم ، ووكلوا الأمر إليها ، تقضي ما تشاء ، مع إظهارهم طاعتها واجتماع شملهم عليها.

٦) في قصة مريم وأمها عليهما السلام : فتظهر فيها حكمة أم مريم ، وذلك في نذرها ما في بطنها لخدمة البيت المقدس طاعة لله وتقرباً ، واعتذارها لما كان المولود أنثى ، وكذلك في تعويذها للمولودة وذريتها من الشيطان الرجيم ، وكان لذلك أثر على ابنتها وولدها عيسى عليهما السلام . وتظهر القصة حكمة زكريا عليه السلام ، حيث لم يستعجل الحكم على مصدر الرزق الذي يأتي مريم حتى سألها . وتظهر الحكمة في مريم عليها السلام ، فلما رأت الرجل بين يديها وخافت على نفسها منه ؛ حاولت دفعه بالأقل ضرراً فذكرته بالله . قال ابن كثير: "لما تبدى لها الملك في صورة بشر وهي في مكان منفرد وبينها وبين قومها حجاب خافته وظنت أنه يريدها على نفسها فقالت ﴿ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ ﴾ أي إن كنت تخاف الله ، تذكيراً له بالله وهذا هو المشروع في الدفع أن يكون بالأسهل فالأسهل فخوفته

١- الحميد ،محمد ناصر . قصص النساء في القرآن الكريم . مرجع سابق. ص ٢٩٣.

٢- الشرقاوي ،أحمد محمد . المرأة في القصص القرآني . مرجع سابق . ٢/ ٥١٢.

٣ - ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق .٣/٣٩٩.

٤- الزحيلي ،وهبة . التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج . مرجع سابق . ١٩/ ٣٠٤.

أولاً بالله عز وجل" [1]. وتظهر القصة حكمة قوم مريم لما أتتهم بالمولود ؛ فلم يستعجلوا الحكم عليها ، وإنما ذكروها بطهارة أمها وأبيها ، وترك لها المجال لتبين عذرها ، فأبان المولود عيسى عليه السلام عذرها.

٧) في حادثة الإفك : تظهر حكمة رسول الله ﷺ وذلك في اتخاذ القرعة بين زوجاته عند الخروج ، وأيضاً في ترك الاستعجال في الحكم على أهله بالسوء ، واستشارة أصحابه في الأمر . وحكمة عائشة في بقائها في مكانها لعل القوم يفقدونها فيرجعوا لها. كما تُظهر حكمة من استشارهم رسول الله في أمر عائشة حيث سددوا للحق ، وهم علي وأسامة وزينب وبريرة رضي الله عنهم . وحكمة سعد بن معاذ في رده على مقالة النبي ﷺبالنصرة والعون له على من آذاه في أهله ، ولم تأخذه في نصرة رسول الله حمية ولا عصبية. ويظهر نقص حكمة سعد بن عبادة بسبب الحمية والعصبية . ونقص حكمة من قذف أم المؤمنين عائشة ؛ حيث تكلف ما لا يعلم.

٨) في قصة زينب بنت جحش رضي الله عنها: تظهر حكمة زيد رضي الله عنه وذلك في استشارته النبي ﷺ في طلاق زينب.

٩) في حادثة التحريم : تظهر حكمة رسول الله ﷺ في تعامله مع زوجاته ، عندما تعاونت عائشة وحفصة على تحريمه ما أحل الله له ، وعندما أفشت حفصة سره لعائشة ؛ فقد اكتفى بإخبارها ببعض ما حدثت به صاحبتها ؛ دون أن يستقصي كل الحديث ، وهجرهن شهراً كاملاً. كما تظهر القصة أن الغيرة الزائدة تخرج الحكيم عن حكمته وتؤدي به إلى أفعال تنافي الحكمة ، وهذا ما وقع للسيدتين عائشة وحفصة ، فبسبب الغيرة الزائدة على رسول الله ﷺ ؛ خرجتا عن مقتضى الحكمة بالتظاهر على رسول الله ، ولكن لما استبان لهما أنهما مخطئتان ؛ تابتا وندمتا على ما كان منهما وفي رجوعهما للحق حكمة وخير .

١٠) في قصة المجادلة : تظهر حكمة المجادلة في رجوعها لرسول الله ﷺ في أمر ظهار زوجها للسؤال ، وكذلك في التجائها إلى الله بالشكوى ، وكان ذلك سبباً في انفراج كربها .

١١) في قصة امرأة أبي لهب: فيظهر سفه هذه المرأة فقد كانت تقطع المسافات ؛ لتحتطب ، مع وفرة مالها بخلاً أن تأتي بخادم ، وكذلك في إيذائها للنبي ﷺ وحملها الأشواك ووضعها في طريقه.

٦- الرحمة :

الرحمة في اللغة: مأخوذة من مادة : رحم . والرحمة: الرقة والتَّعَطُّفُ . والمرحمة مثله، وقد رحمته وتَرَحَّمْتَ عليه. وتراحم القوم : رَحِمَ بعضهم بعضاً . والرحمة المغفرة . وتَرَحْم عليه : دعا له بالرحمة . واستَرْحَمه : سأله الرَّحمَةَ . ورجل مَرْحومٌ ومُرَحمٌ شدد للمبالغة [2] .

أما في الاصطلاح: فعرف الرحمة الجاحظ فقال: " الرحمة خلق مركب من الود والجزع ، والرحمة لا تكون إلا لمن تظهر منه لراحمه خلة مكروهة، إما نقيصة في نفسه وإما محبة عارضة . فالرحمة هي محبة للمرحوم مع

١- ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق. ٣/ ١٢٨.

٢ - ابن منظور ، محمد بن مكرم. لسان العرب .مرجع سابق . مادة رحم.

جزء من الحال التي من أجلها رحم"[1] . وعرفها الميداني بقوله: " الرحمة رقة في القلب يلامسها الألم حينما تـدرك الحواس أو يتصور الفكر وجود الألم عند شخص آخر ، أو يلامسها السرور حينما تدرك الحواس أو يتصور الفكر وجود المسرة عند شخص آخر"[2] .

ومما سبق يتضح أن المقصود بالرحمة في التربية الإسلامية : رقة القلب وعطفه ، ويبذل للعاجز والمصاب ، المستحق للإحسان .

والعمل الرحيم مستويان[3] :

١- الكف عن إلحاق الضرر بالآخرين وتجنب إيذائهم وتعذيبهم.

٢- السعي لكشف الضر عنهم إذا وقع من سبب فيزيائي طبيعي ، أو من عدوان الآخرين وفعلهم .

والرحمة فضيلة إسلامية قرآنية اهتم بها الدين الإسلامي أيما اهتمام . فورد ذكر الرحمة ومشتقاتها — الشفقة، الحنو ، العطف ، الرفق – في القرآن الكريم ثلاثمائة وتسعاً وعشرين ، منها مائتان وخمس عشرة في السور المكية ، ومائة وأربع عشرة في السور المدنية [4]. فهي صفة لله عز وجل ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [الأنعام : ١٣٣]. وجعلها الله عز وجل صفة لأنبيائه ، فوصف النبي ﷺ بأنه نبي الرحمة ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة :١٢٨] . ووصف القرآن بأنه كتاب رحمة ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [النحل :٦٤]. كما جعلها صفة لعباده المؤمنين من أمة محمد ﷺ ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ [الفتح :٢٩] .

كمـــا جاءت الكثير من الأحاديث النبوية آمرة بالرحمة ، وبينت جزاء أهله . فرحمة عباد الله سبب جالب لرحمة الله ، كما قال رسول الله ﷺ : (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّـــمَاءِ)[5] . وعَنْ عَائِشَةَ رَضِي اللَّه عَنْهَا قَالَتْ : (جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ ؟ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَوَأَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ)[6] . كما أنها سبب للمغفرة ، وسبب لدخول الجنة ، كما في حديث الرجل والكلب، قال رسول الله ﷺ : (بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ ، فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَـــغَ بِي. فَمَلأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ، ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ . قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ،

١- الجاحظ ،عمر بن بحر . تهذيب الأخلاق. مرجع سابق . ص٢٤.

٢- الميداني ،عبد الرحمن حسن حبنكة . الأخلاق الإسلامية وأسسها . مرجع سابق . ٢/ ٥.

٣- إبراهيم ،أحمد عبد الرحمن . الفضائل الخلقية في الإسلام . دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع. المنصورة . ١٤٠٩هـ . ص١٧٦.

٤- الناجي ، زينب محمد الخضر . الرحمة في السنة المطهرة . رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة أم القرى قسم الكتاب والسنة . عام ١٤٢١هـ . ص١٢.

٥- الترمذي ،محمد عيسى . سنن الترمذي. مرجع سابق .كتاب البر والصلة . باب ما جاء في رحمة المسلمين . رقم الحديث :١٩٢٩. وصححه الألباني في صحيح الترمذي. ٢/ ٣٥١

٦- البخاري ،محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري . مرجع سابق . كتاب الأدب. باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته . رقم الحديث : ٥٩٩٨.

وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا ؟ قَالَ: فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ)[1]. ووصف الله بالرحمة بعباده ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : (قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبْيٌ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي ، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ، أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ : أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ. قُلْنَا : لا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لا تَطْرَحَهُ. فَقَالَ : لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا) [2] .

قال السعدي: إن الشريعة كلها مبنية على الرحمة في أصولها وفروعها ، وفي الأمر بأداء حقوق الله عز وجل ، وحقوق الخلق ، فإن الله لم يكلف نفساً إلا وسعها ، وإذا تدبرت ما شرعه الله عز وجل في المعاملات والحقوق الزوجية وحقوق الوالدين والأقربين ، والجيران وسائر ما شرع ؛ وجدت ذلك كله مبنياً على الرحمة[3].

"وللرحمة مواطن كثيرة ، فهناك موطن الرحمة بالأبوين ، والرحمة بالأولاد والزوجات ، والرحمة بالأقارب وذوي الأرحام ، والرحمة باليتامى والمساكين والضعفاء كالمرضى والمصابين وذوي العاهات ، ثم الرحمة بالحيوان، وهكذا تتسع آفاق الرحمة حتى تشمل جوانب فسيحة من الحياة ، وعدداً ضخماً من الأحياء" [4] .

ولكن كما أن لهذه الرحمة مواطن تحمد فيها ويثاب من قام بها ، فكذلك لها مواطن تذم فيها ويأثم صاحبها، وذلك عندما تخالف العدل وتطلب في الجور . كأن تطلب في حدود الله وتكون مخالفة لأوامره . فمن تشويه قيمة الرحمة وإفسادها " توجيهها لمن لا يستحقها ، كالرحمة التي تستدعي كفّ العقاب عن الظالمين ، الذين يجعلهم العفو عنهم يتمادون في طغيانهم وظلمهم ، وكرحمة الأم الرعناء التي تهمل تأديب ولدها مهما أساء ، حتى تفسده وتجعل منه إنساناً مجرماً" [5] . وكذلك في حدود الله ، كحد الزنا ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ ﴾ [النور :٢] . وكحد السرقة ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّتْهُمْ الْمَرْأَةُ الْمَخْزُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلا أُسَامَةُ ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَكَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ. ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَايْمُ اللَّهِ ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ﷺ سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا) [6].

والرحمة ذات مراتب ودرجات ، ولها مستويات متفاوتات ، قد يصل بعضها إلى أن يشعر الراحم بمثل مشاعر من يرحمه تماماً ، في النوع والمقدار ، وقد يعمل التصور على أن تكون فعلاً أكثر من مشاعر من يرحمه. ومن ثم تتنازل حتى تكون شفقة عابرة ، أو رقة آنية لا تقوى على تحريض صاحبها ، تحريضاً مؤثراً في بذل

١- البخاري ،محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري . مرجع سابق. كتاب المساقاة . باب فضل سقي الماء . رقم الحديث :٢٣٦٣.

٢- البخاري ،محمد بن إسماعيل .صحيح البخاري. مرجع سابق. كتاب الأدب . باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته . رقم الحديث :٥٩٩٩.

٣- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة. عالم الكتب. ١٤١٤هـ. ص ٥٤.

٤- الشرباصي ،أحمد. موسوعة أخلاق القرآن . مرجع سابق . ١ /١٢٣.

٥- الميداني ،عبد الرحمن حسن حبنكة . الأخلاق الإسلامية وأسسها . مرجع سابق . ٢ /٧.

٦- البخاري ،محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري . مرجع سابق . كتاب الحدود . باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان . رقم الحديث: ٦٧٨٨.

معونة ، أو تقديم مساعدة ، أو تضحية بأي شيء قد ينفع مستحق الرحمة. وتختلف دوائر الرحمة اتساعاً وضيقاً، فتضيق رحمته لتختص بأهله وذوي قرابته وأصحابه ، وتقابل غيرهم ببرود في المشاعر أو قسوة في القلب . بينما تتسع هذه الدائرة عند آخرين لتتدفق رحمتهم لكل من يستحقها من قريب أو غيره [1] .

وللرحمة آثار إيجابية عديدة : فهي تؤدي إلى رقي المجتمع وخيريته وقوته ؛ حيث تعمل على ترابط أفراده وتماسكهم وتآلف قلوبهم ، فكل من اتصف بالرحمة يسعى لإعانة العاجز ، وتيسير أمر الضعيف ، وتعليم الجاهل ، ودفع الظلم عن المظلوم . فينتشر في أركان هذا المجتمع العطف والرفق ولين الجانب والتعاون والمحبة . كما أن للرحمة آثاراً تأديبية على أفراد المجتمع ، فعندما يعاقب المجرم والظالم على فعله ، يشعر بفقدانه للرحمة التي ينعم بها الآخرون لجرمه وذنبه ، فيكون ذلك أقوى رادع له عن معاودة هذا الجرم ، ومخالفة مجتمعه.

ورود قيمة الرحمة في قصص النساء في القرآن الكريم :

وردت قيمة الرحمة بلفظها أربع عشرة مرة ، بصورة إيجابية على النحو التالي :

١) في قصة حواء عليها السلام : جاءت فيها مرتين ، فوردت صفة الله عز وجل في الآية ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝٣٧ ﴾ [البقرة :٣٧] . وجاءت في دعاء الزوجين بأن يرحمهما الله ويغفر لهما ، في الآية ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٢٣ ﴾ [الأعراف : ٢٣]

٢) في قصة سارة زوجة إبراهيم عليهما السلام : في قول الملائكة ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ۝٧٣ ﴾ [هود : ٧٣].

٣) في قصة امرأة العزيز والنسوة: وردت مرتين في الآية ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥٣ ﴾ [يوسف : ٥٣].

٤) في قصة ملكة سبأ عليها السلام: في رسالة سليمان للملكة ، فوردت صفة الله عز وجل بلفظي الرحمن والرحيم ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ ﴾ [النمل : ٣٠].

٥) في قصة مريم وأمها عليهما السلام : فجاءت ثلاث مرات : الأولى والثانية وردت صفة لله سبحانه تعالى في الآية ﴿ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ۝١٨ ﴾ [مريم :١٨] والآية ﴿ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ۝٢٦ ﴾ [مريم : ٢٦]. كما جاءت صفة لعيسى عليه السلام في الآية ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ۝٢١ ﴾ [مريم : ٢١]

١- الميداني ،عبد الرحمن حسن حبنكة . الأخلاق الإسلامية وأسسها . مرجع سابق . ٢ /٦.

٦) في حادثة الإفك : وردت ثلاث مرات ، جميعها صفة لله في الآية ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٤]. وفي الآية ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٠].

٧) في حادثة التحريم : في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التحريم : ١]

وأما ورود قيمة الرحمة بصورة سلبية فكان مرتين ، كلاهما في قصة مريم وأمها عليهما السلام ، فجاءت بلفظ جبار في موضع واحد ، في الآية ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ [مريم : ٣٢] . وجاءت بلفظ الرجيم ، في موضع واحد ، قال تعالى ﴿ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران:٣٦].

وأمـــا ورود هذه القيمة ضمناً في قصص النساء في القرآن ، فقد جاء بصورة إيجابية وسلبية ، على التفصيل التالي:

١) في قصة امرأة نوح عليه السلام : فتظهر رحمة نوح عليه السلام بقومه ، فدعاهم إلى الهدى والخير ، فلما أبـــوا ذلـــك ؛ أنزل الله عليهم العذاب ، وأمر نوح أن لا يدعوا لهم بالرحمة .كما تبين القصة قسوة امرأة نوح، فكانت تخبر عن المؤمنين بنوح ؛ فيعذبهم الجبابرة ، قال ابن عباس: "فكانت امرأة نوح تطلع على سر نوح ، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به ، فكان ذلك من أمرها"[١] .

٢) في قصة امرأة لوط عليه السلام : بينت القصة رحمة لوط بقومه ، وحرصه على إيمانهم ، وسعيه بما أوتي من جهد في أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر . كما تظهر القصة أن القوم واجهوا رحمة لوط بقسوة وشدة ؛ فســعوا لإخراجه من القرية ، لما أبى أن يكف عن الإنكار عليهم . كما تظهر القصة قسوة امرأة لوط عــلى زوجهـــا ، حيث ذهبت بخبر الضيف للقوم ، مع علمها أن ذلك سيسبب لزوجها الأذى والخزي والقتال مع القوم ، وهو وحيد لا عشيرة له.

٣) في قصة امرأة العزيز والنسوة : اتصف يوسف عليه السلام بالرحمة ، وظهر ذلك في وصف صاحبي السجن لـــه بالإحسان ، قال الضحاك : "كان إذا مرض الرجل من أهل السجن قام به ، وإذا ضاق وسّع لـــه وإذا احتاج جمع له ، وسأل له"[٢] . وفي دعوته صاحبي السجن إلى الإيمان قبل تأويل الرؤيا ؛ لأن ذلك أدعى للاستماع له وقبول قوله ، خاصة وأنه يتوقع موت أحدهما . وقد كان رحيماً بالقوم رغم قسوتهم علـــيه ، فـــأول رؤياهم ونصح لهم فيها ، ولم يشترط الخروج للتأويل . كما تظهر القصة رحمة الساقي بيوســـف ، فحرص على إخراج يوسف من السجن . وتظهر القصة رحمة الملك بيوسف ، بأن رفع عنه

١- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ١٧٠/٢٨.

٢- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ١٩٠/٩.

الظـلم ، وأخرجه من السجن ؛ مكافأة لـه على تأويل الرؤيا . بينما تظهر قسوة امرأة العزيز وزوجها على يوسف ، بسجنه من غير ذنب وبدون تحديد لسنوات هذا السجن.

٤) في قصة أم موسى وأخته وزوجه وآسية عليهم السلام : فقد ظهرت في القصة رحمة الوالدة بولدها ، فقد أرسـلت أم موسى أخته على أثره لتبحث عنه ، وكادت أن تذهب لتنادي به لولا أن ثبتها الله . وتظهر القصـة رحمة الأخت بأخيها والمتمثلة في أخت موسى ، فقامت بالبحث عن أخيها ورده إلى أمها . كما تظهـر القصة رحمة آسية بالمولود لما رأته ، فاستوهبته من فرعون ؛ لئلا يقتله واتخذته ولداً . كما ظهر في القصـة الـرحمة بالضعفاء ، في رحمة موسى بالفتاتين . قال ابن إسحاق "وجد لهما رحمة ،ودخلته فيهما خشية ، لما رأى ضعفهما ، وغلبة الناس على الماء دونهما" [1] .كما ظهر في القصة الرحمة بالأهل ، وذلك في رحـمة موسـى بأهله ، فأمرهم بالمكوث في مكانهم ، وذهب يطلب خبر النار. وتظهر القصة الرحمة بـالوالدين في فـتاتي مدين ، فقد رعتا الغنم عن أبيهما رحمة به . وتظهر القصة الرحمة بالأجير في رحمة الرجل الصالح بموسى عندما استأجره لرعي غنمه . وتظهر القصة قسوة فرعون وجنده على بني إسرائيل ، بقتل أبنائهم وتعذيب آسية لما آمنت بالله . كما تُظهر القصة قسوة الرعاة وفقدهم لمبدأ رحمة الضعيف ، فلم يراعوا وجود المرأتين و لم يسمحوا لهما بالسقي معهم.

٥) في قصـة ملكة سبأ عليها السلام : تظهر القصة اتصاف نبي الله سليمان بالرحمة ، حيث سعى لدعوة قوم سـبأ إلى الإسلام بالرفق والشدة . فأرسل لها الكتاب يدعوهم فيه إلى الإيمان بالله . وعدم رحمته للعاصي والخارج عن الطاعة ، فقد أراد عقوبة الهدهد لغيابه عن الجيش بأشد العقوبات ، وهي القتل ، إن لم يحضر عـذراً مقـبولاً لغيابه ، وفي عزمه السير لحرب ملكة سبأ وإخراج الكفار من سبأ بذلة وصغار . وتظهر القصـة رحمة ملكة سبأ بقومها حيث لم تستعجل حرب سليمان ؛ لعلمها بويلات الحرب وتبعاتها ، رغم إرادة القـوم للحرب ، كما ظهرت في رحمتها بنفسها ، بتركها عبادة غير الله ، والدخول في الإسلام مع سليمان.

٦) في قصـة مـريم وأمها عليهما السلام : أظهرت القصة رحمة الوالدة بولدها ، فقد أعاذت أم مريم ابنتها وذريتها من الشيطان الرجيم.

٧) في حادثـة الإفك : حيث أظهرت القصة رحمة النبي ﷺ بعائشة ، قبل الحادثة ، قالت عائشة (ويريبني في وجعـي أني لا أعرف من رسول الله اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي). كما أنه ﷺ لم يستعجل اتهامهـا ، وحدثها بقول أهل الإفك بألفاظ تدل على رحمته بها وحرصه على دينها ، فقال لها في حديث الإفك (أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه). وتظهر رحمة المرأة الأنصارية بعائشة ومشاركتها في ألمها . كما ظهر في القصة رحمة الوالدين بولدهما ، وذلك في رحمة والديّ عائشة بها . وقسوة الوالدة المؤمنة على ابنها عندما يترك الصواب ، وذلك في فعل أم مسطح ، فقد

١- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ٢٠/ ٥٦.

كانت تدعو على ولدها بالتعاسة . كما تظهر القصة قسوة أهل الإفك على عائشة ، حيث سعوا في إيذائها والترويج لهذا الحديث الباطل ، الذي سبب لها آلاماً نفسية شديدة .

٨) في قصة أم المؤمنين زينب رضي الله عنها : فأثبتت القصة رحمة رسول الله ﷺ . بالمؤمنين فقد كان حريصاً على منع طلاق زيد وزينب ، رغم علمه بوقوعه قدراً ، فكان يأمر زيداً – كلما جاء يستأذنه في طلاق زينب- بأن يمسكها ويصبر عليها.

٩) في قصة التحريم : ظهرت أيضاً رحمة رسول الله ﷺ بأهل بيته ، فلما نبأت أم المؤمنين حفصة بسر رسول الله ﷺ إلى عائشة ، أخبرها رسول الله ﷺ ببعض ما قالت ، ولم يحدثها بكله كرماً منه ورحمة .

١٠) في قصة المجادلة : تظهر رحمة المجادلة بنفسها وزوجها وأولادها ، فقد سعت لطلب المخرج من ظهار زوجها خوفاً من تشتت شمل الأسرة ، وأعانت زوجها على الكفارة .

١١) في قصة امرأة أبي لهب : تظهر القصة قسوتها على المسلمين ، فقد كانت تلقي في طريقهم الأشواك وتحرض عليهم الناس .

٧- قيمة الحياء

الحياء في اللغة : مأخوذ من مادة : حيي، مصدر من حيي . والحياء : التوبة والحشمة ، وقد حَيِيَ منه حَياءً واستحيا واستحى ، حذفوا الياء الأخيرة كراهية التقاء الياءين والأخيرتان تتعديان بحرف وبغير حرف ، يقولون: استحيا منك، واستَحْياك واستَحَى منك واستحاك. ورجل حَيِيٌّ ذو حياء بوزن فعيل . والأنثى بالهاء، وامرأة حيِيَّة ، واستحيا الرجل ، واستَحْيَت المرأة [١] .

أما في الاصطلاح فعُرف الحياء بعدة تعريفات تدور جميعها حول وصف شخصية المستحيي وأحواله العملية والنفسية : فعرفه الجرجاني بأنه: " انقباض النفس من شيء وتركه حذراً عن اللوم فيه"[٢]. وقيل هو : "فعل الحسن وترك القبيح مخافة الذم ، وإعطاء صاحب الحق حقه ، والوصول إلى ذلك عن طريق رؤية النعم ورؤية التقصير ، ومخرج التعظيم بالمودة" [٣] . وقال ابن مسكويه: "هو انحصار النفس – حبسها- خوف إتيان القبائح والحذر من الذم ، والسب الصادق"[٤].

ومما سبق ، يمكن القول بأن المقصود بالحياء في التربية الإسلامية : هي إقدام النفس على فعل الحسن وطلب معالي الأمور ، وانقباضها عن فعل القبيح وكل ما هو مظنة الذم .

وقد جاء ذكره في كتاب الله أربع مرات في ثلاثة مواضع : الأول في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [البقرة:٢٦]. والثاني والثالث في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ

١ - ابن منظور ، محمد بن مكرم. لسان العرب .مرجع سابق . مادة حيا.

٢- الجرجاني ، علي محمد . كتاب التعريفات . مرجع سابق. ص ٩٤.

٣- الشهري ، فهد عبد الله .خلق الحياء في الكتاب والسنة وتطبيقاته التربوية . رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى كلية التربية قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، مكة المكرمة. ١٤٢٠هـ . ص٢٩.

٤- ابن مسكويه ، أحمد محمد . تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق . مرجع سابق. ص٢٥ .

فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ ﴾ [الأحزاب : ٥٣] . والرابع في قوله تعالى ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾ [القصص :٢٥] .

وتـبرز مكانة الحياء في الإسلام في الأحاديث الكثيرة التي وردت فيه ، ورفعت من قيمته ، ومنها : قال رسول الله ﷺ : (الْحَيَاءُ لا يَأْتِي إِلا بِخَيْرٍ)(١) . وقال: (إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا وَخُلُقُ الإِسْلامِ الْحَيَاءُ) (٢) . وعَنْ سَـالِمِ بْـنِ عَبْدِاللَّهِ عَنْ أَبِيهِ (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ. فَقَالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ : دَعْـهُ ، فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ)(٣). وقال (الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَـانِ)(٤). وقـد وصف رسول الله ﷺ بالحياء ، فعن أبي سعيد الخدري قال (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَـذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا ، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ)(٥). وقال ﷺ (إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ : إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ)(٦). والمقصود بالحديث معنيان : أولهما : أن ذلك تهديد ووعيد ، فإذا كنت لم تخش العار مما تفعله من سوء ، فافعل كل ما تحدثك به نفسك من أهوائها وأغراضها ، حسناً كان أم قبيحاً. والثاني : أنه أمر إباحة ، فانظر إلى الفعل الذي تريد أن تفعله فإن كان طيباً لا يستحى منه فلا عليك أن تفعله(٧).

وقـال ابن القيم : وخلق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلها وأعظمها قدراً وأكثرها نفعاً ، بل هو خاصة الإنسـانية ، فمن لا حياء فيه ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتهما الظاهرة، وليس معه من الخير شيء. وكثير من الناس لولا الحياء الذي فيه ، لم يؤد شيئاً من الأمور المفترضة عليه ، ولم يرع لمخلوق حقاً ؛ فإن الباعث على هذه الأفعال إما ديني : وهو رجاء عاقبتها الحميدة ، أو دنيوي علوي : وهو حياء فاعلها من الخلق (٨) .

فالإسـلام يرى الحياء "دليل الدين الصحيح ، وشاهد الفضل الصريح ، وسمة الصلاح الشامل ، وعنوان الخـير الكامل ، لا يأتي إلا بما يصلح ، ولا يفضي إلا بما يحسن وينبل ، نظم قلائد المحاسن ، ونسق وجمع من خصـال الـبر مـا افترق ، إن نطق صاحبه صدق ، وإن كلف رفق ، وإن وعد حقق ، فلا تلقاه إلا محمود المشاهد، ولا تراه إلا موفق المحامد" (٩) .

وأما عن سبب اهتمام الإسلام بهذا الخلق ؛ فلأنه الخلق الذي ينطوي تحته كل خير . فهو يدعو النفس إلى إتيان الخصال المحمودة والأمور الحسنة ، ومجانبة الخصال المذمومة والأمور القبيحة . فيحجز صاحبه عن إتيان النقائص والمنكرات ، ويورده خير الموارد وينهاه عن شرها . وإن وقع في مذموم ؛ استتر عن الناس و لم يحدث

١- البخاري ،محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري . مرجع سابق . كتاب الأدب . باب الحياء . رقم الحديث :٥٧٦٦.

٢- ابن ماجه ،محمد بن يزيد. سنن ابن ماجه. مرجع سابق. كتاب الزهد . باب الحياء . رقم الحديث: ٤٢٣٤. وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه . ٢/ ٤٠٦.

٣- البخاري ،محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري . مرجع سابق . كتاب الإيمان. باب الحياء من الإيمان . رقم الحديث: ٢٤.

٤- البخاري ،محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري . كتاب الإيمان . باب أمور الإيمان . رقم الحديث : ٩.

٥- البخاري ،محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري . كتاب الأدب . باب من لم يواجه الناس بالعتاب . رقم الحديث: ٦١٠٢.

٦- البخاري ،محمد بن إسماعيل .صحيح البخاري . مرجع سابق . كتاب أحاديث الأنبياء .باب حديث الغار. رقم الحديث: ٣٤٨٤.

٧- الشرباصي ، أحمد. موسوعة أخلاق القرآن .مرجع سابق . ١/ ٩٢.

٨- ابن القيم، محمد بن أبي بكر .مفتاح دار السعادة. دار الفكر. (د.ت). ٢/ ٢٧٧.

٩- داود ، عبد الباري محمد . الحياء في الإسلام . مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية . ٢٠٠٢م . ص١٢٧

به . أما عندما يفقد الإنسان خلق الحياء ؛ يهون عليه إتيان هذه القبائح والنقائص ، غير مبال بالآخرين ويجاهر بفعلها ويفخر بإعلانها . وهو فوق ذلك يقصد مواطن الشر والفاحشة بجرأة وفخر. وأيما مجتمع فقد أفراده خلق الحياء انسلخ من معاني الإنسانية الحقة ، فترى كيف يصدق ، وكيف يؤدي الأمانة ، وهل ترى فيه عفة أو طهارة ، أم هل ترى فيه إحساناً وكرامة ؟!.

لقد جعل الإسلام الحياء جزءاً وعلامة على الإيمان ، كما في الحديث السابق ، وذلك لما للحياء من أثر على الإنسان ؛ فهو يحجزه عن إتيان المنكرات والقبائح خوفاً من الله ، وحياءً أن يراه يعصيه بما أنعم الله عليه من الصحة والمال والعقل ، ولكن الإسلام الدين الوسط رسم حدوداً لهذا الحياء ، حتى لا يتجاوز موضع الحاجة ، فيكون عائقاً عن فعل الخيرات والمنافسة في الصالحات ، ويطلق عليه في هذه الحالة الخجل ، وهو حالة مرضية ينبغي معالجتها وإلا قَصُر الإنسان عن كثير من الخير . لذلك كان الحياء منهياً عنه في طلب العلم ، ومعرفة الحكم الشرعي في المسائل التي يستحيا من مثلها . وما أجمل ما قالت أم المؤمنين عائشة : (نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ ! لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ) (١) .

> "والحياء من ناحية متعلقة يكون على ثلاثة أوجه : حياء من الله ، وحياء من الناس ، وحياء المرء من نفسه ، ولابد من هذه الأوجه الثلاثة لكي يكمل الحياء ، ويتحقق على وجهه التام ؛ لأن من استحيا من الله تعالى ولم يستحي من الناس فقد استهان بالناس ، ومن استحيا من الناس ولم يستحي من الله فقد استهان بالله جل جلاله ، ومن استحيا من الناس ولم يستحي من نفسه ، هانت عليه نفسه ، ومن هانت عليه ، لم يكن أهلاً لمكارم الأخلاق" (٢).

وأعلى مراتب الحياء ، الحياء من الله . وقد أمر رسول الله ﷺ به أصحابه ، فعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ (اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ . قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ. قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ ، وَلَكِنَّ الاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ ؛ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ) (٣) .

والحياء نوعان : الأول : ماكان جبلة وخلقة غير مكتسب ، وهو من أجل النعم التي يمنحها الله للعبد ويجُبله عليها . والثاني : ما كان مكتسباً من معرفة الله تعالى ، ومعرفة عظمته وقربه من عباده ، وهو من اختيار الإنسان ، ومن ثم فهو المجال الذي تؤدي فيه التربية الإسلامية دورها (٤) .

١- القشيري ،مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم. مرجع سابق .كتاب الحيض . باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك . رقم الحديث: ٣٣٢.

٢- الشرباصي ،أحمد. موسوعة أخلاق القرآن . مرجع سابق. ١/ ٩١.

٣- الترمذي ،محمد عيسى . سنن الترمذي. مرجع سابق. كتاب صفة القيامة وارقاق والورع .رقم الحديث :٢٤٦٣. وحسنه الألباني في صحيح الترمذي. ٢/ ٥٩٠.

٤- داود ، عبد الباري محمد . الحياء في الإسلام . مرجع سابق . ص٦٨.

ورود قيمة الحياء في قصص النساء في القرآن :

قيمة الحياء من القيم الأخلاقية التي جاء ذكرها صراحة وضمناً في قصص النساء في القرآن الكريم ، وبصورة إيجابية وسلبية :

فأما ورودها بلفظها فقد جاء مرة واحدة ، وكان بصورة إيجابية ، في قصة زوجة موسى عليهما السلام قال تعالى ﴿ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٍ ﴾ [القصص :٢٥].

وأمـا ورود هذه القيمة ضمناً في قصص النساء في القرآن فقد جاء بصورة إيجابية وسلبية ، على التفصيل التالي:

١) في قصـة حواء عليها السلام :ظهرت قيمة الحياء بشكل بارز ، وهي دالة على أن الإنسان مفطور على الحياء ، فقد استحى الزوجان آدم وحواء عليهما السلام من ربهما ؛ لما ظهرت عوراتهما ، بسبب أكلهما من الشجرة ؛ أقبلا يقطعان ورق أشجار الجنة ، ويلزقانها ببعضها ؛ ليسترا عوراتهما . عن ابن عباس قال : " فناداه : أي آدم أمني تفر ؟ قال : لا ولكني استحيتك يارب "[١] .

٢) في قصـة سارة عليها السلام : فلما جاء الملائكة مبشرين لها ولإبراهيم الخليل بولدهما إسحاق ؛ استحت سـارة مـن أن تلـد بعد أن بلغت من السن التسعين ، قال الزحيلي : " لطمته بأطراف أصابعها عجباً وحياء، بأن ضربت بيدها على جبهتها " [٢] .

٣) في قصة امرأة لوط عليه السلام : فتظهر في استحياء لوط عليه السلام مما يفعله قومه ، ووصف قومه لـه وأهلـه بالطهـارة عن الفاحشة . بينما أظهرت القصة فقدان قوم لوط لقيمة الحياء ، حيث كانوا يأتون القـبائح والفواحش ، قال الزحيلي: " وكان أهل سدوم يعملون الخبائث دون حياء ولا عفة وأمام الناس ويقطعون الطريق على التجار ، ويأخذون بضائعهم" [٣] .

٤) في قصـة امرأة العزيز والنسوة : فظهر فيها اتصاف نبي الله يوسف عليه السلام بخلق الحياء ، وبلوغه فيه درجة الكمال . فلما دعته امرأة العزيز للفاحشة امتنع منها ، واعتذر بحيائه من الله عز وجل ، وقيل بحيائه من إحسان زوجها عليه ، قال أبو حيان: "فلما خاف على نفسه ، وعلى عرضه الطاهر ﴿ قَالَ هِيَ ﴾ وأتى بضـمير الغيـبة ، إذ كـان غلب عليه الحياء أن يشير إليها ويعينها بالإشارة فيقول هذه راودتني أو تلك راودتني لأن في المواجهة بالقبيح ما ليس في الغيبة" [٤] . بينما تظهر القصة فقدان امرأة العزيز لخلق الحياء ، وجرأتها في طلب الفاحشة ، مع المجاهرة بها أمام النسوة ، قال القرطبي : "عاودته المراودة بمحضر منهن ، وهتكت جلباب الحياء ووعدت بالسجن إن لم يفعل" [٥] .

١- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ١٤٢/٨.

٢- الزحيلي ،وهبة . التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج . مرجع سابق . ٢٤/٢٧-٢٥.

٣- المرجع السابق . ٨/ ٢٨١.

٤- أبوحيان، محمد بن يوسف . تفسير البحر المحيط . مرجع سابق . ٢٩٧/٥

٥- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ٩/ ١٨٤.

٥) في قصة أم موسى وأخته وزوجه وآسية عليهم السلام : تظهر القصة اتصاف موسى عليه السلام بالحياء في أمره للفتاة بالسير خلفه لدلالته على الطريق إلى أبيها .

٦) في قصة ملكة سبأ عليها السلام : فقد التزمت ملكة سبأ بلباس الحشمة على الرغم من كونها ملكة ، فلما دعت الحاجة أن تخوض في النهر ؛ رفعت الثوب عن ساقيها ، وهذه الأفعال تدل على حيائها وحكمتها.

٧) في قصة مريم عليها السلام: فظهر في مريم عليها السلام ؛ فقد استحت من ولادتها بلا زوج ؛ فاعتزلت الناس في مكان بعيد ، حتى وضعت ، وتمنت الموت على مواجهة الناس بما ينكرون ، قال الزحيلي: "فاستسلمت مريم لقضاء الله وقدره ، واعتزلت بالحمل إلى مكان بعيد ، حياء من قومها وبعداً عن اتهامها بالريبة وتعيير قومها إياها بالولادة من غير زوج" [1]. وظهر في وصف القوم لوالدي مريم أنهما كانا متصفين بحسن الخلق والحياء ، ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ [مريم : ٢٨] .وصاحب الخلق السيئ والمرأة البغي كلاهما فاقد للحياء ، وإلا لما اجترأا على هذه الفعال.

٨) في حادثـــة الإفك : فقد اتصفت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، والصحابي الجليل صفوان بن معطل بالحـــياء . كمـــا يظهر في رسول الله ﷺ ، بتركه التصريح بما يقول أهل الإفك عن عائشة ، واكتفائها بالإشـــارة بلفظ أذاه . كما تُظهر القصة حياء النساء المؤمنات ، فقد كن يخرجن لقضاء حوائجهن ليلاً ، قالت عائشة: (فخرجت معي أم مسطح قبل المناصع ، وهو متبرزنا، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل). بينما اتصف أهل الإفك بالجرأة وقلة الحياء والأدب مع رسول الله ﷺ ، فقد تحدثوا وأشاعوا كلاماً يستحيا منه.

٩) في قصة التحريم : فقد أظهرت القصة اتصاف رسول الله ﷺ بالحياء ، وذلك في تركه استقصاء ما حدثت به حفصة رضي الله عنها ، على الرغم من علمه به . قال أبو حيان: " ﴿ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ ﴾ أي تكرماً وحياء وحسن عشرة" [2] .

١٠) في قصة أم جميل : يظهر فقدان أم جميل للحياء ؛ فكانت تسعى في أذية رسول الله ﷺ والمسلمين ، وتخرج لمخاصمة الرجال ومواجهتهم وتحريضهم على النبي ﷺ .

٨ـ قيمة العفة :

العفة في اللغة : مأخوذة من مادة : عفف ، وهي مصدر من عف ، والعفة : الكف عما لا يحل ويجمل . عـــفَّ عـــن المحارم والاطماع الدنية يعف عِفةً وعَفا وعَفافاً وعَفافه ، فهو عَفيف وعَفٌّ ، أي كفَّ وتعفَّفَ واســـتعْفَفَ وأَعفَّه الله والاستعفاف : طلب العفاف وهو الكف عن الحرام والسؤال من الناس ، أي من طلب العفة وتكلفها أعطاه الله إياها، وقيل الاستعفاف الصبر والنـــزاهة عن الشيء . ورجل عَفٌّ وعَفيف، والأنثى بالهاء ، وجمع العفيف أعِفّة وأعِفّاء، وقيل العفيفة من النساء السيدة الخيرة. ونسوة عفائف [3] .

١- الزحيلي ،وهبة . التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج . مرجع سابق . ١٦/ ٧٢.

٢- أبوحيان ، محمد بن يوسف . تفسير البحر المحيط . مرجع سابق . ٢٨٦/٨.

٣- ابن منظور ، محمد بن مكرم. لسان العرب .مرجع سابق . مادة عفف.

أما في الاصطلاح: فعرفها الجاحظ: " هي ضبط النفس عن الشهوات وقسرها على الاكتفاء بما يقيم أود الجسد ويحفظ صحته فقط واجتناب السرف والتقصير في جميع اللذات وقصد الاعتدال " [١] . وعرفها الأصفهاني بأنها :" ضبط النفس عن الملاذ الحيوانية : وهي الحالة المتوسطة بين إفراط هو الشره وتفريط هو جمود الشهوة" [٢] .وعرفها الجرجاني بأنها :" هيئة للقوة الشهوية متوسطة بين الفجور الذي هو إفراط هذه القوة والخمود الذي هو تفريطه ، فالعفيف من يباشر الأمور على وفق الشرع والمروءة"[٣] . "وهي بمعناها النفسي : التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط في الشهوة والغضب" [٤] .

ومما سبق من تعريفات يتضح أن المقصود بقيمة العفة في التربية الإسلامية : هو ضبط النفس عن الشهوات، بقصد واعتدال ، وفق أوامر الشريعة وخلق المروءة ، أي بدون إفراط هذه القوة ؛ بحيث تخرج به إلى تلبية جميع شهواته وبأي طريقة ، ولا تفريط بحيث يصيبها الجمود والخمود .

وقد ورد ذكر العفة في القرآن الكريم أربع مرات في ثلاثة مواضع : الأول في سورة البقرة ، قال عز وجل ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾ [البقرة :٢٧٣]. والثاني في قوله تعالى ﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ﴾ [النساء :٦] . والثالث والرابع: في سورة النور في قوله عز وجل ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النور :٣٣]. وقوله ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ [النور :٦٠] .

أما في السنة النبوية فقد وردت الكثير من الأحاديث النبوية والتي تأمر بالعفة ، وتبين أجر المتعفف عند الله عز وجل . عن النبي ﷺ قال: (وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِه اللَّهُ) [٥]. وقال ﷺ : (وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ : ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى ، وَمُسْلِمٍ ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ) [٦]. وهي من أخلاقه صلوات الله وسلامه عليه ، فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: (أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ ؛ أَنَّ هِرَقْلَ قَالَ لَهُ: سَأَلْتُكَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُ بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ ، قَالَ: وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيٍّ) [٧]. وكان من دعائه ﷺ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى ، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى) [٨] .

١- الجاحظ ،عمر بن بحر . تهذيب الأخلاق. مرجع سابق. ص٢٢.

٢- الأصفهاني ،الحسين بن محمد بن المفضل الراغب. الذريعة في مكارم الشريعة . مرجع سابق . ص ١٦٤.

٣- الجرجاني ،علي محمد . كتاب التعريفات . مرجع سابق .ص١٥١.

٤- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان وآخرون. موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية .العفة .مرجع سابق .٤١ /٨.

٥- البخاري ،محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري . مرجع سابق . كتاب الزكاة . باب الاستعفاف عن المسألة. رقم الحديث:١٤٦٩.

٦- القشيري ،مسلم بن الحجاج . صحيح مسلم .مرجع سابق . كتاب الجنة وصفتها وأهلها ونعيمها . باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار . رقم الحديث: ٢٨٦٥.

٧- البخاري ،محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري . مرجع سابق . كتاب الشهادات . باب من أمر بإنجاز الوعد وفعله الحسن . رقم الحديث : ٢٦٨١.

٨- القشيري ،مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم .مرجع سابق . كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار . باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل . رقم الحديث:٢٧٢١.

فالعفة خلق جليل كريم ، لــه آثار جمة وفوائد مهمة ، فعليه يقوم تطهير المجتمع من الرذائل والفواحش ؛ لــتجعله مجــتمعاً طاهراً راقياً . ويرتبط خلق العفة بكثير من الأخلاق والفضائل، كالأمانة والوفاء والشجاعة والكرم والصبر. فاتصاف الإنسان بصفة العفة ؛ يسهل له الوصول إلى الكثير من محاسن الأخلاق ، وتجعله أهلاً للسيادة والريادة في مجتمعه وقومه.

> " إن هذه الفضيلة السامية تهيئ لطالبها السبيل إلى سيادة نفسه وقمع شهواته ، وتمهد له وسائل الرقي والعظمة في هذه الحياة ، ولا عجب فأكثر الناس عظمة هم أولئك الأفراد الثابتون كالطود أمام أعاصير الحياة تنصب عليهم الآلام وهم باسمون لأنهم قادرون على ضبط أنفسهم فلا تذهب شعاعاً ، وعلى قمع شهواتهم فلا يمثل مع الهوى ، وبعض الناس يحب الرئاسة والوجاهة والمدح والرتب العالية والدافع إلى ذلك حب الظهور وهو خلق ذميم يقوم على الحقد والأنانية ، لذا فمن العفة ألا يطلب المرء عملاً ليس كفئاً له ، وألا ينافس من هم أجدر. وألا يسعى ليحل محل الأكفاء ، ولا يطعن فيهم ، ليخلوا له الجو فيحل محلهم" [1] .

ويضع الأصفهاني للعفة شروطاً فيقول: " واعلم أنه لا يكون المتعفف عفيفاً إلا بشرائط وهي أن لا يكون تعففــه عن الشيء انتظاراً لأكثر منه أو لأنه لا يوافقه أو لجمود شهوته أو لاستشعار خوف من عاقبته أو لأنه غير عارف لقصوره ، فإن ذلك كله غير عفة بل هو اصطياد أو تطبب أو مرض أو حزم أو عجز أو جهل"[2].

ويــرى المــاوردي أن العفة نوعان : أحدهما: العفة عن المحارم . والثاني : العفة عن المآثم . فأما العفة عن المحــارم ، فنوعان : أحدهما :ضبط الفرج عن الحرام . والثاني: كف اللسان عن الأعراض . فأما ضبط الفرج عــن الحرام ؛ فلأن عدمه مع وعيد الشرع وزاجر العقل معرة فاضحة ، وهتكة واضحة . والداعي إلى المحارم شــيئان : أحدهما : إرسال الطرف . والثاني : اتباع الشهوة . وأما كف اللسان عن الأعراض . فلأن عدمه صــفة السفهاء ، وانتقام أهل الغوغاء . فإذا لم يردع نفسه برادع زاجر ؛ أصابه معار، وأحاطت به مضاره . وأمــا العفة عن المآثم فنوعان أيضاً ، أحدهما : الكف عن المجاهرة بالظلم . والثاني : زجر النفس عن الإسرار بخيانة . فأما المجاهرة بالظلم ، فعتو مهلك ، وطغيان متلف ، وهو يؤول إن استمر إلى فتنة أو جلاء . والباعث على ذلك شيئان : الجراءة والقسوة . وأما الاستسرار بالخيانة فضعة ؛ لأنه ببذل الخيانة مهين ، ولقلة الثقة به مستكين[3] .

ومــن تمام العفة أن تظهر أيضاً على اليد ، بأن لا يمدها لما ليس لــه . ويكون عفيف اللسان ؛بترك الغيبة والسخرية وكل ما يقبح قوله . وعفيف البصر ؛ فلا يمد عينيه نحو ما حرم عليه وما يستهجن عادة . ويكون في الأذن ؛ فلا يطلب سمعه ما لا يحل لــه ولا يجمل من مثله . وعفة القدم ؛ فلا ينقلها إلى الحرام ولا يقصد

١- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان وآخرون. موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية. العفة . مرجع سابق . ٤١/ ٥٧.

٢- الأصفهاني ،الحسين بن محمد بن المفضل الراغب . الذريعة في مكارم الشريعة . مرجع سابق . ص١٦٤- ١٦٥.

٣- الماوردي ،علي بن محمد . أدب الدنيا والدين . دار إحياء العلوم .بيروت . ١٤٠٨هـ. ص٤٥١- ٤٥٦.

بهـــا الموارد الرديئة . وعماد عفة الجوارح كلها أن لا يطلقها صاحبها في شيء مما يخص كل واحد منهما إلا فيما يسوغ فيه العقل والشرع ، دون الشهوة والهوى [1] .

ورود قيمة العفة في قصص النساء في القرآن الكريم:

لم تظهـــر قـــيمة العفة في قصص النساء في القرآن الكريم بشكل لفظي ، ولكنها وردت ضمناً ، بصورة إيجابية وسلبية ، على التفصيل التالي :

١) في قصة امرأة لوط عليه السلام وبناته : ظهرت عفة لوط عليه السلام عن سؤال قومه الأجر وطلب غرض دنيوي على دعوته لهم ، وعفته وأهله عن مشاركة قومهم في الفواحش والمنكرات ، لذلك وصف القوم لوط وأهله بالطهارة . وتظهر القصة فقدان قوم لوط العفة ، وتلبسهم بالفجور ، لإتيانهم فاحشة اللواط ، وتفاخرهم ومجاهرتهم بها ، قال أبو السعود في تفسير الآية ﴿ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ " تعليل لأمر الإخراج ووصفهم بالتطهر للاستهزاء والسخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش والخبائث والافتخار بما هم فيه كما هو ديدن الشطار والدعار" [2] .

٢) في قصـــة امرأة العزيز والنسوة : تُظهر القصة اتصاف نبي الله يوسف عليه السلام بالعفة ، فقد امتنع عن الفاحشة مع توفر دواعيها ، وتيسر أسبابها ، ووجود التهديد بالعقوبة إن أبى الطاعة ، ووصفته بذلك امرأة العزيـــز والنسوة . وأظهرت القصة فقدان امرأة العزيز لقيمة العفة ؛ لسعيها للفاحشة ، والمجاهرة في ذلك أمام النسوة ، وكذلك لم يعف لسانها عن الكذب والافتراء على يوسف ، فاتهمته عند زوجها بمراودتها . قـــال الشـــوكاني في تفسير آيات القصة :" أي استعف وامتنع مما أريده طالباً لعصمة نفسه عن ذلك، ثم توعدته إن لم يفعل ما تريده كاشفة لجلباب الحياء هاتكة لستر العفاف " [3] .

٣) في قصـــة أم موســـى وأخته وزوجه وآسية عليهم السلام : فتظهر القصة عفة موسى عليه السلام وعفة الفـــتاتين ، فظهـــر في الفتاتين لتركهما مزاحمة الرعاة الرجال على السقي لئلا تختلطا بهم ، وتأجيل سقي غـــنمهما إلى فراغهم . كما يدل على ذلك أيضاً قدوم الفتاة لدعوة موسى لزيارة أبيها ، ومخاطبته بأدب وحـــياء ، قـــال عماد حافظ :" إن في عرض الفتاة على أبيها أمر استئجار موسى لهو دلالة واضحة إلى حرصها على عدم الاختلاط مع الرجال ومزاحمتهم لتعففها هي وأختها عن ذلك" [4] . كما تظهر العفة في شخصية موسى عليه السلام في جعله الفتاة تمشي خلفه ، وترشده الطريق إذا ضل.

٤) في قصـــة ملكة سبأ عليها السلام : تظهر عفة نبي الله سليمان عليه السلام عن أخذ الهدية ، رغم قيمتها العظـــيمة ، وهـــي مرسلة من ملكة عظيمة ؛ لأنها كانت بمثابة الرشوة لتركها وقومها على دينهم .قال

١- الأصفهاني ،الحسين بن محمد ابن المفضل الراغب . الذريعة في مكارم الشريعة . مرجع سابق . ص١٦٤.

٢- أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي. تفسير أبي السعود .مرجع سابق . ٤/٢٤٦.

٣- الشوكاني ،محمد بن علي محمد .فتح القدير. مرجع سابق . ٣/ ٢٣.

٤- حافظ ،عماد زهير . القصص القرآني بين الآباء والأبناء . مرجع سابق . ص٣٠٦.

الشـــرقاوي: "وفي رد سليمان للهدية إشارة إلى ما يجب أن يكون عليه الحاكم من العفة والأمانة والعزة والكرامة والنزاهة والثبات أمام الإغراءات والمساومات" (١) .

٥) في قصـــة مـــريم وأمها عليهما السلام : فقد وصف الله مريم عليها السلام بالعفة ، كما تظهر عفتها في موقفها من الملك لما تمثل لها بشراً سوياً . قال أبو السعود : "كان تمثيله على ذلك الحسن الفائق والجمال الـــرائق لابتلائها وسبر عفتها ، ولقد ظهر منها من الورع والعفاف مالا غاية وراءه" (٢) . وكذلك تظهر القصة عفة والدي مريم في وصف قومهما .

٦) في حادثـــة الإفك: تظهر عفة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن الوقوع في الفواحش ، وقد شهد الله بطهارتها وعفتها ، وأنزلت آيات سورة النور لتبرئتها ، وتكذيب المنافقين فيما قالوا عنها . وكذلك تظهر القصة عفة الصحابي الجليل صفوان بن معطل . كما تظهر القصة عفة أم المؤمنين زينب رضي الله عنها ؛ لمـــا سألها رسول الله ﷺ عن عائشة . وتظهر عفة الذين كانوا يرحلون بعير أم المؤمنين عائشة . قال ابن حجر:" ويستفاد من ذلك أيضاً أن الذين كانوا يرحلون بعيرها كانوا في غاية الأدب معها والمبالغة في ترك التنقيـــب عما في الهودج بحيث انها لم تكن فيه وهم يظنون أنها فيه وكأنهم جوزوا أنها نائمة" (٣) . بينما تظهر القصة عدم عفة لسان من تحدث بالإفك ، فقد كذبوا على أم المؤمنين عائشة .

٧) في قصة التحريم : تظهر القصة أن الغيرة المفرطة في حفصة وعائشة رضي الله عنهما ؛ أدت إلى إفشائهما سر رسول الله ﷺ وتظاهرهما عليه ، حتى حرم على نفسه العسل أو مارية ، وقد كان ذلك منهما مخالفاً لما اتصفتا به من عفة اللسان ، ولكنهما تابتا وندمتا على ما كان منهما .

٨) في قصة أم جميل : تظهر القصة عدم عفة أم جميل عن إيذاء رسول الله ﷺ والمسلمين ، بالفعل واللسان . فقـــد كانـــت تلقي الأذى في طريقهم ، وتوجه لهم السب والشتم ، قال المباركفوري: " وكانت امرأة سليطة ، سليط فيها لسانها ، وتطيل عليه الافتراء والدس ، وتؤجج نار الفتنة ، وتثير حرباً شعواء على النبي صلى الله عليه وسلم" (٤) .

٩- قيمة الكرم

الكرم في اللغة : مأخوذ من مادة : كرم . والكرم نقيض اللؤم يكون في الرجل نفسه وإن لم يكن له آباء، وقد كرم الرجل بالضم كَرَماً وكَرَامة، فهو كريمٌ ومَكْرَم ومَكْرَمة ، وجمعها كُرماء وكِرام. وتقول امرأة كَرَمٌ ، ونسوة كَرَم لأنه وصف بالمصدر. والكريم الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل ، والكريم اسم جامع لكل ما يحمد (٥) .

١- الشرقاوي ،أحمد محمد . المرأة في القصص القرآني . مرجع سابق . ٢/ ٥٥٥.

٢- أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي. تفسير أبي السعود. مرجع سابق. ٥/ ٢٦٠.

٣- ابن حجر ، أحمد علي. فتح الباري . مرجع سابق . ٨/ ٤٦٠.

٤- المباركفوري ، صفي الرحمن . الرحيق المختوم . دار الفكر . ١٤٢٠هـ . ص٧٥.

٥- ابن منظور ، محمد بن مكرم. لسان العرب . مرجع سابق. مادة كرم .

أمـــا في الاصطلاح : فقد عرفه ابن مسكويه فقال: " هو إنفاق المال الكثير بسهولة من النفس في الأموال الجليلة القدر ، الكثير النفع ، كما ينبغي" [1]. وعرفه الجرجاني بقوله :" الكرم: هو الإعطاء بالسهولة. الكريم : مـــن يوصـــل الـــنفع بلا عوض . فالكرم هو إفادة ما ينبغي لا لغرض فمن يهب المال لغرض جلباً للنفع ، أو خلاصاً عن الذم ، فليس بكريم"[2] .

وقال الأصفهاني: الكرم إذا وصف به الإنسان فهو اسم للأخلاق المحمودة التي تظهر منه ، ولا يقال: هو كريم ، حتى يظهر ذلك منه ، والكرم لا يقال إلا في المحاسن الكبيرة ،كمن ينفق مالاً في تجهيز جيش في سبيل الله ، وتحمل حمالة ترقأ بها دماء قوم [3] . وقال الكفوي :" الكريم : قد يطلق على الجواد الكثير النفع بحيث لا يطلـــب منه شيء إلا أعطه كالقرآن . وقد يطلق من كل شيء على أحسنه كما قيل : الكريم صفة ما يرضي ويحمد في بابه" [4].

وممـــا سبق ، يظهر أن المقصود الأساسي لقيمة الكرم هو بذل المال في أوجه الخير والنجدة ، ومن ثم توسع المعنى ليشمل كل بذل في أوجه الخير ؛ بشرط أن يصل إلى أعلى الدرجات ، سواء كان ببذل العفو ، أو ببذل النصح ، أو ببذل النفس . ولفظ الكريم عنده يعني الشخص الباذل والواهب لأجود ما يملك ، بإحسان وسماحة نفس ، لذلك يأتي الكرم ليكون مرادفاً لبعض الأخلاق ، فإذا كان بمال فهو جود ، وإن كان بكف ضرر مع القدرة فهو عفو، وإن كان ببذل النفس فهو شجاعة .

> "وإذا نظـــرنا إلى الكـــرم في اتساع معناه ورحابة مفهومه ، وثراء دلالته ، خرجـــنا مـــن دائرة الكرم بالمال وبذل المادة إلى دوائر أخرى أكثر رحابة وأعمـــق قـــيمة ، لا تقل عن كرم المال وإن كانت توازيه وتفضله أحياناً، فهـــناك كـــرم الخلق ، وكرم العفو ، وكرم الصنع، وكرم المعاملة ، وكرم التضحية ، وكرم الإيثار الذي قد يعرض صاحبه للهلاك فداء من آثره ، إنه كرم النفس، وكرم الروح" [5] .

ولكن المقصود به في الدراسة : بذل المال في أوجه الخير والنجدة ، وفق حدود الشريعة الإسلامية .

لقد ورد لفظ الكرم في القرآن الكريم سبعاً وأربعين مرة ، فقد وصف الله نفسه بأنه كريم ، قال سبحـــانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ﴾ [الإنفطار: ٦]. قال الفيروز آبادي: والكرم إذا وصف الله به فهو اسم لإحسانه وإنعامه ، وإذا وصف به الإنسان فهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة التي تظهر منه ، ولا يقال هو كريم حتى يظهر منه ذلك [6] . ووصف الله عز وجل القرآن بالكرامة ، فقال﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ ﴾ [الواقعة: ٧٧]. ووصف سبحانه رسوله ﷺ بالكرم فقال ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠ ﴾ [الحاقة : ٤٠]. وجعل

---

١ - ابن مسكويه ، أحمد محمد . تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق . مرجع سابق. ص ٢٨.

٢- الجرجاني ،علي محمد . كتاب التعريفات . مرجع سابق. ١٨٤.

٣- الأصفهاني، الراغب .المفردات في غريب القرآن . مرجع سابق . ص٧٠٧.

٤- الكفوي ،أيوب موسى الحسيني . الكليات . مرجع سابق . ٤/ ١٢٦.

٥- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان وآخرون. موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية . الكرم .مرجع سابق. ٤٧/ ٢٢.

٦- الفيروز آبادي ، محمد يعقوب . بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز . مرجع سابق . ٤/ ٣٤٣.

القرآن التقوى ميزان الكرامة بين الناس ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات: ١٣].

فجاءت الأحاديث تصف الله عز وجل بالكرم عن النبي ﷺ قال: (إِنَّ اللَّهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ)(١). وأحاديث تصف رسول الله ﷺ بالكرم، فعن جابر رضي الله عنه قال: (مَا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ فَقَالَ: لا)(٢). كما جاءت الأحاديث النبوية تحث المسلم على فضيلة الكرم وتعلقها بالإيمان، قال النبي ﷺ: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ. قِيلَ: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)(٣). وتجعل ميزان كرامة الإنسان التقوى، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ ؟ قَالَ: أَكْرَمُهُمْ أَتْقَاهُمْ. قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ. قَالَ: فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ. قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ. قَالَ: فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي. قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَخِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الإِسْلامِ إِذَا فَقُهُوا)(٤).

وأهمية هذا الخلق في التربية الإسلامية تظهر في أنه خلق نفسي مركب من فضائل عديدة، من حب العطاء، وعزة النفس، وصبر وعفة، وحب الإحسان، ومساعدة الآخرين، وسماحة النفس، وصدق التوكل على الله؛ لذلك يتميز هذا الخلق بأنه يدفع صاحبه لقصد معالي الأمور، ويرغبه في المنافسة في رقي درجات الكمال، ويؤصل في نفسه حب الخير والإحسان للناس، لذلك ليس من الغريب أن يهتم الدين الإسلامي بالمحافظة على هذا الخلق في نفس الإنسان العربي.

> "والإسلام دين يدعو إلى البذل والعطاء، وينفر من البخل والتقتير، فقد حبب إلى المسلمين أن تكون نفوسهم سخية، وأكفهم ندية، يسارعون إلى الإحسان، وينفقون في أوجه البر، وقد أكد ذلك ما ورد في آي الذكر الحكيم، في مواطن عديدة، تدعو إلى الكرم، وتبشر أصحابه كما جاء الحديث الشريف ما يعلي من شأن الكرم وقدر الكرماء، ويؤصل خلق السخاء والعطاء، ويحث على الجود والبذل" (٥).

فأيما مجتمع شحذ أبناءه ولقنهم خلق الكرم؛ زاد فضلاً وارتقى نبلاً وعظم قوة. فرسوم الفضائل من نجدة وجود وسماحة وإحسان وعفة ووفاء وشجاعة؛ ستتمثل في أفراده. فيكون المجتمع الخيّر المطلوب، ذو البنيان الذي يشد بعضه بعضاً، فالضعيف يجد من ينصره، والفقير يجد من يعطيه، والمصاب يجد من يعينه.

١- الترمذي ،محمد عيسى. سنن الترمذي، مرجع سابق. كتاب الدعوات. باب في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم. رقم الحديث :٣٥٦٥. وصححه الألباني في صحيح الترمذي. ٣/ ٤٦٣

٢- البخاري ،محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. مرجع سابق. كتاب الأدب. باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل. رقم الحديث: ٦٠٣٤.

٣- البخاري ،محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. مرجع سابق. كتاب الأدب. باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره. رقم الحديث: ٦٠١٩.

٤- البخاري ،محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. مرجع سابق. كتاب أحاديث الأنبياء. باب (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه) الآية. رقم الحديث: ٣٣٧٤.

٥- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان وآخرون. موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية. الكرم. مرجع سابق. ٤٧/ ١٣.

ورود قيمة الكرم في قصص النساء في القرآن الكريم:

أظهرت القصص إكرام الله لعباده الصالحين ، كإكرامه عز وجل لآدم وزوجه ، حيث أمر الملائكة بالسجود لآدم ، وأسكنهما الجنة يأكلان منها رغداً حيث شاءا ، إلا شجرة واحدة . وإكرام الأنبياء بالرسالة والنبوة ، وإكرام أم مريم بقبول نذرها . وما منحى مريم عليها السلام من الكرامات، من كرامة الرزق وتفضيلها على نساء العالمين.

ووردت قيمة الكرم في قصص النساء في القرآن لفظاً وضمناً ، وبصورة إيجابية وسلبية . فأما ورودها لفظاً فكان بصورة إيجابية فقط ، خمس مرات :

١) في قصة سارة عليها السلام : ورد في القصة وصف الملائكة بالكرامة ، قال تعالى ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الذاريات: ٢٤].

٢) في قصة امرأة العزيز والنسوة : وجاء في أمر العزيز لزوجته بإكرام يوسف لما اشتراه ، قال سبحانه ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾ [يوسف:٢١]. وفي وصف النسوة لجمال يوسف بأنه ملك كريم ﴿ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [يوسف: ٣١].

٣) في قصة ملكة سبأ عليها السلام: فقد وصفت ملكة سبأ الكتاب بالكريم ، حيث قالت لقومها ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [النمل: ٢٩].كما ورد ذكر الكرم صفة لله عز وجل ، وذلك في الآية ﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النمل:٤٠].

وأما ورود قيمة الكرم في القصص ضمناً ، فظهر بصورة إيجابية وسلبية ، على التفصيل التالي:

١) في قصة سارة زوجة إبراهيم عليهما السلام : تظهر القصة إكرام الزوجين ، إبراهيم وسارة ، لضيوفهما الملائكة .كما تظهر القصة آداب الضيافة ، عن قتادة :"كان عامة مال إبراهيم البقر واختاره لهم سميناً زيادة في إكرامهم" (١) .

٢) في قصة امرأة لوط عليه السلام وبناته: تظهر القصة إكرام لوط لمن جاءه من الضيف ،كما في إضافته للملائكة . وتظهر القصة لؤم قوم لوط وإيذاءهم للضيف والغريب ، ونهيهم لوط عن إضافة أحد ، قال البغوي في تفسير الآية : " أي ألم ننهك عن أن تضيف أحداً من العالمين" (٢) .

٣) في قصة امرأة العزيز والنسوة : تظهر القصة إكرام امرأة العزيز للنسوة ، بألوان الطعام والشراب والمجلس ، قال وهب : "اتخذت مأدبة ودعت أربعين امرأة منهن هؤلاء اللاتي عيّرنها" (٣) . وتظهر القصة كرم

١- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ٤٦/١٧ .

٢- البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي . مرجع سابق . ٣/٥٤-٥٥.

٣- المرجع السابق . ٤٢٣/٢.

يوسف، بتفسيره لرؤيا الملك ، مع النصح لهم فيما يفعلون في السنين ، دون أن يشترط الخروج من السجن. كما تظهر في إكرام الملك ليوسف ؛ بأن أخرجه من السجن وولاه على خزائن الأرض.

٤) في قصة أم موسى وأخته وزوجه وآسية عليهم السلام : تظهر القصة إكرام الرجل الصالح لموسى ، لما جاءه . قال الشرقاوي : لقد ذهب يوسف مع الفتاة استجابة لدعوة أبيها ، واحسن الرجل استقبال ضيفه وأكرم نزله [١] .

٥) في قصة ملكة سبأ عليها السلام : فتظهر القصة إكرام سليمان عليه السلام لملكة سبأ لما جاءته ، وذلك ببناء الصرح . قال السعدي في دخولها الصرح : فلم تمتنع من الدخول للمحل الذي أمرت بدخوله ، لعلمها أنها لم تستدع إلا للإكرام ، ولم تظن به سوءاً بعدما رأت ما رأت [٢] .

٦) في قصة حادثة الإفك : تظهر القصة كرم أبي بكر ، فقد كان ينفق على مسطح ، حتى بعد أن قال ما قال في عائشة رضي الله عنهم .

٧) في قصة امرأة أبي لهب: تظهر القصة بخل أم جميل ؛ لاحتطابها حذراً من أن تنفق شيئاً من مالها الكثير ، أجرة لأحد . قال قتادة : "كانت تعيِّر رسول الله ﷺ بالفقر ، ثم كانت مع كثرة مالها تحمل الحطب على ظهرها ، لشدة بخلها ، فعيِّرت بالبخل " [٣] .

١٠- قيمة الوفاء:

الوفاء في اللغة: مأخوذ من مادة وفى ، والوفاء ضد الغدر ، يقال : وَفَى بعهده وأوفى بمعنى ، وفى يَفي وَفاء فهو واف. ويقال أَوْفَيتُ بالعهد ووَفَيتُ بالعهد. والوفي : الذي يعطي الحقَّ ويأخذ الحقَّ . ورجل وفيٌّ وميفاءٌ: ذو وفاء وقد وفى بنذره وأوفاه وأوفى به. والوفاء في اللغة الخلق الشريف العالي الرفيع [٤] .

أما في الاصطلاح : فقال الجرجاني في تعريف الوفاء : "هو ملازمة طريق المواساة ومحافظة عهود الخلطاء"[٥] . وقال الجاحظ : " الوفاء هو الصبر على ما يبذله الإنسان من نفسه وبرهن به لسانه ، والخروج مما يضمنه — بمقتضى العهد الذي قطعه على نفسه — وإن كان مجحفاً به ، فليس يعد وفيّاً من لم تلحقه بوفائه أذية وإن قلّت ، وكلما أضرَّ به الدخول تحت ما حكم به على نفسه كان أبلغ في الوفاء " [٦] .

وعلى ضوء ما سبق ، يقصد بالوفاء في التربية الإسلامية : ضد الغدر ، ويعني إتمام العهد والقيام بالحق وبذل المعروف في حدود الشريعة الإسلامية .ويكون واجباً في العهود والعقود ومندوباً بين الأزواج والأصحاب.

١- الشرقاوي ،أحمد محمد . المرأة في القصص القرآني . مرجع سابق. ٤١٧/١.

٢- السعدي ،عبد الرحمن ناصر . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. مرجع سابق. ص٦٥٧- ٦٥٨.

٣- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ٢٤٠/٢٠.

٤ - ابن منظور ، محمد بن مكرم. لسان العرب .مرجع سابق . مادة وفى.

٥- الجرجاني ،علي محمد . كتاب التعريفات . مرجع سابق . ص٢٥٣.

٦- الجاحظ ،عمر بن بحر . تهذيب الأخلاق. مرجع سابق . ص٢٤.

وقد كان لهذا الخلق مكانة سامية في الإسلام ، فأمرت به الشريعة الإسلامية ، حتى وصلت به إلى درجة الوجوب ، والتهديد بالعقوبة ، لمن تركه ، وتخلق بالخيانة والغدر . فوصف الله نفسه بالوفاء ، قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة :١١١] وأعلى مراتب الوفاء ، الوفاء بعهد الله قال تعالى ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [البقرة:٤٠] . وجعلها صفة الأنبياء ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النجم :٣٧].

"والقرآن يخبرنا أن الوفاء ألوان وأنواع ، فهناك الوفاء بالعهد الذي يقول عنه ﴿ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ﴾ [البقرة :١٧٧]. وهناك الوفاء بالوعد الذي يشير إليه بقوله ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ ﴾ [مريم :٥٤]. وهناك الوفاء بالنذر الذي يشير إليه بقوله ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ [الإنسان :٧]. وهناك الوفاء بالكيل الذي يشير إليه في قوله ﴿ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ ﴾ [الشعراء: ١٨١] . وهناك الوفاء بالعقود الذي يشير إليه بقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ﴾ [المائدة : ١]" [١]

ومن صفات النبي ﷺ التي اشتهر بها قبل البعثة الوفاء ، فكانت تحفظ عنده الأمانات ، وينادى بالصادق الأمين ، ولما وصفه أبو سفيان لهرقل الروم وصفه بالوفاء بالعهد ، وكان مما رد به هرقل الروم على أبي سفيان: (وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لا ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لا يَغْدِرُونَ) [٢] . وأمر به النبي ﷺ في كثير من الأحاديث ، فقَالَ ﷺ في خُطْبَتِه (أَوْفُوا بِحِلْفِ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّهُ لا يَزِيدُهُ – يَعْنِي الإِسْلامَ – إِلا شِدَّةً ، وَلا تُحْدِثُوا حِلْفًا فِي الإِسْلامِ) [٣] . عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ؛ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ : (إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا ؟ قَالَ: نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا ، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَةً ؟ اقْضُوا اللَّهَ ، فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ) [٤] . وكان يأمر به أصحابه ويعينهم عليه فعن حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ قَالَ : (مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي ، حُسَيْلٌ ، قَالَ : فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ ، قَالُوا : إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا ؟ فَقُلْنَا : مَا نُرِيدُهُ ، مَا نُرِيدُ إِلا الْمَدِينَةَ ، فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلا نُقَاتِلُ مَعَهُ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ ، فَقَالَ: انْصَرِفَا ، نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ ، وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ) [٥].

إن أهمية تمثل خلق الوفاء في سلم الأخلاق الاجتماعية لأي مجتمع ، تظهر في أنه جزء من الصدق ، فكما أنه يستحيل لمجتمع أن تقوم له قائمة دون أن يعتمد الصدق كأحد أركانه ، كذلك الحال بالنسبة للوفاء . فالوفاء بالعهود والوعود والمواثيق ، أمر لابد منه في المعاملات المالية والاجتماعية . وتمسك أي مجتمع بخلق

١- الشرباصي ،أحمد. موسوعة أخلاق القرآن . مرجع سابق . ١٩٨/٢-١٩٧.

٢- البخاري ،محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري . مرجع سابق . كتاب الجهاد والسير. باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام والنبوة . رقم الحديث :٢٧٨٢

٣- الترمذي ،محمد عيسى . سنن الترمذي. مرجع سابق . كتاب السير . باب ما جاء في الحلف . رقم الحديث :١٥٨٩. وحسنه الألباني في صحيح الترمذي. ٢٠٣/٢.

٤- البخاري ،محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري . مرجع سابق . كتاب جزاء الصيد ونحوه . باب الحج والنذور عن الميت والرجل يحج عن المرأة .رقم الحديث: ١٨٥٢

٥-القشيري ،مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم. مرجع سابق . كتاب الجهاد والسير . باب الوفاء بالعهد . رقم الحديث :١٧٨٧.

الوفاء ، دليل على رقيه ومثاليته وحضارته ؛ لذلك كان الوفاء صفة أساسية في بنية المجتمع الإسلامي . أما إذا انتفى هذا الخلق من المجتمع ، وحل مكانه خلق الخيانة والغدر ؛ فإن هذا المجتمع يسير ولابد نحو مهلكة مميتة ، ومفسدة عظيمة . فكيف يمكن العيش في مجتمع والفساد والغدر ، وعدم الثقة ، وتقطع أواصر المحبة والمودة ؛ تعشش في أركانه . أم كيف سيكون حال المعاملات والعلاقات الاجتماعية والوعود والعهود والوفاء مفقود .

" وهذا الخلق محمود ينتفع به جميع الناس فإن من عرف بالوفاء ، كان مقبول القول في جميع ما يعد به ، ومن كان مقبول القول ، كان عظيم الجاه ، إلا أن انتفاع الملوك بهذا الخلق أكثر ، وحاجتهم إليه أشد . وإنه متى عرف منهم قلة الوفاء ، لم يوثق بمواعيدهم ، ولم تتم أغراضهم ، ولم تسكن إليهم جندهم وأعوانهم" (١) .

إن الوفاء عموماً يعني أداء الإنسان للحقوق والواجبات المكلف بها شرعاً ، كالوفاء بعهد الله وأداء الأمانة، وكذلك ما قطعه الإنسان على نفسه وألزمها به ، كإنجاز وعد وحفظ عهد . وإن كان الوفاء كثيراً ما يذكر في المعاملات المالية ، والمواثيق والعهود بين الجماعات ؛ فإن من أشد الوفاء ، وأعظمه أثراً وقيمة ، وفاء الخليط للخليط ، والمقصود به القيام بحقوقه ، كوفاء الصديق لصديقه ، والزوج لزوجه ، والجار لجاره . وهذا الوفاء عزيز نادر الوجود لأن دوامه والثبات عليه مع تقلب الأحوال ، وانصرام الأيام ، وفراق الأحباب أمر عسير على الأنفس ، يحتاج منها لصبر وعناء . لذلك يقصر عمر الوفاء عند الكثير ليكون محدوداً بتجاور الطرفين ، فإذا افترقا بسفر أو موت ، توقف الوفاء إلى ذلك الحد ، لينتهي أو يحول لغيره . أما استمراره بعد الفراق من طرف واحد فهي مرتبة من الوفاء عزيزة ، وأكثر ما تظهر في وفاء الخليط لخليطه بعد الموت فيوفي الخليط عهد خليطه وينجز وعده . فيرى الصديق يصل أهل صديقه ، ويبذل لهم المعروف والإحسان كما لو كان صديقه حاضراً ، وكثير من الزوجات لا يتزوجن بعد وفاة الزوج وفاء لما بينهما من العشرة.

ورود قيمة الوفاء في قصص النساء في القرآن الكريم :

لقد ظهر الوفاء صفة لله عز وجل في قصص النساء في القرآن ، وذلك في قصة أم موسى . فقد وفّى الله ما وعد به أم موسى ، وهو رد ابنها ؛ لتكمل رضاعه ، وإرساله نبي إلى فرعون وقومه ، كما في الآية ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [القصص :١٣].

وظهرت قيمة الوفاء في قصص النساء في القرآن ضمنياً فقط ، بصورة إيجابية وسلبية ، على التفصيل التالي:

١) في قصة حواء عليها السلام : فقد عهد الله لآدم وحواء بأن يأكلا من جميع شجر الجنة ، ما عدا شجرة واحدة ، ولكن ظهر عجز آدم وحواء عن الوفاء بالعهد ، فقد أزلهما الشيطان بوسوسته فأكلا من الشجرة ، قال الإمام الطبري "ولم نجد له عزم قلب على الوفاء لله بعهده ، ولا على حفظ ما عهد إليه" (٢) .

٢) في قصة امرأة نوح عليه السلام : فقد كانت امرأة نوح مثالاً للمرأة الخائنة لزوجها ، بإعانتها قومها على أذية نوح عليه السلام والمؤمنين ، وتركها متابعته في الدين .

١- الجاحظ ،عمر بن بحر . تهذيب الأخلاق. مرجع سابق . ص٢٤.

٢- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ١٦/ ٢٢٢.

٣) في قصة امرأة لوط عليه السلام وبناته : وظهرت في خيانة امرأة لوط لزوجها ، بتركها متابعته على دينه ، وإخبارها قومها بضيفه .

٤) في قصة امرأة العزيز والنسوة : تُظهر القصة وفاء يوسف عليه السلام للعزيز ، الذي أكرمه وأحسن نزله ، فأبى أن يخونه في أهله . بينما ظهرت خيانة زوجة العزيز لزوجها بمراودتها يوسف ، قال البغوي: أي إن فعلت هذا فخنته بعدما أكرم مثواي فأنا ظالم ولا يفلح الظالمون [١] . كما وفّى الساقي وعده ليوسف بأن يخبر الملك بأمره ، بعد أن نسي مدة من الزمن ؛ فكان سبباً لخروج يوسف من السجن . كما تظهر القصة مقابلة العزيز لوفاء يوسف عليه السلام بالغدر ؛ فسجنه لإرضاء زوجه والستر عليها .

٥) في قصة أم موسى وأخته وزوجه وآسية عليهم السلام : ظهر الوفاء في العقود صفة لموسى عليه السلام والرجل الصالح ، فقد وفى كل منهما لصاحبه عقده .

٦) في قصة ملكة سبأ عليها السلام : فتظهر القصة وفاء الهدهد لسليمان ، حيث أتاه بخبر مملكة كافرة غاب عنه خبرها . ووفاء الذي عنده علم الكتاب بما وعد سليمان من إحضار العرش في طرفة عين . وتظهر القصة وفاء قوم سبأ لملكتهم ، إذ أشاروا عليها بالحرب ، ووعدوها الطاعة إن رأت غير ذلك ، فلما عدلت عن ذلك إلى المسالمة والمهادنة ، أطاعوها في كل أمر ، حتى في السفر إلى سليمان عليه السلام.

٧) في قصة مريم وأمها عليهما السلام : وذلك في وفاء أم مريم بنذرها ، بأن تحرر ما في بطنها لخدمة البيت المقدس ، وقد قبل الله نذرها على الرغم من أنه أنثى . كما تظهر القصة وفاء الصديق لصديقه في قوم مريم، فقد اختصموا عليها وكان كل منهم يحرص على كفالتها وفاء لأبيها الذي كان إمامهم .

٨) في حادثة الإفك : تظهر القصة وفاء أم المؤمنين عائشة لزوجها رسول الله ﷺ وذلك في حفظها لنفسها ، وقد أنزلت الآيات لتؤكد نزاهتها وبراءتها مما قذفها به المنافقون.

٩) في حادثة التحريم : فإن أم المؤمنين حفصة قد قصرت في الوفاء بوعدها لرسول الله ﷺ بأن تحفظ سره ، وأفشته لعائشة رضي الله عنهما ، ولكنها تابت من هذا الذنب .

١٠) في قصة المجادلة : تُظهر القصة وفاء الزوجة لزوجها ، فقد حرصت المجادلة على العودة لزوجها والتماس المخرج ، فلما أنزل الله آيات الظهار أعانت زوجها في الوفاء بالكفارة.

١١- قيمة المحبة

المحبة في اللغة :مأخوذة من مادة حبب. والمحبة ، هي اسم للحب . الحُبُّ نقيض البُغض . والحُبُّ : الوداد والمَحَبَّة، وكذلك الحِب بالكسر . وأَحَبَّه فهو مُحِبٌّ وهو مَحْبُوب. واستَحَبَّه كأَحَبَّه والاستِحْبَاب كالاستحسان ، والحِــبُّ: الحبيب مثل خدن وخدين ، والحِبُّ: المحبوب. وحَبَّبَ إليه الأمر جعله يُحِبُّه ، وهم يتحابون : أي يُحِبُّ بعضهم بعضاً [٢] .

١- البغوي ،الحسين بن مسعود . تفسير البغوي . مرجع سابق . ٤١٧/٢.

٢ - ابن منظور ، محمد بن مكرم. لسان العرب .مرجع سابق . مادة حبب.

أمـــا في الاصـــطلاح: فعرف المحبة الأصفهاني بقوله : " المحبة ميل النفس إلى ما تراه وتظنه خيراً ، وذلك ضـــربان : أحدهمـــا طبيعي وذلك يكون في الإنسان والحيوان ، وقد يكون في الجمادات ، والآخر اختياري ويخـــتص به الإنسان" [١] . وعرفها الكفوي: "الحب هو عبارة عن ميل الطبع في الشيء الملذ ، فإن تأكد الميل وقـــوي يســـمى عشـــقاً" [٢] . وعرفها الشرباصي فقال: " تلك الصفة النبيلة ، والفضيلة الجليلة ، التي تدفع صاحبها على الدوام إلى محبة كل جميل ، والميل إلى كل كريم وقويم من الأشياء والأحياء" [٣] .

والمقصود بالمحبة في التربية الإسلامية : ميل النفس إلى الخير وطلبها للملاذ وفق حدود الشريعة.

لقد ورد ذكر المحبة في القرآن الكريم ، أكثر من ثمانين مرة ، تبين آياتها من أهل المحبة ، ولمن يوجه الحب وأسباب هذه المحبة ومتعلقاتها . كما وضعت شروطاً لصحتها وبينت أركان قيامها ، ورسمت آياتها أصناف المحبة ومراتبها وحددت مفهومها الإسلامي . لقد وضحت آيات القرآن العظيم أن الله عز وجل يحب عباداً من عباده ذوي صفات عليا وفضائل كثيرة . " يتحلون بمكارم الأخلاق ومحامد الصفات ، من الإحسان ، والتوبة، والتطهر ، والتقوى ، والصبر ، والتوكل ، والعدل ، والجهاد" [٤] . قال تعالى ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٦]. وقال ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [التوبة :١٠٨].كما أنعم الله على المؤمنين بغرس محبة الله ورسوله والإسلام في قلوبهم ، قال عز وجل ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الحجرات :٧]. ويصف الله في كتابه محبة المؤمنين بعضهم لبعض بقوله ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر: ٩].

كما بينت آيات القرآن المحبة الباطلة ، كمحبة الكفار للآلهة من دون الله ، قال تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٥]. والمحبة منها قسم غير صحيح ، وتنهى عن طلبها الشريعة الإسلامية ، كمحبة الأهل والمال والولد بحيث يؤدي ذلك لتقديمهم على محبة الله ورسوله ، قال تعالى ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا

١- الأصفهاني، الراغب . الذريعة في مكارم الشريعة. مرجع سابق. ص١٩٠.

٢- الكفوي ،أيوب موسى الحسيني . الكليات . مرجع سابق. ٢/ ٢٤٩.

٣- الشرباصي ،أحمد. موسوعة أخلاق القرآن . مرجع سابق. ٢/ ٣٤.

٤- المرجع السابق. ٢ /٣٦.

يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة: ٢٤]. ومن المحبة المذمومة محبة انتشار الفواحش والمنكرات ورؤية حلول المصائب على المسلمين ، قال سبحانه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النور: ١٩].

لقد حرص رسول الله ﷺ على تقوية الجماعة المؤمنة ، وربطهم ببعضهم ، بوشيجة المحبة في الله ، فجاءت الكثير من الأحاديث التي تحث على الحب في الله ، وتبين جزاء المتحابين في الله ، قال رسول الله ﷺ (إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي ، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلِّي)[1] .وقال (ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ : مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لا يُحِبُّهُ إِلا لِلَّه عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ)[2]. وقال ﷺ (لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)[3] .

وأهمية المحبة في التربية الإسلامية ، تأتي من أنها قيمة تؤدي إلى تماسك المجتمع ، وتآلف أفراده . ومتى وجدت المحبة الحقيقة بين أفراد المجتمع ؛ حلت عليهم البركة ، ونزلت بساحتهم السعادة ، ونزع من قلوبهم الحسد والغل ، وانتشر فيهم العدل والنصيحة . وقد فطر الله أنواعاً من المحبة في قلوب بني آدم ، أعظمها محبة الولد ، وقد وضع الله هذه الفطرة في ابن آدم محافظة على الجنس البشري من الفناء . وكذلك محبة المال ، وهذه المحبة تسهم في السعي في الأرض والعمل . وهذه المحبة كما تؤدي إلى رقي المجتمع وحضارته ، فهي تؤدي إلى انحطاطه وتخلفه ، فإذا انتشر بين أفراد المجتمع حب الذات وحب المال والأهل والتعلق بالحياة الدنيا وشهواتها ؛ مالوا إلى الراحة ، وكسلوا عن العمل والجهاد في سبيل الله ، وانتشر بينهم الحقد والحسد والتباغض.

ولكن الإسلام يضع لهذه المحبة حدوداً ، فلا تعطى ولا توهب إلا لمن يستحقها ، وهم أهل طاعة الله والمسلمين عموماً . أما أهل الكفر الذين عصوا الله ورسوله واستحبوا الكفر على الإيمان ؛ فلا يجوز صرف المحبة لهم ، وإنما الواجب على المسلم بغضهم والبراءة منهم . ومن شروط هذه المحبة أن لا تؤدي إلى تركه للواجبات وتقصيره في الفرائض . فالمحبة قسمان : قسم مشروع حثت عليه التربية الإسلامية وأمرت به ، وهو على مراتب ، المرتبة الأولى : وهي محبة الله ، ولا تتم هذه المحبة حتى يحب المحب خليل الله محمد ﷺ ، ويتبع سنته ، قال ابن القيم : لما كثر المدعون لمحبة الله ؛ طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى . فقيل لا تقبل هذه الدعوى إلا ببينة ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١]. فتأخر الخلق كلهم ، وثبت اتباع الحبيب في أفعاله وأقواله وأخلاقه[4] .

١- القشيري ،مسلم بن الحجاج .صحيح مسلم. مرجع سابق. كتاب البر والصلة والأدب . باب في فضل الحب في الله . رقم الحديث: ٢٥٦٦.

٢- البخاري ،محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري. كتاب الإيمان . باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان . رقم الحديث: ٢١.

٣- البخاري ،محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري . مرجع سابق . كتاب الإيمان . باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه . رقم الحديث: ١٣

٤- ابن القيم ، محمد بن أبي بكر. مدارج السالكين .مرجع سابق . ٣/ ٨- ٩.

والمرتبة الثانية : محبة رسوله ﷺ ، ولا تكون إلا باتباع سنته ، وترسم هديه ، والحرص على الاقتداء به في جميع شئون حياته ، فيحب ما أمر به ، ويكره ما نهى عنه ، قال رسول الله ﷺ : (فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ)(1) . وهاتان المحبتان واجبتان .

والمرتبة الثالثة: محبة أولياء الله الصالحين وعباده المتقين ، قال ابن رجب : "حب الأشخاص الواجب فيه أن يكـــون تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ فيجب على المؤمن محبة الله ومحبة من يحبه الله من الملائكة والرسل والأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين عموماً" (2) .

والمرتبة الرابعة : المحبة المباحة ، كمحبة الأهل والولد والمال والأصحاب، وهي أدنى المراتب، وهي المحبة التي وضعها الله في قلوب الناس ؛ ليختبر بها صدق إيمانهم ، وقوة محبتهم لله ، قال تعالى ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٤]. ويمكن تقسيم هذه المحبة إلى ثلاثة أنواع : الأولى : طبيعية: كمحبة الجائع للطعام والظمآن للماء ونحو ذلك . والثانية : محبة رحمة وإشفاق: كمحبة الوالد لولده . والثالثة : محبة أنس وإلف : وهي محبة المشتركين في الصناعة أو في طلب العلم (3) .

أما القسم المحظور : فهو محبة أهل الكفر والمعصية وأعمالهم ، ومحبة رؤية الشرور والفواحش والمهلكات تنتشر بين الناس ، ومحبة ضرر المسلم ، وحلول المصائب عليه ، قال تعالى في وصف حال المنافقين ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [آل عمران:١٢٠].

ويـــرى الميداني أن المحبة قسمان : محبة عاقلة نافعة : وهي أن تريد الخير لمن تحب ، ولو كان ذلك يسيئه ، ويخالف هواه . ومحبة جاهلة رعناء : وهي التي تسعى لإرضاء من تحب ، في كل ما يشتهي ويهوى ، ولو كان في ذلك شر وضرر عليه وعلى غيره (4) .

ورود قيمة المحبة في قصص النساء في القرآن الكريم

أظهـــرت آيـــات قصـــص النساء في القرآن ، أن الله يحب عباده المؤمنين والمتقين ، فأحاطهم بعنايته ورعايـــته ، كمـــا في قصـــة موسى عليه السلام ، ومريم عليها السلام ، وقصة حادثة الإفك . وأنزل عليهم الرحمات والبركات ،كما في قصة إبراهيم وزوجه عليهما السلام . وهيأ لهم أسباب النجاة ، كما في قصة لوط ويوسف عليهما السلام . وقبل توبة من تاب منهم ، كما تظهر في قصة آدم وحواء في توبة الله عليهما. كما تـــبين الآيات نزع الله محبته من أهل الكفرة والمعصية ، وإحلال بغضه عليهم ، وعذابه ونقمته ؛ جزاء فسقهم وفسادهم ،كما في إهلاك قوم نوح وقوم لوط وزوجتيهما وامرأة أبي لهب وزوجها.

١- البخاري ،محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري . مرجع سابق. كتاب الإيمان . باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان . رقم الحديث: ١٤.

٢- ابن رجب، عبد الرحمن بن شهاب الدين الحنبلي . جامع العلوم والحكم . المكتبة الفيصلية . مكة المكرمة . (د.ت) . ص٤٨٢.

٣- التميمي ، محمد خليفة . حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته. مكتبة أضواء السلف. الرياض. ١٤١٨هـ ١/ ٢٧٤.

٤- الميداني ،عبد الرحمن حسن حبنكة . الأخلاق الإسلامية وأسسها . مرجع سابق. ٢/٢٥٥.

وردت قيمة المحبة في قصص النساء في القرآن في ألفاظ القصص ، وكذلك ضمن أحداثها ، وكان ذلك بصورة إيجابية وسلبية ، فأما ورودها بصورة لفظية إيجابية فظهر مرتين :

١) في قصة امرأة العزيز والنسوة: في دعاء يوسف ، ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝٣٣ ﴾ [يوسف :٣٣].

٢) في قصة أم موسى وأخته وزوجه وآسية عليهم السلام : ظهرت في الآية ﴿ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ۝٣٩ ﴾ [طه: ٣٩].

بينما ظهرت بصورة لفظية سلبية ، منحرفة ومشوهة المفهوم ، مرتين:

١) في قصة امرأة العزيز والنسوة : تظهر القصة المحبة المنحرفة في محبة امرأة العزيز ليوسف ، حتى دفعتها لمراودته عن نفسه ، ولكن الله عصمه ﴿ ۞وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٣٠ ﴾ [يوسف: ٣٠].

٢) في حادثة الإفك : ظهر لفظ المحبة وكانت محبة رؤية الشر والفواحش ، قال تعالى﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝١٩ ﴾ [النور: ١٩].

أما ورود القيمة ضمناً في القصص ، فقد ظهرت بصورة إيجابية وسلبية ، على التفصيل التالي :

١) في قصة حواء عليها السلام : تظهر القصة أن الإنسان مفطور على محبة الخلد والملك ، لذلك لما أراد الشيطان إغواء آدم وزوجه ؛ خاطبهما بأحب الأشياء إلى نفسيهما ، وهو الملك مع الخلد وبلا موت . كما تظهر القصة بغض الشيطان وكرهه لآدم وبنيه .

٢) في قصة امرأة نوح عليه السلام : تظهر القصة محبة الأنبياء والرسل لأقوامهم ، وحرصهم على هدايتهم ، فقد حرص نوح على إيمان قومه ، وسعى في ذلك ، فلما حضر عذابهم ، نهاه الله أن يراجعه في عذابهم.

٣) في قصة امرأة إبراهيم عليهما السلام : تظهر القصة بغض أهل الإيمان للكفار ، وبراءتهم منهم ، ومحبتهم لأهل الطاعة ، فقد جاء الملائكة الكرام بالبشرى للصالحين إبراهيم وزوجه ، وبالعذاب للقوم الفاسقين قوم لوط ، وأخبروا بذلك إبراهيم وزوجه ؛ فاستبشرت سارة وفرحت بعذاب القوم الكافرين. قال الشرقاوي: " وهذا يدل على قوة إيمانها وحبها وولائها للإيمان وأهله، وبغضها وبرائها من الكفر وأهله " [1] .

٤) في قصة امرأة لوط عليه السلام وبناته: تظهر القصة محبة لوط عليه السلام لقومه ، حيث حرص على هدايتهم ، ودعوتهم إلى الحق . فلما كفروا بالله وأبوا الإيمان ؛ تبرأ منهم ، وسأل الله النجاة . وتظهر القصة محبة قوم لوط للفاحشة وسعيهم إليها بكل جهد .

٥) في قصة امرأة العزيز والنسوة: تظهر القصة محبة الزوج لزوجه في العزيز ، وقد أدى فرط محبته لزوجه إلى ترك معاقبتها على مراودة يوسف ، وظلم يوسف ؛ بإدخاله السجن لأجلها ، قال الشرقاوي:" فموقف

١- الشرقاوي ،أحمد محمد . المرأة في القصص القرآني . مرجع سابق. ١٦٨/١.

العزيز المتهاون يدل على ضعف غيرته وقلة مروءته ، كما يدل على فرط حبه لها ، وعدم قدرته على فراقها وهزيمته النفسية أمام جمال المرأة ودلالها" [١] .

٦) في قصة أم موسى وأخته وزوجه وآسية عليهم السلام: تظهر القصة محبة الوالدة لولدها ، في أم موسى. وتظهر محبة الأخ لأخيه ، في محبة أخت موسى لأخيها . وتظهر محبة امرأة فرعون للطفل . وكذلك تظهر محبة الرجل لأهله وحرصه عليهم في موسى عليه السلام ، لما ذهب يلتمس خبر النار ؛ لعله أن يجد عندها ما ينفعهم أو يهديهم إلى الطريق الصحيح .

٧) في قصة ملكة سبأ عليها السلام : تظهر القصة محبة قوم سبأ للمال .قال السعدي في تفسيره :" لحبكم في الدنيا وقلة ما بأيديكم بالنسبة لما أعطاني الله" [٢].

٨) في قصة مريم وأمها عليهما السلام : تظهر القصة محبة الوالدة لولدها ، في تعويذ أم مريم لابنتها وذريتها من الشيطان الرجيم . وكذلك تظهر محبة القوم لعمران والد مريم ، حتى اختصموا على كفالة ابنته.

٩) في حادثة الإفك : تظهر القصة محبة رسول الله ﷺ لزوجه عائشة ، وتظهر القصة محبة أسامة بن زيد لرسول الله ﷺ ولأهل بيته . وفي إرجاع أبو بكر للنفقة إلى مسطح تظهر محبة أبي بكر أن يغفر الله له.

١٠) في قصة التحريم : تظهر القصة محبة رسول الله ﷺ لأزواجه ، ومحبتهن له ، وكان ذلك سبباً في تنافسهن عليه ، ووقوع حادثة التحريم لإرضاء أزواجه.

١١) في قصة المجادلة : تظهر القصة محبة المرأة لزوجها وأبنائها ، وحرصها على أسرتها ، فقد جاءت خولة لرسول الله ﷺ تلتمس المخرج من ظهار زوجها ، فوجدت المخرج .

١٢ـ الشجاعة

الشجاعة مأخوذ من مادة :شجع . والشجاعة : شدة القلب عند البأس . وقد شَجُعَ الرجل بالضم فهو شُجاعٌ ، وقومٌ شِجْعَةٌ وشِجْعانٌ ، وامرأة شجاعةٌ [٣] . وتشجع الرجل : أظهر ذلك من نفسه وتكلفه وليس به وشَجَّعه : جعله شُجاعاً أو قوى قلبه [٤] .

أما في الاصطلاح: فعرفها الجاحظ فقال : "هي الإقدام على المكاره والمهالك عند الحاجة إلى ذلك وثبات الجأش عند المخاوف مع الاستهانة بالموت" [٥] .وعرفها الجرجاني بأنها: " هيئة حاصلة للقوة الغضبية بين التهور والجبن بها يقدم على أمور ينبغي أن يقدم عليها" [٦].

وعرفها الميداني بأنها : "قوة في عزيمة النفس تدفع إلى الإقدام بعقل في مخاطرة بعمل أو قول لتحصيل خير أو دفع شر مع ما في ذلك من توقع هلاك أو مضرة يقيناً أو ظناً "[٧].

١- الشرقاوي ،أحمد محمد . المرأة في القصص القرآني . مرجع سابق. ١/ ٣٤٤.

٢- السعدي ،عبد الرحمن ناصر . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. مرجع سابق. ص٦٥٦.

٣- الجوهري ،إسماعيل بن حماد. الصحاح . مرجع سابق . مادة شجع.

٤ - ابن منظور ، محمد بن مكرم. لسان العرب .مرجع سابق . مادة شجع .

٥- الجاحظ ،عمر بن بحر . تهذيب الأخلاق. مرجع سابق . ص٢٧.

٦- الجرجاني ،علي محمد . كتاب التعريفات . مرجع سابق . ص١٢٥.

٧- الميداني ،عبد الرحمن حسن حبنكة . الأخلاق الإسلامية وأسسها . مرجع سابق . ٢/ ٥٨٦.

وقيل: " هي الصبر والثبات والإقدام على الأمور النافع تحصيلها أو دفعها وتكون في الأفعال والأقوال "[1].

وفي ضـوء ما سبق ، يمكن القول بأن الشجاعة في التربية الإسلامية تعني : الإقدام على المخاطر والمهالك لإظهار الحق ، بحكمة وثبات قلب وقوة بأس ، وتكون في الأقوال والأفعال .

والشجاعة خلق نفسي يدعم العديد من الأخلاق الفاضلة ، ويظهر في ثبات القلب وسكونه ، عندما ترد عليه المهالك والمخاوف . وأبرز مواضع الشجاعة يظهر في ساحة القتال عند ملاقاة الأعداء ، فهو موطن تمحيص الشجاع من الجبان . وجاءت الكثير من الآيات والأحاديث الآمرة بالشجاعة عند ملاقاة الأعداء ، وتراص الصفوف ، والمبينة لجزاء الشجعان في الدنيا والآخرة ، كما في الآيات ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [آل عمران :١٤٦].

كما جاءت الآيات الناهية عن الجبن والفرار من الحرب ، كما في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنفال : ١٥- ١٦].

وقـد وصـف الصحابة الكرام رسول الله ﷺ بالشجاعة. عَنْ أَنَسٍ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ : (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَـنَ النَّاسِ ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ . وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ سَبَقَهُمْ عَلَى فَرَسٍ ، وَقَـالَ: وَجَدْنَاهُ بَحْرًا)[2]. وبين ﷺ أجر المجاهد الشجاع ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : (قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : مَا يَعْدِلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؟ قَالَ: لا تَسْتَطِيعُونَهُ . قَالَ : فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا ، كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: لا تَسْتَطِيعُونَهُ . وَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ : مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللَّهِ، لا يَفْتُرُ مِنْ صِـيَامٍ وَلا صَلاةٍ ، حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى)[3]. ويضع الإسلام للشجاعة شرطاً حتى يؤجر صاحبها عليه وتكون في ميزان الحسنات وهي أن تكون لإعلاء كلمة الله ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ : (جَاءَ رَجُلٌ إِلَـى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً ، وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً ، فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ قَالَ: مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)[4] .

قـيمة الشجاعة في الحياة الاجتماعية تظهر في أنها وسيلة الفرد والمجتمع ؛ للمحافظة على كيانه ومبادئه ، وردع وكف من يريد المساس بها ، فقد يفقد الفرد حياته ، ويدفع المجتمع ثمناً غالياً من الدماء والأموال ، لهذه الشجاعة ؛ ولكنه من هذا يبني للبشرية مجتمعاً فاضلاً متمسكاً بالأخلاق القويمة .

والشجاعة تعتمد على أمور أساسية لابد من قيامها في الشخص ليسمى الخلق الصادر منه شجاعة ، وهي: الذكـاء ، والحكمة ، والحيلة ، والصبر ، وثبات القلب ، والجرأة والإقدام . وأهم هذه الأمور إطلاقاً – والتي يجب استصحابها طول ظهور هذا الخلق وتمثله – هما الصبر والحكمة ، فحين "يفقد الشجاع عنصر الصبر يفقد

١- السعدي ، عبد الرحمن . الرياض الناضرة والحدائق النيرة. مرجع سابق. ص٤٧.

٢- البخاري ،محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري . مرجع سابق . كتاب الجهاد والسير . باب الشجاعة في الحرب والجبن. رقم الحديث : ٢٨٢٠.

٣- القشيري ،مسلم بن الحجاج . صحيح مسلم .مرجع سابق . كتاب الإمارة . باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى . رقم الحديث : ١٨٧٨.

٤- البخاري ،محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري . مرجع سابق . كتاب التوحيد . باب قوله تعالى (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) . رقم الحديث:٧٤٥٨.

شجاعته عند نزول الآلام التي لا يصبر على تحملها ، فيكون شجاعاً في الأوائل جباناً في الأواخر ، فالصبر على تحمل المكاره التي يجرها الإقدام عن عقل وحكمة هو الذي يحافظ على استمرار خلق الشجاعة في النفس "[١] . واصطحاب الشجاعة للحكمة يكون في أن الشجاع متى ما فقد حكمته ، في أي موقف ، أو مشهد للشجاعة، انقلبت شجاعته إما لجبن ، أو غدت انتحاراً وإقداماً على المهالك دون تبصر.

وتعتمد الشجاعة وتقوم على القوة البدنية بصورة يسيرة ، ومتى ما اعتمدت شجاعة شخصٍ وصدرت تبعاً لقوته الجسدية ؛ كانت مؤذنة بهلاكه ودليلاً على سفهه وسوء رأيه ، وتكون دائماً ناتجة عن حب للمغامرة وطلب للظهور أمام الناس بمظهر البطل ، وهي شجاعة مذمومة . فالشجاع الحق هو من تجنب مواجهة المهالك والمخاطر ، إلا بعد تفكر وتبصر لمواقع القوة والضعف ، وتقليب لطريقة مواجهة الخطر ، مع إعمال الحيلة واستصحاب الحكمة والصبر طوال معالجة المخاوف ، وإن احتاج الأمر إلى القوة البدنية ، استخدمت بمقدارها وتكون آخر الدواء .

" ومن الشجاعة المحمودة مجاهدة الإنسان نفسه أو غيره ، وكل واحد منهما ضربان: مجاهدة النفس بالقول وذلك بالتعلم ، وبالفعل وذلك بقمع الشهوة وتهذيب الحمية ، ومجاهدة الغير بالقول وذلك بتعيين الحق وتعليمه، وبالفعل وذلك بمدافعة الباطل ومتعاطيه بالحرب "[٢] .

يتفاوت الناس فيما لديهم من شجاعة أو جبن في أصل فطرتهم : فبعض الناس مفطور على خلق الشجاعة، وبعضهم مفطور على خلق الجبن . وللشجاعة عند الشجعان نسب متفاوتة ، كما أن للجبن عند الجبناء نسباً متفاوتة . وما من شجاع إلا لديه نسبة ما من الجبن الفطري ، وما من جبان إلا لديه نسبة ما من الشجاعة الفطرية . وخلق الشجاعة يمكن اكتسابه وتقويته في النفس بعدة وسائل ، منها الوسائل التالية [٣] :

١- التدريب العملي بدفع الإنسان إلى المواقف المحرجة التي لا يتخلص منها إلا بأن يتشجع .
٢- الإقناع بأن معظم مثيرات الجبن لا تعدو أنها أوهام لا حقيقة لها .
٣- القدوة الحسنة وعرض مشاهد الشجعان وذكر قصصهم مع تمجيدهم والثناء عليهم.
٤- إثارة دوافع التنافس ، ومكافأة الأشجع بعطاءات مادية مع الثناء والإطراء والتمجيد.
٥- ترسيخ عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر وأن الإنسان لن يصيبه إلا ما كتب الله له .

" وأنواع الشجاعة خمسة : سبعية كمن أقدم لثوران غضب و تطلب غلبة ، وبهيمية كمن حارب توصلاً إلى مأكل أو منكح ، وتجريبية كمن حارب مراراً فظفر فجعل ذلك أصلاً يبني عليه ، وجهادية كمن يحارب ذباً عن الدين ، وحكمية وهي ما تكون في كل ذلك عن فكر وتمييز وهيئة محمودة بقدر ما يجب على ما يجب"[٤] .

وضروب الشجاعة ومجالاتها كثيرة منها [٥]:

١- الميداني ،عبد الرحمن حسن حبنكة . الأخلاق الإسلامية وأسسها . مرجع سابق . ٢/ ٥٨٧.

٢- الأصفهاني ،الحسين بن محمد بن المفضل الراغب . الذريعة في مكارم الشريعة . مرجع سابق . ص١٧٠.

٣- الميداني ،عبد الرحمن حسن حبنكة . الأخلاق الإسلامية وأسسها . مرجع سابق . ٢/ ٥٨٧-٥٨٨.

٤- الأصفهاني ،الحسين بن محمد بن المفضل الراغب . الذريعة في مكارم الشريعة . مرجع سابق . ص١٦٩.

٥- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان وآخرون. موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية .الشجاعة . مرجع سابق ٣٠ /٥٥- ٨٤.

١) شجاعة الحرب : وتتطلب جرأة في تعريض النفس للهلاك وفقدان الحياة .

٢) شـــجاعة الموقـــف : وتتطلب من الجرأة والشجاعة أكثر من الحرب ، ففيها مواجهة المواقف المهلكة والمخيفة بقلب ثابت وثقة في النفس.

٣) شجاعة الرأي : وتعني الجرأة والإقدام على التصريح بالرأي وإبدائه ، مادام أنه مظنة الصواب ، وكم من رأي سديد أورد المنافع ونحى المهالك .

٤) شجاعة القرار : ويعني الجرأة على اتخاذ القرارات ، والمضي فيها ، ولو كثر المعارضون لها والمستخفون بفائدتها، وهي تطبيق عملي لشجاعة الرأي .

٥) شـــجاعة الإرادة : هـــي التغلب على نزعات النفس وكبح جماحها وردع أهوائها وهي القدرة على ضبط شهوات النفس ومنع جنوحها إلى مهاوي الردى والمهالك.

ورود قيمة الشجاعة في قصص النساء في القرآن الكريم

لم تظهـــر قـــيمة الشجاعة في قصص النساء بصورة لفظية ، ولكنها وردت بمعناها ضمن آيات وأحداث القصص وكانت بصورة إيجابية ، وكان ذلك على التفصيل التالي:

١) في قصة امرأة لوط عليه السلام وبناته : وتظهر في شجاعة لوط ، بدعوته لقومه لاتباع الحق ، وإرشادهم إلى الخير ، على الرغم من تهديدهم لـــه بالإخراج ، وأيضاً في استضافته لضيفه الملائكة رغم تهديد قومه لـــه وتحذيره من استضافة أي ضيوف عنده ، وكذلك في مدافعته قومه عن ضيفه .

٢) في قصة امرأة العزيز والنسوة : فتظهر شجاعة يوسف ، وذلك في رفضه للفاحشة رغم تهديد امرأة العزيز لـــه بالسجن ، إن لم يطع أمرها ، وتنفيذها وعدها.

٣) في قصة أم موسى وأخته وزوجه وآسية عليهم السلام : وتظهر في القصة شجاعة أم موسى في طاعة الله ، بتنفيذها أمر الله بقذف وليدها في البحر ، رغم أن هذا –في ميزان البشر– هروب من قتل مشكوك لمولودها على يد جند ، إلى قتل محقق وهو قذفه في البحر تتلقفه أمواجه ؛ ولكنه عين ثقتها بالله . وتظهر في القصة شجاعة أخت موسى ، باتباعها أثر أخيها ، حتى وصلت إلى دار آل فرعون – وهم قوم جبابرة وأهل بطش– وعرضها عليهم مرضعة لابنهم .كما تظهر القصة شجاعة القرار في امرأة فرعون ، بثباتها على دينها رغم التعذيب. كما يبدو من القصة شجاعة الرأي في فتاة مدين ، في عرض رأيها على أبيها ؛ بأن يستأجر موسى لرعي الغنم . كما تظهر أيضاً شجاعة موسى عليه السلام في مزاحمة الرعاة والسقي.

٤) في قصة ملكة سبأ عليها السلام : تظهر القصة شجاعة نبي الله سليمان عليه السلام ، فقد أصر على قتال مملكة سبأ الكافرة رغم قوتهم وعظمة ملكهم . كما تظهر القصة شجاعة ملكة سبأ ، عند سؤالها عن العرش ودخولها الصرح . وتظهر في القصة شجاعة قوم سبأ في الحرب ، واستعدادهم لمنازلة الأعداء ، قال أبو السعود: "﴿ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ ﴾ أي نجدة وشجاعة مفرطة وبلاء في الحرب" [1] .

١– أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي. تفسير أبي السعود . مرجع سابق . ٦/ ٢٨٤.

٥) في قصـــة مـــريم وأمها عليها السلام : تظهر فيها شجاعة الموقف في مريم وذلك في قدومها على قومها ، ومواجهتهم بوليدها ، وطاعتها لله في ترك كلامهم ، قال الزحيلي: "جاءت مريم المؤمنة الواثقة بتأييد الله لها قومها مع ولدها ، لما اطمأنت بما رأت من الآيات وعلمت أن الله تعالى سيبين عذرها"(١) .

١٣- قيمة الغيرة :

الغيرة في اللغة : مأخوذة من مادة : غير ، والغيرة بالفتح مصدر قولك : غار الرجل على أهله يَغَارُ غَيْراً ، وغَيْرَةً، وغاراً. ورجل غَيُورٌ وغَيْرَان ، وجمع غَيُور غُيُرٌ (٢) . وغيور هو فعول من الغيرة وهي الحمية والأنفة . يقـــال رجـــل غيور وامرأة غَيور بلا هاء. وفلان لا يَتَغَيَّر على أهله ، أي لا يغار ، وأغار أهله : تزوج عليها فغارت (٣) .

أما في الاصطلاح : فعرف الراغب الأصفهاني الغيرة بأنها : " ثوران الغضب حماية على إكرام الحرم وأكثر ما يراعى في الحرم والنساء" (٤) . وعرفها الجرجاني بأنها : " كراهة شركة الغير في حقه" (٥). وقال ابن حجر " الغيرة مشتقة من تغير القلب وهيجان الغضب بسبب المشاركة فيما به الاختصاص ، وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين ، هذا في حق الآدميين" (٦) .

أي أن المقصود بالغيرة في التربية الإسلامية : هي ثوران غضبي وانفعال نفسي ؛ يصيب الإنسان إذا اعتدي عـــلى ممتلكاته ، أو شاركه الغير في حقه ، بشرط أن لا يؤدي إلى ظلم الآخرين ، ولا يكون قائماً على الظن والوهم .

قال رسول الله ﷺ : (مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ وَمِنْهَا مَا يَكْرَهُ اللَّهُ فَأَمَّا مَا يُحِبُّ فَالْغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ وَأَمَّا مَا يَكْـــرَهُ فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رِيبَةٍ) (٧) . وقال: (مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللَّه ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ ، وَمَا أَحَدٌ أَحَـــبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ)(٨) . وقال ﷺ : (إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ ، وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَـــرَّمَ عَلَيْهِ)(٩). "ووجه ذلك ، أن المسلم الذي يطيع هواه أو ينقاد للشيطان ويقع في محارم الله ، فكأنه جعل لغير الله فيه نصيباً ، ولما كانت الطاعة خاصة بالله عز وجل ويأبى أن يشاركه فيها غيره ، كان ذلك مبعثاً لأن يستثير العاصي غضب مولاه وغيرته عليه" (١٠) .

والغـــيرة خلق كريم من الغرائز التي أودعها الله في الإنسان ؛ لصيانة ممتلكاته والذود عنها ، لذلك يلاحظ ظهورهـــا في الطفـــل منذ مراحل عمره الأولى ، في حرصه على مقتنياته الخاصة ورفضه لأي مشاركة فيها .

١- الزحيلي ،وهبة . التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج . مرجع سابق . ١٦/ ٨٤.

٢ – الجوهري ،إسماعيل بن حماد. الصحاح . مرجع سابق . مادة غير.

٣ – ابن منظور ، محمد بن مكرم. لسان العرب .مرجع سابق . مادة غير

٤ – الأصفهاني ،الحسين بن محمد بن المفضل الراغب .الذريعة في مكارم الشريعة . مرجع سابق . ص١٨١.

٥- الجرجاني ،علي محمد . كتاب التعريفات . مرجع سابق . ص١٦٣.

٦- ابن حجر ، أحمد علي . فتح الباري. مرجع سابق . ٩/ ٣٢٠.

٧- ابن ماجه ،محمد بن يزيد. سنن ابن ماجه . مرجع سابق . كتاب النكاح . باب الغيرة. رقم الحديث:٢٠٠٦. وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه . ٣٣٧/١.

٨- البخاري ،محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري . مرجع سابق . كتاب النكاح . باب الغيرة . رقم الحديث: ٥٢٢٠.

٩- القشيري ،مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم .مرجع سابق . كتاب التوبة . باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش . رقم الحديث :٢٧٦١.

١٠- حميد، صالح وآخرون . موسوعة نضرة النعيم . دار الوسيلة .جدة . ١٤١٨هـــ. ٧/ ٣٠٧٨.

وأشد ما تكون الغيرة بين الأزواج ، فيكون كل منهما حريصاً على محبة وإعجاب الآخر به ، ومتى ما شعر أن أحداً يشاركه في ذلك ؛ ثارت عنده نار الغيرة ، حتى تصل بالبعض إلى الغيرة من الأولاد ، إذا شعر أن الزوجة أكثر محبة واهتماماً بهم منه. ولا تنحصر هذه الغيرة على غيرة الرجل على امرأته بل تتعدى ذلك لغيرته على أولاده وقبيلته وكل شيء يخصه . ويظهر هذا الخلق في الذكر والأنثى ، على حد سواء ، ولكن المرأة اشتهرت بغيرتها على زوجها أكثر من أي شيء آخر . وهذه الغيرة نافعة ؛ لأنها تؤدي إلى حماية الأسرة ، وتشيع المحبة والألفة بين الأفراد ، وتقوي روابط الوحدة ، ما لم تتجاوز حد الاعتدال ؛ فإنها تكون عند ذلك مؤذنة بانهيار الأسرة وتفككها .

وقد تكون الغيرة إيجابية ، تدفع الإنسان إلى العمل وحماية ممتلكاته ، وقد تكون سلبية هدامة ، تدفع للانتقام وهي القائمة على الوهم والظن ، بحسب قوة الغيرة ومسبباتها . ولقد اشتهر العرب بغيرتهم الشديدة خاصة على أعراضهم ؛ مما دفعهم لقتل بناتهم ، غيرة عليهن من أن يمسهن سوء . ووصل بهم ذلك إلى قتل من أهان عرضهم . أما على صعيد الحياة الاجتماعية ، فإن الغيرة تؤدي إلى تقديم الفرد أفضل ما لديه من أفكار وأعمال ، فتساعد على رقي المجتمع وتطوره ، كما تؤدي إلى الحفاظ على ممتلكات الدولة ومصالحها ؛ ولذلك فإنه يتوجب علينا الإفادة من هذا الشعور ، بأن نبثها في النفوس في حدود الاعتدال والتنافس . وعن أهمية خلق الغيرة تحدث الأصفهاني فقال :

> "وجعل الله سبحانه هذه القوة في الإنسان سببا لصيانة الماء وحفظ للأنساب ، ولذلك قيل كل أمة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسائها ، وقد يستعمل ذلك في صيانة كل ما يلزم الإنسان صيانته في السياسات الثلاث التي هي سياسة الرجل نفسه وسياسة مترله وأهله وسياسة مدينته وضيعته ، ولذلك قيل ليست الغيرة ذب الرجل عن امرأته ولكن ذبه عن كل مختص به" (١) .

ويرى ابن القيم أن الغيرة قسمان : غيرة من الشيء ، وهي كراهة مزاحمته ومشاركته لك في محبوبك . وغيرة على الشيء ، وهي شدة حرص الإنسان على المحبوب ،لخوفه أن يفوز به غيره ، أو يشاركه في الفوز به(٢).

كما يجعله لأرباب القلوب والأرواح نوعان : غيرة الله تعالى على عبده ، وغيرة العبد لربه لا عليه. فأما غيرة الله على عبده ، فهي : أن لا يجعله للناس عبداً ، بل يتخذه لنفسه عبداً فلا يجعل له فيه شركاء متشاكسين ، بل يفرده لنفسه ، ويضن به على غيره . وغيرة العبد لربه نوعان : غيرة من نفسه ، وهي: أن لا يجعل شيئاً من أعماله وأقواله وأحواله وأوقاته وأنفاسه لغير ربه . وغيرة العبد من غيره ، وهي: أن يغضب

١- الأصفهاني ،الحسين بن محمد بن المفضل الراغب . الذريعة في مكارم الشريعة . مرجع سابق . ص١٨١.

٢- ابن القيم ، محمد بن أبي بكر. مدارج السالكين . مرجع سابق. ٣/ ٤٥.

الإنسان ويغار من غيره ، إذا رأى محارم الله جل جلاله ينتهكها المنتهكون ، أو رأى حقوق الله يتهاون بها المتهاونون [١] .

ويمكن أن تكون الغيرة على مستويات : مفرطة ومعتدلة . فأما الغيرة المفرطة ، فهي التي يبالغ فيها صاحبها؛ فيتجاوز الحد المعقول والمفيد ، وتغلب عليه حتى تكدر عليه عيشه ، وقد يفضي به هذا الإفراط إلى أن يرمى بالسوء عرضه . والغيرة المفرطة وَهْم كبير في ذهن صاحبها ، تعمي بصره وقلبه ، فتجعله غير قادر على التمييز بين الحق والباطل ، وتؤدي هذه الغيرة غالباً إلى هدم الأسرة ، والمجتمع بشكل عام . أما الغيرة المعتدلة ، فهي الوقوف عند القصد ، واستعمالها في حدود المروءة والحكمة ، وهذا الذي يحبه الله ، وهو الغيرة التي لا تبنى على الريبة، ولا تحمل على الشك ، ولا تكون بغير سبب ، وتحكمها العلاقات والظروف الاجتماعية السائدة في المجتمع ، وتمكن صاحبها من أن يتبين وجه الصواب قبل اتخاذ أي إجراء ، وهذه الغيرة تساعد على حماية الشرف[٢] .

ورود قيمة الغيرة في قصص النساء في القرآن الكريم:

عند تتبع آيات قصص النساء في القرآن الكريم يلاحظ ظهور غيرة الله على عباده من أن يعبدوا غيره ، وذلك في إهلاكه للعصاة ومعاقبتهم ، فقد أنزل الله آدم وحواء من الجنة بسبب وقوعهما في المعصية ، وأكلهما من الشجرة الممنوعة ، وأهلك قوم نوح وقوم لوط لما كفروا بالله ، وأنزل آيات سورة النور في حادثة الإفك غيرة من انتهاك عرض المسلم ، قال السعدي :"ولم يقل فأولئك هم الكاذبون ، وهذا كله من تعظيم حرمة عرض المسلم بحيث لا يجوز الإقدام على رميه ، من دون نصاب الشهادة بالصدق" [٣] .

وقد وردت قيمة الغيرة في القصص ضمن أحداثها دون أن تظهر بلفظها ، وكانت بصورة إيجابية وسلبية على التفصيل التالي :

١) في قصة حواء عليها السلام : فقد رفض الشيطان السجود لآدم وحواء عليهما السلام ، غيرة من تكريم الله لهما عليه.

٢) في قصة سارة عليها السلام : ظهرت الغيرة لله في سارة ، فقد كان سبب ضحكها كما قال بعض العلماء سرورها بهلاك قوم لوط الفاسقين غيرة لله لانتهاكهم محارم الله ، قال ابن كثير : "فضحكت سارة استبشاراً بهلاكهم لكثرة فسادهم وغلظ كفرهم وعنادهم فلهذا جوزيت بالبشارة بالولد بعد الإياس" [٤] .

٣) في قصة امرأة لوط عليه السلام وبناته : تظهر غيرة نبي الله لوط لانتهاك قومه محارم الله ، فأخذ يدعوهم إلى الحق ويبين لهم الصواب ، فلما أبوا اتباع الحق ، وسعوا في إيذاء ضيفه دعا عليهم . كما تظهر القصة الغيرة الخاطئة في غيرة قوم لوط من طهارة لوط وأهل بيته من خبثهم فطلبوا إخراجهم من القرية .

١- المرجع السابق . ٣/ ٤٥.

٢- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان وآخرون. موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية . الغيرة. مرجع سابق . ٤٣/ ٩-١٩.

٣- السعدي ،عبد الرحمن ناصر . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. مرجع سابق . ص٦٠٨.

٤- ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ٢/ ٤٩٥.

٤) في قصة امرأة العزيز والنسوة: تظهر القصة فقدان العزيز للغيرة على زوجه ، فلما استبان له أن زوجته هي المراودة ليوسف عن نفسه ؛ اكتفى بتوبيخها على فعلها ، قال الزمخشري : "وما كان العزيز إلا رجلاً حليماً ، وروي أنه كان قليل الغيرة "(١) .

٥) في قصة أم موسى وأخته وزوجه وآسية عليهم السلام : تظهر في القصة غيرة الرجل على محارمه في والد الفتاتين ، عن ابن عباس قال: " فأحفظته الغيرة أن قال : وما يدريك ما قوته وأمانته ؟ قالت : أما قوته ، فما رأيت منه حين سقى لنا ، لم أر رجلاً قط أقوى في ذلك السقي منه ، وأما أمانته فإنه نظر حين أقبلت عليه وشخصت له ، فلما علم أني امرأة صوب رأسه فلم يرفعه ، ولم ينظر إلي حتى بلغته رسالتك ، ثم قال: امشي خلفي وانعتي لي الطريق ، ولم يفعل ذلك إلا وهو أمين فسري عن أبيها وصدقها وظن به الذي قالت" (٢). كما تظهر في شخصية موسى عليه الصلاة والسلام ، وذكر بعض العلماء أنه أضل الطريق في سفره ؛ بسبب الغيرة ، قال أبو حيان :" كان رجلاً غيوراً يصحب الرفقة ليلاً ويفارقهم نهاراً لئلا ترى امرأته فأضل الطريق"(٣) .

٦) في قصة ملكة سبأ : فتُظهر القصة غيرة الهدهد أن يشرك أحد بالله سبحانه وتعالى . كما تظهر الغيرة لله في نبي الله سليمان عليه السلام ، فقد أرسل الكتاب إلى ملكة سبأ يدعوها فيه للإسلام ، وكذلك رفضه للهدية ، التي أرادت بها تركها وقومها على دينها ، وتوعدهم بالحرب إن لم يؤمنوا بالله .

٧) في قصة مريم وأمها عليهما السلام : فقد أخذت زكريا عليه السلام الغيرة ، لما وجد عند مريم طعاماً لم يحضره ، فظن أن هناك من يدخل عليها من البشر غيره ، وهو كافلها . كما تظهر القصة غيرة قوم مريم ، لما جاءت وهي تحمل طفلاً بين يديها ، فسألوها من أين جاءت به.

٨) في حادثة الإفك : تُظهر القصة غيرة رسول الله ﷺ على عرضه . كما ظهرت الغيرة على عرض رسول الله ﷺ في سعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير . وظهرت الغيرة الخاطئة في الصحابي الجليل سعد بن عبادة رضي الله عنهم ، فقد جادل عن المنافقين إذ أخذته الحمية . وتظهر الغيرة الخاطئة في فعل الصحابية حمنة بنت جحش أخت أم المؤمنين زينب ، حيث أخذت تروج لحديث الإفك تريد نصر أختها زينب رضي الله عنهما.

٩) في قصة التحريم : فقد كان سبب القصة ومنشؤها ؛ هي الغيرة ، والتنافس على رسول الله ﷺ ، من قبل زوجاته ، فقد غارت عائشة وحفصة من طول مكث رسول الله ﷺ عند زينب ، يشرب العسل ، فتآمرتا أن يقلن أكلت مغافير ، ليترك شرب العسل ، وطول المكث عند زينب . وكان أيضاً سبباً في إفشاء حفصة لسر رسول الله ﷺ.

١٠) في قصة امرأة أبي لهب: تظهر غيرة أم جميل لدينها ، فسبب إيذائها لرسول الله ﷺ وأصحابه ؛ دعوته لترك عبادة الأوثان ، وعبادة الله وحده .

١- الزمخشري ،محمود بن عمر. الكشاف . مرجع سابق . ٣/ ٢٧٥.

٢- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق ٢٠/ ٦٣.

٣- أبوحيان، محمد بن يوسف . تفسير البحر المحيط . مرجع سابق . ٦/ ٢١٥.

١٤ـ قيمة التعاون

التعاون مأخوذ من: عون ، والعون الظهير على الأمر ، الواحد والاثنان والجمع والمؤنث فيه سواء ، تقول أَعَنْــتُه إعانة واستَعَنته واستَعَنتُ به فأعانني . وتعاونّا أعان بعضنا بعضاً. والمــَعُونة :الإعانة . ورجل مِعوانٌ: حسـن الـمَعُونة للناس. واستَعَنتُ بفلان فأعانني وعاوَنَني . قال الليث : كل شيء أعانك فهو عون لك ، كالصوم عونٌ على العبادة ، والجمع الأعوان[١] .

ويعـرف في الاصطلاح: "أي التشريك بين اثنين فأكثر في الفعل بحيث يكون كل منهما فاعلاً في اللفظ مفعـولاً في المعـنى "[٢] . وتعرف أيضاً " أن يظاهر المسلم أخاه ويعينه في فعل الخيرات ، وعلى طاعة الله عز وجل وتجنب معصيته"[٣].

ويمكــن القــول إن المقصود بالتعاون في التربية الإسلامية : مساعدة الآخرين على الحق والبر ومواجهة مشكلات الحياة ، وقد تكون بصورة فردية أو جماعية.

ورد ذكر التعاون في القرآن إحدى عشرة مرة ، فجاءت الآيات تأمر المسلم بطلب العون من الله عز وجل، كما في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [البقرة : ١٥٣]. كما بينت آيات الكتاب العظيم حدود هذا التعاون بين الناس ، فقال سبحانه ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة: ٢].

> " إنه سبحانه قد قال (وتعاونوا) فاستعمل صيغة الأمر العام ، ولم يكتف بذكر جواز التعاون أو اباحته ، بل أوجبه وطالب به ، وهو قد وجه الخطاب في هذا الأمر إلى الجميع وإلى كل القادرين على تحقيق المطلوب فلم يجعل الأمر مقصوراً على طائفة من الناس دون طائفة ، بل جعل المطالبة موجهة إلى الجميع ، وهذا يفيد وجوب شمول التعاون للمجتمع وأبنائه. وهو يوجه التعاون ليكون في الأغراض الطيبة الطاهرة النافعة للفرد والجماعة"[٤] .

وقد عرض القرآن الكريم قصة تبين ثمرة التعاون على البر والتقوى في رفع الظلم عن المظلوم ومعاقبة الظالم، وكان ذلك في قصة ذي القرنين . فلما اشتكى إليه القوم فساد قوم يأجوج ومأجوج ، وطلبوا منه أن يبني بينهم سداً ، أمرهم أن يساعدوه في هذا البناء ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [الكهف:٩٥] .

أما الأحاديث والتي جاءت عن رسول الله ﷺ في التعاون فهي كثيرة ، منها: قال رسول الله ﷺ (عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ. فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ .قَالَ: يَعْمَلُ بِيَدِه فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ. قَالُوا : فَإِنْ لَمْ يَجِدْ.

١- ابن منظور ، محمد بن مكرم. لسان العرب .مرجع سابق . مادة عون.

٢- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان وآخرون. موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية. مرجع سابق. التعاون. ١٣/ ١٠.

٣- حميد، صالح وآخرون . موسوعة نضرة النعيم . مرجع سابق . ٤/ ١٠١٠

٤- الشرباصي ، أحمد. موسوعة أخلاق القرآن . مرجع سابق. ١٧٢/٥.

قالَ: يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ. قالُوا : فَإِنْ لَمْ يَجِدْ . قَالَ: فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ)[١]. قال ﷺ (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ)[٢]. وقال (وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ)[٣] . وقال رسول الله ﷺ : (انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا ؟ قَالَ: تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ)[٤]. وقد كان الرسول ﷺ حريصاً على تطبيق هذا التعاون بصورة عملية ومباشرة ، كما حصل في غزوة بدر ، وفي غزوة الخندق . وكان إذا رأى في مسلم فاقة واحتاج إلى إخوانه دعا المسلمين لمساندة أخيهم ، كما تدل على ذلك القصة التالية : عَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : (كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ ، قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ أَوِ الْعَبَاءِ ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ ، فَأَمَرَ بِلالاً فَأَذَّنَ وَأَقَامَ ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ ، فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ } إِلَى آخِرِ الآيَةِ {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١]، وَالآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: {اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ} [الحشر: ١٨]. تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ ، مِنْ دِرْهَمِهِ ، مِنْ ثَوْبِهِ ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ - حَتَّى قَالَ - وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ . قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا ، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ . قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ ، كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً ، فَلَهُ أَجْرُهَا ، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً ،كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ)[٥] . "إن مجتمعاً يفشو فيه التعاون لا يضيع فيه أحد ولا يشتكي مخلوق ، لأن كل واحد منهم عندئذ مقضي الحاجة ، معان على الشدة"[٦] .

وخلق التعاون من الأخلاق الإسلامية التي حرص الكتاب والسنة على تربية المسلمين عليها ، بطريقة نظرية وعملية ، وسبب هذا الاهتمام أن الأمة الإسلامية هي أمة واحدة من أول لحظة بناء المجتمع الإسلامي ، قال تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

> " وإذا نظرنا إلى طبيعة الإنسان وطريقته في الحياة رأينا أنه مدني بطبعه ، أي أنه اجتماعي بفطرته ، ويصعب عليه أن يعيش منفردا عن غيره من بني جنسه ، ولا يستطيع أن يقوم منفردا بكل مطالب الحياة ، ولعل هذا هو الذي جعل الإنسان يحاول منذ فجر التاريخ البشري أن يلجأ إلى منظمات

١- البخاري ،محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري. مرجع سابق. كتاب الزكاة . باب على كل مسلم صدقة فمن لم يجد فليعمل بالمعروف . رقم الحديث: ١٣٧٦

٢- البخاري ،محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري . مرجع سابق. كتاب الصلاة . باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره . رقم الحديث: ٤٦٧

٣- القشيري ،مسلم بن الحجاج . صحيح مسلم. مرجع سابق. كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار. باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر .رقم الحديث:٢٦٩٩.

٤- البخاري ،محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري. مرجع سابق. كتاب المظالم والغصب. باب أعن أخاك ظالما أو مظلوما . رقم الحديث:٢٤٤٤.

٥- القشيري ،مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم . مرجع سابق. كتاب الزكاة . باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار . رقم الحديث: ١٠١٧.

٦- الخزندار، محمود محمد . هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً. دار طيبة . ١٤١٨هـ . ص٢١٣-٢١٤.

متوالية لتحقيق هذا التعاون ، فبدأ بالأسرة ، وانتقل إلى القبيلة ثم الدولة ثم منظمات أخرى"[١] .

ومجالات التعاون في الإسلام كثيرة : منها مجالات مادية ، ومنها مجالات معنوية . فمن المجالات المادية الزكاة والصدقة بالمال على المحتاجين ، ومساعدة الصانع الأخرق . عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ: الإِيمَانُ بِاللَّهِ ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ. قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ: أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا ، وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا. قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ ؟ قَالَ : تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لأَخْرَقَ . قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ ؟ قَالَ: تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ)[٢]. ومن أمثلة التعاون المعنوي :صلة الأرحام ، والتكافل مع الجيران ، وزيارة المرضى . ومن المجالات التي تظهر فيها المشاركة المادية والمعنوية معاً : نصرة المظلوم ، وكفالة الأيتام ، وقتال الأعداء . وبناء الأسرة في الإسلام وتوزيع أعمال أفرادها هو من أوضح مجالات التعاون .

والناس في التعاون أربعة أقسام : منهم من يعين ويستعين ، ومنهم من لا يعين ولا يستعين ، ومنهم من يستعين ولا يعين ، ومنهم من يعين ولا يستعين. فأما المعين والمستعين : فهو معاوض منصف يؤدي ما عليه ويستوفي ما له ، وهو مشكور في معونته ، ومعذور في استعانته فهذا أعدل الإخوان . وأما من لا يعين ولا يستعين : فهو متروك قد منع خيره وقمع شره ، فهو لا صديق يرجى ولا عدو يخشى ، فلا هو مذموم لقمع شره ولا هو مشكور لمنع خيره ، وإن كان باللوم أجدر. وأما من يستعين ولا يعين : فهو لئيم ومهين مستذل، لا خيره يرجى ولا شره يؤمن فليس لمثله في الإخاء حظ ، ولا في الوداد نصيب. وأما من يعين ولا يستعين : فهو كريم الطبع ، مشكور الصنع ، وقد حاز فضيلتي الابتداء والاكتفاء ، فلا يرى ثقيلاً في نائبة ، ولا يقعد عن نهضة في معونة[٣].

وللتعاون فوائد كثيرة منها : إن تحقيق الأعمال الكبرى بطريقة فردية أمر عسير ، ويتطلب من الجهد والوقت الشيء الكثير ، بينما إذا أديت عن طريق العمل الجماعي المنظم ؛ سهل تحقيقها ، وقل زمن تنفيذها. ومن فوائد التعاون : "إن الارتباط بالجماعة والتعاون معها يضاعف مقادير القوة ، لأن القوة المجتمعة تصمد أمام القوى الأخرى المعادية بخلاف القوة الانفرادية المتناثرة فإن أي قوة عادية مجتمعة تستطيع الظفر بها والتغلب عليها ثم التحكم بمقاديرها "[٤] . ومن فوائده : أنه يؤدي إلى تآلف القلوب ، واجتماع الشمل ، وتوحد الصفوف ، ويجعل الفرد يعيش في أمن وراحة نفسية ؛ لعلمه أن له سنداً ومعيناً على شدائد الحياة ومشكلاتها . ويجد له مجالاً تطبيقياً لإبداعاته ومواهبه ، " بخلاف الانعزالية والانفرادية فإنه يميل بالإنسان إلى التوحش والحذر من كل شيء ويغذي الأنفس بكثير من رذائل الأخلاق"[٥] .ومن فوائده : أن التعاون يؤدي إلى رفع الظلم عن المظلوم وإحقاق الحقوق ، كما مر في قصة ذي القرنين عليه السلام.

١- الشرباصي ، أحمد. موسوعة أخلاق القرآن . مرجع سابق. ١٧٠/٥.

٢- القشيري، مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم . مرجع سابق. كتاب الإيمان . باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال . رقم الحديث: ٨٤.

٣- الماوردي ، علي بن محمد . أدب الدنيا والدين . مرجع سابق . ص ٢١١- ٢١٣.

٤- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان وآخرون. موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية. التعاون . مرجع سابق. ١٣/ ١١.

٥- المرجع السابق . ١٣/ ١٧

ورود قيمة التعاون في قصص النساء في القرآن الكريم

وردت قيمة التعاون في قصص النساء بصورة ضمنية فقط ، وكانت بصورة إيجابية وسلبية ، على التفصيل التالي :

١) في قصة امرأة نوح عليه السلام : ظهر في القصة التعاون على الإثم والعدوان في شخصية امرأة نوح ، فقد كانت عون قومها الكفار على إيذاء نوح عليه السلام والمؤمنين معه ، بنقل أخبارهم إلى القوم ليعذبوهم .

٢) في قصة سارة عليها السلام : أظهرت القصة تعاون إبراهيم وسارة عليهما السلام على إكرام الضيف .

٣) في قصة امرأة لوط عليه السلام وبناته : تظهر القصة تعاون قوم لوط على الإثم والعدوان ، وذلك في سعيهم لإخراج لوط من القرية ، وفي مجيئهم يريدون ضيف لوط بسوء . وكذلك يظهر التعاون على الإثم والعدوان في امرأة لوط ، فقد كانت تعين قومها على لوط وتساعدهم على أذاه ، فاستحقت أن تخلد معهم في العذاب .قال السعدي: " لأنها كانت تشارك قومها في الإثم ، فتدلهم على أضياف لوط ، إذا نزل به أضياف"[(١)] .

٤) في قصة امرأة العزيز والنسوة : تُظهر القصة التعاون الاجتماعي في حادثة الرؤيا ، فقد جمع الملك كبار قومه وأهل السحر والكهانة ؛ ليفسروا له رؤياه ، فلما عجزوا عنها ، قصد الساقي يوسف عليه السلام ليعينهم على تفسير الرؤيا ، فأعان يوسف القوم على تفسير الرؤيا ،كما أعان من قبل صاحبي السجن في تأويل رؤياهما ، ونصح لهم فيها. كما تُظهر القصة التعاون على الإثم والعدوان في امرأة العزيز وزوجها ، فقد أعان العزيز زوجته على ظلم يوسف ، فسجنه كما تريد ، إيهاماً بأنه أرادها بسوء . ويظهر التعاون على الإثم والعدوان في النسوة ، فحثثن يوسف على إجابة طلب امرأة العزيز.

٥) في قصة أم موسى وأخته وزوجه وآسية عليهم السلام : تظهر القصة التعاون الأسري في أم موسى وابنتها، وفي الفتاتين عند السقي . فقد أعانت البنت أمها في إرجاع أخيها . وكانت الفتاتان تتعاونان على رعي الغنم وسقيها . وأيضاً تُظهر القصة معاونة الضعيف والعاجز ، وذلك في سقي الفتاتين للغنم عن أبيهما ، وسقي موسى للغنم عن الفتاتين . ويظهر ترك معونة الضعيف في الرعاة ، فلم يبالوا بوجود الفتاتين ، ولم يسمحوا لهما بمشاركتهم في السقي .

٦) في قصة ملكة سبأ عليها السلام : يظهر التعاون الاجتماعي في قوم سبأ، وذلك في حرصهم على حفظ بلدهم ، والقتال دونه ، واجتماع كلمتهم ، وتوحد صفوفهم على ملكتهم ، قال القرطبي :"وكان في مشاورتهم وأخذ رأيهم عون على ما تريده من قوة شوكتهم ، وشدة مدافعتهم "[(٢)] .

٧) في قصة مريم وأمها عليهما السلام : تظهر في كفالة زكريا لمريم عليهما السلام .

٨) في قصة الإفك : تظهر معاونة صفوان بن معطل لعائشة في اللحاق بالجيش . وتظهر في نصرة الصحابة لرسول الله ﷺ . كما تظهر في إنفاق أبي بكر على مسطح .

١- السعدي ،عبد الرحمن ناصر . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. مرجع سابق . ص٣٤٢.

٢- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق. ١٣/ ١٩٥.

٩) في قصة التحريم : تظهر القصة التعاون على الإثم والعدوان في تظاهر حفصة وعائشة رضي الله عنهما وتعاونهما على أذية رسول الله ﷺ ، مما أدى إلى تحريمه على نفسه ما يحب وإفشاء سره . وقد هددهما القرآن بمعاونة ونصرة الله وجنوده من الملائكة والمؤمنين لرسول الله ﷺ ، قال الزحيلي:

> "أي وإن تتعاضدا وتتعاونا على ما يسوؤه ويؤذيه بسبب الغيرة والرغبة في إفشاء سره ، فإن الله يتولى نصره ، وكذلك جبريل والمؤمنين الصالحين أعوان له وحراس حفظة ، وقوله (بعد ذلك) تعظيم للملائكة ومظاهرتهم . ولم نر مثل هذا العون والعصمة والتأييد الرباني لأحد من الأنبياء والرسل وسائر البشر ، للمبالغة في تعظيم شأن النبي ﷺ ، والتخلص من مكر النساء ، وتبديد أوهام المشركين والمنافقين من محاولات الكيد والأذى وإلحاق الضرر"(١)

١٠) في قصة المجادلة : يظهر في القصة معاونة المجادلة لزوجها على كفارة الظهار ، كما جاء في الحديث السابق (قالت : فأني ساعتئذ بعرق من تمر . قلت : يا رسول الله، فإني أعينه بعرق آخر).

١١)في قصة امرأة أبي لهب: تظهر القصة التعاون على الإثم والعدوان في فعل أبي لهب وامرأته ، فقد كانت أم جميل تعين زوجها على أذية رسول الله ﷺ والمسلمين ، قال السعدي:" وكانت أيضاً شديدة الأذية لرسول الله تتعاون هي وزوجها على الإثم والعدوان"(٢) . فكان جزاؤهما في الآخرة ، أن تعين على تعذيب زوجها بأن تزيد عليه الحطب في جهنم .

١٥ـ الشورى:

الشورى مأخوذ من مادة : شور. وهو اسم للمشاورة. الشُّورى والمَشُورَة بضم الشين ، مفعلة ، وكذلك المَشْوَرَة ، وتقول منه : شاورته في الأمر واستشرته بمعنى ، وفلان خيِّرٌ شَيِّرٌ أي يصلح للمشاورة . وشاوَرَه مُشَاوَرَةَ وشِوَاراً واستَشاره ، طلب منه المشورة. وأشار الرجل يشير إشاره إذا أوْمأ بيديه . ويقال: شَوَّرْت إليه بيدي وأشرت إليه أي لوحت إليه وألحت أيضاً . وأشار إليه باليد : أومأ ، وأشار عليه بالرأي . وأشار يشير إذا ما وجه الرأي ، ويقال فلان جيد المَشُورة والمَشْورة، لغتان(٣) .

أما في الاصطلاح : فتعرف بأنها: " استخراج المرء رأي غيره فيما يعرض له من الأمور المشكلة ويكون ذلك في الجهة التي يتردد المرء فيها بين فعلها وتركها"(٤) . وقيل عنها أيضاً أنها: " عرض الأمر الذي فيه إشكال على من يتوسم فيهم الفكر الحصيف والرأي السديد من ذوي التجارب والخبرات ، وسماع أقوالهم المختلفة للوصول إلى حل مناسب لذلك الإشكال لاتخاذ القرار المناسب" (٥) .

١- الزحيلي ،وهبة . التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج . مرجع سابق . ٣٠٩/٢٨.

٢- السعدي ،عبد الرحمن ناصر . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. مرجع سابق. ص ٨٦٦.

٣ - ابن منظور ، محمد بن مكرم. لسان العرب .مرجع سابق . مادة شور .

٤- الأصفهاني ،الحسين بن محمد الراغب . الذريعة في مكارم الشريعة . مرجع سابق . ١٤٩.

٥- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان وآخرون. موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية. الشورى . مرجع سابق . ٤٩/ ٩.

ويمكـــن القول إن المقصود بالشورى في التربية الإسلامية : طلب الرأي السديد من أهل الحكمة والخبرة ، فيما يعترض الإنسان من مشكلات ، للوصول إلى حل مناسب سديد ، وفق مبادئ الشريعة الإسلامية.

وقد أمرت الشريعة الإسلامية المسلمين بأن يجعلوا أمورهم بينهم قائمة على الشورى ، فسميت سورة في القرآن بالشورى تأكيداً على أهميتها . ووردت بلفظها في القرآن مرتين، فقال الله عز وجل آمراً نبيه بها ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران : ١٥٩]. وقال عز وجل ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الشورى : ٣٨].

وكــان النبي ﷺ يستشير أصحابه ويأخذ برأيهم كما حدث في غزوة بدر ، وغزوة الخندق ، وفي حادثة الإفك . وقال ﷺ محذراً المستشار من خيانة المستشير: (الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ) [١] .

وتظهر أهمية الشورى في أنها تفيد المستشير في تبيين أوجه الصواب في الأمور وتقليبها ، وتلقيح ذهنه بآراء الحكماء ومناظراتهم ، مما يثمر رأياً سديداً محكماً في الأمر قريباً من الصواب والهداية . وقد قال بعض البلغاء : "من حق العاقل أن يضيف إلى رأيه آراء العقلاء ، ويجمع إلى عقله عقول الحكماء ، فالرأي الفذ — الفرد- ربما زل ، والعقل الفرد ربما ضل" [٢]. كما تظهر أهميتها أيضاً ، في الفائدة التي تقدمها لمن طلبها ، وجعلها عماد أمــره ، فهـــي تؤلف بين القلوب ، وتوحد الصفوف ، فيشعر المستشار بأن المستشير يقدر مكانه ومقامه ، فيســعى لإعانــته والدفاع عنه ، بما أوتي من قوة ومال ورأي . ومن فوائد الشورى أنها تقلل من الوقوع في الأخطاء والعثرات المهلكة ، فهي تحمي المجتمع من الوقوع في المزالق الخطيرة ، خاصة في أمور الحرب وسياسة الدولة . ومن أهمل الأخذ بالشورى في أموره ؛ يلحظ عليه التخبط ، وكثرة الزلل ، وتوجه لــه أسهم العتاب واللــوم ، ويتحمل أخطاءه دون مساند أو مساعد . أي " أن المشاورة تجعل المسئولية جماعية فلا تقع تبعاتها عـــلى فـــرد واحد بل يتحمل الجميع نتائجها إن خيراً وإن شراً ، فيتقاسمون حلوها ومرها فلا يتلاحون ولا يتلاومون ولا يبكت بعضهم بعضاً فينجو المرء من سهام اللوم التي تقض مضجعه وتعكر صفو حياته" [٣].

وقد جعلوا لأهلية المستشار شروطاً أجملها الماوردي في خمسٍ [٤]:

١) أن يكون ذا عقل كامل وتجربة سالفة : فإنه بكثرة التجارب تصح الرؤية .

٢) أن يكون ذا دين وتقى ؛ فإن ذلك عماد كل صلاح ، وباب كل نجاح ، ومن غلب عليه الدِّين ، فهو مأمون السريرة، موفق العزيمة.

٣) أن يكون ناصحاً ودوداً ؛ فإن النصح والمودة يَصدُقان الفكرة ، ويمحضان الرأي.

٤) أن يكـــون ســـليم الفكر ، من همّ قاطع ، وغمّ شاغل ؛ فإن من عارضت فكره شوائب الهموم ، لا يسلم له رأي ، ولا يستقيم له خاطر.

١- الترمذي ،محمد عيسى . سنن الترمذي. مرجع سابق . كتاب الآدب . باب إن المستشار مؤتمن . رقم الحديث :٢٨٢٧. وصححه الألباني في صحيح الترمذي. ٣/ ٣٠٨.

٢- الماوردي ،علي بن محمد . أدب الدنيا والدين . مرجع سابق . ص ٤٢٣.

٣- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان وآخرون. موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية. الشورى. مرجع سابق . ٤٩/ ٣١.

٤- الماوردي ،علي بن محمد . أدب الدنيا والدين . مرجع سابق. ص٤٢٣- ٤٢٥.

٥) ألاّ يكـون لـه في الأمر المستشار غرض يتابعه ، ولا هوى يساعده ، فإن الأغراض جاذبة ، والهوى صاد ، والرأي إذا عارضه الهوى وجاذبته الأغراض فسد .

وعندما تطلب المشورة من شخص ، فعليه الترويّ وعدم التسرع في إبداء الرأي وتقديم المشورة ، ومراعاة محض النصيحة ، والبعد عن مجاراة الهوى وطلب السمعة من المشورة ، وأن يكون على علم وخبرة فيما يشير فيه.

ويجـب على المستشير إذا أبدى المستشار الرأي الذي يراه ، أن لا يكون مستبداً برأي نفسه ، مستهجناً بنصائح المستشارين وآرائهم ؛ بل عليه أن يأخذ بما أشير عليه ، ما دام أن مستشاريه أهل للشورى . كما أن عـلى المستشير التريث في إمضاء الأمر وعدم التسرع فيه ، وإمعان النظر ، حتى تحصل الثقة بالرأي ، وتستبين صـحته ؛ ففـي الروية تبيان الرأي وفي تبيان الرأي يصح الاعتزام . كما أن عليه أن لا يلوم المستشار ، ولا يقـرعه ، ولا يحمله المسئولية ؛ إذا جاءت النتائج على غير ما أشار وما أراد ، لأن على المستشار الاجتهاد في النصح والرأي ، وتحري الصواب بقدر المستطاع ، وليس عليه ضمان النجاح والإصابة [١] .

ورود قيمة الشورى في قصص النساء في القرآن الكريم

وردت قيمة المشاورة في قصص النساء في القرآن ضمناً دون أن ترد بلفظها ، وبصورة إيجابية :

١) في قصة امرأة العزيز والنسوة : فقد ظهرت في العزيز ، عندما استشار الشاهد في أمر يوسف وزوجته ، قال قتادة: "كان رجلاً حليماً من أهلها ذا رأي ، يأخذ الملك برأيه ويستشيره" [٢] . كما ظهرت عندما رأى صاحبا السجن في منامهما الرؤيا ، وأشكل عليهما تفسيرها ، فاستشارا يوسف في تأويل رؤياهما . وفي رؤية الملك التي جمع لأجلها كبار قومه وعلماءهم والسحرة والكهنة يستشيرهم في تأويل الرؤيا ، فلما عجز القوم عن تأويلها ؛ طلب صاحب السجن الناجي أن يؤذن له في زيارة يوسف عليه السلام ، ليستشيره في تأويل الرؤيا ، فأجابهم يوسف فيما استشاروه فيه ، بأن أوّل رؤيا الملك وزادهم بأن أشار عليهم بما يفعلون في هذه السنوات ، قال الإمام الطبري في تفسير الآية ﴿ فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ﴾ " وهذه مشورة أشار بها نبي الله يوسف صلى الله عليه وسلم ورأي رآه لهم صلاحاً يأمرهم باستبقاء طعامهم" [٣] .

٢) في قصة ملكة سبأ : عندما ألقى عليها الهدهد الكتاب وقرأت ما فيه ، جمعت كبار قومها وأشرافهم ، تطلب منهم الشورى ، قال الإمام الطبري :"تقول أشيروا عليَّ في أمري الذي حضرني من أمر صاحب هذا الكتاب الذي ألقي إلي ، فجعلت المشورة فتيا .﴿ مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ﴾ تقول: ما

١- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان وآخرون. موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية. الشورى .مرجع سابق . ٤٩/ ٦٩- ٧٤.

٢- أبوحيان، محمد بن يوسف . تفسير البحر المحيط . مرجع سابق . ٢٩٧/٥.

٣- الطبري ،محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مرجع سابق . ٢٣٠/١٢

كنت قاضية أمراً في ذلك حتى تشهدون فأشاوركم فيه" [١]. فرأى القوم الحرب ، بينما رأت هي اختبار سليمان بهدية ؛ لتعلم نواياه وتتأكد من صدق نبوته .

٣) في حادثة الإفك : ويظهر ذلك في استشارة الرسول ﷺ علي ابن أبي طالب ، وأسامة بن زيد ، وبريرة ، وزينب في أمر عائشة رضي الله عنهم ، تقول سلافة قاضي: "ويبدو ظاهراً حرص الرسول على استشارة من يثق فيهم ، علي بن أبي طالب وأسامة ، ومن يظن أن يكون لديه علم : بريرة خادمتها ، وزينب بنت جحش مهاجرتها ، وكل صدق فأوفى ، فالمستشار مؤتمن والمستشير مستفيد لا محالة من رأي غيره" [٢] .

٤) في قصة زينب بنت جحش رضي الله عنها : وذلك أن زيد بن حارثة رضي الله عنه كان يستشير الرسول ﷺويراجعه في فراق زينب ، فكان يقول للرسول: " إن زينب تؤذيني بلسانها وتفعل وتفعل ، وإني أريد أن أطلقها ، فقال له رسول الله ﷺ : أمسك عليك زوجك واتق الله" [٣] .

٥) في قصـــة المجادلـــة : فقد جاءت خولة لرسول الله ﷺ تستفتيه وتستشيره فيما نزل بها من بلاء ، بظهار زوجها لها ، وتشكو له ما تجده منه .

---

١ - المرجع السابق . ١٥٣/١٩.

٢- قاضي، سلافة بكر. القيم التربوية المستنبطة من حادثة الإفك . رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى كلية التربية ، قسم التربية الإسلامية والمقارنة.١٤١٩هـ . ص٩١-٩٢

٣- القرطبي ،محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ١٨٩/١٤.

خلاصة الفصل :

لقد سار هذا الفصل نحو الكشف عن القيم الخلقية المتضمنة في قصص النساء في القرآن الكريم ، ليكون إجابة على سؤال الدراسة الثاني وهو : ما أبرز القيم الخلقية المستنبطة من قصص النساء في القرآن الكريم ؟

فقامـــت الباحثة بتحليل آيات قصص النساء في القرآن الكريم ، واستخراج ما تضمنته من قيم خلقية .

وقد اعتمدت في هذا التحليل على وحدتين : وحدة الكلمة ، ووحدة الموقف . وجاءت فئات التحليل خمس عشرة فئة مختارة ، اعتمدت في اختيارها على أهم القيم الخلقية التي ينبغي أن تكتسبها الفتاة . وبعد ذلك بينت الدراسة مفهوم كل قيمة خلقية وأهميتها وأقسامها وأنواعها ، ومن ثم بيان مواضع ظهورها في القصص بصورة لفظية أو ضمنية ، إيجابية أو سلبية .

وقد أظهر التحليل أن قصص النساء قد احتوت على مجموعة كبيرة من قيم الإسلام الخلقية ، مع تنوعها ما بين لفظية وضمنية ، قيم إيجابية وقيم سلبية . والتباين في الشخصيات التي تمثلت فيها هذا القيم ، من ناحية الجـــنس والسن والعصر والمكانة الاجتماعية . وهذا التنوع كان لـــه أثر كبير في إبراز نظرة التربية الإسلامية للأخلاق ، من ناحية محدداتها وتطبيقها .

كما بين التحليل أن أكثر القيم الخلقية الإيجابية ظهرت في الشخصيات المؤمنة ، فيما ظهرت أكثر القيم الخلقية السلبية في الشخصيات الكافرة ، وهذا يوضح أثر الإيمان على التمسك بالقيم الخلقية الإيجابية .

ومما ظهر من خلال هذا التحليل ، الاتفاق في مفهوم كل قيمة خلقية في جميع قصص النساء في القرآن الكريم ، مما يؤكد على ميزة الثبات التي تتصف بها قيم الإسلام الخلقية .

وبعـــد أن استبان للقارئ بعض القيم الخلقية المحتوى في قصص النساء في القرآن الكريم ، يأتي دور تحويلها إلى واقع تطبيقي معاش ، واستثمارها في التأثير على الناشئة تربوياً ، لغرس قيم الإسلام الخلقية في نفوسهم منذ نعومة أظفارهم ، وهذا ما تحاول الدراسة بحثه في الفصل التالي .

الفصل الخامس:

الأسرة المسلمة ودورها التربوي في تنشئة الفتاة على القيم الخُلقية المستنبطة من قصص النساء في القرآن الكريم

مدخل :

هـــذا الفصـــل يمثل للدراسة الفصل التطبيقي . وهو يجيب على السؤال الثالث للدراسة وهو : **ما دور الأسرة المسلمة في تربية الفتاة على القيم الخلقية المستنبطة من قصص النساء في القرآن الكريم ؟.**

ويـــدور الحديث فيه عن تربية الفتاة على القيم الخلقية التي سبق استنباطها من قصص النساء في القرآن الكريم ، وقد اختارت الباحثة مؤسسة الأسرة كوسيط تربوي مسئول عن تربية الفتاة على هذه القيم ، وسبب تخصيص وسط الأسرة ؛ هو أن أثر الأسرة على أخلاق النشء – إذا ما قورن بباقي وسائط التربية – يعتبر أثراً محوريـــاً وأساسياً ، وهو أطول وأقوى من باقي الوسائط التربوية . ودور الوسائط التربوية الأخرى تالٍ ومتأثر بدور الأسرة.

ويتـــناول هذا الفصل دور الأسرة التربوي في تربية الفتاة على القيم الخلقية ، وبشكل خاص في مرحلتي الطفولة والمراهقة ، أي من سن سنتين وحتى سن إحدى وعشرين سنة . وكشفت الدراسة الطرق والأساليب التي يمكن للأسرة استخدامها في غرس القيم الخلقية المستنبطة من قصص النساء في القرآن الكريم في نفس الفتاة وتنميـــتها .كمـــا يقدم الفصل تصوراً مقترحاً – آلية تنفيذية – لكيفية قيام الأسرة بغرس هذه القيم في نفوس الفتيات.

وهـــنا لابد أن يعي القارئ أن مقصود الدراسة من مصطلح الأسرة لا ينحصر في الوالدين فقط ، وإنما يشمل جميع أفراد الأسرة والذين يمكنهم الإسهام والقيام بعملية التربية ، فالأسرة المسلمة مؤسسة تربوية تقوم عـــلى مبدأ التعاون على البر والتقوى ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيصبح بذلك كل أفراد الأسرة الراشـــدين مســـئولين عن تربية الفتاة الخلقية ، كزوج الفتاة ، وأخيها الأكبر ، وأختها الكبرى ، ونحوهم من أفراد الأسرة .

وفي هذا الفصل مبحثان ، وهما على النحو التالي :

المبحث الأول : الأسرة المسلمة وأثرها في التربية الخلقية للفتاة ، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : الأسرة ومكانتها في التربية الإسلامية.

المطلب الثاني : أهمية التربية الخلقية للفتاة وآثارها.

المطلب الثالث :العوامل المؤثرة على التربية الخلقية للفتاة .

المبحـــث الـــثاني : الأسرة المسلمة ووظيفتها في تربية الفتاة على القيم الخلقية المستنبطة من قصص النساء في القرآن الكريم ، وفيه مبحثان :

المطلب الأول : أساليب الأسرة المسلمة المعاصرة في التربية الخلقية للفتاة .

المطلب الثاني : الآلية التنفيذية لتنشئة الأسرة الفتاة على القيم الخلقية المستنبطة من قصص النساء في القرآن الكريم

المبحث الأول :
الأسرة المسلمة وأثرها في التربية الخلقية للفتاة

لقــد أولى الإسلام مؤسسة الأسرة أهمية كبيرة ، فوضع لها من التشريعات والتنظيمات ما يدل على أنها عنصر فعال في الحياة الاجتماعية ، وليس هذا الأمر بمستغرب فمؤسسة الأسرة تؤدي مهمة أساسية ، في البناء الاجــتماعي ، فهي مصنع المجتمع المنتج والمربي للأفراد ، ولذلك فنجاح هذه المؤسسة في تربية هؤلاء الأفراد يعني قوة المجتمع واستمراره ، وأي تفريط أو تقصير من الأسرة في وظيفتها التربوية تجاه أبنائها ؛ يؤثر وبصور فعالة على المجتمع . وهذا المبحث يوضح دور الأسرة في تربية الناشئة على وجه العموم ، والفتاة بشكل خاص، وذلــك من خلال إبراز أهداف هذه المؤسسة وطريقة بنائها في الإسلام ووظائفها التربوية، ومن ثم دورها في تربية الفتاة المسلمة ، وإظهار العوامل المؤثرة على وظيفتها التربوية .

المطلب الأول :
الأسرة ومكانتها في التربية الإسلامية.

أولاً : تعريف الأسرة في التربية الإسلامية

في اللغة : كلمة الأسرة في اللغة العربية مأخوذة من الأسر ، وهو القوة والحبس ، قال ابن منظور في مادة أَســر : الأسرة : الدِّرْعُ الحصينة . أَسَرَه يَأْسِره أسْراً وإِسارَةَ شده بالإسارة . والأَسْرُ : القوة والحبس ، وهو أيضاً الحبل والقدُّ الذي يُشدّ به الأسير . وأسرة الرجل : عشيرته ورهطه الأَدْنَونَ لأنه يتقوى بهم . والأسرة : عشيرة الرجل وأهل بيته [1] .

وعــند الــنظر في التعريفات الاصطلاحية التي وضعت لمفهوم الأسرة ، يلاحظ أن البعض يعرفها باعتبار وظيفتها الاجتماعية ، والبعض يعرفها باعتبار أفرادها وطريقة تكوينها ، كما أن البعض يجمع بينهما.

ومن الذين عرفوا الأسرة باعتبار أفرادها وطريقة تكوينها ، الشيباني فيقول:

" هي عبارة عن : وحدة اجتماعية تتكون أساساً من زوج وزوجته ، أو هي عبارة عن اجتماع مشروع بين رجل وامرأة واتحاد مستمر بينهما ، وسكن كل منهما إلى الآخر عــلى صورة عينها الدين والمجتمع ، حتى إذا أنعم الله على الزوجين بولد أو أولاد أصبح هــذا الولــد أو هؤلاء الأولاد يكونون ركناً أساسياً ثالثاً في كيان الأسرة ، يضاف إلى ركنيها السابقين"[2].

١- ابن منظور ،محمد مكرم . لسان العرب . مرجع سابق. مادة أسر .

٢- الشيباني ، عمر محمد التومي . من أسس التربية الإسلامية . منشورات المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان . طرابلس . ليبيا . ١٩٨٢م. ص٤٦٧.

وكذلــك عرفها منير سرحان بقوله : "هي الوحدة الوظيفية المكونة من الزوج والزوجة والأبناء المرتبطة برباط الدم والأهداف المشتركة" [1].

ويعــرفها خالد الحازمي بقوله " هي الجماعة التي تعيش في محيط بيت واحد ، تربطهم علاقة قرابة ، وقد تتسع للمجاورين إذا كانت صلة القرابة تمتد إليهم "[2] .

ومن الذين عرفوا الأسرة باعتبار وظيفتها الاجتماعية محمد النجيحي فيقول: "الجماعة الإنسانية الأولى التي يتعامل معها الطفل والتي يعيش معها السنوات التشكيلية الأولى من عمره "[3] .

ويعــرفها عــلي أبو العينين : " الوعاء الاجتماعي الذي يتلقى الطفل ، ويتفاعل معها ، ويشعر بالانتماء إلــيها، وبذلــك يكسب الطفل أول عضوية لــه في جماعة ، ويتعلم منها كيف يتعامل مع الآخرين في سعيه لإشباع حاجاته ، وتحقيق مصالحه من خلال تفاعله مع أعضائها " [4] .

ويعرف الأسرة بصورة تجمع ما بين تركيب الأسرة ووظيفتها الاجتماعية عبدالرحمن حجر الغامدي بقوله:

> "جماعــة اجتماعية إنسانية وأخلاقية وروحية وتربوية تتكون أولاً من رجل وامرأة — وفي حــالات أخــرى امرأتين إلى أربع– يرتبطون برباط عقد زواج إسلامي ينبني عليه حقوق وواجبات وصلة رحم ، ويسمح له بالاتصال الجنسي والتعايش الذي تسوده المودة والــرحمة ، وما ينجبونه من أطفال يعد ضمن تكوين هذه الجماعة ، ومن أهم وظائفها الإنجاب وتهيئة المناخ الاجتماعي والثقافي الملائم لرعاية الذريّة وتنشئتهم وتوجيههم ونقل التراث إليهم وتربيتهم تربية إسلامية ، يترتب عليهم الالتزام ببر الوالدين" [5].

كما تعرفها سعدية اللهيبي فتقول : "المؤسسة الاجتماعية الأولى في المجتمع التي تتكون من أب وأم وأبناء ، يعيشــون تحــت سقف واحد ، ويقوم الوالدان فيها بمسئولياتهم تجاه الأبناء ،بما فيها المسئولية الدينية والخلقية والاجتماعية والعقلية والنفسية ، بما يمتلكون من سلطة داخلية" [6].

ويلاحظ على التعريفات في المجموعة الأولى والثانية أنها عرفت الأسرة بصورة عامة وليست من وجهة نظر إسلامية بحتة ، وهي أيضاً تعرف المصطلح بصورة جامدة ، تهتم بكونها البيئة الاجتماعية الأولى للطفل ، وبعدد أفرادها ، وطريقة بناء الأسرة ؛ ولكنها لا تبرز الواجبات والمسئوليات التربوية المناطة بالوالدين تجاه الأولاد ، والمحددة في الشرع الإسلامي . كما يلاحظ على التعريفات التي تناولت الأسرة من حيث عدد أفرادها وطريقة تركيــبها ؛ أنها تضيق بحيث تكتفي بالزوجين وأولادهما باستثناء تعريف الحازمي . كما يلاحظ على تعريف الغامدي واللهيبي أنهما وإن كانا يظهران الواجبات والمسئوليات الأسرية ؛ إلا أنهما يحصران الأسرة في الزوجين والأبناء .

١- سرحان ، منير المرسي . في اجتماعيات التربية . دار النهضة العربية . بيروت . ١٩٨١م. ص١٧٩.

٢- الحازمي، خالد حامد . التوجيه الإسلامي للتنشئة الخلقية بين الأسرة والمجتمع . مرجع سابق . ص ٣٤٩.

٣- النجيحي، محمد لبيب . الأسس الاجتماعية للتربية . دار النهضة العربية . بيروت . ١٩٨١م. ص٨١

٤- أبو العينين، علي خليل مصطفى . القيم الإسلامية والتربية . مكتبة إبراهيم حلبي . ١٤٠٨هـ. ص ١٥٨.

٥- الغامدي، عبد الرحمن بن عبد الخالق حجر. دور الأسرة المسلمة في تربية أولادها في مرحلة البلوغ . مرجع سابق . ص٣٤.

٦- اللهيبي، سعدية مبارك. الأسرة ودورها التربوي في التوجيه الخلقي لفتيات المرحلة المتوسطة . مرجع سابق . ص ٢٢.

والتعريف الذي يناسب الدراسة الحالية والذي يراعي وجهة النظر الإسلامية هو:

تنظيم اجتماعي شرعه الإسلام ، يتكون في أساسه من زوجين وأولاد ، وقد يزيد بدخول أفراد آخرين من أولي القربة أو الخدم أو من تكفلت الأسرة برعايتهم كالأيتام ، شريطة عيشهم في مسكن واحد، وهو مكلف برعاية النشء وتربيتهم دينياً وأخلاقياً وعقلياً ونفسياً ، بما يمتلكونه من سلطة وقوة ، ولكل فرد فيه حقوق وعليه واجبات محددة شرعاً.

ثانياً : أهداف الأسرة في التربية الإسلامية

يحقق المجتمع المسلم من خلال نظام الأسرة الكثير من الأهداف التربوية يمكن تلخيصها فيما يلي :

١) تحقيق الطمأنينة والسكون النفسي: قال الله عز وجل ممتناً على عباده بنعمة الزواج ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم: ٢١]

> " تعمل الأسرة من خلال نظامها في الزواج المشروع على تلبية الحاجات العاطفية عند الإنسان ، وتتمثل هذه الحاجات العاطفية في المودة والتراحم والسكن الروحي والسكن النفسي ، ويعد هذا الهدف من أهم الأهداف التي تسعى الأسرة المسلمة إلى تحقيقها ، لأن الأصل في التقاء الزوجين السكن والاطمئنان النفسي والأنس والاستقرار للأرواح والضمائر"[١].

٢) استمرار وزيادة النسل الصالح وحفظ الأنساب: فالهدف الأساسي لبناء الأسرة هو إمداد المجتمع بأفراد صالحين ، وزيادة عدد الأمة الإسلامية، ففي زيادة عدد المسلمين تقوية لشوكتهم وإرهاباً لأعدائهم . وقد أمر بذلك رسول الله ﷺ عن معقل بن يسار قال: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ: إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَجَمَالٍ وَإِنَّهَا لا تَلِدُ أَفَأَتَزَوَّجُهَا. قَالَ: لا. ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَنَهَاهُ ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ)[٢].

٣) تنشئة الأطفال ورعايتهم تربوياً واجتماعياً : على عاتق الأسرة تقع مسئولية تربية وتوجيه الأبناء دينياً وفكرياً وخلقياً ، فالطفل يولد وهو محتاج لمن يدله على الكيفية الصحيحة للعيش في مجتمعه والتعامل مع أفراده ، ودور الأسرة هو توفير مجتمع مصغر عن المجتمع الكبير يتدرب فيه الطفل على أصول التعامل الاجتماعي ، مع حصوله على قدر كبير من التوجيه والتثقيف الأبوي الحنون ، والشعور بالانتماء إلى جماعة معينة .

> " تتحمل الأسرة ، وقوامها الأبوان ، مسؤولية رحمة الأولاد ومحبتهم والعطف عليهم ، لأن هذا من أهم أسس نشأتهم ومقومات نموهم النفسي والاجتماعي نمواً قويماً سوياً . فإذا

١- الغامدي، عبد الرحمن بن عبد الخالق حجر. دور الأسرة المسلمة في تربية أولادها في مرحلة البلوغ . مرجع سابق. ص ٣٥.

٢- ابو داود ،سليمان بن الأشعث . سنن أبي داود .مرجع سابق . كتاب النكاح . باب النهي عن ترويج من لم يلد من النساء . رقم الحديث : ٢٠٥٠. وصححه الألباني في صحيح أبي داود . ١/ ٥٧٤.

لم تـتحقق المحبة للأولاد بالشكل الكافي المتزن ، نشأ الطفل منحرفاً في مجتمعه لا يحسن التآلف مع الآخرين ولا يستطيع التعاون أو تقديم الخدمات والتضحيات" (١) .

٤) حفظ النفس وصونها عن الوقوع في الحرام : خلق الله في الإنسان مجموعة من الغرائز ، ليحافظ على نفسه وممتلكاته ، ومن أبرز هذه الغرائز غريزة الجنس ، والغاية من هذه الغريزة محافظة الإنسان على النوع البشري . ولكن الإسلام نظم عمل هذه الغريزة ، ووجهها نحو الرقي بالفرد والمجتمع ، ووضع لها من الضوابط والشروط ما يضمن تحقيقها للغاية منها دون إفراط أو تفريط . فشرع الإسلام الزواج ليكون السبيل الشرعي الوحيد لقضاء هذه الغريزة ، ولتنشأ منه الأسرة ، ولتثمر في ظلها الأولاد الذين تُعمر بهم الأرض. وقد حث رسول الله ﷺ على الزواج فقال: (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ) (٢) .

٥) تحقيق التماسك الاجتماعي :من أهداف الزواج وبناء الأسرة تحقيق التعارف والترابط الاجتماعي ، فاجتماع زوجين من عائلتين مختلفتين ، يؤدي إلى تعارف العائلتين وارتباطهما، فالمصاهرة من أسباب الألفة. فالزواج "يعد أقوى رباط اجتماعي ، وأفضل سبل التعارف وإقامة علاقات وصلات بين الناس على اختلاف قبائلهم وأجناسهم وألوانهم " (٣) . وبذلك ينشأ الطفل في جماعة يشعر بالانتماء إليها ويحرص على التمسك بها وعدم مخالفتها.

ثالثاً : أهمية الأسرة في التربية الإسلامية :

مؤسسة الأسرة هي أهم مؤسسة تربوية على الإطلاق ، وأي مؤسسة تربوية أخرى تقوم على أساسها ، فالدور الذي تقوم به الأسرة هو دور محوري وعليه تعتمد باقي المؤسسات التربوية ، فهي "أهم المؤسسات الاجتماعية التي أقامها الإنسان لاستمرار حياته في الجماعة وتنظيمها ، بل إنها قاعدة لكل هذه المؤسسات بحيث لا يمكن لها الاستمرار إلا باستمرار الأسرة كمؤسسة اجتماعية" (٤) .

فالأسرة هي أول مؤسسة تستقبل الفرد أو الطفل بعد ولادته ، وعن طريقها يكتسب الطفل لغته واتجاهاته وقيمه وعاداته الاجتماعية ، كما أن تحديد عقيدة الأبناء تعتمد على عقيدة الأسرة التي ينشأ فيها الابن ، وأيضاً أساليب إشباعه لحاجاته الأساسية تعتمد بشكل كبير على التربية الأسرية . والأسرة هي المسئولة عن إعداده للقيام بدوره الاجتماعي عندما يبلغ رشده .

أما أهمية الأسرة بالنسبة للمجتمع فتظهر في أن الأسرة مصنع المجتمع المنتج للأفراد ، الذين يعني وجودهم استمرار وجود هذا المجتمع على الخارطة البشرية . وبواسطة التربية الأسرية يحملون دين وقيم وثقافة هذا المجتمع ، ليعززوا من وجوده وقوته ."وهي تعتبر من ناحية أخرى عنوان قوة المجتمع أو ضعفه ، وذلك حسب

١- النحلاوي ، عبد الرحمن . أصول التربية الإسلامية وأساليبها . مرجع سابق . ص١٣٧.

٢-البخاري ،محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري . مرجع سابق. كتاب النكاح . باب قول النبي صلى الله عليه وسلم من استطاع منكم الباءة فليتزوج لأنه أغض للبصر وأحصن للفرج وهل يتزوج من لا أرب له في النكاح . رقم الحديث : ٥٠٦٥.

٣- الغامدي، عبد الرحمن بن عبد الخالق حجر. دور الأسرة المسلمة في تربية أولادها في مرحلة البلوغ .مرجع سابق. ص٤٢.

٤- سرحان ، منير المرسي . في اجتماعيات التربية . مرجع سابق. ص١٧٩.

الصورة التي تكون عليها من القوة أو الضعف ، فهي إذا سلم بنيانها واستقام أمرها سلم المجتمع واستقام أمره ، وإذا فسدت أحوالها فسدت أحوال المجتمع معها وانهارت حياته الخلقية والاجتماعية بالذات ، لانهيار أهم أسسه واركانه"[١].

وتؤثر الأسرة على وسائط التربية الأخرى ، كالمدرسة ، والمسجد ، والإعلام ، وجماعة الأقران وغيرها. فعقيدة الأسرة ، ومستواها الاقتصادي والعلمي ، ومكانتها الاجتماعية ، تحدد اختيار هذه الوسائط ، ومدى تأثيرها على الأبناء ، فالطفل الذي ينشأ في أسرة ذات مستوى اقتصادي مرتفع ، يستخدم من وسائل التكنولوجيا ، والإعلام ، ويلتحق بالمدارس ، والجامعات ، والتخصصات ، ما لا يتمكن منه الطفل الناشئ في أسرة فقيرة . والطفل الناشئ في أسرة متدينة، توجهه نحو الصلاة في المسجد ، وحضور الدروس الدينية المقامة فيه ، وحلق تحفيظ القرآن ، وتختار له من المدارس ما يناسب توجهها الديني ، يختلف عن الطفل الناشئ في أسرة ضعيفة في دينها .

ويمكن إبراز أهمية الأسرة في التربية الإسلامية من خلال الوظائف الاجتماعية التي تؤديها في المجتمع ، وهي على النحو التالي :

١) وظيفة الأسرة التربوية في الجانب العقدي:

أهم وظيفة تربوية تؤديها الأسرة للطفل ؛ هي تعليمه أمور دينه ، وإلزامه باتباع الشريعة الإسلامية . وقد أكد رسول الله ﷺ على هذه الوظيفة بقوله: (مُرُوا أَوْلادَكُمْ بِالصَّلاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ) [٢]. فتزويد الأبناء بالمعارف الدينية والثقافة الإسلامية المناسبة لمستواهم العمري والعقلي ، أمر واجب على الوالدين . والأسرة مسئولة عن غرس العقيدة الإسلامية في نفس الطفل ، وحماية هذه العقيدة مما قد يشوبها من فتن الأعداء ، فتقع على الوالدين مسئولية تعليم الأبناء معنى الإيمان بالله وأركانه ، كذلك تعليم الأبناء العبادات ، وتعريفهم بكيفية أداء شعائر الدين الإسلامي خاصة الصلاة . وحملهم على الآداب الإسلامية ، وتحفيظهم القرآن الكريم ، والأدعية النبوية . وتوجيههم فيما يعرض عليهم من الأمور نحو الوجهة الشرعية . وتعويدهم على الاستعانة بالله ، واتباع رسول الله ﷺ ، ومعرفة سير السلف الصالح للاقتداء بهم.

٢) وظيفة الأسرة التربوية في الجانب الأخلاقي:

يستمد الطفل من الأسرة قيمه الخلقية بشكل يكاد يكون كلياً ، فهي أول جماعة يقابلها الطفل ، ويحتك بها ، ويكتسب منها أساليب التعامل والتفاعل مع المواقف الاجتماعية المختلفة . فيجب على الآباء تعريف أبنائهم بالأخلاق الإسلامية ، وتعويدهم على التخلق بها ، وإظهار فضل هذه الأخلاق ، وجزاء صاحبها في الدنيا والآخرة ، وأن يكونوا قدوة حسنة للأبناء . يقول ابن القيم:

١- الشيباني ، عمر محمد . من أسس التربية الإسلامية . مرجع سابق . ص٥٠١.

٢- ابو داود ،سليمان بن الأشعث . سنن أبي داود. مرجع سابق . كتاب الصلاة . باب متى يؤمر الغلام بالصلاة . رقم الحديث :٤٩٥. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود. ١/١٤٤

" ومما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج الاعتناء بأمر خلقه ، فإنه ينشأ على ما عوده المربي في صغره من حرص وغضب ولجاج وعجلة ، وخفة مع هواه ، وطيش وحدة وجشع ، فيصعب في كبره تلافي ذلك ، وتعتبر الأخلاق صفات وهيئات راسخة ، فلو تحرز منها غاية التحرز فضحته ولا بد يوماً ما ولهذا تجد كثيراً من الناس منحرفة اخلاقهم ، وذلك من قبل التربية التي نشأ عليها"(١) .

٣) وظيفة الأسرة التربوية في الجانب العقلي:

من الأمور التي ينبغي على الأسرة أن تعتني بها في تربية الأولاد ؛ تربية الجانب العقلي والفكري ، فالأطفال يتشربون أساليب تفكيرهم واتجاهاتهم واختياراتهم وتقويمهم للأمور من أساليب التنشئة الوالديّة ، فالواجب على الآباء أن يوجهوا الأولاد لأساليب التفكير الصحيحة ، ويساعدوهم على بناء منهجية فكرية عقلية ، تمكنهم من الحكم على الأشياء . فالطفل الذي يعطى مساحة مناسبة لسنه ليشارك في الاختيار لبعض الأمور التي تخص الأسرة أو التي تخصه ، ويبين له طريقة الحكم ، وسبب رفض رأيه ، أو الموافقة عليه ، بطريقة حوارية إقناعية ؛ ينشأ قوي الشخصية جيد الرأي قادراً على توجيه ذاته والحكم على الأمور . ويتأثر بشكل كبير المستوى العقلي للطفل بتوجيه الأسرة له نحو العلوم والمعارف النافعة ، وحثه على زيادة تحصيله العلمي ، وبما توفره له الأسرة من أدوات وأجهزة كالكمبيوتر والأنترنت وكزيارة الأماكن العلمية والتاريخية والمتاحف .

٤) وظيفة الأسرة التربوية في الجانب النفسي العاطفي :

الاهتمام بتلبية الحاجات العاطفية والنفسية للطفل في ظل الأسرة وظيفة أساسية للوالدين ، فأهم الحاجات التي يطلبها الطفل من أسرته ، الحاجة إلى الأمن والطمأنينة ، والشعور بالمحبة والحنان ، وتقدير ذاته ، وفقدان الطفل لأي شيء من ذلك يؤثر عليه في صغره ، ويمتد أثره إلى كبره ، ويظهر غالباً في صورة اضطرابات وعقد نفسية وعقلية . إن الواجب على الأسرة أن تساعد أبناءها على تحقيق النمو الانفعالي السليم، والتكيف النفسي الصحيح مع أنفسهم ، والمجتمع الذي يعيشون فيه ، وتنمية العواطف الإنسانية والمشاركة الوجدانية تجاه من حولهم من المحتاجين والضعفاء . وتتأثر عواطف وسلوكيات الأطفال بشكل كبير بسلوكيات الآباء والجو الأسري المحيط بهم .

" إن البيت الذي تسوده المعاشرة الحسنة المبنية على هدي الإسلام وأخلاقه ، تنطبع في سلوك الأبناء وتظهر في تعاملهم مع والديهم ومع إخوتهم ، ثم تتسع دائرة تعاملهم الخلقي مع الجيران والأقرباء ، وهذا كله رهين بحسن العلاقة الزوجية في المترل ، أما إذا طغى الخلاف والشجار بين الزوجين فإنه ينعكس على سلوكيات الأبناء على شكل انفعالات واضطرابات سلوكية تفقدهم الاطمئنان الأسري ، وربما يصرفهم ذلك إلى البحث عن مصادر أخرى للاطمئنان تعوضهم عن ذلك"(٢) .

١- ابن القيم ، محمد بن أبي بكر . تحفة الودود بأحكام المولود . دار الكتاب العربي . بيروت . ١٤٠٣هـ . ص ١٨٧.

٢- الحازمي ،خالد حامد . التوجيه الإسلامي للتنشئة الخلقية بين الأسرة والمجتمع . مرجع سابق . ص ٣٦٢.

٥) وظيفة الأسرة التربوية في الجانب الجسمي:

ويقصد بهذه الوظيفة أن تهتم الأسرة بصحة الأفراد ، وسلامتهم من الأمراض ، وتوفر لهم الاحتياجات الأساسية من مأكل ومشرب وملبس ومسكن . وتقع على الأسرة مسئولية التثقيف الصحي للأبناء ، وذلك بتوجيههم نحو طرق وأساليب المحافظة على صحتهم ، وتعليمهم مبادئ الصحة العامة كآداب دخول الخلاء ، والاستحمام ، واستخدام السواك ، أو فرشاة الأسنان ، والاعتناء بنظافة الطعام ، والعناية بالمظهر الخارجي وبنظافة الثياب ، ويجب على الأب تأديب الأبناء الذكور منذ صغرهم على الأدوار الاجتماعية المتوقعة منهم في الرشد ، وذلك بتربيتهم على القوة والشجاعة ، وقد أمر عمر رضي الله عنه بذلك ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ قَالَ: (كَتَبَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ : أَنْ عَلِّمُوا غِلْمَانَكُمُ الْعَوْمَ ، وَمُقَاتِلَتَكُمُ الرَّمْيَ)[1]. كما يقع على الأم واجب إعداد الفتاة لتحمل المسئوليات الاجتماعية المتوقعة منها عند الرشد ، بتعويدها على العناية بأمور المترل وتدبير شئونه.

رابعاً : البناء الأسري في الإسلام

مؤسسة الأسرة مؤسسة تربوية قديمة الوجود ، كان بداية ظهورها مع خلق حواء عليها السلام زوج آدم، فمن الزوجين تكونت نواة أسر اليوم ، ومن أولادهما وذرياتهم ظهرت المجتمعات والأمم . ومؤسسة الأسرة مؤسسة تربوية ذات مهمة أساسية ومحورية ، وأدوار جميع المؤسسات التربوية تكون تبعاً لها وتؤثر فيها بشكل كبير . فالفرد الذي ينضم إلى هذه المؤسسات يأتيها وهو حامل من أسرته مجموعة من المبادئ والعادات والتي تؤثر في تعامله مع المؤسسات الأخرى . وقد تفتقد هذه المؤسسات أو ينعدم دورها إما بسبب عدم الوجود أصلاً — كعدم وجود المدرسة في القرى النائية — أو تمنع الأسرة أفرادها منها — كمنع الوالدين الأبناء من مشاهدة التلفاز — ولكن الأسرة المؤسسة التربوية الوحيدة الموجودة بشكل أساسي . وتختلف الأمم والشعوب في طريقة بناء الأسرة وتحديد مراكز أفرادها وواجباتهم وحقوقهم ، تبعاً لاختلاف عقائدهم وأعرافهم ، والذي يهمنا من صور بناء الأسرة ؛ البناء الأسري الإسلامي ، الذي يعبر عن النظرة التربوية الإسلامية المثالية المتوازنة . وهي تعتمد في هذا البناء على أحكام الشريعة ومصادر التشريع الإسلامي . ويمكن إبراز ذلك في أمرين:

١) في الأساس التكويني للأسرة المسلمة :

الخطوة الأولى لبناء الأسرة تبدأ باختيار الزوجين ، ولم يشأ الإسلام الذي نزل بنظام شامل لحياة المسلم ، أن يترك أول خطوة في بناء الأسرة – والتي بمجموعها يتكون المجتمع – دون وضع نظام محكم دقيق لعملية التأسيس ، فوضع شروط أساسية وأحكام شرعية تقيد عمليات الاختيار ، وتوجه المسلم إلى الخير ، وتحافظ على الأولاد الذين لم يأتوا للحياة من حدوث ضرر ديني أو خلقي . فحرم الإسلام على المسلم والمسلمة الزواج بالمشركة والزانية والمشرك والزاني، قال تعالى ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن

١- ابن حنبل ، أحمد. مسند الإمام أحمد بن حنبل . مرجع سابق . مسند الخلفاء الراشدين . مسند عمر بن الخطاب . رقم الحديث :٣٢٣.

مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ ﴾ [البقرة : ٢٢١] . وقال ﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةٗ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [النور : ٣].

ويجيز الإسلام للرجل المسلم الزواج بالمرأة الكتابية ، بعد وضع شروط تضمن صلاح الذرية ، قال تعالى ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [المائدة :٥] ولكن الإسلام يعود ليحرم على المسلمة الزواج من الرجل الكتابي ، وكان لذلك حكمة :

" فأما الأمر في زواج الكتابي من مسلمة فهو محظور ، لأنه يختلف في واقعه عن زواج المسلم بكتابية – غير مشركة – ومن هنا يختلف في حكمه ... إن الأطفال يدعون لآبائهم بحكم الشريعة الإسلامية . كما أن الزوجة هي التي تنتقل إلى أسرة الزوج وقومه وأرضه بحكم الواقع . فإذا تزوج المسلم من الكتابية (غير المشركة) انتقلت هي إلى قومه ، ودعي أبناؤه منها باسمه ، فكان الإسلام هو الذي يهيمن ويظلل جو المحصن . ويقع العكس حين تتزوج المسلمة من كتابي ، فتعيش بعيدا عن قومها ، وقد يفتنها ضعفها ووحدتها هناك عن إسلامها ، كما أن أبناءها يدعون إلى زوجها ، ويدينون بدين غير دينها والإسلام يجب أن يهيمن دائماً" [1].

وبذلك يظهر أن الإسلام أولى مسألة عفة وطهارة الزوجين أهمية كبرى ، حيث منع المسلم من الزواج من المشركة والزانية ، ووضع شرطاً لزواج المسلم من الكتابية وهو أن تكون عفيفة طاهرة وهو ما يعني بالمحصنة . كما منع المسلمة من الزواج من المشرك والزاني والكتابي .

وقد حث الإسلام المسلم- ذكرا وأنثى - أن يلتمس في اختيار زوجه صلاح الدين وحسن الخلق ، ويقدمها على المال، والحسب والنسب ، والجمال . كما جاء في الحديث (تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ : لِمَالِهَا ، وَلِحَسَبِهَا ، وَجَمَالِهَا ، وَلِدِينِهَا ، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ)[2]. وقال رسول الله ﷺ (لا تَزَوَّجُوا النِّسَاءَ لِحُسْنِهِنَّ ، فَعَسَى حُسْنُهُنَّ أَنْ يُرْدِيَهُنَّ ، ولا تَزَوَّجُوهُنَّ لأَمْوَالِهِنَّ فَعَسَى أَمْوَالُهُنَّ أَنْ تُطْغِيَهُنَّ ، وَلَكِنْ تَزَوَّجُوهُنَّ عَلَى الدِّينِ ، وَلأَمَةٌ خَرْمَاءُ سَوْدَاءُ ذَاتُ دِينٍ أَفْضَلُ)[3]. وقال ﷺ (إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ ؛ فَزَوِّجُوهُ ، إِلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ)[4]. وقال ﷺ (لا تُنْكَحُ الأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ ، ولا

١- فايز ، أحمد . دستور الأسرة في ظلال القرآن . مؤسسة الرسالة . بيروت . ١٤٠٣هـ . ص٩٢.

٢- البخاري ،محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري . مرجع سابق . كتاب النكاح . باب الأكفاء في الدين .رقم الحديث : ٥٠٩٠.

٣- ابن ماجه ،محمد بن يزيد. سنن ابن ماجه . مرجع سابق . كتاب النكاح . باب تزويج ذوات الدين .رقم الحديث : ١٨٥٩. وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه . ١/ ٣٤٣.

٤- الترمذي ،محمد عيسى . سنن الترمذي.مرجع سابق . كتاب النكاح . باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه .رقم الحديث :١٠٨٥. قال عنه الالباني في صحيح الترمذي: حسن صحيح . ١/ ٥٥١.

تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ. قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ إِذْنُهَا. قَالَ: أَنْ تَسْكُتَ) [١]، وهذا الحديث يظهر أهمية رضا الزوجين بهذا العقد.

"دعا الإسلام إلى التمسك بمبدأ الاختيار الحر والرضا الكامل ، بحيث لا تتزوج امرأة بدون إعطائها حق الاختيار وإبداء الرأي فيمن يتقدم لخطبتها وبدون التأكد من رضاها به . ولا يسمح الإسلام بإكراه امرأة على الحياة مع إنسان تنفر منه ولا تميل إليه . وكذلك يمكن أن يقال نفس الشيء بالنسبة للرجل الذي يبيح له الإسلام أن يختار ويختبر المرأة التي يود أن يتزوج منها للتأكد من صلاحيتها لأن تكون زوجة له وأماً لأولاده"[٢].

٢) أركان الأسرة في الإسلام ومسئولياتهم :

للأسرة ثلاثة أركان أساسية هي : الزوج والزوجة والأبناء ، ولكل ركن منها أهميته البالغة في تماسك الأسرة وقوة بنيانها ، بحيث إن فقد أي ركن منها يعرض الأسرة لهزة عنيفة وفقد جانب كبير من تماسكها . فإذا فقدت ركنها الأول وهو الزوج أو الأب ؛ فإنها تفقد عائلها ، ومصدر القيادة والقوامة والقدوة ، والمصدر الأساسي للتربية والتوجيه . وإذا فقدت الأسرة ركنها الثاني وهو عنصر الأم ؛ فإنها تفقد مصدراً أساسياً لسكنها واستقرارها ، والحنان والأمن الذي ينبغي أن يسود فيها ، وأكثر الأطراف تضرراً بفقدان الأم هم أولادها. وإذا لم يكن للأسرة أولاد ؛ فإنها تكون أكثر تعرضاً من الأسر المنجبة لهزات الحياة كما أنه بفقد الزوج أو الزوجة تقتلع من سجل الحياة الأسرية كلية [٣]. وقد يضاف إلى هذه الأركان عناصر أخرى ، تعيش مع الأسرة في مسكن واحد ، وهم أقرباء الزوجين كالأجداد والأعمام والأخوال ، وكذلك الخدم ، ومن تكفلت الأسرة برعايتهم كالأيتام .

لقد وزع الإسلام المسئوليات والواجبات بين أفراد الأسرة ، مراعياً في ذلك قدرات أفرادها ، بشكل يضمن وحدة الأسرة وقوتها ، كما أبان للأسرة كيف تؤدي هذه الواجبات ، وحدود المسئوليات ، قال رسول الله ﷺ (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالأَمِيرُ رَاعٍ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)[٤]. ويمكن إبراز ذلك في أركان الأسرة :

أ- مسئولية الأب أو الزوج وحقوقه : فالأب أو الزوج هو القائد الأساسي لهذه الجماعة ، وعليه من الواجبات والمهمات الجزء الأكبر ، وهو الذي يصدر القرارات ، ويرجع إليه في حل مشكلات الأسرة الداخلية والخارجية ، وتقع عليه مسئولية النفقة على الأسرة ، وتأمين المسكن ، وتوفير الطعام والشراب والدواء لأفراد الأسرة . ويقع على عاتقه مسئولية تربية وتعليم كافة أفراد الأسرة ، وتوجيههم دينياً وخلقياً وفكرياً. أما حق الزوج على زوجته فهي :طاعته في غير معصية الله ، وحفظه في عرضه وبيته وماله . وأما حقه على الأبناء : فطاعته وبره .

١- البخاري ،محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. مرجع سابق . كتاب النكاح . باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها . رقم الحديث: ٥١٣٦.

٢- الشيباني ، عمر محمد. من أسس التربية الإسلامية . مرجع سابق . ص٥٠٢.

٣- الشيباني ،عمر محمد . من أسس التربية الإسلامية . مرجع سابق. ص٤٩٨.

٤- البخاري ،محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري . مرجع سابق . كتاب النكاح . باب المرأة راعية في بيت زوجها . رقم الحديث :٥٢٠٠.

ب- مسـئولية الأم أو الـزوجة وحقوقها: فالأم تقع عليها الكثير من المسئوليات المنـزلية ، من رعاية شئون المنـزل ، والقيام بشئون الزوجية ، والمحافظة على مال الزوج ، إلى ولادة الأبناء ورعايتهم ، والمحافظة عليهم مـن الأمـراض والحوادث المنـزلية . وهي تشارك الأب في مسئولية تربية الأولاد دينياً وفكرياً وخلقـياً. أمـا عن حقوق الزوجة على الزوج فهي :حق النفقة والمسكن وحسن العشرة . وحقها على الأولاد : طاعتها وبرها.

ج- مسئولية الأولاد وحقوقهم : تقع عليهم واجب طاعة الوالدين وبرهما واحترامهما ومساعدتهما . وتزداد مسـئولية الأولاد عند كبر الوالدين ، حيث يتوجب عليهم رعايتهما ، والنفقة عليهما إن كانا محتاجين ، وبرهما وصلتهما . وأما حقوق الأولاد على الوالدين : فتظهر في إثبات نسبهم ، وتسميتهم باسم حسن ، وحق الرضاع والعقيقة والنفقة والختان والرعاية والتربية ، على تفصيل مثبت في كتب الفقه .

ومن العرض السابق تتضح عناية الإسلام بالفرد قبل أن يولد وبعد ولادته ، وذلك بعنايته بمؤسسة الأسرة التي ينشأ ويعيش فيها . فقد بين الإسلام أهداف الأسرة ووظائفها التربوية ، وجعلها تقوم على أساس التعاون والتناصـح والـرحمة ، ورسم طريقة تكوينها وسيرها في الحياة ، وقسم الواجبات والمسئوليات بين أفرادها ؛ ليؤدي كل فرد فيها مسئولياته ، مما يسهم في قوة تماسك الأسرة ، ويدعم الإسلام كل ذلك بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأحكام الشرعية التي تبين مسئولية كل فرد فيها.

المطلب الثاني :

أهمية التربية الخلقية للفتاة وآثارها

تربـــية الفتاة خلقياً أمر بالغ الأهمية ، وهذه الأهمية لا تتعلق بالفائدة التي ستحصِّلها الفتاة من هذه التربية دينـــياً وشخصـــياً فقط ، ولكن تتعدى ذلك للفائدة التي تجنيها الأسرة ، ومن خلفها المجتمع ، ومن ورائهما البشـــرية جمعاء. فأهمية التربية الخلقية للفتاة تظهر في عدة محاور ، ولها من الآثار ما يلمس في الواقع مباشرة ، وما يظهر بصورة غير مباشرة .

فالعـــناية بـــأخلاق الفتاة واجب شرعي على والديّها ومن ثم زوجها ، فقد وصى رسول الله ﷺ بالعناية بمســـألة تأديب المرأة وحسن رعايتها ، وعقد على ذلك أجراً عظيماً ، كما جاء في عدة أحاديث منها ، قال الـــنبي ﷺ : (مَـــنِ ابْـــتُلِيَ مِنَ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ ، كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ)[1]. وقال عليه الصلاة والسلام: (أَيُّمَا رَجُلٍ كَانَتْ لَهُ جَارِيَةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا وَأَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ)[2].

> " والفتاة المسلمة كيان إنساني مكلف بهذه الأخلاق ، ضمن التكليف الجماعي للأمة ، فتحتاج إلى التربية الخلقية ، كما يحتاج إليها كل فرد في المجتمع ، فلا بد أن تتربى على أســـسها في نفسها ، وعند أسرتها ، وفي حياتها الزوجية ، ونشاطها الاجتماعي ، بحيث تـــتحقق في حياتها مجموعة الأهداف السلوكية المنبثقة من أسس التربية الأخلاقية ، حتى تتأهل في نفسها ، لتكون بنتاً بارة ، وزوجة صالحة ، وأماً عطوفاً ، وعضواً اجتماعياً نافعاً "[3].

ولـــو عـــدت الآثار الإيجابية الشخصية التي تجنيها الفتاة من تخلقها بالأخلاق الحسنة لطال المقال ، ولكن يمكن القول إن أبرز هذه الآثار الإيجابية هو اتباعها لشرع الله واقتداؤها برسول الله ﷺ ، وكسبها لخيري الدنيا والآخـــرة . كما مر في الفصل السابق الكثير من الأحاديث النبوية والتي تحض وتؤكد على التخلق بالأخلاق الحسنة كقوله ﷺ (مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ)[4].

ومـــن الآثـــار الإيجابية لتخلق الفتاة بالأخلاق الحسنة شعورها بالرضا ، وتقدير الذات ، والثقة بالنفس ، والطمأنيـــنة والراحة النفسية ، وتحكمها في انفعالاتها وشهواتها ، واتزان شخصيتها وقوتها ، وحسن تصرفها وحكمـــتها في مواجهـــة مشـــكلات الحياة ومصاعبها ، كما أنها تكسب محبة ومودة من حولها من الأهل والصديقات وكل من تتعامل معه .

أمـــا عن القيمة العظيمة التي تدركها الأسرة إن هي قامت بدورها في تربية الفتاة على المبادئ الإسلامية الخلقية العظيمة ؛ فتظهر في أن الفتاة إذا كانت حسنة الخلق انعكس أثر ذلك على الأسرة نفسها ، فهي البنت

١- القشيري ،مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم . مرجع سابق. كتاب البر والصلة والادب . باب فضل الإحسان إلى البنات .رقم الحديث : ٢٦٢٩

٢- البخاري ،محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. مرجع سابق. كتاب العتق. باب العبد إذا أحسن عبادة ربه ونصح سيده . رقم الحديث : ٢٥٤٨.

٣- باحارث ،عدنان حسن . أسس تربية الفتاة في الإسلام . مرجع سابق . ص ١٣٧.

٤- الترمذي ،محمد عيسى .سنن الترمذي. مرجع سابق. كتاب البر والصلة . باب ما جاء في حسن الخلق .رقم الحديث: ٢٠٠٨. صححه الألباني في صحيح الترمذي . ٢/٣٧٨.

المطـيعة لوالديهـــا ، البارة بهما ، والمحافظة على عرضها . وإن كانت الفتاة زوجة ؛ فهي الزوجة ذات الخلق السـوي ، والسلوك القويم ، تكون دائماً مصدر سعادة وراحة الزوج ، فتعينه على قضاء أموره ، وتحفظه في نفسـها وولـده وبيـته ، وتخفف عنه من مشكلات الحياة ومصائبها . فهي بذلك تشع في البيت نور هذه الأخلاق، وتملأ جنباته بالحب والحنان والرحمة . وينشأ الولد في كنف أم ذات خلق حسن يتغذى مع قطرات لبنها بخلقها السوي . ففي هذه الأم تتمثل القدوة الحسنة الواقعية في الصدق فيكون الولد صدوقاً ، وفي الأمانة فـيكون الولـد أميناً ، يرى في منطق الأم وثيابها الحياء والعفة فيحاكيها . فمحبة الطفل الشديدة لأمه تسهل عملـية اكتساب الطفل لأخلاقيات الوالدة ، فالطفل يخشى دائماً من فقدان هذه المحبة ، فإذا شعر أن سلوكاً معيناً سيكون سبباً في سخط الأم ؛ فإنه يسرع في تركه ، أو إخفائه عنها ؛ لكي لا يخسر هذه المحبة.

كمـا تظهـر أهمية التربية الخلقية للفتاة في القيمة الاجتماعية التي يجنيها المجتمع من هذه الفتاة ذات الخلق القويم ، والمصيبة التي تقع عليه من تلك المنحرفة أخلاقياً . فأساس المجتمعات المرأة ، فهي اللبنة التي إذا صلحت أسـرع الصـلاح إلى باقي لبنات المجتمع ، وإذا فسدت تزعزع بنيان المجتمع . إن أول مصيبة يصابها المجتمع وتـتهدم مـنها أركانـه مصيبة المرأة العاهرة الفاجرة ، فهي المصيبة التي ينهار تحتها المجتمع مهما بلغت قوته وتتمزق لأجله وحدته ؛ ليكون عرضة لكل طامع . ففساد المرأة في المجتمع يعني امتداد الفساد لأجيال متعاقبة ، وإذا فسـدت المرأة أفسدت معها الرجل . وفساد المرأة يعني اجتماعياً انتشار الأمراض ، وشيوع الفاحشة ، وتفكـك الأسـر، وضـياع الأمن ، وقد أكد ذلك رسول الله ﷺ فقال: (إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْـتَخْلِفُكُمْ فِيهَا ، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَـاءِ)[1]. وقال ﷺ :(مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ)[2] . والواقع الذي تعيشه المرأة في المجـتمع الغـربي ، ويعيشه بسببها المجتمع الغربي ؛ ليوضح كيف تؤثر أخلاقيات الفتاة على البناء الاجتماعي والاقتصادي والعسكري للأمة.

"لقـد كانـت فوضى العلاقات الجنسية هي المعول الأول الذي حطم الحضارات القديمـة ، حطم الحضارة الإغريقية وحطم الحضارة الرومانية وحطم الحضارة الفارسية ، وهـذه الفوضـى ذاتهـا هي التي أخذت تحطم الحضارة الغربية الراهنة وقد ظهرت آثار التحطيم شبه كاملة في انهيارات فرنسا التي سبقت في هذه الفوضى ، وبدأت هذه الآثار تظهر في أمريكا والسويد وإنكلترا ، وغيرها من دول الحضارة الحديثة"[3].

وأهمية تربية الفتاة الخلقية تظهر في مواجهة الهجمة الشرسة التي يوجهها الغرب الكافر نحو الأمة الإسلامية للقضاء عليها وهدمها من أساسها ، والتي تمثلت في محورين .

الأول: ظهر في سعي المبشرين الذين يجوبون البلدان الإسلامية أملاً في إخراج المسلم عن دينه ، إلى تركيز النظر على إخراج المرأة المسلمة من دينها ، ويجعلون ذلك أسهل طريق للوصول إلى مآربهم .

١- القشيري ،مسلم بن الحجاج . صحيح مسلم . مرجع سابق. كتاب الرقاق . باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء . رقم الحديث : ٢٧٤٢

٢- البخاري ،محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري . مرجع سابق . كتاب النكاح . باب ما يتقى من شؤم المرأة . رقم الحديث : ٥٠٩٦.

٣- فايز ، أحمد . دستور الأسرة في ظلال القرآن . مرجع سابق. ص٢٠٨- ٢٠٩.

" لذلك يقولون : بما أن الأثر الذي تحدثه الأم في أطفالها — ذكوراً وإناثاً — في سن العاشرة من عمرهم بالغ الأهمية ، وبما أن النساء هم العنصر المحافظ في الدفاع عن العقيدة ، فإننا نعتقد أن الهيئات التبشيرية يجب أن تؤكد جانب العمل بين النساء المسلمات على أنه وسيلة مهمة في التعجيل بتنصير البلاد الإسلامية"(١).

والـثاني : في سعى الدول الغربية نحو إفساد المجتمعات المسلمة ، عن طريق إفساد أخلاق المرأة المسلمة ، فعملـوا بما يمتلكونه من وسائل تقنية وإعلام ، على تسميم أفكارها ، فسعوا إلى اقناعها بأنها مقيدة مهضومة الحقـوق ، وأن عليها أن تطرح هذا القيد وهو الإسلام ، وقدم لها نموذج المرأة الغربية المتحللة من كل خلق ومبدأ ، في التلفاز والإذاعة والمجلة ، وألقوا عليها عبارات الثناء والتمجيد والإطراء . وأرسلوا لها مع بضائعهم ملابس وأساور وأصباغ وغيرها ؛ لتتشبه بالنموذج الغربي للمرأة الفاسدة في وعاء الموضة.

لقـد عقـدت عـدة مؤتمرات تحت إشراف الأمم المتحدة ،كلها تدعي أنها تريد تحرير المرأة المسلمة ، وإعطاءها حقوقها المزعومة ، وهي في الحقيقة تريد نشر الفساد والانحلال الخلقي في العالم الإسلامي عن طريق بوابة المرأة ، فغصت بنود هذه المؤتمرات ببنود صريحة كلها تدعو إلى إلغاء مؤسسة الأسرة ، واستحداث أنماط أخـرى لهـا . والدعوة إلى الاختلاط بين الذكور والإناث في أماكن التعليم خاصة ، وفي الوظائف والنشاط الاجتماعي بشكل عام . كما تدعو إلى إعطاء الفتاة كامل الحرية في بناء العلاقات بدون محاسبة ولا قيود ، بل بدعـم وتشـجيع مـن قبل المجتمع والوالدين . كما تطالب المجتمع بتوفير سبل ووسائل منع الحمل وتسهيل عمليات الإجهاض ، بل وتدعو بشكل صريح إلى محاسبة كل من يرفض هذه الحرية ولا يدعمها.

وتأثـر كثير من فتيات الإسلام بهذا الغزو الخلقي في ظل غياب دور الأسرة التربوي والتوجيهي ، ولجهل الأسـر أو تغافلها عما يريده الأعداء بهذه الفتاة . فظهر ذلك في تمجيد الفتاة المسلمة للمرأة الغربية وتقليدها ومحاكاتها في لبسها وحركتها ومنطقها. والأشد من ذلك اقتناع بعضهن بأن الإسلام قد ظلم المرأة بالحجاب ، وأن هذا الحجاب تقليد جاهلي يجب طرحه لتنطلق المرأة نحو التقدم والرقي .

والأسرة هي المؤسسة التربوية المسئولة بالدرجة الأولى عن صد الهجمات التي تتعرض لها الأمة الإسلامية عـن طريق المرأة ، وذلك بأن تدرك المسئوليات الملقاة على عاتقها تجاه تربية الفتاة الخلقية ، وأن تستنفذ جميع الطرق والأساليب الممكنة لتربية الفتاة على قيم الإسلام الخلقية .

فـإذا أدركـت الأسرة أهمية دورها في التربية الخلقية للفتاة فإن الواجب عليها أن تراعي في هذه التربية الجوانب التالية :

١) الاسـتناد على عقيدة الإسلام وأحكامه في تربية الفتاة ، والرجوع إليها في تحديد مفهوم القيم الخلقية ، واختيار القيم التي تربى عليها الفتاة ، والحكم عليها ، وأن تكون الأساليب التربوية المستخدمة في هذه التربية مستنبطة من الدين الإسلامي .

١- شلبي، عبد الودود . حقائق ووثائق دراسة ميدانية عن الحركات التنصيرية في العالم الإسلامي . الدار السعودية للنشر والتوزيع . جدة . ١٤٠٩هـ. ص ٩٣.

٢) أن يتنبه الوالدان إلى أن الجو الأسري يؤثر على أخلاق الفتاة ونفسيتها بشكل كامل ، لذلك ينبغي عليهما أن يحرصا على أن يسود العلاقات الأسرية الحب والوئام والطمأنينة بين الأفراد ، وأن تتمثل الأخلاق الإسلامية في أفراد الأسرة .

٣) يجب على الأسرة خاصة الوالدين أن يكونا على وعي وإدراك بمبادئ وأساليب التربية الخلقية من حيث " تحديد أهدافها وأسسها ومبادئها وأساليبها وأحكامها ، ومعرفة ما توصل إليه علماء التربية المسلمون لتوجيه الفطرة السليمة لدى النشء ورعايتهم وصونهم عن الانحراف والزيغ"(١).

٤) إكساب الفتاة الأخلاق الإسلامية وتنميتها منذ الطفولة ، وبصورة عملية ونظرية ، مستخدمة في ذلك كافة أساليب التربية الإسلامية ، وبصورة خاصة أسلوب القدوة والممارسة ، حتى تصبح الأخلاق سمة وجزءاً من شخصية الفتاة ، مع التركيز على الأخلاق التي ترتبط بدورها الأنثوي .

٥) ضبط وتوجيه سلوك الفتاة الخلقي ، بحيث يساير الأخلاق الإسلامية ، وذلك بمنعها وإبعادها عن جميع المؤثرات الدينية والأخلاقية السيئة ، كمنعها من الذهاب إلى الأماكن المشبوهة والسيئة ، ومنعها من مشاهدة برامج التلفاز التي تدعو إلى التبرج والمجون وتفسد الأخلاق. وتوجيهها نحو كل ما يدعم التربية الأخلاقية كتوجيهها لقراءة سير الصحابيات ، وتمكينها من المشاركة في البرامج الدعوية والخيرية والتي تتفق مع خصوصيتها كأنثى .

٦) تعريف الفتاة بمعايير مجتمعها وبأنماط الأدوار الاجتماعية المكلفة بها ، والتي تؤثر في سلوكها الأخلاقي ، فجو الأسرة أنسب مكان اجتماعي تتعرف فيه الفتاة على الأدوار الاجتماعية المختلفة المطلوبة منها ، بحسب مراحل العمر التي تمر بها : من الطفولة ثم المراهقة ، فمرحلة الشباب (٢). وإهمال الأسرة لهذا الدور يؤدي إلى غربة الفتاة عن مجتمعها ، ووقوعها في كثير من المشكلات الاجتماعية ؛ نتيجة عدم وعيها بمعايير مجتمعها والأدوار المطلوبة منها ، وذلك يؤثر بصورة سلبية على حالتها النفسية .

٧) أن تكون الأسرة على وعي ومعرفة بأساليب العولمة والغزو الفكري ، وطرق الأعداء في تسميم أخلاق الناشئة ، بنشر المبادئ الهدامة ، وإشاعة الانحلال الخلقي ، وتيسير سبل الوصول إليه ، وبث الشبهات والشكوك حول الإسلام وأحكامه . وهذه المعرفة تساعد الأسرة على إفساد هذه المؤامرات ؛ بإيضاح مخططات الأعداء للفتاة ، والرد على شبهاتهم ومنع الفتاة من التعرض لها .

ومن العرض السابق يتضح أن أهمية تربية الفتاة على أخلاق الإسلام ، تظهر في أن تخلق الفتاة بالأخلاق الحسنة هو واجب شرعي ، وله من الآثار الإيجابية على الفتاة نفسها من حيث شعورها بالطمأنينة والراحة والرضا عن الذات ، كما ينعكس أثر ذلك على الأسرة فهي البنت المطيعة والزوجة الصالحة . وتخلق الفتاة بالأخلاق الإسلامية يؤدي إلى صد الهجمات الرامية إلى : إفساد المجتمعات الإسلامية ، وزعزعة أخلاقها عن طريق إفساد أخلاق المرأة ومن ثم تربيتها النشء على ذلك ، كما ظهر أن دور الأسرة في ذلك دور أساسي .

١- الصالح ، عطية بن محمد أحمد . تنمية القيم الأخلاقية لدى طلاب مرحلة التعليم الأساسي العليا . مرجع سابق.ص ١٧٥.

٢- باحارث، عدنان حسن صالح . أسس تربية الفتاة في الإسلام . مرجع سابق. ص١٧٤.

المطلب الثالث :

العوامل المؤثرة على التربية الخلقية للفتاة

ملاحظة الأسرة للعوامل المؤثرة على تربية الفتاة الخلقية ؛ أمر يسهل عليها القيام بوظيفتها التربوية ، كما يعينها على معرفة الطرق والأساليب المناسبة لغرس الأخلاق الحسنة في نفس الفتاة . فقد تقوم الأسرة بمسئولياتها في تربية الفتاة الخلقية ، وتبذل من الجهد والمال الشيء الكثير ؛ ولكن رغم ذلك لا تؤتي هذه المجهودات ثمارها . فتتساءل الأسرة عن سبب هذا الإخفاق ، مع أنها بذلت جهداً كبيراً في هذه التربية . والملاحظ أن سبب ضعف نتائج مجهودات أكثر الأسر ؛ هو نتيجة طبيعية لجهلها بالعوامل المؤثرة على تربية الفتاة الخلقية . فإدراك الأسرة للعوامل المحيطة بالفتاة ، والتي تعمل على تشكيل أخلاقياتها بصورة قوية ، يساعدها على استثمار هذه العوامل في دعم هذه التربية ، كما تمكنها هذه المعرفة من منع الآثار السلبية لهذه العوامل.

وعند التأمل في هذه العوامل يلاحظ أنها تأتي على قسمين رئيسين : الأول يظهر في عوامل داخلية ، تتعلق بمراحل نمو الفتاة ، وهي تؤثر بشكل مباشر في تقبلها ورفضها للقيم الخلقية . والثاني يظهر في عوامل خارجية، وهذه العوامل كثيرة ، ولكن تظهر منها ثلاثة عوامل تشكل محاور أساسية في التأثير على الفتاة ، هي جماعة الأقران والمدرسة والإعلام . وفيما يلي تتحدث الباحثة عن هذه العوامل بصورة تبرز تأثير كل منها على الفتاة من ناحية إيجابية وسلبية .

أولاً : العوامل الداخلية (مراحل النمو الخلقي للفتاة) .

كما أن رعاية الأولاد من الناحية الجسمية والمحافظة على حياتهم أمر واجب على الأبوين ويشتركان في المسئولية عنه ؛ كذلك أمر العناية بخلق الأولاد ومنعهم مما يؤثر عليهم ، بل هو أشد وجوباً . وهذا الأمر يدركه أكثر الآباء ، ولكن الكثير منهم يعجز عنه في الواقع . إن معرفة الآباء بخصائص نمو الأبناء ، وبأساليب التربية الإسلامية ، يساعدهم على انتقاء الأسلوب المناسب للابن في كل مرحلة عمرية ، بحسب خصائص مراحل النمو ، ومن الملاحظ أن من أسباب إخفاق الآباء في تربية الأبناء عدم وعيهم بخصائص مراحل نمو الأبناء . وفيما يلي تبين الباحثة بصورة مبسطة مراحل النمو الخلقي لدى الفتاة من مرحلة الطفولة وحتى مرحلة المراهقة ، والأساليب التربوية المؤثرة في كل مرحلة ؛ لمساعدة الأسرة على انتقاء الأسلوب الأمثل لكل مرحلة، وتكوين تصور عن المستوى الخلقي الذي تصل إليه الفتاة بحسب عمرها :

المرحلة الأولى: مرحلة الطفولة المبكرة (الحضانة) :

تبدأ هذه المرحلة من السنة الثالثة للفتاة ، وتمتد حتى السنة السادسة . وهي مرحلة مهمة في حياة الفتاة ، حيث يقل فيها اعتمادها على الكبار ، ويزداد اعتمادها على نفسها ، وتحاول اكتشاف العالم الخارجي والبيئة

المحـيطة بهـا . وفي هـذه المـرحلة تبدأ عملية التنشئة الاجتماعية ، واكتساب القيم والاتجاهات والعادات الاجتماعية، وتبدأ فيها الفتاة التمييز بين الخطأ والصواب ، وبين الأفعال الصحيحة والأفعال الخاطئة [1].

"سن الطفولة المبكرة هي سن امتصاص وتشرب الأخلاق والفضائل والآداب الحميدة عن طريق التوجيه الحكيم والإرشاد السليم الذي يتمشى والنمو العقلي للطفل ومستوى إدراكـه وتميـيزه، فيبدأ شيئاً فشيئاً ، وخاصة في نهاية مرحلة الطفولة المبكرة ، في تعديل سلوكه ، وضبط انفعالاته وتقويم أخطائه واكتساب الصفات المحمودة التي ترضي الآخرين عـنه ، وتجعله محل قبولهم وتقديرهم ، فيتوفر لـه الأمن النفسي والسكينة والطمأنينة مما يجعل حياته هانئة سعيدة" [2] .

ويلاحظ أن الفتاة في الطفولة المبكرة لم يصل بعد نموها العقلي إلى درجة تسمح لها بتعلم المبادئ الأخلاقية المجـردة فيما يتعلق بالصواب والخطأ ، كما أن قدرتها على تعميم ما تتعلمه من موقف لموقف آخر ما زالت محدودة ؛ ولكن يمكنها تعلم ذلك عن طريق مواقف الحياة اليومية العملية . لذلك فإن أفضل طريقة لتعليم الفتاة السلوك الأخلاقي من قبل الوالدين أن يقولا لها افعلي كما نفعل ، وليس افعلي كما نقول[3].

وهـنا تجـدر الإشـارة إلى أن الإسلام لم يحمل الفتاة في هذه المرحلة أي مسئولية دينية أو أخلاقية على تصرفاتها الخاطئة وسلوكياتها غير السليمة ، لأنها لم تصل بعد إلى مرحلة القدرة على الحكم الصحيح والتمييز بـين الخطأ والصواب ، حيث إن تعلمها للسلوك الأخلاقي مبني على أن يقال صحيح لسلوك معين ، وخطأ لسلوك آخر ، دون القدرة على التعرف على سبب صحة هذا وخطأ ذاك ، بصورة كاملة [4] .

وتتعـلم الفـتاة في هذه المرحلة السلوكيات والأخلاق عن طريق التقليد والمحاكاة ، فترى دائماً مقلدة في تصـرفاتها وردود أفعالها لأفراد أسرتها ومن يحيطون بها . كما يؤثر مبدأ الثواب والعقاب المحسوس ، في تربية الفتاة الخلقية في هذه المرحلة. حيث تسعى الفتاة لتجنب العقوبة التي تقع عليها عند مخالفتها للسلوك الصحيح والقانون الأخلاقي الذي تريده الأسرة ، وتسعى لتحقيق اللذة الناتجة عن ثناء الآخرين عليها ، ورضاهم عنها نتيجة اتباعها للقانون الأخلاقي المراد منها.

المرحلة الثانية : مرحلة الطفولة المتأخرة (التمييز):

تمـتد هـذه المـرحلة من سن السادسة وحتى سن الثانية عشرة من العمر. وفي هذه المرحلة تلتحق الفتاة بالمدرسـة ، ويـتم فـيها إتقان المهارات الأساسية اللازمة للفتاة وهي: القراءة والكتابة والحساب . وكلما اكتسـبت الفتاة قدراً أكبر من الكفاءة ، ومن القدرة على القيام بمهارات معينة ؛ كلما نما مفهومها عن ذاتها بصورة أفضل وازدادت معها درجة استقلاليتها .

١- الزعبي ، أحمد محمد . علم نفس النمو الطفولة والمراهقة . دار الزهران . عمان . الأردن . ٢٠٠١م. ص ١٣٩.

٢- الزنتاني، عبد الحميد الصيد . أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية . الدار العربية للكتاب . (د.ت) . ص٦٥٧.

٣- زيدان ، محمد مصطفى . النمو النفسي للطفل والمراهق. دار الشروق . جدة . (د. ت). ص ٢٥٩.

٤- زهران ، حامد عبد السلام . علم نفس النمو الطفولة والمراهقة. عالم الكتب . القاهرة. ١٩٧٧م. ص ٢٦٥.

وفي هذه المرحلة تصبح الفتاة قادرة على التفكير المنطقي في الأمور الحسية ، كما يمكنها أن تراعي وجهة نظـر الآخرين حتى في المواقف الشديدة التعقيد ، وأن تقارن وجهات نظر الآخرين ، كما تصبح أكثر هدوءاً واستقراراً وثباتاً ، كما تزداد قدرتها على ضبط مشاعرها وكبتها. و في هذه المرحلة تزداد قدرة الفتاة على العمـل الجماعي ، وتتعلم احترام القوانين والقواعد الاجتماعية وتعدها ضرورية ، كما تبدأ الفتاة في المراحل المتأخرة في استبدال معايير الوالدين والمعلمات بمعايير الأقران ، وهذا يعني قلة اعتمادها على الوالدين وتركيزها على جماعة الأقران ، مما يجعل تأثيرهن عليها يتزايد بشكل كبير [١] .

وتـبدأ الفتاة في تمييز الأفعال وأنماط السلوك التي تكون محل رضا الآخرين أو سخطهم . ويرتبط سرورها وسـعادتها في هـذه المرحلة برضا الآخرين عنها . كما يرتبط ألمها وتعاستها بسخطهم عليها . وهو ما يعتبر البداية الصحيحة لتكوين الخلق القويم . وهذا النمو الخلقي الإيجابي يجعل الفتاة تحاول دوماً المواءمة بين رغباتها ورغبات غيرها ، وبين نوازعها ودوافعها والقيم الدينية والخلقية والعرف والعادات والتقاليد الاجتماعية والنظام والقوانـين ، وبذلـك تبدأ معالم المسئولية الأخلاقية في البروز ، حتى تتكامل في المرحلة الثالثة للنمو الخلقي ، بتكامل النضج العقلي والوجداني للفتاة [٢].

وفي هذه المرحلة يحل لدى الفتاة المفهوم العام لما هو صواب وما هو خطأ ، وما هو حلال وما هو حرام ، محل القواعد المحددة ، وتحل المعايير الداخلية تدريجياً محل الطاعة للمطالب الخارجية ، وتصبح قادرة على فهم ما وراء القواعد والمعايير السلوكية . وفي المراحل المتأخرة من الطفولة يقترب السلوك الأخلاقي للفتاة من السلوك الأخلاقي للراشدين الذين تعيش بينهم [٣] .

ونتيجة للنمو العقلي والمعرفي لدى الفتاة في هذه المرحلة ؛ يمكن للوالدين أن يستخدما جميع أساليب التربية الإسلامية لإكساب الفتاة الأخلاق الإسلامية ، وتعويدها على القواعد ، والقوانين الاجتماعية . مع ملاحظة أن الفـتاة في هذه المرحلة أيضاً تميل إلى التقليد والاقتداء والمحاكاة لمن هم حولها ، وتتأثر بشكل كبير بجماعة القرينات ، والمجتمع المدرسي ومن فيه من معلمات وطالبات وإداريات ، حيث تقضي معهن وقتاً كبيراً .

ومـن الواجب على الوالدين والمربين ؛ أن يستمروا في إكساب الفتاة الآداب السلوكية في هذه المرحلة ، ولا يُكـتفى بمـا تعلمته في المراحل السابقة . وعلى الوالدين أن يتحليا بالأخلاق الإسلامية أولاً ، حتى يكونا قـدوة لهـا ، ولكي يستطيعا أن يدرباها وينشئاها على ذلك . وهذه الفترة تتميز فيها الفتاة بحبها للمشاركة والـتعاون مع أفراد المجتمع ، فينبغي على الوالدين أن يعوداها على التعاون ومساعدة أهلها وجيرانها والفقراء والمحتاجين [٤].

١- الزعبي ،أحمد محمد . علم نفس النمو الطفولة والمراهقة . مرجع سابق. ص١٥٩- ١٧١.

٢- الزنتاني، عبد الحميد الصيد . أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية . مرجع سابق. ص ٦٥٨.

٣- زيدان ،محمد مصطفى . النمو النفسي للطفل والمراهق. مرجع سابق . ص ٢٥٩.

٤- الحازمي، خالد حامد . التوجيه الإسلامي للتنشئة الخلقية بين الأسرة والمجتمع . مرجع سابق. ص٣١٨- ٣١٩.

المرحلة الثالثة : مرحلة المراهقة (التكليف) :

المراهقة من الناحية البيولوجية تعني تلك الفترة من حياة الفرد التي تبدأ بالبلوغ ، وتستمر حتى سن النضج، أي من سن ثلاث عشرة سنة وحتى سن ثمان عشرة سنة أو إحدى وعشرين سنة . أي أنها تمتد من نهاية مرحلة الطفولة ، وتستمر حتى بداية سن الرشد . ويحدث فيها للمراهقة مجموعة من التغيرات الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية . ففيها تنتقل الفتاة من مرحلة التبعية إلى مرحلة الاستقلال بذاتها ، وفي هذه المرحلة تحاول المراهقة أن تستقل عن أوامر ونواهي الكبار ، وتفرض آراءها ، وترفض تسلطهم . ويتصف سلوك المراهقة بضعف الثبات ، وشدة الانفعال والعاطفية . فهي تنتقل بسرعة من حالة الفرح والبهجة ، إلى حالة اليأس والقنوط ، ومن حالة الثقة بالنفس ، إلى حالة ضعف الثقة . وتبالغ المراهقة في هذه المرحلة في الاهتمام بمظهرها الجسمي وجمالها .

وتزداد في مرحلة المراهقة العلاقات الاجتماعية ، وتتوحد المراهقة بقوة مع قريناتها ، ويكون تأثيرهن عليها كبيراً ، خاصة في الجانب الأخلاقي والقيمي . وفي هذه المرحلة تشتد حاجة المراهقة إلى تعلم القيم الاجتماعية؛ بسبب التناقض بين المبادئ الدينية والخلقية التي آمنت بها منذ طفولتها ، وبين ما تراه الآن من ممارسات عند الكبار. لذلك تبلغ المراهقة في هذه المرحلة من النمو أقصى درجة من الانشغال بالقيم الخلقية ، والتفكير في المعايير والمثل العليا ، وذلك نتيجة ازدياد قدراتها المعرفية . وتكون المراهقة حريصة على المعرفة الأخلاقية والنشاطات الأخلاقية ، ولذلك تعيد المراهقة النظر باستمرار في قيمها الخلقية (١) .

وفي هذه المرحلة يبدأ النمو الخلقي في الرسوخ والثبات ، ويتكامل بتكامل النضج العقلي والنفسي والاجتماعي الحاصل في نهايتها. وبذلك تصبح الفتاة قادرة على ضبط نوازعها ، والتحكم في دوافعها ، وإخضاع ذاتها للمثل العليا التي تشربتها ، ورسختها داخل نفسها ، وجعلتها معياراً لمواقفها الأخلاقية ، وتصرفاتها السلوكية ، والالتزام الذاتي بها ، بغض النظر عن وجود السلطة الخارجية — المتمثلة في القوانين والنظم والعرف والعادات والتقاليد والرقابة الاجتماعية — أو غيابها (٢) . ونتيجة لهذا التكامل في النمو العقلي والنفسي ، تتحمل الفتاة بشكل كامل كافة مسئولياتها الأخلاقية والجزاء المرتبط بها . قال رسول الله ﷺ : (رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ : عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ) (٣) .

ويلاحظ على المراهقة تسامحها وتساهلها لبعض محددات السلوك الأخلاقي - كأن تغش في الاختبارات- وقد تقوم أحياناً بسلوك ينافي الأخلاق ، وهي تعرف ذلك ، للفت الأنظار إليها ، أو للتجريب ، أو لإجبار الآخرين على الاعتراف بذاتها . ولكنها رغم ذلك، تشعر عند خروجها عن معايير السلوك الأخلاقي بالذنب والقلق والاكتئاب ، ولكنها تعارض وتثور عند معاقبتها على سلوكها الخارج عن الأخلاق (٤).

١- الزعبي ،أحمد محمد . علم نفس النمو الطفولة والمراهقة . مرجع سابق. ٣١٥- ٣٩٦.

٢- الزنتاني، عبد الحميد الصيد . أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية . مرجع سابق. ص ٦٥٩- ٦٦٠.

٣- أبو داود ،سليمان بن الأشعث .سنن أبي داود .مرجع سابق. كتاب الحدود . باب في المجنون يسرق أو يصيب حدا . رقم الحديث : ٤٤٠٣. وصححه الألباني في سنن أبي داود. ٥٦/٣.

٤- زيدان ،محمد مصطفى . النمو النفسي للطفل والمراهق . مرجع سابق. ص ٢٦٤.

وتميل المراهقة في هذه المرحلة إلى البحث عن البطولات ، والإعجاب بالشجعان والأذكياء ، لذلك ينبغي علـى المـربي أن يسـتثمر هذا الميل في إعطاء المراهقة نماذج عملية في الأخلاق الحسنة ، وبشكل خاص في شخصـيات المرسـلين وشخصية رسول الله صلى الله عليهم وسلم ، وربط المراهقة بقصص حياة الصحابة والتابعين ، والسلف الصالح ، رجالاً ونساء لتقتدي بهم .

وعلى ضوء ما سبق ؛ يلاحظ أن معرفة الأسرة بخصائص النمو في كل مرحلة مؤثر على وظيفتها التربوية . فالمستوى العمري والعقلي للفتاة يختلف ما بين سن الطفولة وحتى سن المراهقة . وهو مؤثر على القيم الخلقية التي تكتسبها الفتاة ، كما يؤثر على الأساليب التربوية المستخدمة في كل مرحلة عمرية . وإن كان الأسلوب الحاضر في كل مرحلة هو أسلوب القدوة والمحاكاة .

ثانياً : العوامل الخارجية المؤثرة على التربية الخلقية للفتاة .

كما تؤثر الأسرة بصورة قوية على أخلاقيات الفتاة ، تأتي هنالك عوامل خارج الأسرة تقوم هي أيضاً بتشكيل أخلاقيات الفتاة . وهذه العوامل الخارجية ذات مردود إيجابي وسلبي على أخلاق الفتاة ، تصل في بعض الأحيان لقوة أثر الأسرة أو أقوى . فإن لم تتنبه لها الأسرة ؛ فقد تضيع مجهوداتها التربوية في تربية الفتاة الخلقية ، نتيجة الآثار السلبية لهذه العوامل . وهذه العوامل الخارجية كثيرة ، ولكن هناك ثلاثة عوامل ذات درجة كبيرة من القوة هي : جماعة الأقران ، والمدرسة ، ووسائل الإعلام .

١- جماعة الأقران :

يقصد بجماعة الأقران : مجموعة من الأفراد ، يتقاربون في المستوى العمري والعقلي ، ويرتبطون بروابط الصداقة نتيجة قربهم في المسكن أو انتمائهم لنفس المدرسة . وتؤثر هذه الجماعة في الطفل بشكل يصل إلى قوة تأثير الوالدين ، بل ويزيد عنها في مرحلة المراهقة . فللصديقات تأثير قوي ومباشر على الفتاة ، من حيث تكوين قيم واتجاهات جديدة ، ودعم القيم الخلقية التي اكتسبتها من أسرتها ، نتيجة تقاربهن في السن ، وكثرة اجتماعهن ، واشتراكهن في الحاجات والميول . وكذلك تؤدي الصديقات الفاسدات إلى هدم وتحطيم البناء الخلقي للفتاة ، واستبدالها بقيم مشوهة أو خاطئة .لذلك أمر الإسلام بحسن اختيار الصديق والصاحب ، قال الله عز وجل مبيناً أثر الصحبة السيئة على الإنسان ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولاً ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفرقان :٢٧-٢٩]. وقال تعالى ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزخرف:٦٧]. وقال رسول الله ﷺ : (إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ ، إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، وَنَافِخُ الْكِيرِ ، إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً) [(١)].

وتؤثر جماعة الصديقات في نظرة الفتاة نحو ذاتها ، ومفهومها عن نفسها . فهي تزود الفتاة بمعلومات عن نفسها بعضها واقعي ، وبعضها مشوه . ومن شأن هذه المعلومات أن يكون لها أثرها في تكوين ونشأة مفهوم الذات لديها [(٢)]. كما أن قبول الجماعة للفتاة يشعرها بالرضا عن نفسها والثقة والسرور . وانتماؤها للجماعة يمنحها شيئاً من القوة والسعادة ، في حين أن رفض الجماعة لها يؤثر في شخصيتها فتنشأ انطوائية وانعزالية .

وتُلزم جماعة القرينات الفتاة بمسايرة معاييرها وقيمها ، وتكافئها على ذلك بالقبول والإطراء ، بينما تحظى من تخالفها بالعقوبة والنبذ . كما أن هذه الجماعة توفر لأفرادها قدوة ذاتية من أفرادها ، وبخاصة الزعيم . ويلاحظ أن الفتيات أكثر انصياعاً لضغوط جماعة الأقران من الفتيان ، وربما كان ذلك بسبب أنهن أكثر اتجاهاً وميلاً نحو الغير ، وأنهن يشعرن بحاجة أكبر إلى الموافقة الاجتماعية [(٣)] .

١- القشيري ،مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم. مرجع سابق. كتاب البر والصلة والآداب . باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء . رقم الحديث:٢٦٢٨.

٢- مسن ، بول وآخرون . أسس سيكولوجية الطفولة والمراهقة . ترجمة : أحمد عبد العزيز سلامة . مكتبة الفلاح . ١٤٠٧هـ. ص ٤٠٧.

٣- مسن ، بول وآخرون . أسس سيكولوجية الطفولة والمراهقة . . مرجع سابق. ص ٤٠٥.

وتؤثـر الصـديقات في الكيفية التي تتعامل بها الفتاة مع المشكلات التي تواجهها ، ويمددن لها يد العون والمساعدة والنصح في الخروج من هذه المشكلات . كما تفيد الصديقات الفتاة بما توفره من مجتمع مصغر عن المجـتمع الكبير . تتعلم فيه الفتاة طريقة مخاطبة الأخريات ، وطريقة التعبير عن مشاعرها ، وضبط انفعالاتها ، وتتعلم أصول السلوك الاجتماعي ، وطريقة التفاعل والتعامل مع الشخصيات المختلفة .

وتؤثـر الأسرة بشكل قوي ومباشر في اختيار الفتاة لصديقاتها ، وذلك من حيث المسكن أو الحي الذي تقـيم فـيه الأسـرة ، والمدرسـة التي تختارها للفتاة . وكذلك من ناحية القدرة على منعها من الاختلاط بالصـديقات ، أو تحديـد زمن الاختلاط ومكانه وأسلوبه . وتقع على الأسرة مسئولية تزويد الفتاة بشروط اختيار الصديقات ، وتوجيهها نحو اختيار الصالحات .

إن الواجب على الأسرة أن تحرص على معرفة صديقات بناتها ورؤيتهن ، والتعرف عن كثب على أسرهن وأفكارهن ، بأسلوب لا يشعر الفتاة بأنها لا زالت طفلة ، ولا بطريقة تسلطية ، أو بالشك فيهن ؛ ولكن عن طـريق الـتفاهم ، وتقدير ذات الفتاة في اختيار صديقاتها. فإذا رأت الأسرة أن الصديقات ذوات توجهات إسلامية ومن أسر صالحة ، ويتميزن بالطهارة والصلاح ، فعلى الأسرة أن تدعم وجود الفتاة معهن وتساعدهن على الاجتماع بشكل منظم ومنضبط . أما إذا أدركت الأسرة أن الصديقات ذوات توجهات منحرفة وضالة، وكـن مـن أسر فاسدة ، وأنهن يسعين نحو الرذيلة ، وهدم أخلاق الفتاة ؛ فيجب على الأسرة منع الفتاة من التعامل معهن والاختلاط بهن ، ويجب على الأسرة أن تبين للفتاة سبب المنع وتعرفها بالأخطار التي تكمن في علاقتها مع هؤلاء الفتيات ، ليكون بُعد الفتاة عنهن مبني على اقتناع ذاتي.

وعلى الأم أن تعمل بشكل مباشر على مساعدة الفتاة في اختيار صديقاتها ، بدون أن تقلل من قدرة الفتاة على هذا الاختيار ولا تستهجن أفكارها أو تفرض عليها صديقة دون أخرى [1] ، كما يجب على الأم إيضاح سبب رفضها لصحبة الفتاة لإحدى صديقاتها ، بطريقة لطيفة توضيحية واقناعية خاصة في مرحلة المراهقة.

٢- المدرسة :

المدرسة هي أول مؤسسة تربوية خارج الأسرة تتفاعل معها الفتاة بشكل كامل ، وتقضي فيها وقتاً طويلاً، وهـي تقدم لها نموذجاً مصغراً عن المجتمع الكبير ، حيث تحتوي على شريحة من المجتمع تتنوع في السن والخبرة والمستوى الثقافي . ولذلك تسهم المدرسة بشكل كبير في تشكيل شخصية الفتاة . وهي تؤثر بشكل مباشر في الـتكوين الخلقـي للفـتاة ، وتوجيه سلوكها . فالمدرسة تنقل المعلومات العلمية النظرية إلى الطالبة ، ومعها الـنواحي التطبيقـية والسلوكية لهذه المعلومات. وتتأثر أخلاق الفتاة بالمجتمع المدرسي من خلال ثلاثة عناصر أساسـية : المعـلمات ، وجماعـة الأقران ، والمنهج . فالفتاة في مرحلتي الطفولة والمراهقة تتأثر بشكل قوي بالمعلمات ، وتعتبرهن نموذجاً وقدوة تسعى لتمثله . حيث إنها ترى أنهن يمثلن الكمال البشري في كل شيء ،

١- منيسي، سامية عبد العزيز . دور الأم في تربية الأجيال . دار الفكر العربي . القاهرة . ١٤٢٢هـ . ص١٦٥.

لذلـــك يلاحـــظ على الفتيات تقليدهن وتقمصهن شخصيات معلماتهن ، سواء في أخلاقهن ، أو مظهرهن الخارجي ، واقتناعهن الكامل بكل ما تقوله المعلمة خاصة في مرحلة الطفولة .

" وتستطيع المدرسة أن تسهم الإسهام الفعال في بناء شخصية الفرد بما تهيؤه لـــه من مـــناخ صحي يساعد على النمو المعرفي والانفعالي والجمالي والاجتماعي والعقدي ، لابما تقدمه مـــن معلومات نظرية فقط ، بل بالممارسة العملية وما يعنيه هذا من تكامل بين المعـــرفة والممارسة ، وهذا يعني أن دور المدرسة في تنمية القيم الإسلامية ليس نظرياً وإنما هو نظري تطبيقي" [1] .

وكمـــا أن المدرســـة قـــد تكـــون أداة بناء للقيم الخلقية عند الفتاة ، فكذلك قد تكون معول هدم لهذه الأخـــلاق. لقد أراد أعداء الإسلام تدمير الإسلام والمسلمين ، فرأوا أن أقصر طريق لتحقيق مآربهم هو توجيه جهدهم وغزوهم إلى أبناء المسلمين الناشئين ، فاستخدموا المدرسة كوسيلة قوية وفعالة في هذا التدمير ، وكان ذلـــك بطريقـــتين : الأولى في إيجـــاد مدارس متأثرة بالطابع الغربي في المجتمعات الإسلامية ، من حيث المنهج وأنظمـــة التعليم ، يقول المبشر تكلي : "يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني ، لأن كثيراً من المسلمين قد زعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا في الكتب المدرسية الغربية ، وتعلموا اللغات الأجنبـــية "[2]. فيلاحظ أن المناهج المدرسية في كثير من الأقطار الإسلامية قد أخذت مادتها من الكتب الغربية نقـــلاً وتـــرجمة ، خاصة في العلوم الطبيعية ، ولم تراعِ خصائص المجتمع المسلم وعقيدته ، لذلك جاءت هذه الكتب المدرسية لتكون مضادة للعقيدة الإسلامية ، مما أدى إلى إفساد عقيدة النشء المسلم ، فهي تدعو بشكل مباشر إلى الإلحاد والكفر ، وإنكار وجود الخالق ، وإنكار الغيبيات ، والإيمان بالماديات والمحسوسات ، ونسبة الوجـــود إلى الطبيعة والصدفة ، وإلى مساوئ الأخلاق - كالحث على الاختلاط بين الجنسين بحرية كاملة - وأخطر من ذلك دعوتها الصريحة إلى العلمانية أي فصل الدين عن الدولة ، "إن هذه الفلسفة التي تفصل الدين عن الدولة (في المجتمع الواحد) والروح عن الجسد في الكائن الواحد ، والعلم عن الأخلاق في الكيان الإنساني الواحـــد ، والعقل عن الوجدان ، فهي فلسفة مبلبلة تدع الناشئ حيران لا كيان لـــه ، ولا يقين عنده ، ولا لـــه ثقة بشيء ، بل تعلمه النفاق والتلون وانتحال شخصيات متناقضة متعددة" [3] .

أمـــا الطـــريقة الثانية: فكانت في التأثير على أبناء المسلمين بشكل مباشر من خلال المدارس الغربية ، إما بإنشائها في المجتمعات الإسلامية ، أو بتعليم أبناء المسلمين في مدارس البلاد الغربية . فكان المستعمرون ينشئون المـــدارس الأهلـــية التبشيرية ، أو يقومون بنقل أبناء المسلمين على حساب المستعمر ، ليتلقى علمه في إحدى المـــدارس في الـــبلاد الغربية ، والتي تربيه على المنهج والأفكار التي تهدم عقيدة الإسلام في نفسه ، لتحوله إلى نصـــراني أو مـــلحد ، فيأتي إلى ديار الإسلام ليكون رسول المستعمر في تدمير وزلزلة أخلاق المجتمع المسلم .

لذلـــك يلاحظ انتشار المدارس الأهلية في بلاد المسلمين بشكل كبير ، مع حرص بعض المسلمين على إلحاق

١- أبو العينين ،علي خليل مصطفى . القيم الإسلامية والتربية . مرجع سابق. ص ١٧٣.

٢- علوان ، عبد الله ناصح. تربية الأولاد في الإسلام . دار السلام . ١٤٢٤هـ. ١/ ٧٤٠.

٣- نحلاوي ، عبد الرحمن . أصول التربية الاسلامية . مرجع سابق. ص ١٦٨.

أولادهم بها ، رغبة في تحصيل المميزات التي تدعيها هذه المدارس ، مما كان له أثر قوي في تحقيق أهداف أعداء الإسلام . "يقول نفر من المبشرين : إن أهداف المدارس والكليات التي تشرف عليها الإرساليات في جميع البلاد كانت دائماً متشابهة ، إن المدارس والكليات كانت تعتبر في الدرجة الأولى واسطة لتمرين قسيس للكنيسة ... حتى ان الموضوعات العلمانية التي تعلم ، من كتب غربية وعلى يد مدرسين غربيين ، تحمل معها الآراء النصرانية" [١] . وتقول الصليبية آنا مليغان : " لقد استطعنا أن نجمع في صفوف كلية البنات في القاهرة بنات آباؤهن باشوات وبكوات ، ولا يوجد مكان آخر يمكن أن نجمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحي ، وبالتالي ليس هنالك من طريق أقرب إلى تقويض حصن الاسلام من هذه المدرسة" [٢].

لذلك كان من الواجب على الأسرة أن تتخير للفتاة المدرسة ذات التوجه الإسلامي في المنهج والأنظمة ، وتحذر كل الحذر من إلحاقها بالمدارس ذات التوجه الغربي مهما بلغت المغريات ، ولو أدى ذلك إلى منعها من الدراسة ، فالفساد العقدي والأخلاقي الذي تحتويه هذه المدارس ليس بالشيء اليسير. كما أن الواجب على الأسرة في حال التحاق الفتاة بالمدارس الإسلامية أن تحرص على التعرف على المستوى الديني والخلقي للوسط التعليمي داخل المدرسة ، فإذا كانت سمعة المدرسة سيئة ، أو شعرت بانتشار انحراف أخلاقي في الوسط المدرسي كوجود اختلاط بين الذكور الإناث ، وجب عليها أن تسارع بنقل الفتاة إلى مدرسة خير منها.

٣- الإعلام

الإعلام في العصر الحديث هو وسيلة اتصال جماهيرية وعالمية تصل بين الناس في مختلف البقاع على تنوع الأفكار وتحدثهم بألسنتهم . ويعرف الإعلام على أنه " تزويد الناس بالأخبار الصحيحة ، والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة ، التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات ، بحيث يعبر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم " [٣]. ويعرف أيضاً: " نشر الكلمة أو الخبر أو الرأي أو الفكر أو الصورة على عامة الناس " [٤].

وقد كثرت وسائل الإعلام في العصر الحديث وتنوعت ، وضاعف من فاعليتها وزاد في قوتها التقدم التقني والتكنولوجي ، فتنوعت وسائل الإعلام ما بين وسائل تعتمد على السمع فقط - كالإذاعة والمحاضرات- ، ووسائل تعتمد على القراءة والنظر -كالصحيفة والمجلة والصور الثابتة- ، ووسائل تجمع ما بين السمع والنظر -كالتلفاز والكمبيوتر والانترنت-. وتتمتع وسائل الإعلام بقدر كبير من التشويق والجذب ؛ نتيجة لتنوع مادتها ووسائلها ، لتتفق مع اختلاف الأذواق وتنوع الأعمار ، ففيها المواد العلمية والمواد الترفيهية والأخبار.

وأهمية وسائل الإعلام واضحة في مجال التربية ؛ فهي تقوم على مجموعة من الأهداف والقيم والمبادئ التي تسعى لتحقيقها ، وهي بالتالي إما أن تساعد على تثبيت قيم المجتمع الذي تخاطبه ودعمها ، وإما أن تعمل

١- شلبي، عبد الودود . حقائق .. وثائق .. دراسة ميدانية عن الحركات التنصيرية في العالم الإسلامي . مرجع سابق. ص٨٤-٨٥.

٢- المقدم ، محمد أحمد اسماعيل . العودة للحجاب . دار طيبة للنشر . الرياض . ١٤٢٠هـ . ٢/ ٢١.

٣- إمام ، إبراهيم . الإعلام والاتصال بالجماهير . ١٩٨١م. دون مطبعة . ص ١١.

٤- يكن ، منى حداد. أبناؤنا بين وسائل الإعلام وأخلاق الإسلام. مؤسسة الرسالة ، بيروت. لبنان . ١٤٠٢هـ. ص ١٥.

ضـــدها . ولكن الملاحظ أن هذه الوسائل قد استخدمت استخداماً سيئاً ، أثرت على قيم المجتمع ، وأدت إلى خلخلة أمنه ، وجعلت جلّ همها الربح المادي ، ولو على حساب القيم .كما يلاحظ على الإعلام في المجتمعات الإسـلامية أنــه يقلد النموذج الغربي في الإعلام ، بما فيه من غثاء ، بتمجيده لأفكاره المنحرفة ، ولهثه وراء الكسب المادي ، دون مراعاة لعقيدة مجتمعه الإسلامي ومبادئه ، فكان بذلك معول هدم لمجتمعه ، بدلاً من أن يكون قارب النجاة ، وسيفاً يحارب كل وافد ودخيل من الأفكار المنحرفة والمذاهب الهدامة .

وتؤكد عدة دراسات أن لوسائل الإعلام آثاراً سلبية عديدة ؛ فقد تسربت عن طريقها كثير من الظواهر الاجتماعــية السـيئة ، كالعنف ، والهروب من الواقع ، والاستغراق في الخيال والسلبية والتقليد الأعمى[١] . وكمـا أكـد كثير من العلماء والباحثين أن تعرض الأطفال لنماذج العدوانية في البرامج التلفزيونية ؛ يؤدي بالفعل إلى ازدياد السلوك العدواني لدى الأطفال[٢].

كمـا أن انتشـار الانحطاط الخلقي بين كثير من النساء المسلمات كان نتيجة لوسائل الإعلام الفاسدة ، حيـث إنها تقدم نساء كاسيات عاريات على أنهن الزمرة الصالحة ، والفئة الكريمة من السيدات ؛ ليكن قدوة للبـنات المؤمـنات . وساعدت هذه الوسائل بعض النساء اللاتي فقدن الأمانة ، ليوجهن أقلامهن عبر هذه الصحف متهجمات على مظاهر الحشمة والوقار ، والزي الشرعي ، والتربية الصالحة التي أثمرت هذه الحشمة . وأشـد مـن هذا ظهور المرأة في عالم الإعلام والإعلان معاً ؛ لتكون عنصراً مهيناً مهدور الكرامة ، وبصورة مبـتذلة لا تقبـلها إلا امـرأة غبية مغفلة . فهي تستخدم في الأدب الرخيص ، وفي الشعر الماجن ، والعمل المسرحي والسينمائي ، بصورة مثيرة تهتم بالجسد . كما تستخدم المرأة في الإعلان والدعاية عن البضائع على اختلاف أنواعها وشتى ألوانها ، حتى شفرة الحلاقة وإطارات السيارة[٣].

> " وفي هــذه الحالة لابد أن نعي أن الإعلام في هذا الوضع يشكل معوقاً وخطراً على القـيم ، ويكمـن هـذا التناقض الأساسي بين القائمين على الإعلام ، أو بعضهم وبين الأغلبية الساحقة في المجتمع صاحبة المصلحة الحقيقية في تنمية القيم الإسلامية الدافعة نحو الـتقدم والتغيير الهادف البناء تجاه أهداف الإسلام. وتزداد خطورة وأهمية وسائل الإعلام في مجـال تنمـية القيم، وذلك مع ما يمر به المجتمع العربي والإسلامي من ظروف التغير وسرعته ومن انفجار سكاني ومعرفي"[٤].

ومع اتجاه أكثر وسائل الإعلام في العالم الإسلامي إلى محاكاة الإعلام الغربي ، تظهر القليل جداً من وسائل الإعلام الإسلامية ؛ لتثبت الهوية الإسلامية ، وتعمل على نشر عقيدة الإسلام وقيمه ومبادئه ، وإن كان صوت هذه الوسائل ما زال ضعيفاً ، وعددها قليلاً بالنسبة لوسائل الإعلام التي تعمل على هدم قيم الإسلام ومبادئه ، إلا أنها وفرت للأسرة المسلمة ولأفرادها بديلاً إعلامياً قوياً يساعد الأسرة على تربية أبنائها على قيم الإسلام .

١- أبو العينين ،علي خليل مصطفى . القيم الإسلامية والتربية . مرجع سابق. ص١٧٩.

٢- مسن ، بول وآخرون . أسس سيكولوجية الطفولة والمراهقة. مرجع سابق . ص٤٢٩.

٣- يكن ، منى حداد. أبناؤنا بين وسائل الإعلام وأخلاق الإسلام. مرجع سابق. ص٣٥- ٤١.

٤- أبو العينين ،علي خليل مصطفى . القيم الإسلامية والتربية . مرجع سابق. ص ١٨٠.

مـــع هذا السيل الجارف من الانحطاط الخلقي الذي يبدو في أكثر وسائل الإعلام ، يظهر دور الأسرة في حماية الفتاة مما يؤثر على الأخلاقيات التي تعمل الأسرة على غرسها في نفسها . فموقف الآباء والأمهات من وسائل الإعلام المنحرفة يؤثر على موقف الفتاة منها ، فاحتقار الوالدين لبرنامج رديء ، أو مجلة سيئة ، ونقدها وإيضـــاح ما فيها من خبث ودمار أخلاقي ، ينتقل بواسطة التقليد والمحاكاة إلى الفتاة ، التي تحتقر بدورها هذا البرنامج وتلك المجلة [1] .

ويجـــب عـــلى الوالدين مراقبة وسائل الإعلام التي تتعرض لها الفتاة ، ومنعها من التعرض لوسائل الإعلام الفاســـدة ، خاصة الأفلام الساقطة ، والأغاني الماجنة ، والبرامج التي تشكك في قيم الإسلام وشريعته، فهذه الأمـــور تـــؤدي إلى تدمـــير مجهودات الأسرة في تربية الفتاة الخلقية. ويجب على الأسرة منع الفتاة من تقليد الفنانات والمغنيات والساقطات ، اللاتي تعرضهن وسائل الإعلام على أهن سيدات المجتمع . وعلى الأسرة أن تبين لها فسادهن وانحرافهن، وتذكرها بصفات المؤمنات الصالحات وأخلاقهن . إن توفير وسائل إعلام إسلامية العقـــيدة والمنهج ، من الأمور التي ينبغي أن تعتني بها الأسرة ، حيث إنها تمثل البديل المناسب لتلك الوسائل ، والذي يعبر عن قيم الإسلام ومبادئه ، ولتكون داعمة للقيم الأخلاقية التي تسعى الأسرة لغرسها في الفتاة ، بما تعرضه من قصص وبرامج تعلي قيم الإسلام وتحث على التزامها ، وبعرضها لنماذج بشرية إسلامية .

وخلاصة القول : إن هنالك عوامل داخلية وأخرى خارجية تؤثر على القيم الخلقية للفتاة بشكل مباشر ، فـــالعوامل الداخلـــية عديدة ولكن عامل النمو الخلقي يعتبر عاملاً أساسياً وقوياً في تربية الفتاة ، حيث تتأثر اســـتجابات الفتاة للأخلاق والتزامها بها بعامل النمو الخلقي . كما أن أساليب الأسرة المختارة للتربية الخلقية تتأثر بمراحل نمو الفتاة ، فبينما تكون الفتاة في مرحلة الطفولة تطبق كل الأوامر الأخلاقية الصادرة عن الأسرة، تـــنـــزع في مرحلة المراهقة إلى رفض تطبيق الأوامر الخلقية إلا بعد اقتناع بها وفهمها . أما العوامل الخارجية والمؤثـــرة على تربية الفتاة الخلقية فهي عديدة ، ولكن أقوى هذه العوامل أثراً على القيم الخلقية ثلاثة عوامل هـــي: جماعـــة القرينات اللاتي تتوحد معهن الفتاة ، وتتقيد بأنظمتهن ، وتحرص على رضاهن. والمدرسة من حيـــث المنهج المدرسي ، الذي يقدم مجموعة من المعلومات العلمية ، والتي قد تدعم قيم الفتاة الخلقية ، وقد تكـــون مناقضة لهذه القيم فتؤثر سلباً عليها . والوسط التعليمي بما فيه من معلمات وإداريات ، حيث تتقمص الفـــتاة شخصـــيات معـــلماتها وتتأثر بهن من حيث المظهر والأخلاق. ووسائل الإعلام على تنوع أشكالها وأساليبها، وما تقدمه من صور ومعلومات وشخصيات ، بطرق جذابة ومشوقة تؤثر بشكل قوي على مبادئ الفتاة وأفكارها وقيمها الخلقية . وفي ظل انتشار الإعلام الذي يتجه نحو الكسب المادي وهدم الأخلاق ينبغي على الأسرة أن تلاحظ خطورة وسائل الإعلام على قيم الفتاة الخلقية فتمنعها من التأثر بهذه الوسائل وتبين لها خطرها . إن إهمال الأسرة لهذه العوامل يؤدي إلى إخفاق مجهوداتها في تربية الفتاة الخلقية . كما قد يؤدي هذا الإهمال إلى هدم مجهودات الأسرة ونقض أخلاق الفتاة ، لذلك ينبغي على الأسرة أن تعتني بأمر هذه العوامل وتأخذها في حسابها.

١- يكن ، منى حداد. أبناؤنا بين وسائل الإعلام وأخلاق الإسلام. مرجع سابق. ص ٦٤.

المبحث الثاني :

الأسرة المسلمة ووظيفتها في تنشئة الفتاة على القيم الخلقية المستنبطة من قصص النساء في القرآن الكريم

يـدور الحديـث في هذا المبحث حول كيفية قيام الأسرة المسلمة بغرس القيم الخلقية المستنبطة من قصص النسـاء في القـرآن الكريم في نفس الفتاة . واعتمدت الباحثة في إيضاح هذه الوظيفة على أمرين ، الأول : بتعريف الأسرة بالأساليب التربوية الإسلامية ؛ لكي تستعين بها في تأصيل هذه القيم في نفس الفتاة . والثاني : بوضع برنامج عملي ، تسترشد به الأسرة إلى الطريقة الصحيحة لتنشئة الفتاة على هذه القيم . لذلك جاء هذا المبحث في مطلبين :

المطلب الأول : أساليب الأسرة المسلمة المعاصرة في التربية الخلقية للفتاة

المطلب الثاني : الآلية التنفيذية لتنشئة الأسرة الفتاة على القيم الخلقية المستنبطة من قصص النساء في القرآن.

المطلب الأول:

أساليب الأسرة المسلمة المعاصرة في التربية الخلقية للفتاة

ممـا يميـز التربية الإسلامية أنها في سبيل تحقيق أهدافها وعرض توجيهاتها ، لا تلتزم بأسلوب واحد ، وإنما تـنوع في الطـرق والأسـاليب ، بصـورة مرنة وتكاملية وشمولية ، ويبدو ذلك واضحاً في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، ويتحكم في اختيار كل أسلوب الأهداف التربوية المراد تحقيقها منه .

وفـائدة هـذا التنوع الكبير في الأساليب والوسائل التربوية الإسلامية ؛ أنه يمكّن المربي من تحقيق أهدافه الـتربوية بقـوة ومرونة ، فيختار من هذه الأساليب والوسائل ما يتناسب مع الحالة النفسية والمستوى العقلي للمتربي ، وهذا بدوره يسهل وصوله إلى أهدافه التربوية .

والأسـلوب الأساسي الذي تعتمده الدراسة ، في إكساب الأسرة الفتاة للقيم الخلقية ، هو أسلوب القصة القرآنية . إلا أن الدراسة ترى أن الأساليب التربوية الإسلامية تتكامل بينها ، بصورة يصعب الفصل بينها ، في عملية تربية الفتاة على القيم الخلقية الإسلامية ؛ لذلك يهدف هذا المطلب إلى عرض أساليب التربية الإسلامية، التي يمكن للأسرة أن تستعين بها في إكساب الفتاة للقيم الخلقية المستنبطة من قصص النساء في القرآن – إضافة إلى القصة – أي أنها ستدعم أسلوب القصة بأساليب تربوية إسلامية أخرى ، تسهم في قوة غرس القيم الخلقية السابقة في نفس الفتاة .

ولكـن نظـراً لكـثرة أساليب التربية الإسلامية ، وصعوبة تناولها جميعاً في هذه الدراسة ؛ فإن الباحثة قد اخـتارت منها ستة أساليب ، إضافة لأسلوب القصة ، والتي ترى أنها من أقوى الأساليب التربوية المؤثرة في إكساب الفتاة للقيم الخلقية الإسلامية . والأساليب التي سيكون مدار الحديث عليها في الدراسة هي : أسلوب القصـة ، وأسـلوب القدوة ، وأسلوب الموعظة والنصيحة ، وأسلوب الحوار والمناقشة ، وأسلوب الترغيب

والترهيب، وأسلوب الممارسة العملية ، وأخيراً أسلوب التربية بالأحداث . ويقتصر الحديث عن كل أسلوب من جهة إيضاح المقصود به وأهميته في التربية الإسلامية ، وكيفية تطبيق الأسرة لـه في التربية الخلقية للفتاة .

أولاً : أسلوب القصة :

تتميز التربية الإسلامية بتنوع أساليبها التربوية ، والتي تستخدمها لتحقيق أهدافها وبث توجيهاتها وقيمها ، وهذه الأساليب تتميز بجانب التنوع ، بقوة التأثير وشدة الجذب والتشويق ، والسبب الرئيسي لذلك اختلافها في الجوانب الإنسانية التي تخاطبها . ولكن يظهر من بين هذه الأساليب أسلوب القصة ؛ ليفضل على جميع أساليب التربية الإسلامية بجمعه لآثارها ، ومخاطبته لجميع الجوانب الإنسانية من وجدانية وعقلية وإدراكية ، وتحقيقه لمجموعة كبيرة من الأهداف ، وإيراده لكمٍّ هائل من القيم والتوجيهات الإسلامية ، ثم هو يقدمها بأسلوب جذاب مشوق لم يكتف بجذب الآذان والقلوب إليه ، وإنما جعل الناس يبحثون عنه ، ويطلبونه حثيثاً.

ويقصد بالتربية بالقصة : ذكر المربي للمتربي أخبار ماضية وأحداث سابقة ؛ لتوضيح فكرة ما وغرس قيم معينة في نفسه، ويكون ذلك بأسلوب مشوق مؤثر في الوجدان.

وأهمية استخدام هذا الأسلوب في التربية ، يظهر في أنه يجمع بين مميزات الأساليب الأخرى ، ففيه تبرز القدوة الحسنة والدعوة للتمثل بها ، والتحذير من محاكاة الأفعال السيئة الصادرة من بعض شخصيات القصة . كما يظهر في القصة الترغيب في الالتزام بقيم الإسلام ومبادئه ، والترهيب من الوقوع في الآثام والشرور ، وبيان عاقبة من اجترأ عليها ، كما أن القصة تقدم المواعظ والنصائح بأسلوب تربوي راقٍ وجذاب ومقتصد العبارة . "وتبرز أهمية القصة في التأثير النفسي العميق ، الذي تتركه في ذهن المستمع أو القارئ ، وتتجاوز ذلك إلى التأثير في سلوكه ، وأفكاره"[(١)] . وأهم أمر يظهر في القصة ، بروز الممارسة العملية ، والجانب التطبيقي لقيم الإسلام ومبادئه ، فيتعلم المستمع والمتربي من هذه القصص الطريقة العملية لمواجهة الأحداث والمواقف ، والسلوكيات التي يلتزمها عند مواجهة المشكلات .

> "إن القصة في المصادر الأصلية تهدف إلى إيجاد عواطف متجاوبة مع تعاليم الإسلام وقيمه وأخلاقه ، وذلك مما يدعو إلى الالتزام بهذه القيم ، والأمثلة كثيرة متنوعة ، فالقصص القرآني والنبوي زاخر وغني بالقيم الإسلامية ، ونجد فيها توظيفاً جيداً لإمكانيات القصة في سبيل تحقيق هذا الغرض ، وهو تنمية القيم الإسلامية إلى جانب الأغراض الأخرى"[(٢)].

واستثمار الأسرة لأسلوب القصة في إكساب الفتاة للقيم الخلقية الإسلامية يعد أمراً مهماً للغاية ، وسبب ذلك ؛ أن هذا الأسلوب بجانب سهولة استخدامه من قبل الأسرة، فيه تحريك المشاعر والعواطف وإيقاظ العقل وجذب للفتاة نحو القيم الخلقية، مع قدرته الفريدة في إيراد مجموعة كبيرة من المبادئ والتوجيهات الخلقية ، النظرية والعملية ؛ لذا ينبغي على الأسرة أن تستثمر هذا الأسلوب في تربية الفتاة الخلقية، باختيار القصص ذات

١- الحازمي ، خالد حامد . أصول التربية الإسلامية . دار عالم الكتب الرياض . السعودية . ١٤٢١هـ . ص٣٨٧.

٢- أبو العينين ، علي خليل . القيم الاسلامية والتربية . مرجع سابق. ص١٤٣.

المغـــزى التربوي الحسن ، والحرص على متابعة اختيار الفتاة للقصص ، ومنعها من القصص الخبيثة خاصة مع انتشـــارها وتيسر سبل الوصول إليها، وعلى الأسرة منع الفتاة من مشاهدة ما يعرض في التلفاز والإذاعة من مسلسلات وأفلام ذات أغراض خبيثة ، والتي تسعى لهدم أخلاقيات الجيل ، باستخدام أسلوب القصة .

وأســـلوب القصـــة بشكل عام ، يؤثر على التربية الخلقية للفتاة ، فتؤثر القصة في وجدان الفتاة وانفعالاتها بشـــكل قـــوي وسريع ومباشر، وتقدم القصص للفتاة واقعاً تطبيقياً للقيم الخلقية المراد غرسها فيها ، مع بيان أهميتها وفائدتها بصورة عملية ، مما يحفز الفتاة على الالتزام بها، ومحاكاة وتقليد من يتصف بها. والفتاة في سن المـــراهقة تميـــل إلى البحـــث عن المثل العليا وتقليدها ، لذلك كان من مميزات القصص أنها توفر للفتاة قدوة ونموذجاً لمثل عليا ، تستطيع أن تحاكيها الفتاة وتترسم خطاها .

وعـــلى الأسرة أن تكون حذرة في انتقاء القصة المختارة لغرس القيم الخلقية ، فبعض القصص وإن كانت تدعم قيماً إلا أنها في نفس الوقت تهدم قيماً أخرى ، فيصبح المتربي في حالة شك وتأرجح بين القيم ، ولنأخذ مـــثلاً على ذلك ، ما يحصل في القصص البوليسية ، فالمجرم الذي خالف قواعد السلوك الخلقي الاجتماعي ، تؤكـــد القصـــة في النهاية أنه سيحاسب على سلوكياته ، ويندم عليها ، بينما الشخص الأمين المتبع للقواعد والقـــيم الأخلاقية ، هو الرابح على كل حال ، ولكن القيم التي يتعلمها الطفل بشكل ملحوظ هي قيم العنف والعدوان وطرق الإجرام والتخفي بالجريمة – كما أثبت ذلك كثير من الدراسات العلمية – . وكذلك الحال في بعض القصص الأدبية ، والتي تورد كثيراً من القيم الخلقية الصحيحة ؛ ولكنها تأتي وتهدم هذه القيم بإصرار الكـــثير منها على إدخال جانب الحب والغرام في أحداث القصة ، ولو لم يكن له مكان ، فيتعلم منها الطفل نزع جلباب الحياء والعفة ، قبل أن يتعلم أي خلق آخر .

ثانياً : أسلوب القدوة .

من أقوى ما يميز الأساليب التربوية الإسلامية أنها مستوحاة من واقع الإنسان البشري ، فليست هي أساليب مثالية تصور القيم والمبادئ في بروج عاجية ، يستحيل الوصول إليها . ويظهر ذلك جلياً في تأكيدها دائماً على أســـلوب بـــناء قدوات بشرية ، ينظر إليها الإنسان ؛ فيدرك أن تلك المبادئ والقيم هي أمر واقعي ، وليست مثاليات بعيدة في السماء.

ويقصـــد بالقدوة في التربية الإسلامية: " مثال الكمال النسبي المنشود ، يثير في النفس الإعجاب ، فتنجذب إليه انجذاباً شديداً ، وتتأثر به تأثراً عميقاً ، يرسخ فيها القناعة التامة به ، والحب الكامل له"[1].

والقـــدوة الأسلوب التربوي الذي أكد نجاحه على مر العصور ، وسرعة تأثيره ، وتجاوز هذا التأثير حدود الـــزمان والمكان . والسبب في ذلك ؛ أن القدوة تمثل للإنسان المبادئ والأخلاق التي يؤمن بها ويعتنقها مطبقة وسائرة على أرض الواقع . وقد كانت في ذهنه من قبل أموراً نظرية لا صلة لها بالواقع والحقائق . فهي تثبت للإنسان أن هذه الأفكار والنظريات يمكن العمل بها ، وباستطاعته تحويلها إلى سلوكي عملي ، يعمل بموجبها في الـــرقي نحو المثل العليا والفضائل ومكارم الأخلاق . كما تدعم بغضه للرذائل والانحرافات ، وتجعله أكثر

١- الحدري ، خليل عبد الله . التربية الوقائية في الاسلام . مطابع جامعة أم القرى . ١٤١٨هـ. ص ٢٠٠.

دافعية نحو اجتنابها والمجاهدة في ذلك ، كذلك فإن " مستويات الفهم للكلام عند الناس تتفاوت ، ولكن الجميع يستوون أمام الرؤية بالعين المجردة ، وذلك أيسر في إيصال المفاهيم"[1]. ومن جانب آخر فإن كثيراً من الشخصيات تتردد وتجبن أن تقدم على فعل معين ، فإذا رأت القدوات وقد أقدمت عليه وعملت فيه ، تحفزت واندفعت ؛ بمبدأ حب تقليد الأقوى والأعلى .

> " وتؤكد التربية الإسلامية على أهمية أسلوب القدوة الصالحة في تنشئة الأجيال الإسلامية التنشئة التربوية السليمة ، فكان الرسول محمد عليه الصلاة والسلام بكمال الخُلُق والشخصية وشمول عظمته ، الصورة الكاملة للمنهج الإسلامي في التربية ، لكل أتباعه الذين عاصروه أو الذين يأتون من بعده وللبشرية في كل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها" [2] .

وتنقسم القدوة إلى قسمين : قدوة في الخير ، وهي القدوة الصالحة والأسوة الحسنة ، وخير من يمثلها نبينا محمد ﷺ ، وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ثم الصحابة ومن اقتفى أثرهم . والقسم الثاني : القدوة السيئة ، وهي الأسوة السيئة الفاسدة ، التي تتمثل في أهل السوء والباطل ، من أهل البدع والانحرافات العقدية والأخلاقية[3].

فالقدوة الحسنة تعني : تمثل المربي وممارسته للتوجيهات والمبادئ التي يدعو إليها . فالمربي الذي يشحذ ذهن المتربي بمجموعة من المبادئ والتوجيهات ، ويدعمها بمختلف الأساليب التربوية ، حتى يحمل المتربي على العمل بها ، تظل عين المتربي ترمق عمله بهذه التوجيهات ، فإن طابق قول المربي عمله ؛ فسوف يكتسب محبة وتقدير المتربي ، وتتكون لديه همة للاقتداء بهذا المربي الفاضل . " وحين تفقد القدوة فيردد المربي ما لا يفعل ، لا تصل توجيهاته إلى القلب ولا تستجيب له الأفهام ، لأنه بذلك قد أفقد الثقة في نفسه حين يتخلى عن مبادئه التي يدعو إليها ، إذ لو كانت حقاً – في نظر الآخرين – لكان أول السابقين إليها والمنفذين لها"[4] .

والواجب على الأسرة عدم إغفال جانب القدوة في التربية الخلقية للفتاة ، فالتزام الوالدين بهذه القيم الخلقية واجب شرعي . فمهما ألقت الأسرة دروساً علمية ، ومهما استخدمت من أساليب تربوية ؛ لإقناع الفتاة وحملها على التمسك بالأخلاق ، فلن تستجيب الفتاة بشكل قوي ما لم تر ذلك واقعاً تطبيقياً في حياة الأسرة، " إن الولد الذي يرى والده يكذب .. لا يمكن أن يتعلم الصدق ! والولد الذي يرى أمه تغش أباه أو أخاه أو تغشه هو نفسه .. لا يمكن أن يتعلم الأمانة ! والولد الذي يرى أمه مستهترة لا يمكن أن يتعلم الفضيلة. والولد الذي يقسو عليه أبوه لا يمكن أن يتعلم الرحمة والتعاون" [5].

ورؤية الفتاة للقدوة وهي تتمثل هذه الأخلاق ؛ يمكّنها من إدراك إمكانية تطبيق هذه الأخلاق ، فهي تعطي للفتاة نموذجاً واقعياً عملياً ، يؤكد لها إمكانية التحلي بمكارم الأخلاق وفضائلها ، وأثر هذه الأخلاق

١- القحطاني ، سعيد علي . مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة . مرجع سابق. ص ٣٢٣.

٢- الجقندي، عبد السلام عبد الله . التربية المتكاملة للطفل المسلم في البيت والمدرسة . دار قتيبة . دمشق . ١٤٢٤هـ . ص٩٤.

٣- الحازمي ، خالد حامد . أصول التربية الإسلامية . مرجع سابق. ص٣٧٧- ٣٧٨.

٤- الحدري ، خليل عبد الله . التربية الوقائية في الاسلام . مرجع سابق . ص ٢٢٦.

٥- قطب ، محمد . منهج التربية الإسلامية . مرجع سابق. ١ /١٨٦.

على صاحبها . كما أن رؤية الفتاة من حولها يمارسون هذه القيم ، وتقليدها لهم ، يسهل عليها اكتساب الأخلاق بصورة عملية . فتتعرف بشكل تطبيقي على مفهوم الخلق وحدوده ، وكيفية التمثل به. كما يمكّنها من استشعار الفائدة العملية لهذا الخلق .

وأهمية استخدام أسلوب القدوة في تربية الفتاة على القيم الخلقية ، تظهر في أن الفتاة في هذا السن –مرحلتي الطفولة والمراهقة – تميل لتقليد كل ما تراه جميلاً أو ترى الناس يعظمونه ، وتتأثر أخلاقها بالمحيطين بها من الوالدين والصديقات والمعلمات ، ويلحظ عليها التقلب في الأخلاقيات التي تتقمصها ، وتباين انفعالاتها ؛ نتيجة تقليدها للشخصيات المحيطة بها .

ويجب على الأسرة إبعاد الفتاة عن الشخصيات التي تؤثر على أخلاقياتها، حتى لا تتخذهم قدوات فتقلدهم في فعالهم ، فتمنع الأسرة الفتاة من رؤية أهل الفسق والمجون ، من الفنانين والفنانات والراقصات والمغنين والمغنيات ، وكذلك منعها من صحبة الفتيات اللاتي ظهر عليهن التحرر الخلقي، حتى لا يؤثرن على أخلاقها وقد تعلم ذلك الأسرة من خلال سيرة هؤلاء الفتيات ولباسهن .

وعلى الأسرة أن تراعي في أسلوب القدوة مقدار فهم وإدراك الفتاة للسلوكيات الصادرة من القدوة ، فأحياناً يصدر موقف من القدوة يكون من وجهة نظره صحيحاً ويتفق مع القيم الخلقية الإيجابية ، ويستلزمه الموقف ، بينما تنظر الفتاة إليه أنه مخالف لما تعلمته عن القيم الخلقية الإيجابية ؛ وهذا سيؤثر على قوة تمسك الفتاة بهذه القيم ؛ نظراً لعدم إدراكها لسبب صدوره من القدوة وما الداعي له . ومن أمثلة ذلك ، أن ترى الفتاة الأم تكذب على جارتها ؛ لتصلح ذات بينها وبين امرأة أخرى . وكأن يمنع الفتاة زوجها من زيارة أو استضافة امرأة معينة ؛ لسوء سلوكها. وكأن يبغض الأب شخصاً معيناً ويرفض مساعدته لسوء أخلاقه ؛ فهنا يجب على الأسرة أن توضح للفتاة هذا الأمر ، وتبين لها الحالات التي قد تظهر أنها مخالفة للقيم ، وهي في الحقيقة متفقة مع القواعد والحدود التي رسمها الدين الإسلامي للقيم الخلقية الإيجابية.

ثالثاً : أسلوب الوعظ والنصح :

أسلوب الموعظة والنصيحة من الأساليب التربوية الإسلامية الأصيلة ، والمقصود به " القول السديد الذي يرقق القلوب ويحفزها لطاعة الله تعالى"[1]. ويقوم على توجيه المتربي نحو الهدى والصلاح وإرشاده إلى طرق الخير، بأسلوب حسن مرغب مشوق موجه نحو المعالي ، وإظهار أوجه النفع والخير في هذا الأمر ، وإبراز أوجه الضرر والسوء في ترك هذا الأمر ، مع إشعار المخاطب بحرص الناصح ورغبته في نفعه وحرصه على مصلحته .

> "وهو من الأساليب المعروفة في التربية الإسلامية وله تأثير حسن في النفوس ، لأنه يتطرق إلى النفس الإنسانية من مداخلها الحقيقية ، ويجعل الناصح في نظر المنصوح شخصاً طيب النوايا حريصاً على المصلحة ، ومن هنا يكون لكلامه قبول حسن ، ويكون هذا الأسلوب

١- الحازمي ، خالد حامد . أصول التربية الإسلامية . مرجع سابق. ص٣٩٦.

فعـــالا وتؤتي ثماره عندما يكون النصح صادراً من القلب ، لأن ما يصدر من القلب يصل إلى القلب"[1] .

وعلى المربي عند استخدام هذا الأسلوب ، أن يراعي الحكمة في الموعظة ، فقد أمر الله عز وجل بالحكمة في الموعظة ، قال تعالى ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]. ويكون ذلك في الألفاظ المختارة ، فيحدث المنصوح بما يناسب مستواه العمري والعقلي ومكانته الاجتماعية . وأيضاً أن يتخير الوقت المناسب للموعظة والنصيحة ، سواء في حالة المنصوح النفسية ، فيتجنب تذكير المنصوح بالأمور المحزنة في وقت السرور والفرح المباح ، وكذلك عندما يكون غاضباً ، وكذلك يتخير الزمن المناسب ولا يؤخر النصيحة عن وقت الحاجة ، كأن ينصحه إذا رآه مقبلاً على معصية أو واقعاً فيها ، وكأن ينصحه عندما يجد في قلبه رقة وقبولاً للنصيحة . وأن يتجنب إقحام الموعظة في كل وقت ، والإكثار منها على المتربي ، حتى لا يؤدي ذلك إلى سأمه وملله .وعلى المربي أن يتجنب في موعظته صيغة الأوامر والنواهي والزجر الشديد ، ما أمكنه . وأن يستخدم أسلوباً رقيقاً اقناعياً ، يشعر المنصوح باهتمام الناصح به ، وحرصه على نفعه ، وإبعاده عن الشر . وإن استطاع المربي أن يستخدم أسلوباً غير مباشر في النصح والموعظة فهو أولى .كأن يستخدم أسلوب القصة ، وضرب المثل ، وذكر الثواب لبعض الأعمال الصالحة ، والعقاب المترتب على الأعمال السيئة ، ويدخل معها الموعظة والنصيحة .

وأســلوب الوعــظ والنصح من الأساليب التي يجب أن تعتمد عليها الأسرة في عملية إكساب الفتاة للقيم الخلقــية ؛ لأنــه يبصرها بمكانة القيم الخلقية و إيجابياتها ومنافعها ، وسلبياتها ومضارها ، مما يسهم في تكوين حصانة علمية وقناعة فكرية لتمسك الفتاة بالقيم الخلقية الإسلامية ، عن طريق إثارة عواطف ومشاعر الفتاة ، واســتثمارها في توجيهها نحو الالتزام بمكارم الأخلاق ، والابتعاد عن رذائلها ، مع سهولة استخدامه بشكل مستمر من قبل الأسرة في غرس القيم الخلقية في الفتاة ، وتدعيمها وتذكيرها بها إذا غفلت عنها ، ويؤدي ذلك إلى محافظــتها على هذه القيم الخلقية .كما أن في هذا الأسلوب إشعاراً للفتاة بمحبة الآخرين لها ، وحرصهم على نفعها ، والأخذ بيدها نحو الخير والصلاح . وهذا الأسلوب يناسب الفتاة في مرحلة الطفولة ، حيث إنها تمــيل إلى الطاعة وتقبل ما يقوله الوالدان دون مجادلة أو مناقشة . أما الفتاة في مرحلة المراهقة فتحتاج إلى أن تجمع الأسرة معه أسلوب الحوار والمناقشة.

وعــلى الأسرة أن تراعي عند استخدام هذا الأسلوب المستوى العمري والعقلي للفتاة ، فتنتقي من الألفاظ والصــياغات للفتاة في مرحلة الطفولة ما هو أقل منه في مرحلة المراهقة . وتجعلها بأسلوب حسن مؤثر ، مبني على الحجة والبرهان ، وبعيد عن الألفاظ السيئة الجارحة ، مهما كان خطأ الفتاة ، ولا يكون بأسلوب يحقر مــن عقــل الفتاة ورأيها . وأن لا تكثر الأسرة من الموعظة على الفتاة حتى تملها وتكره التوجيه والإرشاد ، وتتخير الوقت المناسب والملائم للموعظة والنصيحة ، ولا تأخر النصيحة عن وقت الحاجة.

١- مرسي، محمد منير . التربية الاسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية . دار المعارف . ١٩٨٦م. ص ١٢٣- ١٢٤ .

وعلى الأسرة أن تراعي مسألة التنويع في وسائل الوعظ والنصح والتوجيه نحو القيم الخلقية ، فيقوم أحياناً أحد أفراد الأسرة بإلقاء محاضرة عن قيمة معينة ، يوضح فيها المراد بالقيمة وأهميتها وأنواعها ومكانتها في الدين الإسلامي. وتستعين في هذا الأسلوب أحياناً بالدروس والمحاضرات التي تحث الناشئة على الالتزام بقيم الإسلام الخلقية ، وذلك بتمكين الفتاة من حضورها أو بالاستماع لأشرطة التسجيل الخاصة بها. وعلى الأسرة أن تحرص على تكوين مكتبة سمعية وبصرية ، تتضمن مجموعة من الأشرطة والتسجيلات والكتب والمجلات ، التي تحث الفتاة على التمسك بالقيم الخلقية الإسلامية.

وعلى الأسرة أن تستصحب أسلوب الموعظة والنصيحة ، في جميع فترات تربية الفتاة على القيم الخلقية، فقبل أن تعمل الفتاة بالقيمة الخلقية ينبغي على الأسرة أن تكوِّن لديها تصوراً مبسطاً قوياً عن مفهوم القيمة وأهميتها ومجالاتها وأنواعها . ومن أمثلة ذلك ، إذا أرادت أن تغرس في نفس الفتاة قيمة الحياء، فعليها أن تبين لها فضل الحياء ومكانته الدينية ، وتذكرها بالأحاديث النبوية التي تحث على الحياء وتأمر به ، وأهميته في الحياة، وما أصاب المجتمعات في العصر الحديث عندما تركوا الحياء ، وتخلقوا بالجرأة على القبائح والفخر بالنقائص ؛ فانتشرت نتيجة لذلك الفواحش والمنكرات .

وإذا ما أقبلت على عمل واحتاجت لقيمة معينة فعلى الأسرة أن تقوي جانب عملها بالقيمة الخلقية الإيجابية، وتدعمها بالموعظة والإرشاد وحسن التوجيه لكيفية تطبيق هذه القيمة فيما هي مقبلة عليه من عمل، ومن أمثلة ذلك أن توجه الفتاة المقبلة على الزواج إلى طاعة الزوج والقيام بحقوقه .

وفي أثناء ظهور القيمة أيضاً ينبغي على الأسرة أن تحرص على ملاحظة تمثل الفتاة للقيمة الخلقية الإيجابية وممارستها لها في المواقف المختلفة ، وعليها أن تدعمها بالتوجيه المباشر والإرشاد والنصح ، ومن ذلك إذا أظهرت الفتاة تعاوناً مع أختها في القيام بأعمال المترل بدلاً من الخادمة المريضة ، فهنا أظهرت قيمة التعاون والرحمة بالآخرين ، فعلى الأسرة أن تدعم موقف الفتاتين ، وتذكرهما بفضل التعاون ورحمة الضعيف ، وعلى الأم أن تعينهما بالمساعدة وحسن التوجيه للقيام بهذه الأعمال .

وقد يكون الوعظ والنصح بعد ظهور القيمة الخلقية ، حيث يبين للفتاة إذا أتت بالقيمة بصورة إيجابية ما حازته من الأجر والثواب في الدنيا والآخرة ، بفضل هذه القيمة ، كتمثلها بقيمة الصبر على البلاء عند وفاة أحد أفراد الأسرة .

رابعاً : أسلوب الحوار والمناقشة :

و يقصد بالحوار: "تعليم الناشئ عن طريق التجاوب معه ، بعد تحضير الأسئلة تحضيراً يجعل كلّ سؤال يُبنَى على الجواب المأخوذ من المتعلم ، على نحو يجعل المتعلم يشعر في نفسه بأن النتائج التي توصّل إليها ليست جديدة عليه "(١) .

أسلوب الحوار والمناقشة من الأساليب الإسلامية ، التي تسهم في تحقيق أهداف التربية الإسلامية ، ففيها إثارة للقلب والعواطف ، وتوجيهها نحو الخير بصورة اقناعية ، كما أنها تساعد في غرس القيم الخلقية في

١- النحلاوي ، عبد الرحمن . من أساليب التربية الإسلامية التربية بالحوار . دار الفكر المعاصر، بيروت . دار الفكر بدمشق . ١٤٢٣هـ . ص١٣.

النفس، فعملية تبادل الحديث بين المربي والمتربي ، بصيغة سؤال وجواب ، تفيد المتربي في إزالة ما يحصل لديه من لبس وإشكال في فهم بعض الأخلاق ، وتساعده على إيجاد إجابة لما يدور في خلده من أسئلة واستفسارات ، وهذا بدوره يساعد المتربي على إدراك الموضوع وفهمه من جميع جوانبه ، وكل هذا يؤدي إلى قوة تمسك المتربي بالقيم والمبادئ الإسلامية ، لأن عمله بها مبني على اقتناع فكري وعاطفي ، وفهم وإدراك لفائدتها وأهميتها .

وأهمية استخدام هذا الأسلوب في التربية تظهر في الفوائد التي يجنيها المتربي منها ، فهو يساعد المتربي على معرفة علة الأمور وأسبابها، كأن يعرف سبب رغبة الكبار في قيمة معينة دون أخرى ، وهذا الأسلوب يزيد من رسوخ العلم وثبات المعلومات التي اكتسبها المتربي ؛ لأنه شارك في اكتشافها والتثبت من قيمتها العملية . وفيه "تشويق للذهن وتقريب للمعاني ، وتشجيع للمتعلم على المبادءة ، وإثارة المنافسة البناءة بين المتعلمين ، وتفجير طاقاتهم الحيوية ، وتثبيت التعلم في قلوبهم لأنهم شاركوا فيه"[1].

كما أن هذا الأسلوب يمكن المتعلم من التمييز بين الحق والباطل ، والصواب والخطأ ، بالحجة والبرهان العقلي والعلمي ، لا بالتقليد الأعمى . كما أنه يساعد على نمو شخصية المتربي ، وزرع الثقة في نفسه ، نتيجة تمكين الآخرين له من إبداء رأيه والمناقشة فيما يعرض عليه من أفكار . ومن فوائد استخدام هذا الأسلوب "إيقاظ العواطف والانفعالات مما يساعد على تربيتها وتوجيهها نحو المثل الأعلى ، كما يساعد على تأصيل الفكرة في النفس وتعمقها " [2].

ينبغي على الأسرة أن تحرص على استخدام أسلوب الحوار والمناقشة في غرس القيم الخلقية في الفتاة ، لما في هذا الأسلوب من إثارة للعقل والوجدان ، وبخاصة في سن المراهقة . فهي لا تقبل القواعد والمفاهيم الأخلاقية بدون مناقشة واقتناع بها ، كما في مرحلة الطفولة . فتمكين الأسرة الفتاة وحثها على السؤال والاستفسار عما يدور في ذهنها عن هذه القيم وكيفية تطبيقها ، يسهم في رسوخ القيمة الخلقية ، وقوة تمسكها بها ؛ لأنها ناتجة عن اقتناع فكري وعاطفي بأهميتها وكيفية أدائها وتمثلها. كما يساعد أسلوب الحوار الأسرة في مواجهة المشكلات الأخلاقية التي تواجه الفتاة ، عن طريق التعرف على سبب وقوعها فيها ، ومناقشتها في ذلك ، ومن ثم حل هذه المشكلة ، وتبصير الفتاة بالحق ، ومساعدتها في تجاوز وترك الأخطاء الخلقية .

> " والحوار بين الأبوين والأبناء مفيد ، فعن طريقه يمكن إصلاح الأبناء وتهذيب سلوكهم ، وتعويدهم على الجرأة ومواجهة الحياة ، كما أن الحوار مع الأبناء يساهم بشكل كبير في حل مشكلاتهم وفهمها ، ومن فوائد الحوار بين الأبوين والأبناء أنه يمكن تعليم ما ينفعهم في الدنيا والآخرة"[3].

وقد تنطلق الأسئلة والمحاورة من الأسرة نحو الفتاة ، فهنا لابد من وجود تحضير مسبق من قبل الأسرة لهذه المحاورة ومنهجها وما سيدور فيها ، حتى تحقق الهدف المراد منها . ومن الضروري أن تراعي الأسرة مستوى

١- طه ، تيسير وآخرون . أساليب التربية الإسلامية . دار الفكر للنشر والتوزيع . عمان الأردن. ١٩٩٢م . ص ٤٧.

٢- النحلاوي ،عبدالرحمن . أصول التربية الاسلامية واساليبها . مرجع سابق. ص ٢٠٦.

٣- المغامسي ، خالد محمد . الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية . رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة أم القرى كلية التربية قسم التربية الإسلامية والمقارنة . ١٤٢٢هـ. ص ٢١.

نضج وإدراك الفتاة ، وأن تبدأ بالبسيط الواضح المقنع ، ثم تتدرج في المحاورة والمناقشة إلى أن تصل إلى غايتها[1]. وقد تنطلق المحاورة من قبل الفتاة ، بأن تسأل عن أمور لكشف غموضها ، فهنا ينبغي على الأسرة أن تحسن التعامل مع هذه الأسئلة ، ولا تقابلها بالإهمال ولا التحقير ولا الغضب ؛ لأن هذا سيؤدي إلى امتناع الفتاة عن عرض أي أسئلة واستفسارات تشغل ذهنها ، فتكون ضعيفة التمسك بالقيم لعدم اقتناعها بها .

وعملية بناء الحوار والمناقشة من الأمور التي ينبغي على الأسرة أن توليها عناية فائقة ، حيث إن طريقة توجيه أسئلة الحوار وإدارته ، والتنقل بين أجزائه ، وإيراد الشبه ، وإيضاح الحجج والبراهين ؛ تحتاج إلى مهارة عالية ، حتى يتمكن المحاور من الوصول إلى هدفه وغايته من الحوار . مع مراعاة وضوح وفهم الفتاة للألفاظ المستخدمة في الحوار. وعلى الأسرة أن تراعي في الحوار عدم استهجان أي سؤال أو إجابة ترد من الفتاة ؛ لأن هذا يؤدي إلى امتناع الفتاة عن المشاركة في الحوار أو عرض أسئلتها واستفساراتها على الأسرة.

كما أن المستوى العمري والعقلي للفتاة ، لابد من أن يؤخذ في الاعتبار عند إدارة أسئلة الحوار ، فبينما يكون هذا الأسلوب قوياً ومؤثراً في مرحلة المراهقة نظراً للنضج العقلي والانفعالي للمراهق ، يكون في مرحلة الطفولة أقل تأثيراً لأن الطفل يميل إلى تقليد الكبار ، وتقبل توجيهاتهم ، دون مناقشة، فلا يطلب من الفتاة في مرحلة الطفولة الإجابة على سؤال مثل : لماذا حرم الإسلام الكذب ثم يجيزه في بعض المواطن ؟. فمثل هذا السؤال فوق المستوى العقلي للفتاة ، ويؤثر على اكتساب الفتاة لقيمة الصدق .

خامساً : أسلوب الممارسة العملية :

مما تتميز به التربية الإسلامية أنها تربية متكاملة وشاملة ، فهي لا تقتصر على النواحي النظرية ، وإنما تقرنها وتربطها بقوة بالجوانب العملية التطبيقية . ويعتبر أسلوب الممارسة العملية من أهم الأساليب التربوية الذي يدعم تربية الناشئة على تطبيق ما تعلموه . ويقصد بالتربية بالممارسة والعمل : أن يتم تعليم المتربي لمبدأ أو قيمة تربوية عن طريق ممارسته لها مع ملاحظة وتوجيه المربي .

وتظهر أهمية هذا الأسلوب التربوي في أن معرفة المتربي للقيم والمبادئ الإسلامية ليس المقصود منه المعرفة النظرية فحسب ، بل المقصود الأول هو ممارستها وتطبيقها بصورة عملية . فحقيقة التربية بالعمل هي "ربط العلم النظري بالواقع العملي ، ورؤية العلم على أرض الواقع ، فإذا تمكن الطفل من تطبيق ما تعلمه التطبيق الصحيح فقد تحقق له إتقان العمل" [٢].

التعلم بالعمل أو الطريقة الفعالة في التربية هي آخر ما دعت إليه التربية الحديثة ، فتكوين أخلاق الإنسان وروحياته ، وبناء علاقاته الاجتماعية ، لا يقوم بالوعظ وحده ، ولا بالحفظ وحده ، بل يحتاج إلى أفعال يمارسها الإنسان ؛ لتتكون أخلاقه عملياً ، وليبني علاقاته مع بني الإنسان بالواقع [٣].

١- الخطيب ، محمد شحات وآخرون . أصول التربية الإسلامية . دار الخريجي للنشر والتوزيع . الرياض. ١٤١٥هـ. ص١٢٢

٢- الزبيدي ، أحمد علي محمد . التربية بالعمل وأهميتها في تنشئة الطفل المسلم . رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة أم القرى كلية التربية قسم التربية الإسلامية والمقارنة . ١٤٢٢هـ. ص ٤٥.

٣- الجمالي ، محمد فاضل الجمالي . نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي . مرجع سابق . ص١٠٤.

وتظهـــر فوائد استخدام هذا الأسلوب في التربية الإسلامية ، في أنه يساعد على رسوخ المعلومات والقيم والمبادئ التي تعلمها المتربي وغرسها في نفسه ، فهو يزيد من ثبات المعلومة والقيمة في ذهن المتربي ، مع تفادي تعرضها للنسيان ، كما يستفاد من هذا الأسلوب في إتقان المتربي للعمل والقيمة التي تعلمها .

وفي هـــذا الأسلوب تحول الأفكار والمبادئ والقيم إلى عادة مستحكمة في نفس المتربي ؛ فيعتاد المتربي فعل الخـــير وحب العمل ، ونبذ الكسل والتواكل ، وهي نتيجة طبيعية للممارسة العملية لما تعلم المتربي من المبادئ والقيم ، ومتى أصبحت هذه القيم والمبادئ عادة ، صعب على المتربي تركها ، وعجزت النفس عن فراقها.

والتربية بالممارسة والعمل تزرع الثقة بالنفس في المتربي ، فالإنسان مجبول على الخوف من الإقدام على أمر لم يفعله من قبل ، فالتصور العلمي والمعرفي لهذا الأمر لا يكفي لثبات الإنسان وثقته عند الأداء لهذا العمل، فإذا مارس الإنسان هذا الأمر ، ولو لمرة واحدة زال عنه جزء كبير من الخوف ، فإذا تكررت ممارسته لـــه وتدرب عليه ، زال عنه الخوف ، وأقبل على العمل بقوة نفسية وثقة في الذات ، لم تكن موجودة فيه من قبل.

ومن فوائد هذا الأسلوب " تعود الدقة وتوخي صحة النتائج ، فكل متعلم يمارس العمل أمام معلمه أو كل معلم يمارس العمل ثم يتابعه المتعلم ، ثم يناظره المعلم ويصحح له أخطاءه كما صحح رسول الله لفظ دعاء النوم للبراء بن عازب وكما صحح صلاة المسيء صلاته"[1].

لذلـــك ينـــبغي على المربي "الاهتمام بتوفير مواقف ممارسة هذه القيم ، وهي مواقف عملية لأنه لا يكفي المعلومات ولا الوعظ والتلقين وإنما لابد من النشاط الواقعي والمواقف الحية"[2].

والواجـــب عـــلى الأســـرة أن تجعل ممارسة الفتاة للقيمة الخلقية أكبر اهتمامها ، ومحط جهدها ، فالهدف الأساســـي من التربية النظرية و الأساليب التربوية الأخرى ، هو تحويل هذه الدروس النظرية إلى واقع تمارسه الفتاة. فالأخلاق تتكون ولا تلقن ، وشخصية الفرد لا يمكن أن تنمو عن طريق الوعظ والنصح والتلقين ، بل لابد لها من الاتصال بالناس والأخذ والعطاء معهم ، أو بمواجهة الصعوبات والتمرس بالتبعات [3] .

وعـــلى الأسرة أن تسعى لممارسة الفتاة للقيم أولاً في محيط الأسرة وتحت إشراف مباشر من قبل الوالدين ؛ ليتمكـــنا من تصحيح ما يعلق بها من أخطاء ، وتدعيم ما يتم فيها من إيجابيات . وهذا الأمر يمكّن الفتاة من ممارسة هذا الخلق في خارج نطاق الأسرة بثقة وثبات وقناعة قوية . فوقوع الفتاة في أخطاء عند ممارسة الخلق ، أو ظهورها بمظهر عدم الاستيعاب لهذا الخلق في النطاق الخارجي ، قد يؤدي إلى ترك الفتاة للخلق أو خجلها من إظهاره خوفاً من تكرر الخطأ .

أما عن أهمية استخدام هذا الأسلوب في تربية الأسرة الفتاة على القيم الخلقية الإسلامية، فيظهر في أن تعويد الفـــتاة على ممارسة القيم الخلقية بصورة تطبيقية عملية تحت ملاحظة وإشراف الأسرة ، يسهم في بناء تصور عـــلمي وعملي صحيح لدى الفتاة عن مفهوم هذه القيم وحدودها وكيفية تطبيقها ، مع شدة اقتناعها بهذه القيم وبفائدتها ؛ وهذا بدوره يثمر قوة غرسها في نفسها ، وبصورة عميقة ، مما يسهم في صد كل المحاولات

١- النحلاوي ،عبدالرحمن . أصول التربية الاسلامية واساليبها . مرجع سابق. ٢٦٩- ٢٧٠.

٢- ابو العينين ، علي خليل . القيم الاسلامية والتربية . مرجع سابق . ص١٧٥.

٣- راجح، أحمد عزت. أصول علم النفس . مرجع سابق. ص٢٣٤.

الرامية لإفساد المرأة . كما يؤدي إلى سهولة تعاملها مع المواقف الطارئة ، وييسر تحملها لما تكلف به من أعمال؛ لوجود إدراك عقلي لما ينبغي فعله وتركه ، نتيجة معرفة الفتاة للقيم الخلقية وتمثلها بها . ومن الأمور الإيجابية في ممارسة الفتاة لهذه القيم ، توجيه الطاقة الجسدية لدى الفتاة ، وملء فراغها الوقتي ، عن طريق قيامها بالممارسة العملية لما تعلمته من قيم خلقية ، كمساعدة الآخرين ونصيحتهم وقضاء حوائجها بنفسها.

وينبغي على الأسرة أن تولي ممارسة الفتاة للقيمة الخلقية الإيجابية عناية ورعاية خاصة ، ويكون ذلك بتوفير مواقف حياتية عملية تمارس فيها الفتاة هذه القيمة ، وبإشراف مباشر من قبل الأسرة وخاصة الوالدين ، أي بوضعها في مواقف لِيُرى كيف تتمثل بالقيمة ، كأن تُكلف الفتاة بالقيام على أخيها المريض ، وتحميلها مسئولية إعداد المنزل لاستقبال الضيوف والقيام بالمشاركة في إعداد الطعام لهؤلاء الضيوف ، فتتعلم من هذه المواقف الكرم والصبر والرحمة والتعاون وطاعة الوالدين . كما أن على الأسرة أن تسعى لتحويل هذه الممارسات إلى عادات ، فتحاول أن تعود الفتاة على التخلق بهذه القيم بصورة مستمرة حتى تصبح عادة لها تصدر عنها دون تكلف .

وعلى الأسرة أن تعمق من أثر هذه القيم بالعبادات الشرعية ، فمحبة الفتاة لله ورسوله تعودها على قيمة المحبة والطاعة . وفي الصيام تعويد للفتاة على قيمة الأمانة والوفاء والصدق .

ويمكن للأسرة أن تستغل أسلوب اللعب والترويح لإكساب الفتاة بعض القيم الخلقية ، كأن تجرى مسابقة بين الإخوان والأخوات ، فيكونون فريقين ، ويطلب منهم أن يبنوا منزلاً ريفياً وحديقته ، باستخدام بعض الأدوات التي توفرها الأسرة أو الخامات المنزلية المهملة ، فيظهر هنا بين كل فريق خلق التعاون والتشاور والصبر والغيرة المحمودة والحكمة في استخدام الأدوات .

ولكن على الأسرة أن تراعي في ذلك أن تكون هذه الممارسة محكومة بالملاحظة المباشرة من قبل أحد أفراد الأسرة وخاصة الوالدين . كما أن على الأسرة أن لا تشعر الفتاة عند إدخالها في هذه المواقف أنها في حالة اختبار وتحت ملاحظة دقيقة ناقدة تعد عليها الأنفاس وتعاقبها على الأخطاء ، حيث إن هذا الأمر سينفر الفتاة من تمثل القيمة وممارستها خوفاً من هذا النقد . وعلى الأسرة أن تدعم أسلوب الممارسة العملية بأسلوب الموعظة والنصيحة والتوجيه المباشر ، حيث يبين للفتاة الخطأ والصواب في الموقف ، وأيضاً بأسلوب الترغيب والثواب المعنوي والمادي لتعزيز السلوكيات المرغوبة ، وأسلوب التربية بالأحداث فتستغل الأسرة الأحداث التي تجري للفتاة في ممارسة هذه القيم.

سادساً : أسلوب الترغيب والترهيب .

الطبيعة الإنسانية تحب تحصيل الخير واللذة ، وتهرب وتنفر من كل ما يسبب لها الألم والشر ، وهذا الجانب المهم في الذات الإنسانية تستثمره التربية الإسلامية لتحقيق أهدافها ، فتستخدم أسلوب الترغيب والترهيب والذي يعد أسلوباً تربوياً إسلامياً فعالاً من أجل تحقيق أهدافها ، وتوجيه هذه الطبيعة البشرية نحو الخير .

يعرف أسلوب الترغيب على أنه " وعد يصحبه تحبيب وإغراء بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة ، مؤكدة ، خيرة ، خالصة من الشوائب ، مقابل القيام بعمل صالح أو الامتناع عن لذة ضارة أو عمل سيء ابتغاء مرضاة الله ، وذلك رحمة من الله لعباده "[١].

أما الترهيب فهو " وعيد عاجل أو آجل أو كلاهما على ترك مأمور ، أو فعل محظور"[٢].

وقد اعتمدت التربية القرآنية على الترغيب والترهيب في بث توجيهاتها وحمل المسلمين على العمل بها . والمتتبع لآيات الكتاب الحكيم يجد هذين الأسلوبين قرينين لا ينفك أحدهما عن الآخر ، ولعل السر في ذلك ، أن في الفصل بينهما خطورة عظيمة على تربية الشخصية الإسلامية ، فإذا اكتفى المربي بجانب الترغيب في كل توجيه ، فإنه يفتح باباً للأرجاء لا يسد ، فيتقاعس المتربي عن الواجبات ويتجرأ على انتهاك المحرمات ، وحين يظل يطرق جانب الترهيب الذي يورث الخوف ، فربما أورث ذلك المتربي القنوط من رحمة الله واليأس من جوده وإحسانه [٣].

ويلاحظ على التربية الإسلامية أنها وإن كانت دائماً تقرن ما بين هذين الأسلوبين ؛ إلا أنها تقدم أسلوب الترغيب وذكر الثواب وحسن العاقبة الذي يحصله المطيع المتبع للمنهج الإسلامي ، ثم تثني عليه بأسلوب الترهيب والتخويف والزجر بالعقوبة ، وذلك مراعاة للفروق الفردية بين الناس ، فالناس يختلفون في طبائعهم وما يحركهم نحو العمل وتركه ، فالبعض يكفيه في السعي نحو الفضيلة والمكرمة معرفة أنها حسنة ومرغوبة في الدين الإسلامي ، والبعض لا يمنعه عن الرذيلة ولا يحمله على الطاعة إلا خوف العقوبة والألم .

> " بيد أنه ينبغي أن نشير إلى أن الأسلوبين وإن كانا لازمين في الاستخدام لتفاوت طبائع الناس واختلافهم في الامتثال للأصول والقواعد الإسلامية لا يتساويان في قيمة الأثر الذي يحدثه كل منهما فأسلوب الترغيب افضل من أسلوب الوعيد والترهيب ، لأن الأسلوب الأول إيجابي وأثره باق لأنه يعتمد على استثارة الرغبة الداخلية للإنسان في حين أن الأسلوب الثاني سلبي وأثره موقوت لأنه يعتمد على الخوف "[٤].

وينقسم جزاء الترغيب والترهيب في الكتاب والسنة إلى ثلاثة أقسام : الأول : ما كان ثوابه أو عقابه عاجلاً في الدنيا قبل الآخرة ، والقسم الثاني : ما كان ثوابه أو عقابه مؤجلاً مدخراً للعبد في الآخرة ، والثالث: ما جمع الله عز وجل فيه للعبد الثواب العاجل والآجل ، أو العقاب الدنيوي والأخروي[٥] .

ومما يلاحظ على استخدام التربية الإسلامية لهذين الأسلوبين التفاوت في أنواع المرغبات والمحفزات على الأعمال ، تبعاً لاختلاف العمل وثمرته ، بصورة تبعث على الحفز والدفع الدائم نحو فعل الخيرات ؛ لتنوع الجزاءات المترتبة على كل عمل . وكذلك الحال في الترهيب والعقوبات المقررة على الأعمال السيئة ، فهي تختلف بحسب درجة المخالفة ومدى تأثيرها الاجتماعي والشخصي ، مما يحفظ لهذا الأسلوب قوته وفاعليته ؛

١- النحلاوي ،عبدالرحمن . أصول التربية الاسلامية واساليبها . مرجع سابق. ص ٢٨٧.

٢- الحدري ، خليل عبد الله . التربية الوقائية في الاسلام . مرجع سابق . ص ٢٦٧.

٣- المرجع السابق . ص ٢٧٣- ٢٧٥.

٤- مرسي، محمد منير . التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية . مرجع سابق . ص١٢٣.

٥- الحدري ، خليل عبد الله . التربية الوقائية في الاسلام . مرجع سابق . ص ٢٦٧- ٢٦٩.

نظراً لاختلاف ألوان العقوبة المترتبة على الأعمال ، فمن ذاق الجلد في شرب الخمر ، سيذوق عند السرقة ألم بتر عضو منه ، ومن فاته جزاء الدنيا فإن جزاء الآخرة ينتظره وهو أشد . وتتنوع العقوبات والجزاءات ما بين عقوبات وجزاءات مادية محسوسة ، وأخرى معنوية ، تكون أحياناً عاجلة ، وأحياناً تتأخر ، كالجزاء الأخروي يوم القيامة ، وهذا كله يدعم هذا الأسلوب الإسلامي ويجعله بالغ التأثير .

وينبغي على الأسرة أن لا تغفل استخدام هذا الأسلوب في تربية الأبناء ، ولكن يجب على الأسرة أن تفقه الكيفية الإسلامية لاستخدام هذين الأسلوبين في التربية ، فمن الملاحظ أن كثيراً من الأسر تسرف في استخدام أسلوب العقوبة ، وتجعله المقدم في التعامل مع الأبناء ، في كل أمر صغير وكبير ، وذلك منها إما إيثاراً للراحة ، أو جهلاً بالأساليب التربوية الأخرى، والإسراف في استخدام أسلوب العقوبة -خاصة البدنية — له آثار نفسية وجسمية سيئة على الأبناء .

وعلى الأسرة أن تلاحظ عند استخدام أسلوب الثواب ، أن يناسب الثواب مستوى الفتاة العقلي وحاجاتها، كما يناسب نوع الاستجابة والسلوك المعزز ، حتى لا يفقد قيمته ويستهلك [1]. وكذلك الحال بالنسبة للترهيب فينبغي أن يناسب مستوى الفتاة العقلي وحاجاتها . كما يناسب السلوك المعاقب عليه ، حتى لا يفقد هذا الأسلوب قيمته . فمن أبرز عوامل نجاح هذين الأسلوبين مراعاته لحاجات الفرد ، فإذا رغب الفرد في أشياء لا حاجة له بها فإنه لن يبالي بها كذلك الأمر في الترهيب فإذا كان أقل في مردوده مما نهي عنه ، أو أُمر به، فقد لا يكون له التأثير الفاعل[2].

وأهمية استخدام هذا الأسلوب في التربية الخلقية للفتاة يظهر في أن طبيعة الفتاة العاطفية تجعلها سريعة الاستجابة لأسلوب الترغيب والثواب ، لذلك يسهم أسلوب الترغيب في الثواب في تنمية القيم الخلقية في نفس الفتاة بسهولة ، حيث إنه يحملها على الإتيان بالفضائل بمحبة وشوق مع تمسك بها ، نظراً لما ينتظرها من الثواب والجزاء الحسن في الدنيا والآخرة ، ويعينها على الاستمرار الجاد في هذه الاستجابة الحسنة لمكارم الأخلاق . كما يؤدي أسلوب الترهيب والعقوبة إلى اجتنابها للرذائل الخلقية ؛ خوفاً من العقوبات والخزي الذي سيحل بها إن كشف أمرها ، فتبتعد بشكل قوي وواضح عن كل عمل يؤدي إلى إنزال العقوبة عليها. ولا يمكن تحقيق أهداف القيم الخلقية في نفس الفتاة ما لم تشعر وتلامس واقعياً أن عاقبة تمسكها بالقيم الحسنة؛ ستكون نتيجتها سارة وخيرة لها ، بينما ستكون نتيجة مؤلمة وسيئة إن هي خالفت هذه القيم.

وأسلوب الترغيب والترهيب يؤدي إلى استمرار الفتاة على القيام بفعل المكارم وترك القبائح نتيجة شعورها باستمرار الجزاءات المترتبة عليه ، والتي تتنوع تبعاً لقيمة هذا الخلق . وهذا الأسلوب يعطي الفتاة فسحة وفرصة للرجوع عن السلوكيات والقيم الخاطئة ، وتحفيزها على ذلك بالوعد بالعفو عن الذنب السابق وإبداله حسنة إن هي عادة إلى جادة الصواب والتخلق بالأخلاق الحسنة ، وهو منهج إسلامي أصيل .

١- عمار، محمود إسماعيل. تعليم بلا عقاب الثواب والعقاب في التربية . دار عالم الكتب . ١٤٢٠هـ . ص٢٠٢.

٢- الحازمي، خالد حامد . اصول التربية الإسلامية . مرجع سابق. ص٣٩٤.

إن استخدام الأسرة لأسلوبي الترغيب والترهيب يسهل من إكساب الفتاة القيم الخلقية ، ولكن لابد من أن تقنن الأسرة عملية استخدام أسلوبي الترغيب والترهيب بتحديد مواضع استخدامهما وطريقة الاختيار بينهما.

فعلى الأسرة إذا أرادت استخدام هذين الأسلوبين أن تتنبه لأمرين : الأول أن تقدم أسلوب الترغيب والثواب والمكافأة على أسلوب الترهيب والعقوبة ، نظراً لقوة أثر هذا الأسلوب . ثانياً : أن تتفهم سبب ظهور القيمة الخلقية السلبية عند الفتاة ، فقد تكون مدفوعة لذلك لحاجة ، أو بسبب انفعال خارج عن تحكمها.

وبالنسبة لمواضع ظهورهما ، فعلى الأسرة أن تستخدم هذين الأسلوبين قبل ظهور القيمة من الفتاة ، عن طريق تبصير الفتاة بفضل التمسك بالقيم الإيجابية من الناحية الدينية ، بذكر الآيات والأحاديث الواردة فيها ، والتي تبين فضلها وجزاء من تخلق بها ، وتبصيرها بأهمية هذه الأخلاق في الحياة الاجتماعية ، وما تمنحه لها من قوة وثبات وثقة ، وكذلك بتحذيرها من القيم الخلقية السلبية ، وتوضيح العقاب الدنيوي والأخروي الذي يصيب من تخلق بها .

وقد تستخدم الأسرة هذا الأسلوب أثناء ظهور القيم الخلقية ، فتدعم الفتاة في الموقف الذي تظهر فيه القيم الخلقية بصورة إيجابية ، وتكافئها بالمدح والثناء والتشجيع . ولكن عندما تُظهر الفتاة في الموقف قيماً خلقية سلبية فعلى الأسرة هنا إن استطاعت أن تمنعها من ذلك فهو الأولى ، وإلا فإن عليها أن ترهب الفتاة وتحذرها من عاقبة هذا السلوك . وقد تستخدم الأسرة أسلوب الترغيب والترهيب بعد انتهاء الموقف الذي ظهر فيه تخلق الفتاة بالقيمة بصورة إيجابية ، فتكافأ عليه مادياً أو معنوياً ، بينما تعاقب مادياً أو معنوياً إذا صدر عنها قيمة خلقية سلبية، .

وكيفية اختيار الأسرة ما بين أسلوبي الترغيب والترهيب يجب أن يعتمد على الموقف أولاً وعلى شخصية الفتاة ثانياً.

فالمواقف التي تُظهر الفتاة فيها القيمة الخلقية بصورة إيجابية ، يستخدم معها أسلوب الترغيب والثواب . بينما يستخدم معها الأسلوبان معاً في المواقف التي تُظهر فيها قيمة خلقية سلبية ، فيستخدم الترغيب في القيمة الخلقية الإيجابية التي تركتها ، ويطبق عليها أسلوب الترهيب بإظهار عدم الرضا ، وهجرها والحزن على سلوكها ، وحرمانها مما تحب ، ومعاقبتها بالضرب على هذا السلوك إن استدعى الأمر.

والفروق الفردية بين الفتيات أمر مهم في اختيار الأسرة لأسلوب الترغيب أو الترهيب ، فبعض الفتيات يثمر معهن أسلوب الترغيب بشكل قوي ويكفيهن لكي يتمسكن بالقيمة الإيجابية ويطبقنها في جميع المواقف ، بينما بعض الفتيات لا يكفيهن ولا يحركهن نحو القيمة الإيجابية الترغيب ، ولكن يؤثر فيهن أسلوب الترهيب بشكل قوي ويجعلهن يتمثلن القيمة المرادة ، والبعض يفيدهن الجمع بين الأسلوبين .

وعلى الأسرة أن تنوع في معززات أسلوب الترغيب والثواب ، وأن تراعي حجم الموقف الذي أظهرت فيه الفتاة القيم الإيجابية ، والمكافأة أو المقدار الأدبي للهدية ، فلا تكون المكافأة التي تحصل عليها الفتاة حال اتصافها بقيمة إيجابية هو المدح والثناء دائماً ، وإنما على الأسرة أن تنوع في ذلك ما بين المدح والثناء أو الهدية

أو الحصول على مبلغ مالي أو القيام برحلة أو حفلة صغيرة . وكذلك مراعاة القرب الزمني ما بين السلوك المكافأ والمكافأة ؛ لأن الفصل الزمني الطويل يؤدي إلى التقليل من أثر الثواب .

وعلى الأسرة أن تتدرج في استخدام أسلوب الترهيب والعقوبة ، فلا تصدر مباشرة العقوبة البدنية على كل موقف تُظهر فيه الفتاة قيمة خلقية سلبية ، وإنما تتأنى فتتعرف على أسباب ظهور هذه القيمة من الفتاة ، ثم تتدرج في العقوبة ، فتبدأ أولاً بالوعظ والنصح مع تهديدها بالعقوبة البدنية وإظهار غضب الوالدين على هذا السلوك. ثم إذا تكررت منها هذه القيمة يتم هجر الفتاة وحرمانها مما تحب . فإذا لم تفلح هذه الأمور وصدر من الفتاة نفس القيمة يتم معاقبتها بدنياً ، بالضرب غير المبرح والمنضبط بضوابط الشريعة ، كأن لا يسبب لها تشوهاً أو كسوراً.

سابعاً: أسلوب التربية بالأحداث :

ويقصد بأسلوب التربية بالأحداث إرشاد وتوجيه المربي للمتربي إلى مبادئ وقيم إسلامية ، عندما يقع موقف ما ، سواء كان للمتربي أو لمن يحيطون به . وهذا هو سبب قوة أثر هذا الأسلوب حيث يتزامن فيه " التربية باللفظ والعبارة ، معايشة الحدث ، فتسمع الأذن ، وترى العين ، أو تتذكر ما رأت فتتعامل مع الحدث من خلال تصور مسبق على وعي وبصيرة"[١].

وأهمية أسلوب التربية بالأحداث تظهر في الأثر التربوي الذي تغرسه في النفس ، نتيجة الانفعالات النفسية التي تصاحب الحدث، حيث تثار في نفس المتربي مجموعة من الأسئلة والاستفسارات ، فيكون متهيئ النفس يقظ الذهن إلى كل كلمة أو تعليق نحو هذا الموقف ، فهو مثل الأرض الجدبة العطشى التي تتشرب كل قطرة ماء تنزل عليها .

وهذا الأسلوب من الأساليب التربوية الإسلامية الأصيلة ، فقد كانت آيات القرآن تتنزل منجمة وفق الأحداث لتربي الجماعة المؤمنة " وبهذا كان أسلوب تنزيله أساساً لنجاح التربية وعمق أثرها في النفوس ، فقد جعل من كل هزيمة عبرة ، ومع كل نصر درساً ، ولكل موقف تحليلاً "[٢].

> " للحدث أثره التربوي في بناء النفس المؤمنة ، وقد اشتملت مصادر التشريع في الإسلام على هذا النوع من الأساليب ، ولعل من أعظم الأدلة على ذلك أن الله تعالى لم يترل القرآن على نبيه محمد ﷺ جملة واحدة إنما نزل مفرقاً حسب الحوادث والوقائع ، فتارة يتزامن مع الحدث توجيه وتربية ، وتارة تأتي التوجيهات عقب الحدث ، وتارة تسبق التوجيهات الحدث ، ليعيشه المسلم على بصيرة وبينة ، وكل هذا يحدث في جو من التأثر والانفعال"[٣].

وهذا الأسلوب يختلف عن باقي الأساليب التربوية في أنه ليس دائماً في متناول الأسرة والمربي ، في كل مبدأ تربوي يريد إكسابه للمتربي . وأيضاً في أن اغتنام مواقف الأحداث يحتاج إلى مهارة تربوية وقوة إدراك وفهم

١- الحدري ، خليل عبد الله . التربية الوقائية في الاسلام . مرجع سابق . ص ٢٨٣.

٢- شديد ، محمد . منهج القرآن في التربية . مؤسسة الرسالة . بيروت . ١٤١٥هـ . ص٣٣٤-٣٣٥.

٣- الحدري ، خليل عبد الله . التربية الوقائية في الإسلام . مرجع سابق. ص ٣٠٠.

للموقف ، فغالباً ما تأتي بشكل مفاجئ وطارئ . لذلك يجب على المربي أن يكون دقيقاً بالغ الحساسية في الانتفاع بهذه الأحداث ، فالمربي البارع "لا يترك الأحداث تذهب سدى بغير عبرة وبغير توجيه ، وإنما يستغلها لتربية النفوس وصقلها وتهذيبها" (١).

والأحداث التي تمر بالمتربي قد تكون سبباً في تقوية الجانب القيمي لدى المتربي ، عندما تكون تدعم ما تعلمه المتربي ، ويحسن المربي استغلالها في توجيه المتربي . كما قد تكون ذات آثار سلبية على المتربي ؛ فتكون سبباً في هدم هذه القيمة وزوالها ، ويكون ذلك عندما تكون مخالفة لما تعلمه المتربي ، أو يسيء المربي استثمارها في دعم الجانب التربوي للمتربي.

وينبغي على الأسرة أن تدعم تمسك الفتاة بالقيم الخلقية الإسلامية بالمواقف والأحداث اليومية التي تمر بها، وقد تكون هذه المواقف والأحداث واقعة للفتاة أو لمن حولها ، لكن الذي يهم الأسرة من ذلك هو الموقف الذي تتخذه الفتاة تجاه هذه الأحداث ، حيث إن تصرف الفتاة في هذه الأحداث واتجاهاتها نحوها ، يبين مدى نجاح أو فشل المجهودات التربوية التي بذلتها الأسرة في تربية الفتاة على القيم الخلقية.

وأهمية استخدام الأسرة للتربية بالأحداث في تربية الفتاة يظهر في أن الفتاة تمر بها دائماً أحداث ومواقف تظهر فيها مدى تمسكها وتطبيقها للقيم الخلقية التي اكتسبتها ، وتكون فيها محتاجة لمن يدعمها ويذكرها أيضاً بالقيم التي تتمثلها ، خاصة في الأحداث ذات الانفعالات الشديدة ، كالحزن والغضب والفرح . والأحداث التي تمر بالفتاة تعتبر ممارسة عملية واقعية لما تعلمته الفتاة من قيم ، حيث إن هدف الأسرة من جميع الأساليب المتنوعة التي تستخدمها هو تطبيق الفتاة للقيم الخلقية في واقعها الحياتي اليومي ، والتربية بالأحداث من مميزاتها أن الفتاة في هذه المواقف تكون يقظة الذهن ، متهيئة النفس والشعور ، مثارة العواطف ، مما يسهل عملية غرس القيم الخلقية في نفسها ، وتقوية شعورها بأهميتها في الحياة .

واستثمار الأسرة للأحداث والمواقف التي تمر بالفتاة يكون من عدة أوجه : فأحياناً يكون بتذكيرها بالقيمة الخلقية التي يجب أن تتمسك بها وتتمثلها في الموقف ، ويكون ذلك قبل الحادثة أو أثناء الموقف . وقد يكون بعدها ، بأن تذكر الفتاة بالسلوك الخلقي الذي كان عليها التحلي به في الموقف .

ومن استثمار الأسرة لهذه الأحداث ، تنبيه الفتاة للآثار الحميدة للقيمة الخلقية الإيجابية التي ظهرت في الحدث ، وكيف أنه كان سبباً في نجاة صاحبه أو حصوله على الأجر والثواب من عند الله . ويكون أيضاً بتنبيه الفتاة على الآثار الناتجة من ظهور قيمة خلقية سلبية في الموقف ، وكيف أنها كانت سبباً لشقاء صاحبها ونبذه من المجتمع .

ولابد من أن تحسن الأسرة استغلال هذه المواقف والأحداث خاصة التي تكون حادثة للفتاة ، بحسن التوجيه والرعاية للفتاة أثناء الموقف وبعده ، وأن تستخدم الأسرة الألفاظ الحسنة والمؤثرة في توجيه الفتاة نحو الأحداث والتعليق عليها، وأن تراعي الحالة النفسية والانفعالية للفتاة أثناء الموقف .

١- القاضي ، سعيد إسماعيل . أصول التربية الاسلامية .مرجع سابق . ص ١٩٧.

المطلب الثاني :

الآلية التنفيذية لتنشئة الأسرة الفتاة على القيم الخلقية المستنبطة من قصص النساء في القرآن الكريم

في المبحث السابق تعرضت الباحثة للحديث عن العوامل الداخلية المؤثرة على النمو الخلقي لدى الفتاة ، فبينت أن الأساليب التربوية المستخدمة في التربية الخلقية تختلف من مرحلة إلى أخرى ، فمرحلة الطفولة المبكرة تتعلم فيها الفتاة السلوكيات والأخلاق عن طريق أسلوب القدوة والممارسة العملية وأسلوب الترغيب والترهيب ، بينما يمكن استخدام جميع أساليب التربية الإسلامية في التربية الخلقية عند مرحلة الطفولة المتأخرة والمراهقة . وفي هذا المطلب تقدم الباحثة تصوراً مقترحاً لكيفية قيام الأسرة بمهمتها التربوية تجاه تربية الفتاة على القيم الخلقية التي سبق استنباطها . وحرصت الباحثة على تخصيص كل قيمة ببرنامج عملي ، معتمدة على ما سبق من تعريف للقيمة وبيان مجالاتها وحدودها ، وكذلك على ما سبق من أساليب تربوية . مع تنويع آليات التنفيذ لكل قيمة خلقية .

والتصور المقترح يحتوي على أساليب تربوية متنوعة للتربية الخلقية ، تتناسب مع مرحلة الطفولة المتأخرة والمراهقة ، أما بالنسبة لمرحلة الطفولة المبكرة فعلى الأسرة أن تكتفي – مما ورد في التصور المقترح – بأسلوب القدوة والممارسة العملية والترغيب والترهيب ، أي أن على الأسرة أن تعتمد في غرس القيم الخلقية في نفس الفتاة في مرحلة الطفولة المبكرة على أسلوب القدوة والممارسة العملية ، بتطبيق أفراد الأسرة لهذه القيم بصورة فعلية ، وحث الفتاة على تقليدهم ، ومن ثم مكافأتها على السلوكيات والأخلاق الحسنة . وعندما تظهر منها أخلاقاً سيئة فعلى الأسرة أن تعدل هذا السلوك بأن تقول لها افعلي كذا ، وبألفاظ رقيقة ، دون استخدام الضرب أو الزجر الشديد .

وقبل البدء في عرض البرنامج العملي تود الباحثة أن تنبه على أمور:

١- حبذا أن تعقد الأسرة جلسات عائلية بصورة شبه يومية ، وتكون ذات وقت محدد – كأن تكون بعد صلاة العصر أو المغرب – ، وتستخدم كحلقة تعليمية لأفراد الأسرة ، ويتدارس فيه مجموعة من الموضوعات والشئون الأسرية . وعلى الأسرة أن تحرص على تنويع مكان الجلسة العائلية أحياناً ، فتحولها أحياناً إلى حديقة المنزل ، أو في أحد المنتزهات المناسبة .

٢- على الأسرة أن تحرص على تنويع أساليب عرض القصة والقيمة كذلك – وقد حرصت الباحثة على إظهار ذلك في البرنامج – ، فأحياناً تعتمد الأسرة على إلقاء أحد أفرادها للقصة أو القيمة ، وأحياناً تعتمد على حضور محاضرة أو سماع شريط محاضرة ، وأحياناً على قراءة كتاب، وهكذا ، فالتنويع يؤدي إلى قوة جذب واقتناع الفتاة بالقيمة ورسوخها في نفسها .

٣- بعد مدارسة الأسرة لقيمة معينة ، فعليها أن تعطي مجالاً زمنياً – يكون على الأقل مدة أسبوع – لتعمل الفتاة بالقيمة ، وملاحظات تطبيقها قبل الشروع في قيمة أخرى ، حيث إن التتالي في مدارسة القيم ، دون

وجـــود فاصل زمني بينها ، يؤدي إلى تداخل القيم وتقصير الفتاة في تطبيقها أو نسيانها ، وكذلك تقصير الأسرة في ملاحظة تطبيق الفتاة لها .

٤- إن إيجـــاد مكتبة مترلية تحتوي على مجموعة من الكتب والأشرطة المفيدة – خاصة المتعلقة بتنمية الجانب الديني والخلقي والعقلي – يساعد بصورة قوية في دعم تربية الفتاة الخلقية .

٥- عـــرض البرنامج يعتمد على الأساليب التي سبق بيانها في المطلب السابق ، لذلك تكتفي الباحثة بالإشارة بصـــورة مبسطة لبعض الأساليب دون الدخول في التفصيلات الدقيقة لكيفية التنفيذ ، اكتفاء بما ورد في المطلب السابق.

وفيما يلي يتم عرض البرنامج مرتب القيم كما وردت في فصول الدراسة :

١): تربية الأسرة الفتاة على قيمة الطاعة

١- يشـــغّل جهـــاز التسجيل لأحد القراء ، يقرأ آيات سورة الأحزاب (٣٦- ٣٧) – قصة زينب بنت جحش رضي الله عنها – .

٢- يوضح الأب سبب نزول الآيات ثم يطلب من الفتاة أن تقرأ عليهم كتاباً يتحدث عن سيرة أم المؤمنين زينب بنت جحش [١] .

٣- بعد الانتهاء من عرض القصة يلفت الأب انتباه أفراد الأسرة إلى طاعة النبي ﷺ وزينب وزيد رضي الله عنهما لأمر الله عز وجل ، رغم صعوبة الموقف . ثم يتحدث بشكل موسع عن قيمة الطاعة من حيث مفهومها وأهميتها وحدودها [٢] .

٤- يناقش الأب أفراد الأسرة في ورود القيمة بصورة إيجابية وسلبية في بعض شخصيات قصص النساء في القرآن ، مثل ظهور طاعة الله عز وجل ، وطاعة الوالدين ، وطاعة الأمير ، وطاعة الزوج مع تقويم هذه المواقف[٣] .

٥- يـــتأثر اكتساب الفتاة لقيمة الطاعة بما تراه من أفراد أسرتها فعندما ترى أفراد الأسرة يسعون حثيثاً في طاعـــة أوامـــر الله ورسوله ، فيتلون القرآن ، ويذكرون الله ، ويؤدون الشعائر الإسلامية ، ويجتنبون المحرمات ، ويحث بعضهم البعض على الطاعة ، ويطيعون ولاة الأمر ورؤساءهم في المعروف ؛ فسوف تتشرب الفتاة هذه القيمة وتعتاد عليها . ولكن عندما ترى أفراد الأسرة يقصرون في الطاعة ، فيتركون الطاعات ويأتون المحرمات والمنهيات ، ويأنفون ويرغبون من طاعة أولي الأمر ، فالأم تأبى طاعة زوجها وتـــأنف مـــن ذلك ، والأب يشتم رئيس عمله ويتعمد مخالفة أوامره ، والأخوة يرفعون أصواتهم على

١- مثل : كتاب نساء مبشرات بالجنة . لأحمد جمعة . دار طيبة الخضراء ، مكة المكرمة . ١٤٢٢هـــ وكتاب قصص المرأة في القرآن الكريم . مني محمد هنداوي . الناشر مكتبة وهبة. القاهرة. ١٤١٩هـــ .

٢- أنظر ص ٢٠٩ – ٢١٢ من الرسالة

٣ – أنظر ص ٢١٢ – ٢١٤ من الرسالة .

الوالديــن ويرفضون الانصياع لأوامرهم ونصائحهم ؛ فسينحرف مفهوم الطاعة لديها ، فتتطيع هواها وما تراه نافعاً لها ، وسترفض أي توجيه ونصح من الآخرين .

٦- على الأسرة أن تعود الفتاة على قيمة الطاعة من خلال طاعتها لله ورسوله ، بأداء الفرائض والواجبات والعبادات وحثها على النوافل ومحاسبتها على ذلك . وكذلك طاعتها للوالدين ، وكل من أوجب الله علــيها طاعــته ؛ بشرط أن لا تكون في معصية الله . وعند تقصير الفتاة في الطاعة فإنها تنصح وتوجه للصواب فإن لم تستجب فإنها تعاقب بما يناسب الموقف .

٧- ينــبغي على الأسرة أن تستغل المواقف والأحداث الجارية لإشعار الفتاة بأهمية الطاعة . كأن تحذر الأم الفتاة من أمر؛ فتعصي فتقع في مشكلة .

٢) : تربية الأسرة الفتاة على قيمة الصبر

١- تصــحب الأسرة الفتاة لحضور محاضرة تتحدث عن الصبر وأهميته ومكانته في الدين الإسلامي وأقسامه وصور من حياة الصابرين ، أو تستمع لشريط يتحدث عن الصبر [١] .

٢- بعــد الانتهاء من المحاضرة والعودة للمنــزل ؛ يجتمع أفراد الأسرة ويتباحثون فيما جاء في المحاضرة عن الصبر من حيث المقصود به وأهميته وأقسامه .

٣- تمثل الأم للصبر بقصة أم موسى عليه السلام ، فيقرأ أحد أفراد الأسرة قصة أم موسى في سورة القصص الآيات (٧- ١٣) . ثم يوضح أحداث القصة ووقائعها مع إظهار مدى قوة صبر أم موسى .

٤- يُطلب من أفراد الأسرة أن يعطوا أمثلة لشخصيات اتصفت بالصبر وأخرى اتصفت بالجزع من خلال ما عرفوا من قصص النساء في القرآن الكريم . حيث ظهر فيها بمختلف مجالاته ، فالصبر على الطاعة ظهر في امرأة فرعون فقد صبرت على تعذيب فرعون لردها عن دينها فأنزلها الله بيتاً في الجنة ، والصبر على المصيبة ظهر في عائشة التي اتهمت في عرضها ، والصبر على مشكلات الحياة يظهر في شخصية المجادلة ، فقد كانت صابرة على سوء خلق زوجها، وغير ذلك[٢] .

٥- ظهور خلق الصبر في الوالدين يشجع الأبناء ويعودهم على هذا الخلق . فأي تصرف إيجابي أو سلبي من قــبل الوالديــن قد يدعم أو يهدم هذا التربية النظرية . فإذا رأت الفتاة والديها وهما يصليان الفرائض والــنوافل بصــبر وثبات ، ويصومان متحملين ألم الجوع والعطش ، ويتركان أموراً لأن الله حرمها ، فسيكون ذلك تعليماً لها بطريقة عملية على الصبر على الطاعة والصبر عن المعصية . وإذا أظهر الوالدان الصــبر والتجلد عند وقوع مصيبة ، ولم يظهرا التبرم من الأزمات المادية التي تحل بالأسرة أو مصاعب العمل ، وإذا وقع خطأ من الفتاة كانا هادئين صبورين حليمين ، وعملا على توجيهها بحكمة ؛ فستعتاد الفــتاة عــند وقــوع خطأ من الآخرين أن تقابله بالصبر والحلم والأناة في إصدار أي قرار أو تصرف

١- على الأسرة الرجوع للتسجيلات الإسلامية ، للاستفسار عن مثل هذه الأشرطة .

٢- أنظر ص ٢١٧ — ٢٢٠ من الرسالة .

تجاههم. كما أن تردادهما للأذكار والأدعية الواردة عند حلول المصائب والمحن ، سيقع موقعاً عظيماً من نفس الفتاة ، مثل قول " إنا لله وإنا إليه راجعون " وغيرها من الأدعية .

٦- ينبغي على الأسرة أن تحرص على ممارسة الفتاة لخلق الصبر بصورة عملية ، وهي الثمرة المرجوة من التربية النظرية . فبعد اقتناع الفتاة بأهمية التخلق بخلق الصبر وعظيم منزلته في الإسلام ، تأتي التربية العملية من قبل الوالدين لتثبت أو تنفي هذه الصفة . فلا تعطى الفتاة – منذ فترة الرضاعة –كل ما تريده ، ولا ييسر لها الحصول على كل أمر ؛ حتى لا تنشأ على الدلال والترف ، فتصدم بواقع الحياة ، والذي يحمل الكثير من العناء والنصب ؛ فتعجز عن مواجهته بالصبر والكد . فتعلّم الفتاة كبح جماح النفس ومقاومة الشهوات فلا تلبي للنفس كل ما تريده ولا تسعى في سبيل هواها .

٧- وعلى الوالدين أن يستغلا المواقف التي تمر على الفتاة وتحتاج فيها إلى التخلق بخلق الصبر ، كموقفها من إتلاف بعض اخوتها لأغراضها الخاصة ، أو موقفها ممن أساء إليها لفظياً ونحو ذلك، فتوجه وتحاسب على الطريقة التي واجهت بها الموقف ، فإن كانت صحيحة أثني عليها ، وإن كانت خاطئة بين لها التصرف الصحيح . وعلى الأسرة أن تسعى لتعميق هذه القيمة عن طريق العبادة والطاعة ؛ فيحث الوالدان الفتاة على أداء الصلاة والصيام والصدقة وغيرها من العبادات ويعينانها على ذلك ،حتى تعتاد الطاعة والعبادة . وتوجه عند وقوعها في شدة إلى اللجوء إلى الله بالدعاء والعبادة.

٨- على الأسرة استغلال الأحداث والمواقف الحياتية للتأكيد على أهمية هذه القيمة .كأن ينبه الوالدان الفتاة على تمثل أحد الأسر لقيمة الصبر لما فقدت أحد أفرادها . أو العكس بأن تبدي بعض النساء الصراخ وشق الثياب ؛ لفقد عزيز ، فتنبه الأم الفتاة كيف أن هؤلاء النسوة قد حصلن الإثم بما فعلن وفقدن ثواب الصبر الذي وعد الله به من صبر على المصيبة .وكأن تتساءل الفتاة عن سبب حصول شخص معين على هذه المكانة العلمية والاجتماعية ، فيذكر لها الوالدان أنه بسبب صبره على طلب العلم وتحصيله.

٣) : تربية الأسرة الفتاة على قيمة الأمانة

١- تعطي الأم الفتاة أشرطة تتحدث عن قصة يوسف ، وتطلب منها الاستماع إليها واستنباط أبرز ما فيها من القيم الخلقية [1]. ثم تتناقش مع الفتاة فيما ورد فيها من أحداث .

٢- مع بداية الجلسة العائلية يعرض أحد أفراد الأسرة قصة يوسف عليه السلام بصورة مبسطة ثم يتدارسون ما فيها من القيم الخلقية .

٣- يتركز الحديث بعد ذلك على قيمة الأمانة فيبين المقصود بها وأهميتها ومكانتها في التربية الإسلامية ومجالاتها ، مع دعم ذلك بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تبرز مكانة هذه القيمة [2].

١- على الأسرة الرجوع للتسجيلات الإسلامية ، للاستفسار عن مثل هذه الأشرطة .

٢- أنظر ص ٢٢٠ – ٢٢٢ من الرسالة .

٤- تناقش الأسرة بعد ذلك قصصاً أخرى وردت فيها قيمة الأمانة بصورة إيجابية كقصة ملكة سبأ وقصة مـريم عليهما السلام وقصة الإفك . أو سلبية كإبليس في قصة حواء ، وفرعون في قصة أم موسى، والقائلين بالإفك [1] .

٥- مهما بذل الوالدان من مجهودات في غرس قيمة الأمانة في نفس الفتاة ، فلن يفلحا ما لم تتمثل فيهما القدوة الصالحة ، فإذا كانت الفتاة ترى والديها أمينين في أقوالهما وأفعالهما ، أمينين في تعاملاتهما وفي علاقاتهما الاجتماعية ، أمينين في تربية أبنائهما ، وسمعت ثناء الناس عليهما ووصفهما بالأمانة ، كان لذلـك أثر قوي على اكتسابها لهذا الخلق . أما إذا كان الوالدان لا تتمثل فيهما قيمة الأمانة بصورة صـحيحة ، كأن ترى الفتاة الأب يغش الآخرين ويخدعهم ويمنعهم حقوقهم ، ورأت الأم تأخذ من مال الأب بدون علمه ، وتخرج بغير إذنه ، وتفشي الأسرار ، فإن هذا سيؤثر على قوة تمسكها بقيمة الأمانة ويؤدي إلى تقليدهما .

٦- تعليم الأسرة النظري للفتاة بقيمة وأهمية خلق الأمانة لا يكفي لتمثل الفتاة بهذه القيمة ، فلا بد من أن تمـارس الفتاة هذه القيمة بصورة تطبيقية في الحياة ، ومن أمثلة ذلك أن تكلف الأم الفتاة بحفظ سر معين ، وكأن يحمِّلها الأب مسئولية حفظ مال معين ، ثم يطلب منها أداء هذه الأمانة ، ونحو هذا من المواقف التي تصور للفتاة هذه القيمة بصورة فعلية تطبيقية. وينبغي على الوالدين احترام حقوق الفتاة وممتلكاتها ، فلا يتصرفا فيها بغير رضاها ولا يمكنان منها أخوتها ، فمعرفة الفتاة لممتلكاتها وممتلكات الآخرين يسهل عليها تكوين مفهوم واقعي وصحيح للأمانة .

٧- استخدام الأسرة لأسلوب الترغيب والثواب في إكساب الفتاة لخلق الأمانة ، يؤدي إلى سرعة استجابة الفتاة وتعزيز للسلوكيات الحسنة . ويمكن للأسرة ترغيب الفتاة بهذه الخلق عن طريق المكافأة المادية ، كـتقديم هدية لها أو مبلغ مالي أو القيام برحلة . ويجب على الأسرة عند صدور الخيانة من الفتاة أن تعظهـا وتـبين لهـا خطأها ، فإن لم ترتدع تعاقبها أولاً بصورة معنوية بالتهديد والحرمان مما تحب وإشـعارها بغضب الوالدين منها ، فإذا لم تستجب للعقاب المعنوي ، فيجب على الوالدين استخدام أسلوب العقوبة الحسية وذلك بضرب الفتاة لكي تؤدي الأمانة .

٨- وعـلى الأسـرة أن تستثمر الأحداث والمواقف اليومية والتي تحدث للفتاة أو للآخرين ، لكي تدعم تمسك الفتاة بهذه القيمة وتذكرها بأهميتها وأساليب تطبيقها ، كان تشتري الفتاة غرضاً فيتبين لها أن الـبائع قد غشها ، فتنبهها الأم على قيمة الأمانة وأهميتها في الحياة ، وكأن تتساءل الفتاة عن سبب حدوث انقلاب في بلد ما فيذكر له الأب أنه بسبب فقد الرئيس لأمانة الولاية .

٤) : تربية الأسرة الفتاة على قيمة الصدق .

١- تقرأ الفتاة آيات قصة حادثة الإفك في سورة النور (١١- ٢٠) ثم يقرأ أحد أفراد الأسرة الحديث الوارد فيها ، مع شرح أحداث القصة . ويطلب من أفراد الأسرة استنباط القيم الخلقية المتضمنة فيها .

١- أنظر ص ٢٢٢- ٢٢٤ من الرسالة .

٢- يوجّه الحديث بعد ذلك على قيمة الصدق ، ببيان المقصود بها ومظاهرها وأهميتها والآيات والأحاديث الحاثة عليها وكيفية تمثلها [١].

٣- تطلب الأسرة من الفتاة أن تمثل لشخصيات اتصفت بالصدق في قصص النساء في القرآن الكريم ، كقصة امرأة العزيز والنسوة ، وقصة مريم عليها السلام ، وقصة ملكة سبأ [٢] .

٤- ينبغي على الأسرة أن تحرص على تمثل قيمة الصدق في جميع أفرادها ، لمكانة هذه القيمة الدينية والاجتماعية . وتظهر هذه القيمة في صدق أقوال أفراد الأسرة وصدق أفعالهم . فعندما تشعر الفتاة بأن كل لفظ وحديث يصدر عن الأم هي فيه صادقة ، وكل فعل يصدر عن الأب هو فيه مخلص صادق ؛ تنمو هذه القيمة في نفسها بصورة إيجابية . أما عندما ترى أمها تكذب في حديثها على جاراتها ، والأب يأمرهم بإجابة السائل عنه بأنه غير موجود ، والأخت تحث أخاها على الكذب لينجوا من عقوبة الوالدين ، فلا غرابة أن تقلدهم الفتاة ليكون الكذب هو القيمة المكتسبة نتيجة هذه القدوة السيئة .

٥- على الأسرة أن تعود الفتاة على امتثال هذا الخلق منذ طفولتها ، وتستغل أي موقف أو حادثة في التأكيد على أهمية الصدق والتحذير من الكذب .

٦- على الأسرة أن تثني على المواقف التي يظهر فيها صدق الفتاة ، خاصة إذا كانت تتوقع عليها العقوبة أو الحرمان مما تحب . وعليها أن تكون حازمة ولا تتساهل في ظهور قيمة الكذب عند الفتاة أو أي فرد من أفراد الأسرة ، ولو كان بسيطاً أو على سبيل المزاح ، وتقدر له من العقوبة ما يتناسب مع الموقف وتكراره من الشخصية .

٥) : تربية الأسرة الفتاة على قيمة الحكمة

١- تصحب الأسرة الفتاة لحضور محاضرة تتحدث عن قصة ملكة سبأ عليها السلام أو قصة سليمان عليه السلام ، فإن لم يتيسر ذلك فبالاستماع لشريط يتحدث عن هذه القصة .

٢- بعد الانتهاء من المحاضرة تتباحث الأسرة في الفوائد المستخلصة من هذه القصة ، وأبرز أخلاقيات شخصياتها.

٣- يركز الحديث بعد ذلك على قيمة الحكمة التي اتصفت بها ملكة سبأ . ويبين مفهومها وأهميتها ومكانتها ومقوماتها ووسائل اكتسابها [٣].

٤- تناقش الأسرة بعد ذلك قصصاً أخرى وردت فيها قيمة الحكمة بصورة إيجابية كقصة أخت موسى وقصة مريم عليهما السلام . أو سلبية كامرأة العزيز وامرأة أبي لهب [٤].

٥- ظهور قيمة الحكمة في تصرفات أفراد الأسرة خاصة الوالدين ، يعطي الفتاة صورة عملية وتطبيقية لهذه القيمة . فالأم الحكيمة التي تصبر على مشكلات أطفالها ولا تتعجل في إيقاع العقوبة حتى تتثبت

١- أنظر ص ٢٢٥- ٢٢٧ من الرسالة .

٢- أنظر ص ٢٢٧ – ٢٢٩ من الرسالة .

٣- أنظر ص ٢٢٩- ٢٣١ من الرسالة .

٤- أنظر ص ٢٣١- ٢٣٥ من الرسالة .

من الخطأ ، وتحاول معالجة هذا الخطأ بطرق أخرى . والأب الذي يواجه المشكلات العائلية -كالوقوع في ضائقة مالية أو انحراف أحد الأبناء - بتأنٍ وتفكر وتقويم للأمر وسؤال لأهل العلم إن احتاج إلى ذلك . والأخت التي تختار حاجاتها من الملابس والأدوات المدرسية بحيث تراعي الجودة والحاجة وعدم وجود منكر فيها ؛ كل هذه التصرفات وغيرها تتعلم منها الفتاة أن تتفكر وتتأمل ولا تتعجل في اختياراتها وحل مشكلاتها.

٦- ومن أقوى أسباب اكتساب الفتاة لقيمة الحكمة ؛ مصاحبة أهل الحكمة وقراءة سيرهم . فإذا رأت الفتاة من هم أكبر سناً من ذوي الحكمة ، واستمعت إلى تجارهم وخبراتهم في الحياة ، ورأت طريقة تعاملهم مع المواقف المختلفة ، وكيفية تقديرهم ووزنهم لتصرفاتهم وتصرفات الآخرين ؛ فإنها ستكتسب هذه القيمة بصورة قوية . وفي المقابل يجب على الأسرة إبعاد الفتاة وتحذيرها من الشخصيات التي تتصف بالجهل والسفه وفقدان الحكمة ونقد تصرفاتهم .

٧- وعلى الأسرة أن تضع الفتاة في مواقف عملية تمارس فيها قيمة الحكمة . كأن يعرض الأب قضية للمناقشة وتداول الرأي بين الأفراد ، مع تنبيههم على أن يبنى الرأي على الحكمة والعلم وعدم الاستعجال . ويطلب من الفتاة إبداء رأيها ، ويناقش هذا الرأي ببيان جوانب القوة والضعف . فإن كان مبنياً على علم وإدراك وتقليب للأمور ؛ فيثني عليه ولو كان مرجوحاً . وإن كان مبنياً على الاستعجال والجهل ومحبة الظهور ، فإنه ينتقد ويوضح لها الطريقة الصحيحة للبتِّ في الأمور .

٨- ويمكن للأسرة أن تتعرف على مدى اكتساب الفتاة لقيمة الحكمة من خلال تصرفاتها واختياراتها ، مع دعم جوانب القوة ، ومعالجة جوانب الضعف والقصور . فانتقاء الفتاة لأدواتها الشخصية وترتيبها ، وتعاملها مع المواقف اليومية والأحداث الجارية ؛ تدل على درجة الحكمة التي وصلت لها وجوانب القصور فيها .

٩- إذا ظهرت حكمة الفتاة في أي موقف فعلى الأسرة أن تكافئها بالثناء أو الهدية .أما إذا ظهر قصور في حكمتها فعليها أن ترشدها للتصرف الصحيح بأسلوب حسن لطيف . وعلى الأسرة أن تراعي في كل ذلك مستوى الفتاة العمري .

٦): تربية الأسرة الفتاة على قيمة الرحمة

١- تصحب الأسرة الفتاة لحضور محاضرة تتحدث عن الرحمة من حيث مفهومها وآثارها والأحاديث الآمرة بها وحدودها ومظاهرها ومن يستحقها ، فإن لم يتيسر فبالاستماع لشريط يتحدث عنها.

٢- يقرأ أحد أفراد الأسرة آيات قصة آسية بنت مزاحم عليها السلام من سورة القصص الآيات (٧- ٩). ثم يقوم بتفسيرها وبيان أحداث قصتها ، مع بيان رحمة هذه المرأة بالطفل الرضيع . وكذلك تقرأ آيات قصة امرأة نوح عليه السلام في سورة التحريم آية (١٠). ويبين قسوة هذه المرأة على زوجها والمؤمنين.

٣- ومن خلال ما عرفت الفتاة من قصص النساء في القرآن الكريم يطلب منها أن تذكر أمثلة لنساء اتصفن بالرحمة – كرحمة أم موسى وفتاتي مدين وملكة سبأ – . وأمثلة لنساء اتصفن بالقسوة – كامرأة لوط

وامـــرأة العزيـــز – . ومن ثم يوسع الحديث ليشمل معظم شخصيات القصة مع مناقشة طريقة تمثلهم بالقيمة [1] .

٤- خلـــق الرحمة يظهر في أركان الأسرة ويتشربه أفرادها ، من خلال الممارسات التي تتم داخل الأسرة ؛ وذلك برحمة كل فرد للآخر وعطفه عليه . فعندما ترى الفتاة رحمة الوالدين بها وعطف إخوتها الأكبر سناً بمن هم أصغر سناً، ورحمة الأسرة بالمريض والصغير والمحتاج والفقير ، سواء كان المرحوم من أفراد الأسرة أو من الجيران والمجتمع عامة ؛ تغرس هذه الرحمة في نفسها وتصبح طابعاً سلوكياً لها .

٥- على الأسرة أن تحرص على ممارسة الفتاة لهذه القيمة بوضعها في مواقف تتطلب منها إظهار هذه القيمة. كرؤيتها لفقير ؛ فتتصدق عليه . ورؤيتها لمريض أو عاجز فتعينه وتعطف عليه .

٦- كمـــا ينـــبغي على الأسرة أن تكافئ الفتاة في حالة اتصافها في موقف ما بالرحمة . وفي حالة اتصافها بالقسوة في موقف كان يستحق صاحبه الرحمة –كأن تقوم بإيذاء حيوان ، أو تضرب أختها الصغرى– فعلى الأسرة أن ترهب الفتاة وتحذرها من ذلك ، وتذكرها بأن رحمة الله تتنـــزل على الراحمين .

٧- على الأسرة أن تستخدم أسلوب التربية بالأحداث للفت انتباه الفتاة لأهمية قيمة الرحمة بالناس والحيوان. كـــأن ترى حدوث مصيبة في إحدى الدول وقيام الدول الأخرى بمساعدتها بالمال والدواء والأجهزة . وكأن ترى أحد الأشخاص يعالج حيواناً مريضاً .

٧) : تربية الأسرة الفتاة على قيمة الحياء

١- تطلب الأسرة من الفتاة قراءة آيات قصة بنتي صالح مدين – زوجة موسى – في سورة القصص الآيات (٢٢- ٢٩) ، ويوضح أحد أفراد الأسرة تفسير آياتها وأحداث قصتها . ثم يطلب منها استخراج أهم القيم الخلقية الواردة في القصة ، حتى تذكر قيمة الحياء .

٢- توضـــح الأســـرة للفتاة المقصود بقيمة الحياء ومكانتها في التربية الإسلامية مع مناقشتها في حدود هذه القيمة [2].

٣- تلفت الأسرة انتباه الفتاة إلى أن هذه القيمة من أخلاق الأنبياء والصالحين والنساء المؤمنات ، ويورد لها نمـــاذج مـــن قصص النساء في القرآن الكريم ، حيث ظهرت صفة لآدم وحواء ولوط ويوسف وسارة وملكـــة سبأ ومريم عليهم السلام . مع إشعارها بخطورة فقد الحياء بعرض نماذج لمن فقدوا هذه القيمة كما في امرأة لوط وامرأة العزيز والنسوة وقوم لوط . مع مناقشة كيفية ظهورها في كل شخصية على حدة [3].

٤- وغـــرس قـــيمة الحياء في نفس الفتاة محكوم بشكل قوي بواقعها الأسري ، فالأسرة الفاضلة التي يمتنع أفـــرادها عـــن فعـــل القبائح ، ويبتعدون عن المنكرات ، طيبو السيرة والسريرة ، لا يقصدون أماكن الشـــبهات ، ويبتعدون عن السفر إلى البلاد التي تشيع فيها المنكرات ، وهم ذوو لباس محتشم في المترل

١- انظر ص ٢٣٨- ٢٤١ من الرسالة .

٢- أنظر ص ٢٤١ – ٢٤٣ من الرسالة .

٣ – أنظر ص ٢٤٤- ٢٤٥ من الرسالة .

وعند خروجهم ، وقول طيب ، لا تتلفظ ألسنتهم بألفاظ بذيئة على الآخرين ، ومن خالف الحياء يُنكر عليه ، تجدها أسرة يشع في أركانها الحياء ، ويتربى الناشئة فيها على الطهارة .

٥- يجب على الأسرة ملاحظة تمثل الفتاة لهذه القيمة في حياتها اليومية ، كملاحظة لباسها وألفاظها وحركاتها وطريقة تعاملها مع الآخرين . فإذا رأت منها قصوراً في قيمة الحياء فعليها أن تنبهها وترشدها إلى الصواب، فإن لم تستجب فتعاقب بحسب درجة الأمر . كأن تريد الخروج من المترل متبرجة أو متعطرة فيبين لها إثم هذا الفعل ، فإن لم تستجب ؛ تمنع من الخروج حتى تغير حالها .

٦- على الأسرة أن تستغل الأحداث الجارية في تذكير الفتاة بأهمية الاتصاف بالحياء . كأن تنشر أحد الصحف إحصائيات عن ارتفاع نسبة الجرائم والأمراض الجنسية في الدول الغربية نتيجة فقد هذه المجتمعات للحياء والعفة .

٨) : تربية الأسرة الفتاة على قيمة العفة

١- تصحب الأسرة الفتاة لحضور محاضرة عن مريم عليها السلام ، وإن لم يتيسر ذلك فيكتفى بسماع شريط يتحدث عن قصة مريم عليها السلام .

٢- بعد الانتهاء من المحاضرة والعودة إلى المترل يقرأ أحد أفراد الأسرة قصة مريم في سورة مريم الآيات (١٦- ٣٣) ثم يبين تفسير آيات القصة وأحداثها .

٣- يركز الحديث بعد ذلك على قيمة العفة التي اتصفت بها مريم عليها السلام ، ويبين المقصود بها وأهميتها ومظاهرها [١].

٤- يتناقش أفراد الأسرة في ورود قيمة العفة بصورة إيجابية وسلبية في بعض شخصيات قصص النساء في القرآن . مثل عفة لوط عن طلب الأجر ، وعفة يوسف عن الفاحشة ، وعفة بنتي صالح مدين عن مزاحمة الرجال وغير ذلك [٢].

٥- عندما تكون قيمة العفة مهيمنة على تصرفات أفراد الأسرة ؛ لابد وأن تتأثر بذلك الفتاة . فالأم العفيفة في لسانها فلا تتلفظ بالغيبة ولا بالألفاظ السيئة ، والأب العفيف عن المحارم فهو ذو الكسب الطيب الحلال، والأخت العفيفة في لباسها فهو ساتر محتشم ، والأخ العفيف الذي لا يقصد أماكن الفاحشة واللهو ؛ فإن الفتاة ستربى على العفة . وإذا انتفت قيمة العفة من أخلاق أفراد الأسرة انتفت من أخلاق الفتاة أيضاً ، فالأم التي تغتاب الآخرين وتسخر بهم ، والأب الذي مصدر رزقه الحرام ، والأخ الذي يطلق العنان لبصره ورجله للحرام ، والأخت التي تسمع الغناء وترقص على نغماته ، كلها شخصيات تدعو الفتاة بفعالها إلى ترك العفة والاستهانة بأمرها.

٦- على الأسرة أن تلاحظ اتصاف الفتاة بالعفة كملاحظة عفة لسانها عن الكذب وقول الزور ، وعفة يدها عن إيذاء أحد ، أو أن تأخذ ما ليس لها . وكذلك من خلال مظهرها الخارجي وملاحظة

١- أنظر ص٢٤٥- ٢٤٨ من الرسالة .

٢- انظر ص ٢٤٨- ٢٤٩ من الرسالة .

صديقاهما . فإذا اتصفت الفتاة بالعفة فعلى الأسرة أن تدعمها في ذلك ، أما إذا ظهر قصور اكتساها لهذه القيمة فعلى الأسرة أن تتعرف على أسبابه وتعالجه .

٧- على الأسرة أن تستغل المواقف والأحداث اليومية في تنبيه الفتاة على أهمية هذه القيمة . كعفة أحد المساكين عن السؤال ، وعفة المسلم عن أكل مال الربا .

٩) : تربية الأسرة الفتاة على قيمة الكرم

١- يعطي الأب الفتاة كتاباً عن الكرم ، ويطلب منها قراءته وتلخيصه ، تمهيداً لعرضه في إحدى الجلسات العائلية [١] .

٢- تعرض الفتاة في الجلسة ما لخصته عن الكرم ، مع فتح باب المناقشة والحوار حول المقصود بالكرم وأهميته وحدوده والأحاديث الواردة فيه .

٣- يعطي الأب مثالاً على الكرم في قصة سارة ، فيقرأ آيات القصة في سورة الذاريات (٢٤- ٣٠) ويتباحث مع الأسرة في كيفية ظهور هذه القيمة .

٤- يطلب الأب من أفراد الأسرة ذكر نماذج لشخصيات اتصفت بالكرم من خلال قصص النساء في القرآن الكريم ، كقصة امرأة العزيز وقصة امرأة لوط وقصة حادثة الإفك [٢] .

٥- لغرس قيمة الكرم في نفس الفتاة لابد من أن ترى هذا الخلق متمثلاً في أسرتها ، فيعطون السائل الفقير ويعينون بمالهم المحتاج ، ويكرمون ضيوفهم بألوان الطعام والشراب مع إظهار الفرح والسرور بهم . أما إذا كانت الأم تتأفف من خدمة الضيف وتظهر سخطها عليه ، والأب يتضجر من نزول ضيف به ويظهر عدم رغبته به ويقصر في طعامه وشرابه حتى لا يعتاد الضيف النزول عليه . فستكتسب الفتاة هذا البخل من أفراد أسرتها وتقلدهم في تصرفاتهم إذا نزل بهم أي ضيف.

٦- على الأسرة أن تجعل الفتاة تمارس هذه القيمة عملياً عن طريق تحميلها مسئولية إعداد المنزل لاستقبال الضيوف ، والقيام بالمشاركة في إعداد الطعام ، وكذلك المشاركة في الترحيب بالضيف. وعلى الأم أن تحرص على تعليم الفتاة طريقة استقبال الضيف والترحيب به وكيفية تقديم الشراب والطعام وغير ذلك من الأمور .

٧- عندما تبدي الفتاة رغبة في استضافة صديقاتها فعلى الأسرة أن ترحب بذلك وتحثها على القيام بالإعداد لاستقبال ضيوفها ، مع توفير ما تحتاجه من الأشياء ، ومساعدتها في ذلك.

٨- إذا شعرت الأسرة أن الفتاة تتصف بالبخل أو التذمر من الضيوف ، وعدم الرغبة في استضافة أحد ؛ فعليها أن تعالج هذا الأمر بتذكيرها بفضل الإنفاق في سبيل الله ، وعاقبة البخل في الدنيا والآخرة ، وإن إكرام الضيف من أخلاق الأنبياء وأهل الصلاح ، مع دعم ذلك بالآيات والأحاديث وتذكيرها بقصص النساء الكريمات . ويمكن للأسرة استخدام أسلوب الترهيب والعقوبة إذا رأت الحاجة لذلك .

١- مثل : موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية (جزء الكرم). مرزوق بن صنيتان ابن تنباك وآخرون . دار روح. ١٤٢١هـ.

٢- أنظر ص ٢٥٢- ٢٥٣ من الرسالة .

١٠): تربية الأسرة الفتاة على قيمة الوفاء

١- يتحدث أحد أفراد الأسرة عن قيمة الوفاء وأهميتها ومكانتها في الدين الإسلامي [1].

٢- يقرأ أحد أفراد الأسرة الآية (٣٥- ٣٧) من سورة آل عمران – قصة أم مريم – ويبين كيف أنها وفّت بنذرها. وكذلك الآية (١٠) من سورة التحريم – قصة امرأة نوح وامرأة لوط – ويبين الأب المقصود بـ (فخانتاهما)

٣- يطلب الأب من أفراد الأسرة أن يعطوا أمثلة لشخصيات اتصفت بالوفاء وأخرى اتصفت بالغدر من خلال ما تدارسوه من قصص النساء في القرآن الكريم [2].

٤- على الأسرة أن تحرص على تمثل جميع أفرادها لهذه القيمة حتى يمكن غرسها في نفس الفتاة وتعويدها عليها. فإذا كان التعامل بين أفراد الأسرة يقوم على الوفاء فلا بد أن تتخلق به الفتاة. فالأسرة التي تفي الأم بوعدها لابنها بمكافأته إن هو قام بأمر معين، ويفي الأب بالعهود والمواثيق التي يقطعها على نفسه، ويغضب أفراد الأسرة من الغادر وينبذونه حتى يرجع عن هذا الغدر؛ لا بد وأن يكتسب الأبناء هذا الخلق من الوالدين. أما إذا كانت الأم غير وفية لزوجها فلا تحفظ سره، وإذا كان الأب يشتهر بين الناس بالغدر والخيانة؛ فيصعب اكتساب الفتاة لهذه القيمة مع عدم وجود القدوة من الأسرة.

٥- على الأسرة أن تحرص على اكتساب الفتاة لقيمة الوفاء ومراقبتها في ذلك. ويمكن للأسرة التعرف على ذلك من خلال ملاحظة وفاء الفتاة بما تعِد به، وفيما كلفت بحفظه. فإن كانت وفيّة فعلى الأسرة أن تثني عليها وتكافئها وتخبرها بما حازته من الأجر والثواب. وإن ظهر منها الغدر وعدم الوفاء فعلى الأسرة وعظها فإن لم تستجب فتعاقب مع إلزامها بالوفاء.

٦- وعلى الأسرة استغلال المواقف والأحداث اليومية والتي تظهر فيها قيمة الوفاء بصورة إيجابية أو سلبية. كعدم وفاء البائع في الكيل والوزن، وغدر صديق بصديقه، وخيانة زوجة لزوجها، وعدم التزام دولة بالعهود والمواثيق الدولية. وتبين لها الآثار السيئة الناتجة عن ترك الوفاء.

١١): تربية الأسرة الفتاة على قيمة المحبة

١- يعطي الأب الفتاة كتاباً عن قصة حواء عليها السلام [3]، ويطلب منها تلخيصه؛ لعرضه في إحدى الجلسات العائلية.

٢- مع بداية الجلسة العائلية يقرأ أحد أفراد الأسرة الآيات الواردة في قصة حواء في سورة الأعراف (١٩ – ٢٥). مع تفسير آياتها. ويطلب من الفتاة عرض ما أعدته للجلسة

١- أنظر ص ٢٥٣- ٢٥٥ من الرسالة.

٢- أنظر ص ٢٥٥- ٢٥٦ من الرسالة.

٣- مثل كتاب: نساء الأنبياء في ضوء القرآن والسنة. لأحمد خليل جمعة. دار ابن كثير ١٤٢٣هـ. أوكتاب: قصص المرأة في القرآن الكريم. منى محمد هنداوي. الناشر مكتبة وهبة. القاهرة. ١٤١٩هـ.

٣- يلفت الأب انتباه أفراد الأسرة إلى أن إبليس استخدم في إغراء آدم وحواء محبتهما للخلد والملك . ثم يتحدث عن قيمة المحبة وأهميتها ومكانتها وأقسامها ومراتبها [١].

٤- تطلب الأسرة من الفتاة أن تمثل – من خلال قصص النساء في القرآن الكريم – لمحبة أهل الإيمان ، وبغض أهل الكفر – كما في سارة عليها السلام – . ومحبة الوالد لولده – كما في أم مريم وأم موسى – [٢].

٥- عندما ترى الفتاة أفراد أسرتها تتمثل فيهم المحبة المشروعة ، فيحبون الله ورسوله وعباد الله الصالحين ، ويحب بعضهم بعضاً ، ويحبون المسلمين عامة ؛ فإن هذا يسهم في غرس هذه القيمة في نفس الفتاة ، خاصة وهي أحد أفراد الأسرة الذين ينهلون من هذه المحبة . ولكن إذا رأت الفتاة أفراد أسرتها يصرفون المحبة في وجوه غير مشروعة ، كمحبة اللهو والغناء ومحبة المغنيين والفنانين ولاعبي الكرة ، ومحبة الصديقات بصورة تصل للعشق ، وبغض أفراد الأسرة لبعضهم أو كرههم للآخرين ، فستؤثر هذه الأمور في اكتساب الفتاة لهذه القيمة بصورة صحيحة.

٦- على الأسرة أن توجه الفتاة إلى المحبة الصحيحة وتنشئها على محبة الله ورسوله ، ومحبة أهل الإيمان والمسلمين ، ويكون ذلك بصورة نظرية وعملية . كأن تشاهد الفتاة المسلمين وهم يصلون في الحرم أو وهم يؤدون فريضة الحج فتخبرها الأم أنها تحب هؤلاء المسلمين لأنهم يطيعون الله ويعملون بالسنة . وكذلك على الأسرة أن توجه الفتاة إلى بغض أهل الكفر والمعاصي والفسقة ، لمعصيتهم الله ورسوله و لسوء فعالهم .

٧- وتستطيع الأسرة أن تتعرف على مدى اكتساب الفتاة لقيمة المحبة بصورة قوية أو ضعيفة من خلال تصرفاتها واهتماماتها . فإذا كانت المحبة إيجابية صحيحة فعلى الأسرة أن تدعمها . مثل محبة الفتاة للنساء الصالحات والداعيات الخيرات ورغبتها في حضور محاضراتهن وزيارتهن . أما إذا رأت الأسرة الفتاة قد وقعت في المحبة المحظورة كالتعلق بالشخصيات ومحبة الموسيقى والأفلام والموضات والأزياء ؛ فعليها أن تحذرها من هذه المحبة وتبين لها آثارها السيئة مع معالجة هذه الأمور .

١٢) : تربية الأسرة الفتاة على قيمة الشجاعة

١- يعطي الأب الفتاة كتاباً يتحدث عن الشجاعة [٣] ، ويطلب منها قراءته وتلخيصه في بضع صفحات ، تمهيداً لعرضه في إحدى الجلسات العائلية .

٢- يقص الأب على أفراد الأسرة بعض قصص النساء والتي ظهرت فيها قيمة الشجاعة ، كقصة أم موسى وأخته ، وقصة ملكة سبأ وقصة مريم . مع مناقشة كيفية ظهورها في شخصيات القصة [٤].

---

١ - أنظر ص ٢٥٦- ٢٥٩ من الرسالة .

٢- أنظر ص ٢٥٩- ٢٦١ من الرسالة .

٣- مثل كتاب موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية (جزء الشجاعة). مرزوق بن صنيتان ابن تنباك وآخرون . دار روح. ١٤٢١هـ.

٤- أنظر ص ٢٦٤- ٢٦٥ من الرسالة .

٣- تعـرض الفتاة ما لخصته عن موضوع الشجاعة . ثم يفتح باب المناقشة والحوار حول ما جاء فيه من معلومات ، كحدود الشجاعة ومجالاتها وكيفية اكتسابها .

٤- ظهور الشجاعة في الأسرة تسهم في قوة غرس هذه القيمة في نفس الفتاة ، كشجاعة الأب في المواقف التي تحتاج إلى المدافعة عن أهله كدخول سارق المترل أو اعتداء شخص على محارمه ، وشجاعة الأم في اتخـاذ قراراتها ، وشجاعة الإرادة عند الأخت ، وشجاعة الأخ في الصدق وقول الحق فيعترف بخطئه وهو يتوقع العقوبة من الوالدين .

٥- وعـلى الأسرة أن تعود الفتاة على الشجاعة ، بتعويدها على اتخاذ القرارات ، وإبداء رأيها ولو كان مرجوحاً والثناء على ذلك وإظهار ما فيه من جوانب قوة وجوانب قصور ، مع التأكيد على أن ترك الأخذ برأيها لا يعني عيباً في شخصها أو عقلها . وكذلك تعود الفتاة على شجاعة الإرادة بحثها على ضبط نفسها وعدم اتباع الهوى ، والسعي في تحقيق أهدافها ولو سبَّب ذلك لها التعب والمشقة .

٦- عـلى الأسـرة اسـتخدام أسـلوب الثواب عند ظهور هذه القيمة في مواقف الفتاة ، بالثناء المادي والمعنوي. وعندما يظهر ضعف اتصاف الفتاة بهذه القيمة فعلى الأسرة أن تعالج هذا الأمر بمعرفة أسبابه ودواعـيه ، مـع تأنيبها وإظهار عدم الرضا عن موقفها . كأن تدور في الفصل حلقة نقاش بإشراف معـلمة الصـف ، فـتجبن الفتاة عن إبداء رأيها ، فتؤنبها الأسرة على هذا الجبن ، وتذكرها بأهمية الشجاعة في عرض الرأي واتخاذ القرارات ، ولو كان الرأي مرجوحاً .

٧- وعلى الأسرة أن تلفت انتباه الفتاة للمواقف الحياتية والأحداث اليومية التي تظهر فيها قيمة الشجاعة ، مثل : ما يدور من جهاد في بعض البلاد الإسلامية . بتقويم تلك المواقف ونقدها وإظهار أوجه القوة والضعف فيها والطريقة الصحيحة التي ينبغي التعامل بها .

١٣) : تربية الأسرة الفتاة على قيمة الغيرة

١- يتحدث الأب عن مفهوم الغيرة وأهميتها وأقسامها ومستوياتها [١].

٢- يطلب الأب من أحد أفراد الأسرة أن يقرأ آيات قصة التحريم (١- ٥) ثم يبين سبب نزولها والآيات والأحاديـث الـواردة فـيها ، ويعرض أحداث القصة مع التنبيه على أن الغيرة المفرطة سبب وقوع السيدتين عائشة وحفصة في الخطأ .

٣- من خلال ما عرفت الفتاة من قصص النساء في القرآن يطلب منها أن تمثل لقيمة الغيرة في شخصيات هذه القصص بصورة إيجابية وسلبية [٢].

٤- خلـق الغيرة خلق لابد من أن تحقق فيه الأسرة الوسط الذي يدعو إليه الإسلام . فالأسرة التي تحقق المـنهج الوسط في هذه الغيرة يرى أفرادها يتنافسون مع الآخرين في طلب معالي الأمور ، والحصول على أرفع الدرجات ، ويدافعون عن حقوقهم بفكرهم ودمهم ومالهم ، دون أن يظلموا الآخرين أو

١- أنظر ص ٢٦٥- ٢٦٧ من الرسالة .

٢- أنظر ص ٢٦٧- ٢٦٨ من الرسالة .

يسلبوهم حقوقهم أو يحقدوا عليهم أو يحسدوهم. أما إذا انحرف مفهوم الغيرة عند أفراد الأسرة ، فكانت الأم تغار على زوجها فتفتعل له المشاكل ، والأب يغار على زوجته وبناته فيشك فيهن بصورة تثير الريبة لغير سبب ، والأخ الذي يغار من صاحبه فيحقد عليه ويسلبه حقوقه ، والأخت التي تغار من أختها فتخاصمها وتقاطعها ؛ فهذا سيؤثر في خلق الغيرة عند الفتاة ، فتتحول الغيرة إلى حالة غير صحية تؤدي إلى المشاكل النفسية والاجتماعية.

٥- وعلى الأسرة أن تكون شديدة الملاحظة لممارسة الفتاة لقيمة الغيرة . فإذا كانت تؤدي للمنافسة والسعي نحو زيادة التحصيل العلمي دون أن تضر بأحد أو تحقد عليه ؛فهي غيرة محمودة . أما إذا أدت إلى أن تظلم أحداً أو تحقد عليه أو تضر به ؛ فهي غيرة سيئة ، يجب على الأسرة ترهيب الفتاة منها ومنعها من الاتصاف بها بوعظها وتحذيرها من عاقبتها .

٦- وعلى الأسرة أن تستغل الأحداث الجارية في لفت انتباه الفتاة لأهمية قيمة الغيرة . كأن تنبه الفتاة على التنافس الحاصل بين دول العالم في التقدم العلمي .

١٤): تربية الأسرة الفتاة على قيمة التعاون

١- يقرأ أحد أفراد الأسرة سورة المسد كاملة . ثم يقوم الأب بإيضاح سبب نزولها مع تفسير آياتها وعرض قصة امرأة أبي لهب . ويلفت انتباه الحاضرين إلى أن أم جميل كانت تعين زوجها على الإثم والعدوان .

٢- ثم يتحدث عن قيمة التعاون وأهميتها ومجالاتها وحدودها وأقسامها (1) .

٣- يطلب من الفتاة أن تذكر مثالاً لشخصيات اتصفت بالتعاون على البر والتقوى ، وأخرى تعاونت على الإثم والعدوان من خلال ما عرفت من قصص النساء في القرآن الكريم (2).

٤- يجد التعاون تطبيقه الأول داخل الأسرة ، وأول هذه التطبيقات تعاون الزوجين في إقامة صرح البيت العائلي وقيام الأبناء ببر الوالدين والإحسان لهم خاصة عند الكبر ، ثم صلة ذوي القربى (3). فظهور التعاون بين أفراد الأسرة يؤثر بشكل قوي وفعال في اكتساب الفتاة لهذه القيمة ، فإذا رأت الأم تتفقد أحوال جاراتها وتساعدهن على الخير وتنصحهن وتُعيرَهنّ بعض الحاجيات ، ورأت الأب يتصدق على الفقراء ، ورأت أختها تعينها على استذكار دروسها وترتيب أدواتها المدرسية .تدرك عندها أهمية التعاون في حياتها الأسرية وكما أن ذلك يدفعها لتمارس هذا التعاون خارج نطاق أسرتها بصورة فعالة.

٥- على الأسرة أن تحرص أن يكون تعاون الفتاة مع الآخرين محدداً بالقاعدة القرآنية ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [المائدة: ٢]. وفي حالة ظهور تعاون الفتاة مع الآخرين على

١- أنظر ص ٢٦٩- ٢٧١ من الرسالة

٢- انظر ص ٢٧٢- ٢٧٣ من الرسالة .

٣- تنباك ، مرزوق صنيتان وآخرون. موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية الاسلامية . التعاون .مرجع سابق. ١٣/ ٤٦..

الإثم والعـــدوان كاشـــتراكها مع زميلاتها في إتلاف أثاث المدرسة أو إتلاف أشجار المزرعة ؛ فإنها تعاقب على ذلك .

٦- عـــلى الأسرة أن تحرص على ممارسة الفتاة لقيمة التعاون على البر والتقوى في نطاق الأسرة ، بأن تـــتعاون مع أفراد الأسرة في الإعداد والتنظيم لاستقبال الضيوف . وتعاون أخواتها الأصغر منها في مراجعة دروسهن وترتيب أدواتهن المدرسية . وتحثها الأسرة على معاونة زميلاتها في المدرسة .

٧- على الأسرة لفت انتباه الفتاة لأهمية التعاون في الحياة البشرية من خلال الأحداث الجارية كمعاونة الجمعيات الخيرية الإسلامية للضعفاء والعجزة والأيتام في الدول الإسلامية ، بتوفير الأطعمة والملابس والمساكن والعلاج والمدارس .

١٥) : تربية الأسرة الفتاة على قيمة الشورى

١- يســـتعرض أحد أفراد الأسرة على الفتاة قصص النساء التي ظهرت فيها قيمة الشورى كقصة ملكة سبأ، وقصة امرأة العزيز والنسوة.

٢- تســـتثمر الأســـرة هذه القصص في لفت انتباه الفتاة لأهمية الشورى ومكانتها في الدين الإسلامي وكيفية الاستشارة وشروط المستشار[1] .

٣- يطلب من الفتاة أن تعطي أمثلة من خلال قصص النساء في القرآن الكريم لقصص وردت فيها قيمة الشورى ، كقصة حادثة الإفك وقصة زينب بنت جحش والمجادلة [2] .

٤- إذا طبقـــت الأســـرة – خاصة الوالدين – قيمة الشورى في حياتهم الأسرية فسيكون من السهل غرسها في نفس الفتاة . فإذا نزلت بالأسرة مشكلة ؛ اجتمع أفرادها للتشاور والتباحث في حل هذه المشكلة ، وعُرض في هذا الاجتماع الآراء المختلفة وتناقشوا فيها ، وتباحثوا في أفضل الحلول ، دون استهجان وازدراء للآراء . وعندما تستشير الأخت أختها في شراء بعض حاجيتها . ويستشير الأخ الأب في كيفية التعامل مع زميله الذي أساء إليه.

٥- في أثـــناء مناقشة الموضوعات المعروضة للشورى ، على الأسرة أن تحفز الفتاة وتشجعها على إبداء رأيها ولو كان مرجوحاً . فإن أصابت فعلى الأسرة مكافأتها ولو بالثناء على هذا الرأي .

٦- عـــلى الأســـرة أن تحث الفتاة على حل مشكلاتها الشخصية باستخدام قيمة الشورى . فتستشير الوالدين أو الإخوة أو الزميلات ، وأي شخص تظن أنه سيفيدها في حل مشكلاتها .

١- أنظر ص ٢٧٣- ٢٧٥ من الرسالة .

٢- أنظر ص ٢٧٥-٢٧٦ من الرسالة .

خلاصة الفصل :

ومـــن العرض السابق يتضح أن الأسرة المسلمة قد نالت في التربية الإسلامية مكانة كبيرة ، فتنظر للأسرة عـــلى أنها البيئة الاجتماعية الأولى التي تؤثر في الفرد وتكسبه القيم والمبادئ الإسلامية . لذلك تولت الشريعة الإســـلامية رسم أهدافها وتحديد وظائفها ووضعت منهجاً لبنائها بصورة تفصيلية دقيقة ، وجعلت لكل فرد فيها حقوقاً تمكنه من القيام بدوره في بناء الأسرة ، كما رتبت عليه واجبات مكلفاً بالقيام بها ومسئولاً عنها .

وقـــد كشـــف الفصل عن أهمية العناية بتربية الفتاة الخلقية من الناحية الشخصية والأسرية والاجتماعية ، ولمواجهـــة الهجمة الشرسة الموجهة لهدم الأمة الإسلامية ، عن طريق تخريب أخلاق الفتاة المسلمة . كما أكد الفصـــل عـــلى أن هـــذه التربـــية هي مسئولية الأسرة ، فيقع على عاتقها مهمة تعريف الفتاة بالقيم الخلقية الإســـلامية، وضبط وتوجيه سلوكها الخلقي . وأبان الفصل أن إدراك الأسرة لهذا الدور يسهم في إحباط هذه المخططـــات ومواجهـــتها بقوة . كما أظهر الفصل أن هناك كثيراً من العوامل الداخلية المتمثلة في مراحل نمو الفـــتاة، وأخرى خارجية مثل جماعة الأقران والمدرسة والإعلام ، تؤثر بشكل قوي في قوة تمسك الفتاة بالقيم الخلقية ، وكثيراً ما يؤدي إهمالها إلى هدم مجهودات الأسرة في التربية الخلقية للفتاة.

وقـــد تـــبين من خلال هذا الفصل أن هناك الكثير من الأساليب التربوية ، التي يمكن للأسرة استخدامها لإكســـاب الفتاة للقيم الخلقية ، يأتي في مقدمتها أسلوب القصة ، ومن ثم أسلوب القدوة ، وأسلوب الموعظة والنصيحة ، وأسلوب الحوار والمناقشة ، وأسلوب الممارسة العملية ، وأسلوب الترغيب والترهيب ، وأسلوب التربية بالأحداث . وتبين أن هذه الأساليب متكاملة يصعب الفصل بينها ، كما أن استخدامها جميعاً يؤدي إلى قوة غرس القيم الخلقية في الفتاة .كما تبين في أن اختيار الأسلوب التربوي يتأثر بشكل كبير بالمستوى العقلي والعمري للفتاة . وقدّم الفصل آلية تنفيذية لدور الأسرة المسلمة في تربية الفتاة على القيم الخلقية المستنبطة من قصص النساء في القرآن الكريم ، معتمدة على الأساليب التربوية الإسلامية السابقة .

الخاتمة

الحمد لله على ما أعان ويسر ووفق ، والصلاة والسلام على نبيه محمد وعلى آله وصحبه ...

وبعد :

فهذه نهاية الدراسة والتي كانت بعنوان " القيم الخلقية المستنبطة من قصص النساء في القرآن الكريم " . وقد جاءت في خمسة فصول وفصل تمهيدي . أما الفصل التمهيدي : فقد وضعت فيه الباحثة خطة الدراسة ومنهجها مع بيان أهدافها والدراسات السابقة لها .

تحدثت الدراسة في فصلها الأول : عن القيم الخلقية في الإسلام في خمسة مباحث ، بينت فيها مفهومها وأهدافها وأهميتها وخصائصها ، مع إبراز أثر قيامها على مجموعة من الأسس في قوتها وإمكانية تطبيقها في الواقع البشري في كل مكان وزمان .

والفصل الثاني : ألقى الضوء على القصص القرآني ببيان تعريفها وأغراضها وخصائصها وعناصرها في مبحثه الأول . ثم جاء المبحث الثاني لإيضاح المنهج القصصي القرآني . ثم خصت الدراسة المبحث الثالث منه بالحديث عن دور القصة القرآنية في التربية العقدية والتشريعية والأخلاقية والعقلية والجسمية .

وأما الفصل الثالث : فقد جاء في مبحثين ، الأول : اختص بدراسة قصص النساء في القرآن الكريم ، من حيث مفهومها وأقسامها ومزاياها .والثاني : عرضت فيه الدراسة مجموعة من قصص النساء في القرآن الكريم ، مع تفسير آياتها وعرض أحداثها ، وكشف ما تضمنته من فوائد ودلالات تربوية ، تسهم في تربية المجتمع الإسلامي على قواعد وأحكام الشريعة الإسلامية .

وفي الفصل الرابع : قامت الدراسة باستنباط ما تضمنته قصص النساء في القرآن الكريم من قيم خلقية ، صريحة أو ضمنية ، وبصورة إيجابية أو سلبية ، مع تحديد مواضعها . وأبانت الدراسة أن قصص النساء في القرآن الكريم ، قد أوردت العديد من القيم الخلقية ، وما تخير الدراسة منها خمس عشرة قيمة ، إلا لصعوبة حصرها جميعاً وتناولها بالدراسة والتحليل والاستنباط في بحث محدد الزمان . والقيم التي تناولتها الدراسة بالاستنباط والدراسة والتحليل هي : الطاعة ، والصبر ، والأمانة، والصدق ، والحكمة ، والرحمة ، والحياء ، والعفة ، والكرم ، والوفاء ، والمحبة ، والشجاعة ، والغيرة ، والتعاون ، والشورى.

ثم جاء الفصل الخامس للدراسة ليكشف عن الدور التربوي للأسرة المسلمة في تربية الفتاة على القيم الخلقية المبثوثة في قصص النساء في القرآن الكريم ، وذلك في مبحثين ، الأول : أُورد فيه تعريف الأسرة وأهدافها وأهميتها ، مع بيان أهمية الاعتناء بتربية الفتاة الخلقية ، وإيضاح العوامل الداخلية والخارجية التي تؤثر في دور الأسرة على تربية الفتاة الخلقية ، والتي ينبغي على الأسرة مواجهتها . والثاني: قدمت فيه الدراسة للأسرة المسلمة مجموعة من الأساليب والوسائل التربوية ، مع وضع آلية تنفيذية لدور الأسرة في تربية الفتاة على هذه القيم الخلقية .

ومـــن خـــلال مـــا سبق من دراسةٍ وتحليلٍ للقيم الخلقية في قصص النساء في القرآن الكريم ، يمكن الخروج بالعديد من النتائج أهمها ما يلي :

١- أســفر تحلــيل قصــص النساء في القرآن الكريم عن التنوع والتباين في القيم الخلقية الظاهرة والضمنية ، الإيجابية والسلبية ، مع التنوع في الشخصيات التي ظهرت في السن والجنس والدين والعصر ، مما كان له أثر في ظهور مفهوم كل قيمة بصورة قوية .

٢- ظهــور اتفــاق في مفهوم كل قيمة خلقية في جميع قصص النساء في القرآن الكريم ، مما يؤكد على ميزة الثبات التي تتصف بها قيم الإسلام الخلقية .

٣- حددت الدراسة أهم القيم الخلقية التي يجب على الأسرة الحرص على إكسابها للفتاة في ضوء قصص النساء في القرآن الكريم ، مع إعطاء تعريف شامل لكل منها ، وتحديد مواضعها في هذه القصص .

٤- كشفت الدراسة عن وجود عوامل داخلية تتعلق بمراحل النمو الخلقي تؤثر في إكساب الأسرة للفتاة القيم الخلقية ، وجهل الأسرة بهذه المراحل يؤثر تأثيراً سلبياً على عملية غرسها في نفس الفتاة ، كما أن استغلالها يسهل من تعويد الفتاة على هذه القيم .

٥- وضعت الدراسة آلية تنفيذية لدور الأسرة في تربية الفتاة على القيم الخلقية المستنبطة من قصص النساء في القرآن الكريم ، معتمدة على أساليب التربية الإسلامية .

ومـــن خلال دراسة القيم الخلقية في قصص النساء في القرآن الكريم ، ومن العرض السابق للنتائج يمكن تلخيص أهم توصيات الدراسة في النقاط التالية :

١- إجراء دراسات جادة تستكمل دراسة القصص القرآني، والقصص النبوي بالتجميع والاستنباط والتحليل ، لما فيها من مبادئ وقيم تربوية تسهم في تربية المجتمعات المسلمة .

٢- أن توجه الأسرة الناشئة إلى حفظ القرآن الكريم ، ومجموعة من الأحاديث النبوية ، مع الحرص على تزويد الناشئة بقسط وافر من الثقافة الإسلامية.

٣- أن تهــتم المؤسســات الاجتماعية والتربوية في المجتمعات المسلمة بدراسة أوضاع المرأة المسلمة ، ومعالجة قضاياها ، مع الحرص على مواجهة المخططات الرامية إلى إفسادها وزعزعة عقيدتها .

٤- الحرص على تعويد الفتاة المسلمة على الأخلاق الصالحة منذ طفولتها عن طريق عرض نماذج نسائية تاريخية وواقعية تتمثل فيهن محاسن الأخلاق وحث الفتاة على الاقتداء بهن .

٥- عــلى الأسرة أن تحرص على منع الفتاة مما يؤثر على سلوكها وأخلاقها بشكل سلبي ، كوسائل الإعلام المختلفة والصديقات ، مع تجنيبها للأماكن الرذيلة والساقطة كدور السينما والمسارح.

٦- أن تحــرص مراكــز البحوث في الجامعات والكليات والمؤسسات العلمية على إجراء مزيد من البحوث والدراسات والتي تعتني بالأسرة ، وذلك في محورين : الأول : يسعى لتوجيه الأسرة لكيفية تربية وتوجيه

الأبـــناء وفق مبادئ وقيم الشريعة الإسلامية .والثاني : يسعى لدراسة المشكلات التي تواجهها الأسرة مع تقديم حلول لها.

٧- إيجـــاد مؤسســـات ومراكز خاصة تكون مهمتها مساندة الأسرة في دورها التربوي تجاه تربية الجيل ، بما تقدمه لها من دعم مادي ومعنوي ، والإجابة على استفساراتها التربوية ، ومساعدتها في مواجهة المشكلات التربوية .

٨- عـــلى الأسرة أن تحرص على توفير جو إيماني علمي للأبناء في المنـــزل بتوفير الكتب والأشرطة والأفلام العلمـــية الهادفـــة ، وفي خارج المنـــزل باصطحاب الأبناء لحضور المحاضرات والندوات والمراكز الدعوية والصيفية الصالحة ، مع إشراكهم في المسابقات العلمية الهادفة.

٩- على الأسرة أن يكون أفرادها ذوي إدراك قوي لمبادئ وأحكام الشريعة الإسلامية ومقاصدها ، وأن تعمل على ضوئها في جميع جوانب حياتها الأسرية ، وتحرص على تربية وتوجيه الأبناء على أساسها.

١٠- عـــلى الأسرة أن تكون على حذر من تمكين الأبناء من مشاهدة القنوات الفضائية ، فقد اختلط في هذه القنوات الحق بالباطل ، والفضيلة بالرذيلة — وإن كان تيار الرذيلة هو الطاغي — لذلك يجب على الأسرة في حالـــة تمكيـــنها الأبناء من هذه القنوات أن تحصر المجال في القنوات الصالحة ، مع إشراف مباشر من الأسرة ومنع القنوات الفاسدة من دخول المترل .

وفي ضوء نتائج وتوصيات الدراسة تتجه الدراسة إلى طرح اقتراحات لدراسات مستقبلية هي :

١) دراسة بعنوان : مدى استثمار مناهج التعليم العام لقصص النساء في القرآن الكريم في تربية الفتاة .

٢) دراسة بعنوان: العوامل السلبية المؤثرة على تربية الفتاة الخلقية ودور وسائط التربية الإسلامية في مواجهتها.

٣) دراسة بعنوان : أبعاد التربية الفكرية في القصص القرآني والنبوي .

٤) دراسة بعنوان : الدلالات التربوية في القصص القرآني بين الآباء والأبناء.

٥) دراسة بعنوان : أساليب التربية الإسلامية ووسائلها في ضوء القصص القرآني .

وأخـــيراً : فإنني آمل أن أكون قد وفقت لجلاء ما قصدت ، وما هذا العمل إلا جهد مقلة ، معترفة فيه بالتقصـــير والعجز عن الإحاطة بكله ، فإن كان فيه من الجدة والإجادة فهو بتوفيق وفضل من الله ، وإن كان من خطأ وزلل فمن نفسي والشيطان. وأسأل الله أن يتقبل العمل ويجعله خالصاً لوجهه موجباً للفوز برحمته ، وأن يغفر الزلل ، إنه جواد كريم .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

١- القرآن الكريم .

٢- ابن تيمية ، أحمد. مجموع الفتاوى . اعتنى به : عامر الجزار ، وأنور الباز . مكتبة العبيكان ، الرياض . ١٤١٨هـ .

٣- ابن حجر ، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني. الإصابة في تمييز الصحابة . دار الكتاب العربي . بيروت (د. ت) .

٤- ابـــن حجـــر ، أحمد بن علي. فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . توزيع المكتبة التجارية ، مكة المكرمة . (د.ت) .

٥- ابن حنبل ، أحمد . مسند الإمام أحمد بن حنبل . بيت الأفكار الدولية . الرياض . ١٤١٩هـ .

٦- ابن رجب، عبد الرحمن بن شهاب الدين الحنبلي . جامع العلوم والحكم . المكتبة الفيصلية . مكة المكرمة . (د.ت) .

٧- ابن عاشور ، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير . الدار التونسية . تونس . ١٩٨٤م .

٨- ابن فارس ، أحمد. معجم مقاييس اللغة . دار الكتب العلمية ، إيران . (د.ت) .

٩- ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم . المكتبة التجارية . مكة المكرمة . ١٤١٠هـ .

١٠- ابن ماجه ، محمد بن يزيد القزويني. سنن ابن ماجة . . بيت الأفكار الدولية. عمان . (د.ت) .

١١- ابن منظور ، محمد بن مكرم. لسان العرب . دار احياء التراث العربي . مؤسسة التاريخ العربي . بيروت. ١٤١٦هـ

١٢- ابن هشام ، محمد عبد الملك. السيرة النبوية . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة. (د. ت)

١٣- أبوحـــيان ، محمد بن يوسف . تفسير البحر المحيط . دراسة وتحقيق عادل بن عبد الموجود وآخرون . دار الكتب العلمية بيروت . ١٤١٣هـ

١٤- أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني . سنن أبي داود . دار ابن حزم. بيروت . ١٤١٩هـ .

١٥- أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي. تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . دار إحياء التراث . بيروت . (د. ت) .

١٦- الأزهري ، محمد بن أحمد . معجم تهذيب اللغة . تحقيق: رياض زكي قاسم . دار المعرفة. بيروت. ١٤٢٢هـ.

١٧- الأصفهاني، الراغب. المفردات في غريب القرآن . تحقيق: محمد خليل عيتاني. دار المعرفة . بيروت. ١٤١٨هـ.

١٨- الألباني ، محمد ناصر الدين. صحيح الجامع الصغير وزياداته. المكتب الإسلامي . بيروت . ١٤٠٢هـ.

١٩- الألباني ، محمد ناصر الدين. صحيح سنن ابن ماجة . مكتبة المعارف .الرياض . ١٤١٧هـ

٢٠- الألباني، محمد ناصر الدين. صحيح سنن أبي داود . مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. الرياض. ١٤٢١ هـ.

٢١- الألباني ، محمد ناصر الدين. صحيح سنن الترمذي. مكتبة المعارف . الرياض. ١٤٢٢هـ .

٢٢- الألباني ، محمد ناصر الدين. صحيح سنن النسائي . مكتب التربية العربي لدول الخليج . ١٤٠٩هـ .

٢٣- الألباني ، محمد ناصر الدين. ضعيف سنن الترمذي. مكتبة المعارف . الرياض. ١٤٢٢هـ .

٢٤- الألوسي ، محمود . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . دار إحياء التراث العربي . بيروت . ١٤٠٥هـ

٢٥- الـــبخاري ، محمد إسماعيل . الأدب المفرد . دار الصديق. الجبيل . ١٤٢١هـ . تخريجات وتعليقات : محمد ناصر الدين الألباني.

٢٦- البخاري ، محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري . دار ابن حزم. بيروت. ١٤٢٤هـ .

٢٧- الـــبغا، مصـــطفى ديـــب. مستو ، محيي الدين ديب. الواضح في علوم القرآن. دار الكلم الطيب . دار العلوم الإنسانية. ١٤١٧هـ

٢٨- البغوي ، الحسين بن مسعود الفراء . تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل . اعداد وتحقيق : خالد العك ، مروان سوار . دار المعرفة.بيروت . ١٤٠٧هـ .

٢٩- الترمذي ، محمد بن عيسى . سنن الترمذي . دار ابن حزم .بيروت. ١٤٢٢هـ.

٣٠- الجرجاني ، علي محمد . كتاب التعريفات . المكتبة الفيصلية . مكة المكرمة . (د.ت).

٣١- الجزائري ، أبو بكر جابر . أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير . الإخراج الفني : راسم للدعاية والإعلان . ١٤٠٧هـ

٣٢- الجوهري ، إسماعيل بن حماد. الصحاح . تحقيق :أحمد عطار .دار العلم للملايين. ١٣٩٩هـ.

٣٣- حجازي ، محمد محمود . التفسير الواضح . دار الجيل . ١٣٨٩هـ .

٣٤- الخازن . تفسير الخازن . شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر . ١٣٧٥هـ

٣٥- الرازي ، محمد بن عمر . التفسير الكبير . دار إحياء التراث العربي . بيروت. (د. ت)

٣٦- رضا ، محمد رشيد. تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار. دار المعرفة . بيروت . (د. ت) .

٣٧- الزحيلي ، وهبة . التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج . دار الفكر المعاصر بيروت.١٤١١هـ.

٣٨- الزرقاني ، محمد عبد العظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن . دار احياء الكتاب العربية . القاهرة . (د.ت).

٣٩- الزمخشري ، محمود بن عمر. الكشاف . تحقيق : عادل عبد الموجود، علي معوض . مكتبة العبيكان. الرياض. ١٤١٨ هـ.

٤٠- السعدي ، عبد الرحمن ناصر . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. دار المغني . الرياض. ١٤١٩هـ .

٤١- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. جلال ، محمد أحمد . تفسير الجلالين . مكتبة الجمهورية العربية مصر. (د. ت).

٤٢- الشاطبي ، القاسم بن فيرة بن خلف . حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع . توزيع مكتبة دار الهدى . المدينة المنورة . ١٤١٧هـ .

٤٣- الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني . أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن . عالم الكتب . بيروت . (د.ت)

٤٤- الشوكاني ، محمد بن علي محمد . فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. عالم الكتب. (د.ت)

٤٥- الطبري ، محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة. (د.ت) .

٤٦- الفيروز آبادي ، محمد يعقوب. القاموس المحيط . دار الفكر . بيروت .(د.ت) .

٤٧- القاضي ، عبد الفتاح عبد الغني . الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع . الناشر مكتبة السوادي للتوزيع . جدة. ١٤١٢هـ

٤٨- القرطبي ، محمد أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن . مؤسسة التاريخ العربي . دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان .١٤٠٥هـ .

٤٩- القشيري ، مسلم بن الحجاج . صحيح مسلم . دار ابن حزم . بيروت. ١٤٢٣هـ.

٥٠- القطان ، مناع خليل. مباحث في علوم القرآن . مكتبة المعارف . الرياض. ١٤٠١هـ.

٥١- الكفوي ، أيوب موسى الحسيني . الكليات . دار الكتاب الاسلامي . القاهرة . ١٤١٣هـ.

٥٢- المباركفوري ، صفي الرحمن . الرحيق المختوم . دار الفكر. بيروت . ١٤٢٠هـ .

٥٣- مصطفى ، إبراهيم وآخرون. المعجم الوسيط . مجمع اللغة العربية . الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث . دار الدعوة. (د.ت).

٥٤- النسائي ، أحمد بن شعيب . سنن النسائي . بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي. وبحاشيته الإمام السندي.دار القلم. بيروت . (د. ت).

ثانياً : المراجع العامة :

٥٥- إبراهيم ، أحمد عبد الرحمن . الفضائل الخلقية في الإسلام . دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع. المنصورة . ١٤٠٩هـ .

٥٦- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان وآخرون . موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية . دار روح. ١٤٢١هـ.

٥٧- ابـن القـيم ، محمـد بن أبي بكر. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان . تحقيق : محمد سيد كيلاني. مكتبة دار التراث . القاهرة. (د.ت) .

٥٨- ابن القيم ، محمد بن أبي بكر . تحفة الودود بأحكام المولود . دار الكتاب العربي . بيروت . ١٤٠٣هـ .

٥٩- ابن القيم ، محمد بن أبي بكر. مدارج السالكين . دار الحديث . القاهرة . (د.ت)

٦٠- ابن القيم، محمد بن أبي بكر .مفتاح دار السعادة. دار الفكر. (د.ت).

٦١- ابـن كثير ، إسماعيل. قصص الأنبياء . تحقيق وتعليق : عبد القادر أحمد عطا . مؤسسة التاريخ العربي ، دار إحياء التراث العربي . (د.ت)

٦٢- ابن مسكويه ، أحمد محمد . تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق . مكتبة الثقافة الدينية . القاهرة .(د.ت).

٦٣- الـندوي ، أبـو الحسن . نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية . المختار الإسلامي. القاهرة . ١٩٧٦م

٦٤- أبو زهرة ، محمد. القرآن المعجزة الكبرى . دار الفكر العربي . (د.ت).

٦٥- أبوسعد ، أحمد . فن القصة . دار الشرق الجديد. بيروت .١٩٥٩م .

٦٦- أبو العينين، علي خليل مصطفى . القيم الإسلامية والتربية . مكتبة إبراهيم حلبي . المدينة المنورة. ١٤٠٨هـ.

٦٧- اسماعيل ، عز الدين. الأدب وفنونه . دار الفكر العربي . (د.ت).

٦٨- إسماعيل، محمد عماد الدين وآخرون . كيف نربي أطفالنا . دار النهضة العربية . ١٩٨٢م.

٦٩- الأصـفهاني ، الحسين بن محمد بن المفضل الراغب . الذريعة إلى مكارم الشريعة . راجعه وقدم لـه وعاق عليه : طه عبد الرءوف سعد. مكتبة الكليات الأزهرية . ١٣٩٣هـ.

٧٠- أمين ، بكري شيخ . التعبير الفني في القرآن . دار الشروق . ١٣٩٦هـ .

٧١- إمام ، إبراهيم . الإعلام والاتصال بالجماهير . ١٩٨١م. دون مطبعة .

٧٢- بدوي ، عبد الرحمن . الأخلاق النظرية . وكالة المطبوعات . الكويت . ١٩٧٥م.

٧٣- التميمي، محمد خليفة . حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته. مكتبة أضواء السلف. الرياض. ١٤١٨هـ

٧٤- بوحوش ، عمار . الذنيبات ، محمد .مناهج البحث العلمي أسس وأساليب . ،مكتبة المنار . الأردن . ١٤١٠هـ .

٧٥- الجاحظ ، عمر بن بحر . تهذيب الأخلاق. دار الصحابة للتراث والنشر والتحقيق والتوزيع. (د.ت)

٧٦- الجقندي، عبد السلام عبد الله . التربية المتكاملة للطفل المسلم في البيت والمدرسة . دار قتيبة . دمشق . ١٤٢٤هـ .

٧٧- الجمالي ، محمد فاضل . نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي . الدار التونسية للتوزيع . تونس . ١٩٧٨م.

٧٨- الحازمي ، خالد حامد . أصول التربية الإسلامية . دار عالم الكتب . الرياض . ١٤٢١هـ

٧٩- حسين ، سمير محمد. تحليل المضمون . عالم الكتب .القاهر. ١٩٨٣م.

٨٠- حسين ،محي الدين أحمد . القيم الخاصة لدى المبدعين . دار المعارف . القاهرة . ١٩٨١م .

٨١- حميد، صالح وآخرون . موسوعة نضرة النعيم . دار الوسيلة .جدة . ١٤١٨هـ.

٨٢- الحنفي ، جلال. المرأة في القرآن الكريم . مطبعة دار التضامن للتجارة والطباعة والنشر . ١٣٨٠هـ .

٨٣- الخزندار، محمود محمد . هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً. دار طيبة. الرياض . ١٤١٨هـ .

٨٤- الخطيـب ، جار الله سليمان . قصص القرآن . بحث مقدم لنيل الشهادة العالية . كلية الشريعة . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . (د.ت) .

٨٥- الخطيب ، عبد الكريم . القصص القرآني في منطوقه ومفهومه. دار المعرفة . بيروت . (د.ت) .

٨٦- الخطيب ، محمد شحات وآخرون . أصول التربية الإسلامية . دار الخريجي للنشر والتوزيع . الرياض . ١٤١٥هـ.

٨٧- خفاجي، محمود أحمد. في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة. بدون مطبعة . ١٣٩٩هـ.

٨٨- خلف الله ، محمد أحمد. الفن القصصي في القرآن الكريم . مكتبة الانجلو المصرية . ١٩٧٢م .

٨٩- خـياط ، محمـد جميل بن علي . المبادئ والقيم في التربية الإسلامية . جامعة أم القرى . معهد البحوث العلمية وإحياء الـتراث الإسلامي . مركز البحوث التربوية والنفسية. سلسلة البحوث التربوية. مكة المكرمة .مطابع جامعة أم القرى . ١٤١٦هـ .

٩٠- داود ، عبد الباري محمد . الحياء في الإسلام . مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية . ٢٠٠٢م .

٩١- دراز ، محمـد عبد الله . دستور الأخلاق في القرآن . تعريب وتحقيق وتعليق : عبد الصبور شاهين . مؤسسة الرسالة . دار البحوث العلمية . ١٤١٦هـ

٩٢- الدغيمي ، محمد راكان . أساليب البحث العلمي ومصادر الدراسات الإسلامية . مكتبة الرسالة عمان . الأردن .١٤١٧ هـ.

٩٣- الذهبي ،محمد بن أحمد عثمان . سير اعلام النبلاء .مؤسسة الرسالة . ١٤٠٢هـ.

٩٤- راجح ، أحمد عزت. أصول علم النفس . دار المعارف بمصر . ١٩٧٧م.

٩٥- زاهر ،ضياء . القيم في العملية التربوية . مؤسسة الخليج العربي. القاهرة . ١٩٨٤م .

٩٦- الزرقاني، مصطفى أحمد . المدخل الفقهي. دار الفكر. ١٩٦٧م.

٩٧- الزعبي ، أحمد محمد . علم نفس النمو الطفولة والمراهقة . دار الزهران . عمان . الأردن . ٢٠٠١م.

٩٨- الزنتاني ، عبد الحميد . فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة . الدار العربية .ليبيا. ١٩٩٣م.

٩٩- زهران ، حامد عبد السلام . علم نفس النمو الطفولة والمراهقة. عالم الكتب. القاهرة. ١٩٧٧م.

١٠٠- زيدان ، محمد مصطفى . النمو النفسي للطفل والمراهق. دار الشروق . جدة . (د. ت).

١٠١- سرحان ، منير المرسي . في اجتماعيات التربية . دار النهضة العربية . بيروت . ١٩٨١م.

١٠٢- سعد الدين ، إيمان عبد المؤمن . الأخلاق في الإسلام النظرية والتطبيق . مكتبة الرشد . الرياض. ١٤٢٤هـ.

١٠٣- السعدي، عبد الرحمن ناصر. الرياض الناضرة والحدائق النيرة. عالم الكتب . بيروت . ١٤١٤هـ.

١٠٤- سـلطان ، محمود السيد . الأهداف التربوية في إطار النظرية التربوية في الإسلام . الناشر دار الحسام . القاهرة . ١٤٠٠ هـ .

١٠٥- شديد ، محمد . منهج القرآن في التربية . مؤسسة الرسالة . بيروت . ١٤١٥هـ .

١٠٦- شديد ، محمد . منهج القصة في القرآن . شركة عكاظ للنشر والتوزيع .جدة. ١٤٠٤هـ.

١٠٧- الشرباصي ، أحمد. موسوعة أخلاق القرآن . دار الرائد العربي. بيروت . ١٤٠١هـ .

١٠٨- شـلبي، عبد الودود . حقائق ووثائق . دراسة ميدانية عن الحركات التنصيرية في العالم الإسلامي . الدار السعودية للنشر والتوزيع . جدة . ١٤٠٩هـ.

١٠٩- الشيباني ،عمر محمد التومي . فلسفة التربية الإسلامية. المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان. طرابلس. ١٩٧٥م.

١١٠- الشيباني ، عمر محمد التومي . من أسس التربية الإسلامية . منشورات المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان . طرابلس . ١٩٨٢م

١١١- طعيمة، رشدي . تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية مفهومه أسسه استخداماته. دار الفكر العربي . (د. ت)

١١٢- طه، تيسير وآخرون . أساليب التربية الإسلامية . دار الفكر للنشر والتوزيع . عمان. ١٩٩٢م

١١٣- عباس ،فضل حسن . القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته .دار الفرقان . الأردن. ١٤٠٧هـ .

١١٤- عبد الحميد ، محمد . تحليل المحتوى في بحوث الإعلام . دار الشروق . جدة . ١٤٠٤هـ .

١١٥- عبد الرحيم ، عبد المجيد . مبادئ التربية وطرق التدريس . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة . ١٩٧٨م .

١١٦- عبد العال ، حمدي . الأخلاق ومعيارها بين الوضعية والدين .دار القلم . الكويت .(د.ت)

١١٧- عبيدات ، ذوقان وآخرون . البحث العلمي مفهومه أدواته أساليبه . دار أسامة للنشر والتوزيع. الرياض .١٩٩٩م.

١١٨- عزام ، محفوظ علي . الأخلاق في الإسلام بين النظرية والتطبيق . دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع . ١٤٠٧هـ .

١١٩- العقاد ، عباس محمود. التفكير فريضة إسلامية . القاهرة ، دار الهلا . (د.ت) .

١٢٠- علوان ، عبد الله ناصح. تربية الأولاد في الإسلام . دار السلام . ١٤٢٤هـ.

١٢١- علي ، سعيد . التصور النبوي للشخصية السوية . دار الثقافة للطباعة والنشر . القاهرة . ١٣٧٩هـ.

١٢٢- عمار، محمود إسماعيل. تعليم بلا عقاب الثواب والعقاب في التربية . دار عالم الكتب . ١٤٢٠هـ .

١٢٣- العوا ، عادل . العمدة في فلسفة القيم . دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر. ١٩٨٦م.

١٢٤- عوضين، إبراهيم . البيان القصصي في القرآن الكريم. دار الأصالة للثقافة والنشر والاعلام . ١٤١٠هـ .

١٢٥- عياد ، شكري . القصة القصيرة في مصر . مكتبة النهضة المصرية . ١٩٦٨م .

١٢٦- الغزالي، أبو حامد محمد . إحياء علوم الدين . دار المعرفة للطباعة والنشر . بيروت . (د.ت)

١٢٧- الغزالي، أبو حامد محمد . المستصفى من علم الأصول . شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر. جدة. تحقيق حمزة حافظ. (د.ت).

١٢٨- فايز ، أحمد . دستور الأسرة في ظلال القرآن . مؤسسة الرسالة . بيروت . ١٤٠٣هـ .

١٢٩- الفيروز آبادي ، محمد يعقوب . بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز . تحقيق محمد علي النجار . لجنة إحياء التراث الإسلامي . القاهرة . ١٤٠٦هـ .

١٣٠- القاضي ، سعيد إسماعيل . أصول التربية الاسلامية . عالم الكتب . القاهرة . ١٤٢٢هـ.

١٣١- القحطاني ، سعيد علي . مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة . الرياض . مؤسسة الجريسي. ١٤٠٥هـ .

١٣٢- القرضاوي ، يوسف. الصبر في القرآن . مكتبة وهبة . ١٣٩٧هـ .

١٣٣- قطب ، سيد.التصوير الفني في القرآن . دار الشروق. ١٤٠٨هـ .

١٣٤- قطب ، سيد. خصائص التصور الإسلامي ومقوماته . دار الشروق . القاهرة . بيروت . ١٤٠٨هـ.

١٣٥- قطب ، محمد. منهج التربية الإسلامية . دار الشروق . بيروت.١٤٠٠هـ .

١٣٦- قطب ، محمد . منهج الفن الإسلامي . دار الشروق. (د.ت).

١٣٧- كركر ، عصمة الدين .المرأة من خلال الآيات القرآنية .نشر الشركة التونسية للتوزيع . (د.ت).

١٣٨- الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب . أدب الدنيا والدين . دار إحياء العلوم .بيروت . ١٤٠٨هـ.

١٣٩- مرسي، محمد منير . التربية الاسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية . دار المعارف . ١٩٨٦م.

١٤٠- مريدن ، عزيزة . القصة والرواية . دار الفكر بدمشق . ١٤٠٠هـ .

١٤١- مسن ، بول وآخرون . أسس سيكولوجية الطفولة والمراهقة . ترجمة : أحمد عبد العزيز سلامة . مكتبة الفلاح . ١٤٠٧ هـ

١٤٢- مشرح ، محمد ناجي . الآفاق الفنية في القصة القرآنية . دراسات في تأصيل الإعلام الإسلامي. ١٤٠٦هـ.

١٤٣- مصطفى ، محمود السيد حسن . الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية . مؤسسة شباب الجامعة . ١٩٨١م .
١٤٤- معتوق ، محبة حاج . أثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية . دار الفكر اللبناني .١٩٩٤م .
١٤٥- المقدم ، محمد أحمد اسماعيل . العودة للحجاب . دار طيبة للنشر . الرياض . ١٤٢٠هـ .
١٤٦- المليجي ، يعقوب. الأخلاق في الإسلام . مؤسسة الثقافة الجامعية . الاسكندرية. ١٤٠٥هـ
١٤٧- منيسي، سامية عبد العزيز . دور الأم في تربية الأجيال . دار الفكر العربي . القاهرة . ١٤٢٢هـ .
١٤٨- الميداني ، عبد الرحمن حسن حبنكة . الأخلاق الإسلامية وأسسها . دار القلم دمشق .١٤٢٠هـ
١٤٩- نجم ، محمد يوسف. فن القصة . دار الثقافة. بيروت . ١٩٨٩م .
١٥٠- النجيحي، محمد لبيب . الأسس الاجتماعية للتربية . دار النهضة العربية . بيروت . ١٩٨١م.
١٥١- النحلاوي ، عبد الرحمن . أصول التربية الإسلامية وأساليبها . دار الفكر. دمشق. ١٤١٧هـ .
١٥٢- النحلاوي ، عبد الرحمن . التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة . المكتب الإسلامي ، بيروت . مكتبة أسامة ، الرياض . ١٤٠٨هـ.
١٥٣- النحلاوي، عبد الرحمن. التربية بالعبرة . دار الفكر . دمشق. ١٤١٨هـ.
١٥٤- النحلاوي ، عبد الرحمن . من أساليب التربية الإسلامية التربية بالحوار . دار الفكر المعاصر، بيروت . دار الفكر بدمشق . ١٤٢٣هـ
١٥٥- الندوي ، أبو الحسن. نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية. المختار الإسلامي . القاهرة. ١٩٧٦م
١٥٦- وادي ، طه عمران . القصة بين التراث والمعاصرة . من اصدرات نادي القصيم الأدبي ببريدة . ١٤٢١هـ .
١٥٧- ياجلن ، مقداد . مناهج البحث وتطبيقاتها في التربية الاسلامية. دار علم الكتب . للطباعة والنشر والتوزيع .١٤١٩هـ .
١٥٨- يكن ، منى حداد. أبناؤنا بين وسائل الإعلام وأخلاق الإسلام. مؤسسة الرسالة ، بيروت. لبنان . ١٤٠٢هـ.

ثالثاً : الرسائل العلمية :

١٥٩- أبو خوات ، ابتسام محمد محمد . القيم الأخلاقية لدى الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة وعلاقتها ببعض المتغيرات الخاصة بـالأم المتعـلمة . بحث مقدم للحصول على الماجستير في التربية (أصول التربية) . كلية التربية . جامعة الاسكندرية . ١٩٩٥م.
١٦٠- أحمد ، الطيب السنوسي . الاستقراء وأثره في القواعد الأصولية والفقهية . دار التدمرية ١٤٢٤ هـ . (رسالة ماجستير)
١٦١- أحمد ، مدهش علي خالد . الأهداف التربوية في القصص القرآني . بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة ، كلية التربية بمكة المكرمة ، جامعة أم القرى . ١٤٠٩هـ.
١٦٢- باحـاذق ، عمـر محمد عمر. الجانب الفني في قصص القرآن الكريم . دار المأمون للتراث . دمشق. ١٤١٣هـ. (رسالة ماجستير مقدمة إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة)
١٦٣- باحـارث ، عدنان حسن. أسس تربية الفتاة في الإسلام . دراسة مقدمة إلى قسم التربية في كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية لنيل درجة الدكتوراه. ١٤٢٢هـ
١٦٤- جرار ، مأمون فريز. خصائص القصة الإسلامية .دار المنارة . جدة . ١٤٠٨هـ. (رسالة ماجستير)
١٦٥- الحـازمي، خالد حامد. التوجيه الإسلامي للتنشئة الخلقية بين الأسرة والمجتمع . رسالة دكتوراه مقدمة للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . كلية الدعوة وأصول الدين ، قسم التربية . عام ١٤١٣هـ.

١٦٦- حـافظ ، عماد زهير . القصص القرآني بين الاباء والأبناء . بحث لنيل درجة الماجستير في الكتاب والسنة .كلية الدعوة وأصول الدين .جامعة أم القرى .مكة المكرمة. ١٤٠٨هـ .

١٦٧- الحـدري ، خلـيل عبدالله . التربية الوقائية في الإسلام . مطابع جامعة أم القرى . ١٤١٨هـ. (بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة ، كلية التربية بمكة المكرمة ، جامعة أم القرى).

١٦٨- الحذيفـي، إبراهيم علي إبراهيم . الأمانة ومكانتها في الإسلام . رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين قسم الكتاب والسنة . عام ١٤١٣هـ .

١٦٩- حريري ، عبدالله محمد أحمد . القيم في القصص القرآني الكريم . رسالة دكتوراه الفلسفة في التربية تخصص تربية إسلامية. قسم أصول التربية ، كلية التربية ، جامعة طنطا .مصر . ١٤٠٩هـ

١٧٠- الحمـيد ، محمد ناصر . قصص النساء في القرآن الكريم . دار الكتاب والسنة . ١٤٢٢هـ . (رسالة دكتوراه مقدمة إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة) .

١٧١- الرحيـلي ، محمـد بـن رزيق . بعض المبادئ التربوية المستنبطة من قصة يوسف عليه السلام . بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الاسلامية والمقارنة . جامعة أم القرى . كلية التربية . قسم التربية الاسلامية والمقارنة . ١٤٢٠هـ .

١٧٢- الزبـيدي ، أحمد علي محمد . التربية بالعمل وأهميتها في تنشئة الطفل المسلم . رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة أم القرى كلية التربية قسم التربية الإسلامية والمقارنة . ١٤٢٢هـ

١٧٣- زكريا ،عبد المرضي . الحوار ورسم الشخصية في القصص القرآني . مكتبة زهراء الشرق . ١٩٩٧م . (رسالة ماجستير)

١٧٤- الزير ، محمد حسن. القصص في الحديث النبوي . المطبعة السلفية ومكتبتها . ١٣٩٨هـ . (رسالة ماجستير)

١٧٥- السباعي ، مريم عبدالقادر . القصة في القرآن . مكتبة مكة .١٤٠٧هـ . (رسالة دكتوراه)

١٧٦- السـويدي ، وضحة. تنمية القيم الخاصة بمادة التربية الإسلامية لدى تلميذات المرحلة الإعدادية بدولة قطر. دار الثقافة . الدوحة . ١٤٠٩هـ. (رسالة دكتوراه)

١٧٧- الشـرقاوي ، أحمـد محمـد . المرأة في القصص القرآني . دار السلام. القاهرة . ١٤٢١هـ. (رسالة دكتوراه مقدمة إلى جامعة الأزهر الشريف كلية أصول الدين والدعوة ، قسم التفسير وعلوم القرآن)

١٧٨- الشـهري ، فهد عبد الله .خلق الحياء في الكتاب والسنة وتطبيقاته التربوية . رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى كلية التربية قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، مكة المكرمة.١٤٢٠هـ

١٧٩- الصـالح ، عطية بن محمد أحمد . تنمية القيم الأخلاقية لدى طلاب مرحلة التعليم الأساسي العليا من وجهة نظر معلمي التربـية الإسـلامية في المملكة الأردنية الهاشمية . رسالة دكتوراه في الأصول الإسلامية للتربية . جامعة أم القرى . كلية التربية . قسم التربية الإسلامية والمقارنة . ١٤٢٥هـ .

١٨٠- صـباغ ، رفقـيه عمر بكر . العبرة في قصة يوسف عليه السلام . رسالة ماجستير غير منشورة . جامعة أم القرى .بمكة المكرمة . ١٤٠٥هـ.

١٨١- الصـقري، عواطـف إبراهيم . القيم الأخلاقية للأطفال وعلاقتها ببعض المتغيرات الأسرية الناجمة عن التغير الاجتماعي دراسة ميدانية بمنطقة القصيم . رسالة ماجستير . كلية التربية للبنات بالقصيم ، الأقسام الأدبية . قسم التربية وعلم النفس . ١٤٢١هـ .

١٨٢- طهطـاوي ، سيد أحمد . القيم التربوية في القصص القرآني . دار الفكر العربي . ١٤١٦هـ. (رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية بجامعة أسيوط عام ١٩٨٥م) .

١٨٣- عـبد ربه، عبدالحافظ. بحوث في قصص القرآن . دار الكتاب اللبناني . بيروت . ١٩٧٢م. (رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر عام ١٩٧٢م).

١٨٤- عدوي ، محمد خير . العبرة في قصة موسى في القرآن . رسالة ماجستير غير منشورة . كلية الشريعة . جامعة أم القرى . مكة المكرمة. ١٤٠٠هـــ.

١٨٥- العمـــرو، عبد الله محمد . الأخلاق عند مسكويه وابن القيم دراسة مقارنة . رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . كلية الشريعة ، بالرياض . قسم الثقافة الإسلامية . ١٤١٥هـــ .

١٨٦- العمـــري، محمد زهير. الصدق في التربية الإسلامية . رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة أم القرى كلية التربية قسم التربية الإسلامية والمقارنة . ١٤١٩هـــ.

١٨٧- الغـــامدي، عـــبد الـــرحمن بن عبد الخالق حجر. دور الأسرة المسلمة في تربية أولادها في مرحلة البلوغ . دار الخريجي . الرياض .١٤١٨هـــ. (رسالة دكتوراه مقدمة إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية العلوم الاجتماعية ، عام ١٤١١هـــ)

١٨٨- فدعـــق ، أسمـــاء . الصـــبر في الكـــتاب والسنة . رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، فرع الكتاب والسنة . ١٣٩٩هـــ .

١٨٩- قاضـــي، ســـلافة بكر . القيم التربوية المستنبطة من حادثة الإفك . رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى كلية التربية ، قسم التربية الإسلامية والمقارنة.١٤١٩هـــ .

١٩٠- لقمـــة ، محمـــد محمد محمد. الجوانب الأدبية والبلاغية في القصة القرآنية . رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر قسم الأدب والبلاغة . ١٣٨٨هـــ .

١٩١- اللهـــيي، سعدية مبارك. الأسرة ودورها التربوي في التوجيه الخلقي لفتيات المرحلة المتوسطة . رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة أم القرى كلية التربية قسم التربية الإسلامية والمقارنة . ١٤١٨هـــ

١٩٢- محمد ، إلهام فاروق علي. دور المدرسة الإبتدائية في دعم بعض القيم الخلقية لدى التلاميذ . رسالة مقدمة لجامعة حلوان ، إلى قسم أصول التربية، للحصول على درجة الماجستير في التربية . (د.ت).

١٩٣- المغامســـي ، خالد محمد . الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية . رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة أم القرى كلية التربية قسم التربية الإسلامية والمقارنة . ١٤٢٢هـــ.

١٩٤- المنتشـــري ، عـــلي أحمد . الطاعة وتطبيقاتها في التربية الإسلامية . بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة ، كلية التربية بمكة المكرمة ، جامعة أم القرى .١٤٢٤هـــ.

١٩٥- الناجي ، زينب محمد الخضر . الرحمة في السنة المطهرة . رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة أم القرى قسم الكتاب والسنة . عام ١٤٢١هـــ .

١٩٦- نفرة ، التهامي . سيكولوجية القصة في القرآن . الشركة التونسية للتوزيع. ١٩٧١م . (رسالة دكتوراه)

١٩٧- هنداوي ، منى محمد . قصص المرأة في القرآن الكريم . الناشر مكتبة وهبة . القاهرة. ١٤١٩هـــ . (رسالة ماجستير).

١٩٨- يالجن ، مقداد . الاتجاه الأخلاقي في الإسلام دراسة مقارنة . مكتبة الخانجي بمصر . ١٣٩٢هـــ . (رسالة ماجستير).

١٩٩- يالجن، مقداد . التربية الأخلاقية الإسلامية . مكتبة الخانجي. مصر . ١٣٩٧هـــ . (رسالة دكتوراه).

رابعاً : المجلات والدوريات :

٢٠٠- خان ، سامي بدر . قيمة الطاعة في الإسلام . المنهل مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة. العدد ٤٦١. المجلد ٤٩. رجب ١٤٠٨هـــ .

٢٠١- الخطيب ، عبد الكريم . المرأة ومكانها في القصص القرآني . مجلة الوعي الإسلامي ، العدد ١١٧ . غرة رمضان ١٣٩٤ هـ . وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت .

٢٠٢- الخولي ، البهي. تقدير الإسلام لإنسانية المرأة . مجلة الوعي الإسلامي . السنة الثالثة . العدد السابع والعشرون . غرة ربيع الأول ١٣٨٧هـ - ٩ يونيو ١٩٦٧م.

٢٠٣- السائح ، الحسن . فلسفة الطاعة في الإسلام . دعوة الحق . مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وشؤون الثقافة والفكر. تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الرباط المملكة المغربية . العدد ٣٣١. السنة الثامنة والثلاثون . جمادى الأولى – جمادى الثانية ١٤١٨هـ .

٢٠٤- علي ، علي أحمد . الطاعة وقيمتها التربوية في تنشئة الطفل . مجلة العربي . مجلة عربية شهرية تصدر عن وزارة الإرشاد والانباء بحكومة الكويت. العدد ١٢٤. مارس ١٩٦٩م.

٢٠٥- القيسي ، مروان إبراهيم . المنظومة القيمية الإسلامية كما تحددت في القرآن الكريم والسنة الشريفة . مجلة دراسات . تصدر عن عمادة البحث العلمي ، الجامعة الأردنية . عمان الأردان . المجلد الثاني والعشرون. العدد السادس . رجب ١٤١٦هـ .

٢٠٦- الكيلاني ، نجيب . مدخل إلى الأدب الإسلامي . جماد الآخر . كتاب الأمة قطر . ١٤٠٧هـ .

٢٠٧- المرصفي ، محمد علي . قيم تربوية في القصص القرآني . مجلة كلية التربية ، العدد العاشر.١٤٠٣هـ.

٢٠٨- مسعود، عبدالمجيد . القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر .كتاب الأمة الدوحة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية . ١٤١٩هـ .

خامساً : الندوات والمؤتمرات :

٢٠٩- الشيشاني ، عبد الوهاب عبد العزيز . القيم الأخلاقية في ضوء الثقافة العربية والإسلامية . بحث مقدم لندوة : القيم الأخلاقية المرتبطة بعمل رجل الأمن . دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية . ١٤٠٨هـ .

٢١٠- الفلاحي ، بطي محمد . دور التربية في غرس القيم الأخلاقية في نفوس النشئ . ندوة الثقافة والعلوم ، جائزة العويس للدراسات والابتكار العلمي . الدورة الثالثة ١٩٩٩٢م. مسابقة الشباب من أبناء الإمارات .وزارة التربية والتعليم .

٢١١- كرماني ، طوبى . دور المرأة في تطور المجتمع ثقافياً واجتماعاً وسياسياً . المملكة المغربية . وزارة الأوقاف . جامعة الصحوة الإسلامية . الدورة الخامسة . حقوق المرأة وواجباتها في الإسلام . الرباط ٨-٩ رجب ١٤١٩هـ